



المملكة العربية السعودية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية أصول الدين

قسم القرآن وعلومه

ترجيحات الشيخ الشنقيطي

ترجيحات الشيخ الشنقيطي

في تفسيره أضواء البيان

من أول سورة النور إلى آخر سورة المجادلة

جمعاً ودراسة

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في
القرآن وعلومه

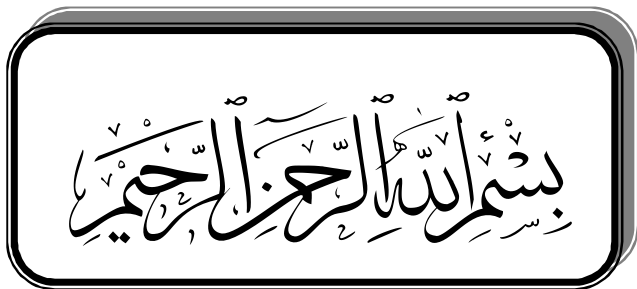
إعداد الطالب

عبدالماجد بن محمد ولي بن محمد علي
إبراهيم

إشراف الأستاذ الدكتور

محمد محمد زناتي عبدالرحمن
الأستاذ بقسم القرآن وعلومه

١٤٢٣هـ



المقدمة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا
إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم
وعلى آله وصحبه ومن سار على سنته إلى يوم الدين.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ

مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ

وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي

تَسَاءَلُونَ بِهِ ۚ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝﴾ [سورة النساء:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصَلِّحْ
لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا
عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أفضل ما يشتغل به الباحثون، ويتسابق فيه المتسابقون؛ مدارس كتاب الله
ﷺ، وإذا كان كل علم يشرف بموضوعه؛ فإن التفسير هو أفضل علم، إذ هو العلم
الخاص بكتاب الله ﷺ^(١) « الذي يعتبر هو مصدر الهدى والشفاء للناس عامة وللمؤمنين
خاصة ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي
الْصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [سورة يونس: ٥٧]، وهو الكتاب
الجامع لأصول الدين وفروعه، نصاً أو استنباطاً، عقيدة وشريعة ونظام حياة.. أودع الله
فيه من كنوز المعرفة وأصول العدل ومناهج الخير ما يسعد الإنسانية، ويفتح أمامها آفاقاً
رحبة في عمارة الكون، والتعارف والتعامل في ظل دستور قرآني خالد^(٢) فنجد أن القرآن
الكريم قد « حظي بما لم يحظ به -أو بقريب منه- غير من الكتب قديماً وحديثاً، بل واستقبلاً:

(١) تفسير سورة الروم، د. محمود بسيوني فودة، ص (٣) بتصرف.

(٢) دراسات في التفسير الموضوعي، د. زاهر بن عواض الألمي، ص (٥) بتصرف.

حفظاً للفظه، ومدارسة لنصه، ولا عجب في ذلك؛ فهو كلام الله الحق، وحديثه الصدق،
الذي تكفل بحفظه، بقوله ﴿ إِنَّا حُنُّ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [سورة
الحجر: ٩] ، تلقاه الرسول ﷺ وحيأً من ربه فبلغه، وبينه، كما قال سبحانه:
﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ الْمُبِينِ ﴾ [سورة العنكبوت، من الآية (١٨)]،
وقال جل وعلا: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل: ٤٤] ^(١)، وقد أخذ الصحابة رضوان الله عليهم
القرآن الكريم ومعانيه عن رسول الله ﷺ ، وقد كانوا أعلم الناس بكتاب الله ﷻ ، وعن
الصحابة أخذ التابعون التفسير، وعن التابعين أخذ أتباعهم، وهكذا استمر الاهتمام بتعلم
القرآن الكريم وتفسيره، حتى أضحت المكتبة التفسيرية من أوسع المكتبات، وأكثرها
إنتاجاً وأعمقها فكراً.

وإن من أفضل كتب التفسير المتأخرة، وأعزرها فائدة، وأقواها منهجاً كتاب:
أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمؤلفه: فضيلة الشيخ الإمام محمد الأمين بن محمد
المختار الجكني الشنقيطي - رحمه الله -.

ولذا وقع اختياري عليه لتكون رسالتي للماجستير دراسة ترجيحاته في المسائل
التفسيرية من أول سورة النور إلى نهاية سورة المجادلة، وذلك للأسباب الآتية:

(١) أسباب اختلاف المفسرين، د. محمد بن عبدالرحمن الشايع، ص (٥) بتصرف.

١- إمامته -رحمه الله- في التفسير والفقه والأصول والعربية وكثير من العلوم، حيث شهد له بذلك العلماء:

أ- قال الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله-: « كان آية في العلم والقرآن واللغة وأشعار العرب ».

ب- قال الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله-: « كان ذا علم واسع بالتفسير واللغة العربية وأقوال أهل العلم في تفسير كتاب الله ﷻ، مع الزهد والورع والتثبت في الأمر ».

ج- قال الشيخ الألباني -رحمه الله-: « ومن حيث جمعه لكثير من العلوم، ما رأيت مثله، وهو يذكر بشيخ الإسلام ابن تيمية ».

د- قال الشيخ حماد الأنصاري -رحمه الله-: « لم يكن له منافس في تفسير القرآن الكريم بأنواعه الأربعة: بالقرآن والسنة وأقوال السلف واللغة العربية »^(١).

٢- عناية مؤلفه التامة بالتفسير، حيث قال -رحمه الله-: « لا توجد آية في القرآن إلا درستها على حدة... إلخ »، وكان يقول « كل العلوم آلة ووسيلة، وعلم الكتاب وحده غاية »^(٢).

٣- استيعاب وإمام الشيخ التام بعلوم الوسائل، وأدوات التفسير، كاللغة والأصول

(١) انظر أقوال العلماء في الثناء عليه في ترجمته المفردة، للدكتور عبدالرحمن السديس، ص(٢٢٠).

(٢) انظر: ترجمة الشيخ الشنقيطي، للسديس ص(١٩٢).

والبلاغة وغيرها، وقد مضى ثناء العلماء عليه بذلك، ومنه ما قاله الشيخ بكر
أبوزيد - حفظه الله - : « لو كان في هذا الزمن أحد يستحق أن يسمى شيخ
الإسلام، لكان هو »^(١).

٤- بسطه التام لأنواع تفسير القرآن بالقرآن، الذي كان من أهم مقاصده في تأليفه، حيث
قال: « واعلم أن من أهم المقصود بتأليفه أمران:
أحدهما: بيان القرآن بالقرآن، لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها
تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جل وعلا من الله جل
وعلا... إلخ »^(٢).

٥- متانة ودقة منهجه في تفسيره، وقد أطب - رحمه الله - في عرض منهجه في تفسير
القرآن بمقدمة نفيسة في أنواع بيان القرآن، وبما عرض له في ثنايا تفسيره من
مباحث في أصول التفسير وقواعده.

٦- عنايته بذكر أقوال المفسرين واختلافهم، مع المناقشة والترجيح.

٧- أن هذا البحث ينمي في الطالب ملكة مناقشة الأقوال، والترجيح بينها، ومعرفة
أسباب الترجيح.

٨- ظهور كتب تساعد في هذا النوع من الدراسة؛ ككتاب: (قواعد الترجيح عند
المفسرين) لحسين بن علي الحرابي، وكتاب (قواعد التفسير) لخالد بن عثمان السبت.

(١) المرجع السابق: ص(٢٢٨).

(٢) أضواء البيان (٥/١).

حيث اهتم كل واحد منهما بترتيب القواعد بطريقة تسهّل على الباحث الرجوع إليها.

وقبلهما كتاب الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - (القواعد الحسان لتفسير القرآن)، وكتاب الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - (شرح مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله).

٩- أن هذا الموضوع لم يتعرض له أحد من قبل، إلا أنه عن طريق هذا القسم الموقر - قسم القرآن وعلومه - قد بدأ إخوة أفاضل في دراسة ترجيحات الشيخ الشنقيطي في كتابه أضواء البيان، ووصلوا إلى سورة المؤمنون وتمتيت أن أكون في ضمن منظومة هذه الدراسة، والحمد لله الذي حقق أمنيته وكانت رسالتي بعنوان (ترجيحات الشيخ الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان من أول سورة النور إلى آخر سورة المجادلة - جمعاً ودراسة) وستكون الدراسة - إن شاء الله - حول المسائل التفسيرية، وعدم الخوض في المسائل الفقهية والعقدية والأصولية التي تعرض لها الشيخ - رحمه الله - فهي ليست مجال الدراسة.

خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة وقسمين وخاتمة.

المقدمة:

وفيها بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره والخطة ومنهج كتابته.

القسم الأول

ترجمة عن حياة الشيخ الشنقيطي ودراسة حول الترجيحات، وفيه فصول:

الفصل الأول: ترجمة عن حياة الشيخ الشنقيطي، وفيه مباحث:

المبحث الأول: نسبه وولادته ونشأته.

المبحث الثاني: طلبه للعلم.

المبحث الثالث: أعماله قبل قدومه إلى المملكة العربية السعودية.

المبحث الرابع: رحلة الحج إلى بيت الله الحرام.

المبحث الخامس: جهوده بعد استقراره في المملكة العربية السعودية.

المبحث السادس: مؤلفاته.

المبحث السابع: عقيدته وأخلاقه.

المبحث الثامن: تلاميذه وثناء العلماء عليه.

المبحث التاسع: وفاته.

علماً أن أساس ما كُتِب من تراجم عن الشيخ الشنقيطي - رحمه الله - هي الترجمة التي كتبها عنه تلميذه الشيخ / عطية محمد سالم - رحمه الله - والمطبوعة في نهاية الجزء العاشر من أضواء البيان، تأتي بعدها الترجمة التي جمعها وصنّفها الدكتور / عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس، الأستاذ المساعد بجامعة أم القرى، والمطبوعة في كتاب مستقل، وعند الإحالة إليهما أختصر فأقول: ترجمة الشيخ عطية، و ترجمة السديس.

أما ترجمة الشيخ عطية فلا يباري أحد فيها بحكم أنه لازم الشيخ الشنقيطي مدة طويلة تقارب العشرين عاماً أو تزيد، وكل ما ذكره في الترجمة مما سمعه منه شخصياً أو مما لمسه منه من ملازمته له.

وأما ترجمة الدكتور عبدالرحمن السديس،؛ فقد أثنى عليها صاحب كتاب إتحاف النبلاء بسير العلماء الأستاذ/ راشد بن عثمان الزهراني (١/١٤٧) ثناءً جميلاً، واعتبرها الدكتور عبدالعزيز بن صالح الطويان صاحب كتاب جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، اعتبرها من المصادر الرئيسية التي استوفت الترجمة للشيخ الشنقيطي (١/٨٧).

الفصل الثاني: معنى الترجيح ومنهج الشيخ الشنقيطي فيه، وفيه مباحث:

المبحث الأول: معنى الترجيح عند المفسرين.

المبحث الثاني: الفرق بين مصطلحات ووجوه الترجيح.

المبحث الثالث: مصطلحات الترجيح عند الشيخ الشنقيطي، وفيه مطالب:

المطلب الأول: لفظ (أظهر)، وجاء على سبع صور:

الصورة الأولى: (الأظهر أن المعنى...)

الصورة الثانية: (الأظهر عندي...).

الصورة الثالثة: (الأظهر هو ما ذكرنا...).

الصورة الرابعة: (أظهر أقوال أهل العلم عندي.. أن المعنى...).

الصورة الخامسة: (أظهر الأقوال...).

الصورة السادسة: (أظهرها عندي...).

الصورة السابعة: (الأول أظهر...).

المطلب الثاني: لفظ (الظاهر).

المطلب الثالث: لفظ (يظهر).

المطلب الرابع: لفظ (التحقيق)، وجاء على ثلاث صور:

سورة الأول: بعد أن يذكر المعنى الراجح عنده يقول عنه (هو التحقيق إن شاء الله في معنى

الآية...)

سورة الثانية: بعد أن يذكر الآية يذكر الراجح عنده مبتدأً قوله بـ (التحقيق أن...).

سورة الثالثة: أن يشرح الآية في ضوء المعنى الذي ترجح عنده، ويذكر بعده القول المرجوح

ويقول عنه (إنه خلاف التحقيق...).

المطلب الخامس: لفظ (أصح)، وجاء على أربع صور:

الصورة الأولى: (الأصح أن...)

الصورة الثانية: (أصح القولين...).

الصورة الثالثة: (الأول أصح...).

الصورة الرابعة: (الأخير هو الأصح...).

المطلب السادس: لفظ (الصواب).

المطلب السابع: أن ينسب ما رجحه إلى (الجمهور).

المطلب الثامن: أن يقول عن القول الراجح عنده إنه هو (الأليق بالمقام).

المطلب التاسع: أن يقول عن القول الراجح عنده هو (أبلغ).

المطلب العاشر: أن يصف ترجيحه بأنه (أشهر الأقوال).

المطلب الحادي عشر: أن يصف ترجيحه بأنه (أظهر الأقوال وأصحها).

المطلب الثاني عشر: أن يبدأ كلامه في ترجيحه بقوله (التحقيق الذي عليه الجمهور).

المطلب الثالث عشر: أن يقول عن ترجيحه بأنه (هو قول الجمهور، وهو الصواب إن شاء الله).

المبحث الرابع: وجوه الترجيح عند الشنقيطي، وفيه مطالب:

المطلب الأول: الاستدلال بآيات أخرى من القرآن الكريم.

المطلب الثاني: دلالة سياق الآيات.

المطلب الثالث: الاستدلال بقريته في الآية.

المطلب الرابع: الترجيح بما يدل عليه ظاهر اللفظ.

المطلب الخامس: الترجيح بالمعنى الغالب استعماله في القرآن الكريم.

المطلب السادس: الاستدلال بصحة الحديث على المعنى الراجح.

المطلب السابع: الحمل على التأسيس أولى من الحمل على التأكيد.

المطلب الثامن: الاستدلال بما هو معروف في لغة العرب.

المطلب التاسع: الاستدلال بالبناء اللغوي.

المطلب العاشر: توحيد مرجع الضمائر.

المطلب الحادي عشر: إجماع الجمهور على معنى الآية.

صل الثالث: دراسة موازنة بين ترجيحات الشيخ عطية سالم - رحمه الله - في تمة أضواء البيان،

ومنهج الشيخ الشنقيطي - رحمه الله - في ترجيحاته، وفيه مباحث:

المبحث الأول: المصطلحات التي استخدمها في الترجيح.

المبحث الثاني: الوجوه التي اتبعها في الترجيح.

المبحث الثالث: نماذج من إحالات الشيخ عطية إلى كلام الشيخ الشنقيطي.

المبحث الرابع: ترابط الآيات والسور.

المبحث الخامس: استدراقات الشيخ عطية على شيخه الشنقيطي.

المبحث السادس: وفاء الشيخ عطية بوعود شيخه الشنقيطي.

القسم الثاني

دراسة ترجيحات الشيخ الشنقيطي في تفسيره من أول سورة النور إلى آخر سورة

المجادلة

وطريقتي في دراسة المسائل الترجيحية على النحو الآتي:

- ١- ترتيب الآيات التي وقع الترجيح في تفسيرها حسب ورودها في المصحف.
- ٢- ذكر مجمل الأقوال الواردة في الآية.
- ٣- ذكر نص عبارة الشيخ الشنقيطي في الترجيح.
- ٤- ذكر الموافقين للشيخ للشنقيطي في ترجيحه، مرتين حسب الوفاة.
- ٥- ذكر المخالفين له، مرتين كذلك.
- ٦- التعقيب في نهاية المسألة بدراسة حجج كل قول، وبيان الراجح حسب قواعد الترجيح وضوابطه المعتمدة عند العلماء.
- ٧- قد يقول قائل: الشيخ الشنقيطي من المتأخرين، فكيف تقول في رسالتك الموافقون للشنقيطي والمخالفون للشنقيطي؟ أقول: هذا باعتبار أن ترجيحات الشيخ الشنقيطي هي محور الدراسة هنا، فلا مانع أن أقول (الموافقون - المخالفون) في حدود هذه الدراسة.
- ٨- أوسع دائرة اطلاعي على أقوال المفسرين، فربما أطلع في المسألة الواحدة على ما يقارب ثلاثين تفسيراً.
- ٩- جعلت عزو الآيات بجوار الآية مباشرة تخفيفاً للحواشي.
- ١٠- بواسطة الطباعة بالحاسب الآلي، والحمد لله ﷻ، نُقلت الآيات بخط المصحف سلامة لها من الخطأ.

١١- ترد في أثناء الكلام كلمة أو مقطع صغير من آية، فيكتفى بكتابته بالرسم الإملائي دون رسم المصحف ويوضع بين قوسين مكررين ((....))، ويكون من الآية محور الدراسة، أو يكون سبق قريباً ذكر الآية كاملة معزوة.

١٢- قد يورد الشيخ الشنقيطي بعض الآيات سواء التي يفسرها أو ترد أثناء تفسيره لآية ما؛ على القراءة التي كان يتبعها وهي قراءة الإمام نافع. ولكن في هذا البحث أثبتتها على رواية حفص عن عاصم، ولا داعي للإشارة إن كان هذا الموضع مما أثبتته على قراءة نافع أم لا.

١٣- قد أحتاج أحياناً إلى إدخال بعض كلامي أثناء نص منقول بلفظه لأحد العلماء لإيضاح غامض ونحوه، فأميزه بوضعه معترضاً ومحصوراً بين معقوفتين [...]..

١٤- وضعت في نهاية كل موضع شكلاً من أشكال الزخرفة الإسلامية، للدلالة على نهاية الكلام في ذلك الموضع.

١٥- توثيق المادة العلمية على النحو الآتي:

أ- عزو الآيات القرآنية.

ب- عزو القراءات القرآنية إلى مصادرها الأصلية، مع بيان المتواتر منها والشاذ.

ج- تخريج الأحاديث النبوية.

د- توثيق الأقوال المنقولة عن العلماء.

هـ- عزو الآيات الشعرية إلى قائلها، وتوثيقها من مصادرها.

و- شرح غريب الألفاظ والمصطلحات.

ز- التعريف بالأعلام.

ح- التعريف بالفرق والمذاهب والأماكن والبلدان.

الخاتمة:

وفيها بيان أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

الفهارس:

فهارس متنوعة لمادة البحث.

وفي الختام أشكر الله ﷻ الذي أعانني على إتمام الموضوع ووفقني فيه، إلا لولا توفيقه وإيماني لما فعلتُ شيئاً.

ولا أنسى بالشكر والتقدير الوالدين الكريمين اللذين أعاناني وسعيا في تعليمي وبذلا جهدهما في ذلك بالدعاء الخالص. فجزاهما الله عني أحسن الجزاء وأوفره، ورفع درجاتهما وأحسن عاقبتهما في الأولى والآخرة، وأعانني على بر من بقي منها على قيد الحياة.

كما لا أنسى بالشكر والتقدير فضيلة شيعي الأستاذ الدكتور: محمد محمد زناقي عبدالرحمن المشرف على هذه الرسالة، والذي بذل جهده ووقته في توجيهي وإرشادي طيلة اشتغالي بالرسالة مع ما كان يتحلى به من الخلق الفاضل، والكلام الطيب، فجزاه الله عني خير الجزاء.

وشكري وتقديري لزوجتي أم بلال، لصبرها وتحملها وبذلها ما تستطيع من
عون ومساعدة خلال فترة انشغالي بالرسالة.

والشكر موصول لكل من أعانني على هذا البحث برأي سديد، وقول رشيد،
أو إعارة كتاب، أو دعاء بظهر الغيب، أو نحو ذلك، وأسأل الله تعالى أن يجعل ذلك في
ميزان حسناته يوم الدين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، « ورجو
من الله القريب المجيب، إذ وفقنا لخدمة هذا الكتاب المبارك - القرآن الكريم - أن يجعلنا
مباركين أينما كنا، وأن يبارك لنا وعلينا، وأن يشملنا بركاته العظيمة في الدنيا والآخرة،
وأن يعم جميع إخواننا المسلمين، الذين يأترون بأوامره، بالبركات والخيرات، في الدنيا
والآخرة، إنه قريب مجيب »^(١)، والله تعالى أعلم، فما كان في هذا البحث من إجابة وإتقان
وإحسان فمن فضل الله تعالى وكرمه وتوفيقه، وما كان من نقص وخلل وخطأ فمن نفسي
والشيطان وأسأل الله تعالى العفو والغفران، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله
وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) هذا الدعاء ذكره الشيخ الشنقيطي عند تفسير قوله تعالى ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ
مُبْرَكٌ لِيَدَّبُرُواْ آيَاتِهِْ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿ سورة ص: ٦١ ﴾

القسم الثاني

دراسة ترجيحات الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - في تفسيره
أضواء البيان

من أول سورة النور إلى آخر سورة المجادلة

معنى النكاح

- ١- قوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة
النور: ٣].

مجملة الأقوال الواردة في الآية:

اختلف العلماء في المراد بلفظ النكاح في الآية على قولين:

- ١- أن المراد به: الوطاء^(١).
- ٢- أن يراد به: عقد النكاح^(٢).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « إن العلماء اختلفوا في
المراد بالنكاح في هذه الآية، فقال جماعة: المراد بالنكاح في هذه الآية: الوطاء الذي هو
نفس الزنى. وقالت جماعة أخرى من أهل العلم: إن المراد بالنكاح في هذه الآية هو عقد
النكاح، قالوا فلا يجوز لعفيف أن يتزوج زانية كعكسه. وهذا القول الذي هو أن المراد
بالنكاح في الآية التزويج لا الوطاء؛ في نفس الآية قرينة تدل على عدم صحته، وتلك
القرينة هي ذكر المشرك والمشركة في الآية؛ لأن الزاني المسلم لا يحل له نكاح مشركة لقوله

(١) جامع البيان للطبري (١٨/٥٩).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٥/٣٤٢).

تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾ [سورة البقرة: ٢٢١]، وقوله

تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ هُنَّ﴾ [سورة الممتحنة: ١٠]، وقوله

تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ [سورة الممتحنة: ١٠]، وكذلك الزانية

المسلمة لا يحل لها نكاح المشرك لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾

﴿[سورة البقرة: ٢٢١]. فنكاح المشركة والمشرك لا يحل بحال. وذلك قرينة على أن المراد

بالنكاح في الآية التي نحن بصدددها: الوطء؛ الذي هو الزنى، لا عقد النكاح، لعدم ملائمة عقد النكاح لذكر المشرك والمشركة»^(١).

فالشيخ الشنقيطي إذاً يرى أن المراد بالنكاح في هذه الآية الوطء الذي هو الزنى.

الموافقون:

عدد من المفسرين ذهبوا في بيان معنى الآية إلى مثل ما ذهب إليه الشنقيطي؛ منهم:

- ١- الإمام الطبري^(٢): «وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب: قول من قال عني بالنكاح في هذا الموضع الوطء وأن الآية نزلت في البغايا المشركات ذوات الرايات. وذلك لقيام الحجة على أن الزانية من المسلمات حرام على كل مشرك، وأن الزاني

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٧٢/٦).

(٢) الإمام العلم المجتهد، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، كان من أفراد الدهر علماً وذكاءً وكثرة تصانيف. قال الذهبي: كان ثقة، صادقاً، حافظاً، رأساً في التفسير، إماماً في الفقه والإجماع والاختلاف، علامة في التاريخ وأيام الناس، عارفاً بالقراءات وباللغة وغير ذلك. توفي سنة (٣١٠هـ)، نزهة الفضلاء (١٠٣٧/٢).

من المسلمين حرام عليه كل مشركة من عبدة الأوثان ، فمعلوم إذ كان ذلك كذلك أنه لم يعنِ بالآية أن الزاني من المؤمنين لا يعقد عقد نكاح على عفيفة من المسلمات ولا ينكح إلا بزانية أو مشركة. وإذا كان ذلك كذلك ، فبيّن أن معنى الآية : الزاني لا يزني إلا بزانية لا تستحل الزنا أو بمشركة تستحلّه. وقوله ((وحرّم ذلك على المؤمنين)) يقول : وحرّم الزنا على المؤمنين بالله ورسوله ، وذلك هو النكاح الذي قال جل ثناؤه : ((الزاني لا ينكح إلا زانية))^(١).

٢- الجصاص^(٢) : « ولا يخلو قوله تعالى ((الزاني لا ينكح إلا زانية)) من أحد وجهين ، إما أن يكون خبيراً وذلك حقيقته أو نهياً وتحريماً ؛ ثم لا يخلو من أن يكون المراد بذلك النكاح هنا الوطاء أو العقد ، وممتنع أن يحمل على معنى الخبر وإن كان ذلك حقيقة اللفظ ؛ لأننا وجدنا زانياً يتزوج غير زانية وزانية تتزوج غير الزاني ، فعلمنا أنه لم يرِدْ مورد الخبر ، فثبت أنه أراد الحكم والنهي ، فإذا كان كذلك فليس يخلو من أن يكون المراد الوطاء أو العقد ، وحقيقة النكاح هو الوطاء في اللغة^(٣) ، فوجب أن يكون محمولاً عليه على ما روي عن ابن عباس^(٤) ومن تابعه في أن المراد : الجماع^(٥) .

٣- ابن عطية^(٦) : « من هذه الآية أوجه من التأويل : أحدها : أن يكون مقصد الآية تشنيع

(١) جامع البيان للطبري (١٨/٥٩).

(٢) أبو بكر أحمد بن علي الرازي المعروف ، بالجصاص ، سكن بغداد ؛ وعنه أخذ فقهاؤها ، قال الخطيب : كان إمام أصحاب أبي حنيفة في وقته ، وكان مشهوراً بالزهد. توفي سنة (٣٧٠هـ). طبقات المفسرين (١/٥٥).

(٣) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص(٣١٤) ، باب الحاء فصل النون.

(٤) الدر المنثور للسيوطي (٥/١٩).

(٥) أحكام القرآن لجصاص (٣/٣٤٦).

(٦) القاضي أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الغرناطي ، كان فقيهاً عالماً بالتفسير والأحكام والحديث والفقه والنحو والأدب ، مقيداً حسن التقييد ، من مؤلفاته (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز). توفي سنة (٥٤١هـ). طبقات المفسرين (١/٢٦٠).

وتبشيع أمره، وأنه محرّم على المؤمنين، واتصال هذا المعنى بما قبل حسن بليغ. ويريد بقوله سبحانه ((لا ينكح)) أي لا يطاق، فيكون النكاح بمعنى الجماع لثم ذكر بقية الأوجه، وفي آخر كلامه ردّ ما عدا الوجه الأول بقوله: [وذكر الإشراك في الآية يضعّف هذه المناحي] ^(١).

٤- ابن جزّي ^(٢) - بعد ذكر الآية - قال: «معناها ذم الزناة وتشنيع الزنا، وأنه لا يقع فيه إلا زان أو مشرك، ولا يوافق عليه من النساء إلا زانية، أو مشركة، وينكح على هذا بمعنى يجامع. لثم ذكر القول الآخر، وبعده قال: [والأول هو الصحيح] ^(٣).

٥- أبوحيان ^(٤): ((الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة)) الظاهر أنه خبر قصد به تشنيع الزنا وأمره، ومعنى ((لا ينكح)) لا يطاق، وزاد المشركة في التقسيم، فالمعنى أن الزاني في وقت زناه لا يجامع إلا زانية من المسلمين أو أحسن منها وهي المشركة، والنكاح بمعنى الجماع مروى عن ابن عباس هنا ^(٥).

٦- ابن كثير ^(٦): «هذا خبر من الله تعالى بأن الزاني لا يطاق إلا زانية أو مشركة، أي لا يطاوعه

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (١٠/٤٢٤ - ٤٢٩).

(٢) الإمام محمد بن أحمد بن جزّي الكلبي، من أهل غرناطة وذوي الأصالة والنباهة فيها، كان - رحمه الله - عليّ طريقة مثلى من العكوف على العلم، والاستغال بالنظر والتقييد، فقيها حافظا قائما على التدريس، حُفظة للتفسير، مستوعبا للأقوال، ألف الكثير في فنون شتى. توفي سنة (٧٤١هـ). طبقات المفسرين (١١/٢).

(٣) التسهيل لابن جزّي (٣/١٢٧).

(٤) الإمام محمد بن يوسف بن علي بن حيان، أبوحيان الأندلسي، نحوي عصره، ومفسره، ومحدثه، ومقرّنه، ومؤرخه، وأديبه، كان حجة سالم العقيدة من البدع الفلسفية، من تصانيفه المشهورة: البحر المحيط في التفسير. توفي سنة (٧٤٥هـ). طبقات المفسرين (٢/٢٨٦).

(٥) البحر المحيط لأبي حيان (٩/١٠).

(٦) الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، كان قدوة العلماء والحفاظ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ، كان له خصوصية بالشيخ تقي الدين ابن تيمية، ومناضلة عنه، واتباع له في كثير من آرائه، فقيه متفنن، ومحدث متقن، ومفسر نقاد. توفي سنة (٧٧٤هـ). طبقات المفسرين

على مراده من الزنا إلا زانية عاصية أو مشركة لا ترى حرمة ذلك، وكذلك ((الزانية لا ينكحها إلا زان)) أي عاص بزناه ((أو مشرك)) لا يعتقد تحريمه^(١).

المخالفون:

وهم من ذكر بأن لفظ النكاح في الآية التي نحن بصددتها يراد به العقد أي عقد النكاح، فمن هؤلاء المفسرين:

١- الإمام ابن الجوزي^(٢): « قال عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - : كانت امرأة تسامح وتشرط للذي يتزوجها أن تكفيه النفقة، فأراد رجل من المسلمين أن يتزوجها، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية^(٣).

وقال عكرمة^(٤): نزلت في بغايا، كن بمكة، ومنهن تسع صواحب رايات، وكانت بيوتهن تسمى في الجاهلية: المواخير، ولا يدخل عليهن إلا زان من أهل القبلة، أو مشرك من أهل الأوثان، فأراد ناس من المسلمين نكاحهن، فنزلت هذه الآية^(٥). قال

(١١٠/١).

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٦٢/٣).

(٢) الإمام الحافظ المفسر أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد القرشي البغدادي الحنبلي، صاحب التصانيف، كان مجرا في التفسير، علامة في السيرة والتاريخ، موصوفاً بحسن الحديث ومعرفة فنونه، فقيهاً عليماً بالإجماع والاختلاف، جيد المشاركة في الطب، ذا تفنن وفهم وذكاء وحفظ واستحضار. توفي سنة (٥٩٧هـ). نزّه الفضلاء (١٥٠٢/٣).

(٣) ذكره الواحدي النيسابوري في أسباب النزول المطبوع بذيل مختصر تفسير الطبري المطبوع بهامش القرآن الكريم ص(٣١٥)، وأن المرأة كان يقال لها: أم مهدون. وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٩/٥)، وفي لباب النقول في أسباب النزول المطبوع بذيل مفردات القرآن، للشيخ محمد حسن الحمصي، المطبوع بهامش القرآن الكريم ص(٣٤٥)، وأن المرأة يقال لها: أم مهزول.

(٤) العلامة الحافظ المفسر، أبو عبدالله القرشي مولا هم، عن عبدالرحمن بن حسان: سمعت عكرمة يقول: طلبت العلم أربعين سنة، وكننت أفتي بالباب، وابن عباس في الدار. توفي سنة (١٠٥هـ). نزّه الفضلاء (٤٦٤/١).

(٥) أسباب النزول للواحدي النيسابوي ص(٣١٤)، وتسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول لخالد العك ص(٢٣٢).

المفسرون: ومعنى الآية: الزاني من المسلمين لا يتزوج من أولئك البغايا إلا زانية ((أو مشركة)) لأنهن كذلك كنّ ((وَالزَّانِيَةُ)) منهن ((لا ينكحها إلا زان أو مشرك))^(١).

٢- البيضاوي^(٢): « إذ الغالب أن المائل إلى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح، والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء، فإن المشاكلة علة للألفة والتضام، والمخالفة سبب للنفرة والافتراق، وكان حق المقابلة أن يقال: والزانية لا تنكح إلا من هو زان أو مشرك، لكن المراد بيان أحوال الرجال في الرغبة فيهن؛ لأن الآية نزلت في ضعفة المهاجرين لما هموا أن يتزوجوا بغايا يكرين أنفسهن لينفقن عليهم من أكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدّم الزاني »^(٣).

٣- أبوالسعود^(٤): « ((الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك)) حكم مؤسس على الغالب المعتاد جيء به لجزر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا بهن وقد رغب بعض من ضعفة المهاجرين في نكاح موسرات كانت بالمدينة من بغايا المشركين فاستأذنوا رسول الله ﷺ في ذلك فنفروا عنه ببيان أنه من أفعال الزناة وخصائص المشركين كأنه قيل الزاني لا يرغب إلا في نكاح إحداهما والزانية لا يرغب في نكاحها إلا أحدهما فلا تحوموا حوله كي لا تنتظموا في سلكهما

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٣٤٢/٥).

(٢) الإمام ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي، كان علامة عارفاً بالفقه والتفسير والعربية والمنطق، من مصنفاته (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) في التفسير. ولي القضاء بشيراز. توفي سنة (٦٩١هـ). طبقات المفسرين (٢٤٢/١).

(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي (٥٩/٢).

(٤) محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، أبوالسعود، مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين، وهو صاحب التفسير المعروف باسمه وقد سماه: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، تقلد القضاء في عدد من البلاد التركية. توفي سنة (٩٨٢هـ). الأعلام (٥٩/٧).

أو تتسموا بسمتهما. [وردّ على من قال بأنه الوطاء بقوله:] وما قيل أن المراد بالنكاح هو الوطاء بين البطلان»^(١).

٤- الشوكاني^(٢): «إن هذا الحكم مؤسس على الغالب، والمعنى: إن غالب الزناة لا يرغب إلا في الزواج بزانية مثله، وغالب الزواني لا يرغب إلا في الزواج بزنانة مثلهن، والمقصود زجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا؛ وهذا أرجح الأقوال»^(٣).

٥- السعدي^(٤): «هذا بيان لرديلة الزنا، وأنه يدنس عرض صاحبه، وعرض من قارنه ومازجه ما لا يفعله بقية الذنوب. فأخبر أن الزاني لا يقدم على نكاحه من النساء إلا أثنى زانية، تناسب حاله حالها، أو مشرقة بالله لا تؤمن ببعث ولا جزاء ولا تلتزم أمر الله. والزانية كذلك لا ينكحها إلا زان أو مشرك ((وحرّم ذلك على المؤمنين)) أي: حرم عليهم أن ينكحوا زانياً أو ينكحوا زانية. ومعنى الآية: أن من اتصف بالزنا - من رجل أو امرأة - ولم يتب من ذلك؛ أن المقدم على نكاحه مع تحريم الله لذلك؛ لا يخلو إما أن لا يكون ملتزماً لحكم الله ورسوله، فذاك لا يكون إلا مشركاً، وإما أن يكون ملتزماً لحكم الله ورسوله، فأقدم على نكاحه مع علمه بزناه

(١) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٩١/٤).

(٢) الشيخ محمد بن علي الشوكاني اليمني، مجتهد مفسر أصولي، من أشهر كتبه (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير). توفي سنة (١٢٥٠هـ). حداثق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر ص(٣١).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٧/٤).

(٤) الشيخ عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله آل سعدي، ولد عام (١٣٠٧هـ)، توفي والداه وهو صغير فنشأ

يتيماً، حفظ القرآن الكريم واشتغل بالعلم، أعطاه الله **عقل** حجة في القلوب وثقة في النفوس، فصار مرجع بلاده - عينة - وعمدتهم، فهو مدرسههم ومفتيهم وواعظهم وإمام الجامع وخطيبه، من أشهر مؤلفاته: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان). - توفي سنة (١٣٧٦هـ). علماء نجد خلال ستة قرون (٤٢٢/٢).

فإن هذا النكاح زنا، والناكح زان مسافح، فلو كان مؤمناً بالله حقاً لم يُقدم على ذلك»^(١).

٦- سيد قطب^(٢): «... فالذين يرتكبون هذه الفعلة لا يرتكبونها وهم مؤمنون، إنما يكونون في حالة نفسية بعيدة عن الإيمان وعن مشاعر الإيمان، وبعد ارتكابها لا ترضي النفس المؤمنة أن ترتبط في نكاح مع نفس خرجت عن الإيمان بتلك الفعلة البشعة؛ لأنها تنفر من هذا الرباط وتشمئز، حتى لقد ذهب الإمام أحمد إلى تحريم مثل هذا الرباط بين زان وعفيفة، وبين عفيف وزانية؛ إلا أن تقع التوبة^(٣) التي تطهر من ذلك الدنس المنفر.

وعلى أية حال فالآية تفيد نفور طبع المؤمن من نكاح الزانية، ونفور طبع المؤمنة من نكاح الزاني، واستبعاد وقوع هذا الرباط بلفظ التحريم الدال على شدة الاستبعاد ((وحرّم ذلك على المؤمنين))... وبذلك تقطع الوشائج التي تربط هذا الصنف المدنس من الناس بالجماعة المسلمة الطاهرة النظيفة»^(٤).

تعقيب الباحث:

اعلم - عزيزي القارئ - أن هذه الآية استشكل بيان معناها على أئمة العلم

(١) تيسير الكريم الرحمن لسعدي ص(٥٦١).

(٢) سيد قطب إبراهيم، ولد في صعيد مصر عام (١٣٢٤هـ)، وصل في النقد والأدب إلى القمة، من أبرز رواد الفكر الإسلامي المعاصر، كانت عقيدته عقيدة السلف الصالح، وفكره سلفي خال من الشوائب تركز حول موضوع التوحيد الخالص وبيان المعنى الحقيقي لـ (لا إله إلا الله)، له الكثير من المؤلفات؛ من أهمها تفسير (في ظلال القرآن الكريم). توفي شهيداً - نحسبه كذلك والله حسيبه - سنة (١٣٨٦هـ). من أعلام الحركة الإسلامية ص(٣٣٧).

(٣) وثمَّ شرط آخر: هو براءة رحم الزانية بانقضاء عدتها، في خلاف مبسوط في كتب الفقه المغني لابن قدامة (٥٦١/٩).

(٤) في ظلال القرآن لسيد قطب (٤/٢٤٨٨).

بتفسير القرآن، وقد صرح به عدد من المفسرين؛ منهم الإمام ابن العربي^(١) وابن القيم^(٢)، والشنقيطي^(٣)، وابن عاشور^(٤)، وهذا الاستشكال مبني على المراد بلفظ النكاح؛ فمنهم من رجح أن المراد بلفظ النكاح في الآية الوطء ولهم أدلة عليه، ومنهم من رجح أن المراد به عقد النكاح ولهم أدلة أيضاً، وسأستعرض أدلة أصحاب كل قول أو الردود على ما لم يرجحوه، محاولاً التوفيق في ضوء ما جاء عن المفسرين، والله المستعان وعليه التكلان.

لقد استدل القائلون بأن النكاح في الآية يراد به الوطء بأدلة منها:

١- ورود آية في القرآن الكريم تؤيد أن المراد بالنكاح الوطء لا مجرد العقد، وهي قوله

تعالى: ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۗ ﴾

... ﴿سورة البقر: ٢٣٠﴾. وقد بين النبي ﷺ المراد بالنكاح في الآية الوطء بقوله: «...»

لا، حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك^(٥)، فأية سورة البقرة هذه دلت صراحة

(١) أحكام القرآن لابن العربي، القسم الثالث ص(١٣٢٩).

وهو الحافظ القاضي أبو بكر محمد بن عبدالله ابن العربي الأندلسي، كان ثاقب الذهن عذب المنطق كريم الشمائل، ولي قضاء إشبيلية. توفي سنة (٥٤٣هـ). نزهة الفضلاء (١٤١٢/٣).

(٢) بدائع التفسير لابن القيم (٢٤٣/٣).

وهو: الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، الفقيه الحنبلي الأصولي المفسر النحوي، أبو عبدالله بن قيم الجوزية، لازم الشيخ الإمام تقي الدين ابن تيمية. توفي سنة (٧٥١هـ). طبقات المفسرين (٢٩٠/٢).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٨١/٦).

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٥٢/١٨).

وهو: الشيخ محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، ولد عام (١٢٩٦هـ) أحد علماء تونس المشهورين، من أشهر مؤلفاته: (التحرير والتنوير في تفسير القرآن الكريم). توفي سنة (١٣٩٣هـ). تراجم المؤلفين التونسيين (٣٠٤/٣).

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (٤٦٤/٩)، كتاب الطلاق، باب: إذا طلقها ثلاث ثم تزوجت بعد العدة زوجاً غيره فلم يمسها.

على أن النكاح هو الوطاء. وهذا الوجه عند المفسرين وغيرهم من العلماء هو أحسن طرق التفسير؛ تفسير القرآن بالقرآن^(١).

٢- إن لفظ النكاح في اللغة أول ما يراد به الوطاء، قال في القاموس المحيط: النكاح: الوطاء، والعقد له^(٢)، والاستدلال بالمعروف في اللغة قاعدة رجّح بها المفسرون^(٣).

٣- إن سياق الآية يدل على إرادة الوطاء بلفظ النكاح، فإنه في الآية السابقة وهي قوله تعالى ﴿

الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ...﴾ لسورة النور:

٢ ذكر العقوبة الواقعة عليها، وذكر في هذه الآية وقوعهما في فعل الزنا، وأنه حرام على المؤمنين، قال ابن عطية: «... واتصال هذا المعنى بما قبل حسن بليغ»^(٤).

٤- أن النكاح في الآية يراد به الوطاء مروى عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - وهو من هو في التفسير حبر الأمة وترجمان القرآن^(٥).

٥- أنه إن أريد بالنكاح في الآية العقد؛ فهناك قرينتان في الآية تردّه:

أ - مجيء لفظ المشرك والمشركة، وقد دلت آيات من

القرآن الكريم أنه لا يجوز للزاني المسلم أن يتزوج

مشركة، وكذلك لا يجوز للزانية المسلمة أن

(١) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(١٢٧)، قواعد التفسير لخالد السبت (١/١٠٩).

(٢) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص(٣١٤)، باب الحاء، فصل النون.

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٢/٣٦٩).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (١٠/٤٢٤).

(٥) الدر المنثور للسيوطي (٥/١٩).

يتزوجها مشرك، كقوله تعالى: ﴿وَلَا

تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُوْمِنَ^ج

وَلَا مَآءٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا

أَعْجَبَتْكُمْ^ق وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ

حَتَّىٰ يُوْمِنُوا^ج وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ

مُّشْرِكٍ وَلَا أَعْجَبَكُمْ^ق ... ﴿سورة البقرة:

٢٢١﴾. وقوله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ

وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ^ص﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا

تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴿١٠﴾ [سورة

المتحنة: ١٠].

ب- قوله تعالى: ((وحرّم ذلك على المؤمنين)) فهذا يدل على عدم صحة زواج الزاني أو الزانية، وليس هذا في الواقع، فإن العفيف يجوز له أن يتزوج الزانية المسلمة إذا تابت واستبرأ رحمها، وكذلك العفيفة يجوز أن يتزوجها الزاني المسلم إذا تاب^(١). وعليه تكون هاتان القرينتان مانعتان من إرادة العقد، ويحمل التحريم في الآية على تحريم الزنا، ويراد بالنكاح الوطء.

أما القائلون بأن النكاح في الآية يراد به العقد فمن

(١) أحكام القرآن لابن العربي، القسم الثالث ص (١٣٣١)، المغني لابن قدامة (٥٦١/٩).

أدلتهم:

١ - مجيء آيات كثيرة في القرآن الكريم ورد فيها

لفظ النكاح بمعنى العقد، منها: قوله تعالى: ﴿وَلَا

تَعْرَمُوا عُقْدَةَ النَّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ

الْكِتَابِ أَجَلَهُ^ج﴾ [سورة البقرة: ٢٣٥]، وقوله

تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ

ءَابَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ

سَلَفَ^ج﴾ [سورة النساء: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ

الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ

تَمْسُوهُنَّ ۚ ﴿سورة الأحزاب: ٤٩﴾ وغيرها

من الآيات ^(١) فيها دلالة على أن النكاح يراد به العقد، فيحمل اللفظ في محل النزاع على الغالب من أسلوب القرآن ^(٢).

٢- أن سبب نزول الآية يبين أن المراد بلفظ النكاح في الآية: عقد النكاح لا الوطء، وقد مر ذكر بعض الروايات الواردة فيه عند ذكر المخالفين، وأذكر الآن

(١) [سورة البقرة: ٢٢١، ٢٣٢، ٢٣٧] [سورة النساء: ٢٥/٣، ١٢٧]، [سورة النور: ٣٢، ٣٣، ٦٠]، [سورة القصص: ٢٧]، [سورة الأحزاب: ٥٠، ٥٣]، [سورة الممتحنة: ١٠].
(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/١٧٢)، قواعد التفسير لخالل السبب (٢/٧٩٨).

واحدة منها لإيضاح المراد، وهي الرواية الواردة عن عمرو بن شعيب^(١) عن أبيه عن جده قال: كان رجل يقال له مرثد^(٢) يحمل الأسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة، وكانت امرأة بمكة يقال لها عناق وكانت صديقة له، وأنه وجد رجلاً من أسارى مكة يحمله، قال: فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة، فجاءت عناق فأبصرت سواد ظل تحت الحائط، فلما انتهت إليّ عرفتني، فقالت: مرثد؟ فقلت: مرثد. فقالت: مرحباً وأهلاً هلم فبت عندنا الليلة. قلت: يا عناق حرّم الله الزنا. قالت: يا أهل الخيام هذا الرجل يحمل أسراكم. قال: فتبعني

(١) عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، جُلُّ روايته عن أبيه، قال علي بن المديني: سمع أبوه شعيب من جده عبد الله بن عمرو، قال في التقريب: صدوق. توفي سنة (١١٨هـ). تهذيب التهذيب (٤٨/٨)، تقريب التهذيب ص (٧٣٨).

(٢) مرثد بن أبي مرثد الغنوي، صحابي وأبوه صحابي، وهما من شهد بدرًا، استشهد مرثد في صفر سنة (٣هـ) في غزاة الرجيع. الإصابة (٣/٣٩٨).

ثمانية، وسلكت الخندمة^(١) فانتهيت إلى غار أو كهف
فدخلت، فجاءوا حتى قاموا على رأسي، فبالوا
وظل بولهم على رأسي ونحاهم الله عني ثم رجعوا
ورجعت إلى صاحبي فحملته حتى قدمت المدينة،
فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أنكح
عناقاً؟ فأمسك فلم يردّ عليّ شيئاً حتى نزلت:
((الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا
ينكحها إلا زان أو مشرك وحرّم ذلك على المؤمنين))
فلا تنكحها^(٢).

(١) الخندمة: يفتح أوله، جبل بمكة، وكانت تؤخذ منه حجارة بنيان مكة. معجم البلدان لياقوت (المجلد الثاني، ص ٢٥٠).

(٢) الدر المنثور للسيوطي (١٩/٥)، وفي جامع الأصول قال محققه: «[أخرجه] الترمذي رقم (٣١٧٦) في التفسير، باب ومن سورة النور. وأبو داود رقم (٢٠٥١) في النكاح، باب قوله تعالى ((الزاني لا ينكح إلا زانية)). والنسائي (٦٦/٦) في النكاح باب تزويج الزانية. وإسناده حسن، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وصححه الحاكم (٣٩٦/٢).
انظر: جامع الأصول لابن الأثير، بتحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط (٢٤٧/٢) كتاب تفسير القرآن، سورة النور.

وتقرر لدى علماء الأصول أن صورة سبب النزول
قطعية الدخول^(١)، فيترجح بناءً عليه أن يراد بالنكاح
في الآية العقد.

٣- إن إرادة العقد بلفظ النكاح من باب إطلاق
المسبب وإرادة سببه، وهو أسلوب معروف في القرآن
الكريم وفي اللغة العربية^(٢).

٤- واستدل القائلون بأنه العقد، أنه إن حَمَلَ لفظ
النكاح في الآية على الوطاء فكأنه قال: الزاني لا
يزني إلا بزانية أو مشركة، وهذا كلام لا فائدة فيه،
ولابد أن يصان كلام الله - ﷻ - عن حمله على

(١) البحر المحيط للزرکشي (٢١٦/٣)، شرح مختصر الروضة للطوفي (٥٠٥/٢)، مذكرة أصول الفقه
للشنقيطي ص (٢٥٢).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٧٦/٦)، وهي إحدى علاقات المجاز المرسل؛ تسمية الشيء باسم مسبب عنه.
انظر: عقود الجمال في المعاني والبيان للسيوطي (٤٤/٢).

مثل ذلك^(١).

ويُردّ على هذا بأن « ابن عباس - رضي الله عنهما - وهو هو في المعرفة باللغة العربية ومعاني القرآن صح عنه حمل الزنى في الآية على الوطاء، ولو كان ذلك ينبغي أن يصاب عن مثله كتاب الله لصانه عنه ابن عباس ولم يقل به ولم يخفّ عليه أنه ينبغي أن يصاب عن مثله »^(٢).

وبعد: فأنت ترى - عزيزي القارئ - قوة استدلال كل فريق على قوله، ومدى استشكال بيان معنى الآية بناء على المراد بلفظ النكاح، وإن لكل وجه أدلته المؤيدة له، وقد سبق أن ذكرت عدداً من الأئمة صرّحوا باستشكال وصعوبة بيان معنى هذه الآية، فإذا أشكل تحديد المعنى على العلماء الراسخين، فهو على أمثالنا أصعب - أسأل الله جل وعلا العون والتوفيق والسداد والقبول - .

وإن من طريف^(٣) ما ورد في معنى الآية ما قاله الإمام ابن القيم، فلقد ذكر في معناها وجهاً لم يُسبق إليه، أذكره لأهميته وفائدته. فإنه بعد أن ردّ على كلّ وجه مُحتمل من ما ذكره المفسرون؛ قال: « فإن قيل: فما وجه الآية؟ قيل: وجهها - والله أعلم - أن المتزوج أمر أن يتزوج المحصنة العفيفة، وإنما أبيح له نكاح المرأة بهذا الشرط، كما

(١) بدائع التفسير لابن القيم (٣/٢٤٣).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٨٠).

(٣) الطريف: الغريب من الثمر وغيره. القاموس المحيط للفيروز آبادي ص(١٠٧٥)، باب الفاء، فصل الطاء.

ذكر ذلك سبحانه في سورتي الناس والمائدة^(١)، والحكم المعلق على الشرط ينتفي عند انتفائه^(٢)، والإباحة قد علقت على شرط الإحصان، فإذا انتفى الإحصان انتفت الإباحة المشروطة به، فالمتزوج إما أن يلتزم حكم الله وشرعه الذي شرعه على لسان رسوله، أو لا يلتزمه، فإن لم يلتزمه فهو مشرك لا يرضى بنكاحه إلا من هو مشرك مثله، وإن التزمه وخالفه ونكح ما حرم عليه لم يصح النكاح، فيكون زانياً، فظهر معنى قوله: ((لا ينكح إلا زانية أو مشركة)) وتبين غاية البيان. وكذلك حكم المرأة. وكما أن هذا الحكم هو موجب القرآن وصرح به فهو موجب الفطرة، ومقتضى العقل، فإن الله - سبحانه - حرم على عبده أن يكون قرناناً^(٣) ديوثاً زوج بغياً، فإن الله تعالى فطر الناس على استقباح ذلك واستهجانه ولذلك إذا بالغوا في سب الرجل قالوا: زوج قحبة، فحرم الله على المسلم أن يكون كذلك. فظهرت حكمة التحريم وبان معنى الآية، والله الموفق^(٤). والله أعلم بالصواب.



(١) في قوله تعالى: ﴿وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرٍ مُسَلِّحَاتٍ﴾ [سورة النساء: ٢٥]. وقوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾

﴿سورة المائدة: ١٥﴾.

(٢) الشرط: هو ما يلزم من انتفائه انتفاء الحكم.

روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة ص(٣٤)، وشرح مختصر الروضة للطوفي (١/٤٣٠).

(٣) القرنان: الديوث المشارك في قرينته، أي زوجته.

القاموس المحيط للفيروز آبادي ص(١٥٧٩)، باب النون، فصل القاف.

(٤) بدائع التفسير لابن القيم (٣/٢٤٥).

٢- قوله تعالى: ﴿وَيَذَرُوهَا عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة النور: ٢٨].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

- ١- أن المراد بالعذاب: الحد^(١).
- ٢- أن المراد بالعذاب: الحبس^(٢).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « المراد بالعذاب هنا: الحد. والدليل على ذلك من أوجه:

الأول: منها سياق الآية، فهو يدل على أن العذاب الذي تدرؤه عنها شهاداتها هو الحد.
الثاني: أنه أطلق اسم العذاب في مواضع أخر على الحد مع دلالة السياق على أن المراد

(١) جامع البيان للطبري (١٨/٦٨)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٢٦٥)، أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/٥٩).

(٢) مدارك التنزيل للنسفي (٣/١٠٢).

بالعذاب فيها الحد؛ كقوله تعالى في هذه السورة الكريمة: ﴿الزَّانِيَةُ

وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمُ

بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١﴾ ﴿سورة النور: ٢٢،

فقوله: ((وليشهد عذابهما)) أي حدهما بلا نزاع، وكذلك قوله تعالى في الإمام ﴿

فَعَلَيْنَ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴿سورة

النساء: ٢٥﴾ أي نصف ما على الحرائر من الجلد «^(١).

الموافقون:

قال بالمعنى الذي ذهب إليه الشنقيطي عدد من أعلام المفسرين، منهم:

١ - الإمام الطبري: «يعني جل ذكره بقوله ((ويدرأ عنها العذاب)) ويدفع عنها الحد «^(٢).

٢ - البغوي^(٣): «وأراد بالعذاب الحد، كما قال في أول السورة ((وليشهد عذابهما طائفة

(١) أضواء البيان للشنقيطي (١٣١/٦ - ١٣٢) بتصرف.

(٢) جامع البيان للطبري (٦٨/١٨).

(٣) العلامة الحافظ محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي المفسر، من تصانيفه (معالم التنزيل)، كان له القدم الراسخ في التفسير والباع المديد في الفقه. توفي سنة (٥١٦هـ). نزهة الفضلاء (١٣٧٠/٣).

من المؤمنين)) أي حدهما^(١).

- ٣- ابن جزى: «العذاب هنا حد الزنا»^(٢).
- ٤- ابن كثير: ((ويدراً عنها العذاب)) يعني الحد^(٣).
- ٥- الشوكاني: « والمراد بالعذاب: الدنيوي؛ وهو الحد»^(٤).
- وغيرهم من المفسرين كالبيضاوي^(٥) والسعدي^(٦).

المخالفون:

قلة من المفسرين اختاروا القول الآخر، منهم:

- ١- الإمام النسفي^(٧): «((ويدراً عنها العذاب)) ويدفع عنها الحبس»^(٨).
- ٢- أبو السعود: «أي العذاب الدنيوي وهو الحبس المغيا»^(٩) - على أحد الوجهين-

^١ (مختصر البغوي (٦٣٦/٢)..)

^٢ (التسهيل لابن جزى (١٣٠/٣)).

^٣ (تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٦٥/٣)).

^٤ (فتح القدير للشوكاني (١٢/٤)).

^٥ (أنوار التنزيل للبيضاوي (٥٩/٢)).

^٦ (تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٥٦٢)).

(٧) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، فقيه حنفي، مفسر، له مصنفات جليلة منها: (مدارك التنزيل) في التفسير. توفي سنة (٧١٠هـ). الأعلام (٦٧/٤).

^٨ (مدارك التنزيل للنسفي (١٠٢/٣)).

^٩ (يعني: إلى غاية).

بالرجم الذي هو أشد العذاب»^(١).

ومن المفسرين من جمع القولين دون ترجيح، كالشيخ حسنين محمد مخلوف^(٢).

تعقيب الباحث:

الذي يظهر أن القول الراجح هو ما ذهب إليه الإمام الشنقيطي ومن وافقه،
يشهد لذلك ما يلي:

١- أن سياق الآية يدل على المعنى المختار، ومعلوم أن سياق الآية إذا دلّ على معنى؛
كان هو المعنى المقدم عند كثير من أئمة التفسير^(٣).

٢- أن لفظة العذاب يراد بها الحد وردت أيضاً في آية أخرى في نفس السورة، وهي قوله
تعالى: ﴿وَلَيَشْهَدَنَّ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة النور: ٢٢] ولا
خلاف في أن العذاب الذي تشهد طائفة من المؤمنين هو الحد المقام عليهما، فدل
ذلك على أن العذاب - في الآية التي نحن بصدددها - يراد به الحد؛ لأنه هو الذي
تدفعه عنها الزوجة الملائنة بشهادتها.

٣- أن الحبس كان مذكوراً في سورة النساء وعمل به لفترة من الزمن ثم نسخ بما ذكر في

(١) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٩٥/٤).

(٢) صفوة البيان لحسنين مخلوف (٤٤٧).

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٢٥/١)، قاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من
الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له.

سورة النور. ولم يعد الحيس يعمل به^(١). - والله أعلم بالصواب - .



(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٤٦٢).

﴿ وَلَا يَأْتَلِ ﴾ معنى

٣- قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي

الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا

وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾

[سورة النور: ١٢٢].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

١- ((لا يأتل)) أي لا يحلف^(١).

٢- ((لا يأتل)) أي لا يقصر^(٢).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : وقوله: ((ولا يأتل أولوا

(١) جامع البيان للطبري (١٨/٨١)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٢٧٥).

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/٦١)، مدارك التنزيل للنسفي (٣/١٠٥) ولم يرجحاه.

الفضل منكم والسعة)) أي لا يحلف، فقله (يأتل) وزنه يفتعل من الألية وهي اليمين، تقول العرب: آلى يؤلى، وائتلى يأتلي إذا حلف، ومنه قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ

يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٦] أي يحلفون مضارع آلى يؤلى إذا

حلف. والمعنى: لا يحلف أصحاب الفضل والسعة؛ أي: الغني كأبي بكر - ﷺ -

أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله كمسطح بن أثانة^(١).

وقال بعض أهل العلم: « قوله ((ولا يأتل)) أي: لا يقصر أصحاب الفضل والسعة

كأبي بكر في إيتاء أولي القربى كمسطح، وعلى هذه فقله (يأتل) يفتعل من (ألا)

(يألوا) في الأمر إذا قصر منه وأبطأ، ومنه قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا

تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [سورة آل عمران: ١١٨]

أي: لا يقصرون في مضررتكم. والأول أصح؛ لأن حلف أبي بكر أن لا ينفع مسطحاً

بنافعة؛ ونزول الآية^(٢) الكريمة في ذلك الحلف معروف^(٣).

الموافقون:

(١) مسطح بن أثانة بن عباد، كان اسمه عوفاً وأما مسطح فهو لقبه، أمه بنت خالة أبي بكر. وفي سنة (٤٣٤هـ). الإصابة (٣/٤٠٨).

(٢) انظر سبب نزول الآية في: أسباب النزول للسيوطي، المطبوع بذييل مفردات القرآن للحمصي، ص (٣٥٨).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٦/١٥٩ - ١٦١) بتصرف.

لقد ذهب إلى مثل ما ذهب إليه الشنقيطي من أن معنى (يأتل) يحلف ؛ جمع غفير من
أئمة التفسير؛ منهم:

- ١- الطبري: « (ولا يأتل أولوا الفضل منكم...) » يقول تعالى ذكره ولا يحلف بالله ذوو
الفضل منكم ؛ يعني ذوي التفضل والسعة يقول وذوو الجدة «^(١).
- ٢- البغوي: « (ولا ياتل) يعني ولا يحلف ، وهو يفعل من الألية وهي القسم «^(٢).
- ٣- النيسابوري: « (ولا يأتل أولوا الفضل منكم) لا يحلف على حرمان أولي القربي «
^(٣).
- ٤- ابن كثير: « (ولا يأتل) من الألية وهي الحلف ، أي لا يحلف «^(٤).
- ٥- البيضاوي: « (ولا يأتل) ولا يحلف ؛ افتعال من الألية ، أو لا يقصر من الألو -
ويؤيد الأول أنه قرئ (ولا يتأل)^(٥) ، وأنه نزل في أبي بكر الصديق - رضي الله
تعالى عنه - وقد حلف أن لا ينفق على مسطح بعد ، وكان ابن خالته وكان من
فقراء المهاجرين «^(٦).

(١) جامع البيان للطبري (١٨/٨١).

(٢) مختصر البغوي (٢/٦٣٨).

(٣) إيجاز البيان للنيسابوري (٢/٦٩).

وهو: محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري ، كان عالماً بارعاً مفسراً لغويّاً فقيهاً متقناً فصيحاً ، من
مصنفاته (إيجاز البيان عن معاني القرآن). توفي سنة (٥٥٣هـ). طبقات المفسرين (٢/٣١١) ، إيجاز البيان بتحقيق
الدكتور: علي بن سليمان العبيد (١/٣٤).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٢٧٥).

(٥) قراءة أبي جعفر - من العشرة - انظر: القراءات العشر المتواترة ، لمحمد كريم راجح ص (٣٥٢).

(٦) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/٦١).

٦- أبو السعود: « (ولا يأتل) أي لا يحلف؛ افتعال من الألية، وقيل: لا يقصر؛ من الأول. والأول هو الأظهر لنزوله في شأن الصديق - ﷺ - حين حلف أن لا ينفق على مسطح بعد. ويعضده قراءة من قرأ (ولا يأتل) »^(١).

٧- وقال الشهاب في حاشيته على البيضاوي: « قوله افتعال من الألية أي القسم، أو هو افتعال من الأول بمعنى التقصير ومنه لم آل جهداً في كذا، (وقوله من الأول) بوزن الدلو أو الأول بوزن العتوّ فإنهما مصدرهما كما في كتاب اللغة^(٢)، ويؤيد الأول؛ أي القسمية لأن (يتألى) مخصوص به. (وقوله وأنه نزل... إلخ) تأييد آخر له للتصريح بأنه حلف في سبب النزول »^(٣).

٨- سيد قطب: « نزلت هذه الآية تذكراً أبا بكر، وتذكر المؤمنين، بأنهم هم يخطئون ثم يحبون من الله أن يغفر لهم. فليأخذوا أنفسهم - بعضهم من بعض - بهذا الذي يحبونه، ولا يحلفوا أن يمنعوا البر عن مستحقه، إن كانوا قد أخطأوا وأساءوا... »^(٤).

٩- ابن عاشور: « (ولا يأتل) والإيتلاء افتعال من الألية وهي الحلف، وأكثر استعمال الإلية في الحلف على امتناع، يقال: آلى وائتلى. ثم أشار إلى سبب النزول »^(٥).

ومن قال بمثل هذا المعنى أيضاً الإمام الخازن^(٦) وابن الجوزي^(٧) والشوكاني^(٨)

(١) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/١٠٣).

(٢) انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي ص (١٦٢٧)، باب الواو والياء، فصل الهمزة.

(٣) حاشية الشهاب على البيضاوي (٦/٣٦٧).

(٤) في ظلال القرآن لسيد قطب (٤/٢٥٠٤).

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٨/١٨٩).

(٦) لباب التأويل للخازن (٥/٥٢).

وغيرهم^(٣).

ولم أجد أحداً رجّح القول المخالف بياناً لمعنى الآية، إنما من لم يرجح أن المراد الحلف؛ جعل الآية محتملة لكلا المعنيين؛ ومن هؤلاء: الزمخشري^(٤) وأبوحيان^(٥)، والقرطبي^(٦)، والنسفي^(٧)، وغيرهم.

تعقيب الباحث:

يظهر - والله أعلم - أن الراجح في معنى (يأتل) أي يحلف؛ وهو ما ذهب إليه الشنقيطي ومن قال بهذا القول، وذلك لأمر:

-
- وهو: علاء الدين، علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر البغدادي، خازن الكتب بالمدرسة السَمِّيَّاسِيَّة واشتهر بالخازن بسبب ذلك، وجمع تفسيراً كبيراً سماه (التأويل لمعالم التنزيل)، كان حسن السميت والبشر والتودد. توفي سنة (٥٧٤١هـ). طبقات المفسرين (١/٤٢٢).
- (١) زاد المسير لابن الجوزي (٥/٣٥٠).
- (٢) فتح القدير للشوكاني (٤/١٨).
- (٣) منهم: جلال الدين المحلي في الجلالين ص (٢٩٣)، والسعدي في تيسير الكريم الرحمن ص (٥٦٤)، ووطنطاوي جوهر في الجواهر (١٢/٧).
- (٤) الكشف للزمخشري (٣/٢١٦).
- وهو: جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، العلامة اللغوي المعتزلي المفسر، كان متفناً في كل علم، صنّف تصانيف كثيرة، منها: (الكشف) في التفسير وغيرها. توفي سنة (٥٣٨هـ). طبقات المفسرين (٢/٣١٤).
- (٥) البحر المحيط لأبي حيان (٨/٢٥).
- (٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/٢٠٨).
- وهو: الإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، إمام متقن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة من أهمها: (جامع أحكام القرآن) وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً. توفي سنة (٦٧١هـ). طبقات المفسرين (٢/٦٦).
- (٧) مدارك التنزيل لسنفي (٣/١٠٥).

١ - اعتبار سبب النزول^(١) وأن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - حلف أن لا ينفق على مسطح
 - رضي الله عنه - بسبب موقفه من حادثة الإفك^(٢)، والقاعدة المقررة عند علماء الأصول
 أن صورة سبب النزول قطعية الدخول^(٣)؛ تؤيد هذا القول، والإمام الشنقيطي قرر
 هذه القاعدة ورجّح بها في تفسير عدد من الآيات^(٤)، وهو أصولي مفسّر
 - رحمه الله - .

٢ - القراءة المتواترة العشرية (يتأل)^(٥) تؤيد القول الراجح، فإن لفظ (يتأل) لا يطلق إلا

(١) الروايات الواردة في سبب النزول، انظرها في: جامع البيان للطبري (١٨/٨١)، والدر المنثور للسيوطي (٣٤/٥)، وتسهيل الوصول لخالد العك ص(٢٣٨).

(٢) الروايات الواردة في حادثة الإفك، انظرها في: فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٤٥٢/٨)، كتاب التفسير، سورة النور، حديث رقم (٤٧٥٠)، ولباب النقول للسيوطي ص(٢٨٤)، والرحيق المختوم للمباركفوري ص(٤٤٢).

(٣) البحر المحيط للزركشي (٣/٢١٦)، شرح مختصر الروضة للطوفي (٢/٥٠٥)، مذكرة أصول الفقه للشنقيطي ص(٢٥٢).

(٤) أضواء البيان للشنقيطي، مثلاً (١٥/١) (٧٧/٦، ٥٧٧).

(٥) (يتأل) أبو جعفر، (يتأل) الباقون. القراءات العشر المتواترة، محمد كريم راجح ص(٣٥٢).

على إرادة الحلف.

- ٣- وأخيراً إجماع المفسرين قديماً وحديثاً على المعنى الراجح ؛ مع عدم وجود مرجح للمخالف دليل على صحته ورجحانه - والله أعلم بالصواب - .



معنى ﴿ دِينَهِمْ ﴾

- ٤- قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُؤَقِّمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ﴾ [سورة النور: ٢٥]

مجمل الأقوال الواردة في الآية :

- ١- ((دِينَهُم)) أي جزاءهم الذي هو غاية العدل والإنصاف^(١).
- ٢- ((دِينَهُم)) أي جزاءهم الواجب لهم^(٢).

ترجيح الشنقيطي :

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « المراد بالدين هنا الجزاء،

(١) أضواء البيان للشنقيطي (١٦٦/٦)، التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩٢/١٨).
(٢) الكشاف للزمخشري (٢١٧/٣)، التسهيل لابن جزي (١٣٦/٣).

ويدل على ذلك قوله ((بوفيهم)) لأن التوفية تدل على الجزاء، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ

تُجْزَلُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ [سورة النجم: ٤١]، وقوله تعالى: ﴿وَأِنَّمَا

تُوفَوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٥]، وقوله: ﴿ثُمَّ

تُوفَى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ [سورة البقرة: ٢٨١] إلى غير ذلك من الآيات.

وقوله: ((دينهم)) أي جزاءهم الواجب الذي هم أهله، والأول أصح؛ لأن

الله ﷻ يجازي عباده بإنصاف تام وعدل كامل؛ والآيات القرآنية في ذلك كثيرة كقوله

تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا﴾ [سورة

النساء: ٤٠]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ

يَظْلِمُونَ﴾ [سورة يونس: ٤٤]، وقوله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ

لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّن

خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٤٧] إلى غير ذلك

من الآيات^(١).

أقوال المفسرين:

(١) أضواء البيان للشنقيطي (١٦٦/٦).

يظهر لي أن أقوال المفسرين - في بيان معنى ((دينهم الحق)) - متقاربة جداً بل متداخلة يصعب تقسيمهم إلى موافقين ومخالفين، وسأذكرهم متتابعين دون فصل بينهم.

فإليك - عزيزي القارئ - أقوالهم:

- ١- الطبري: « والدين في هذا الموضع الحساب والجزاء »^(١).
 - ٢- البغوي: « (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) » جزاءهم الواجب، وقيل: حسابهم العدل^(٢).
 - ٣- النسفي: « (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) » بالنصب صفة للدين وهو الجزاء، ومعنى ((الحق)) الثابت الذي هم أهله^(٣).
 - ٤- الفخر الرازي: « (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) » ولا شبهة في أن نفس دينهم ليس هو المراد؛ لأن دينهم هو عملهم، بل المراد جزاء عملهم، والدين بمعنى الجزاء مستعمل كقولهم كما تدين تدان، وقيل: الدين هو الحساب كقوله ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ﴾ [سورة التوبة: ٣٦] أي أن الذي نوفيههم من الجزاء هو القدر المستحق لأنه الحق وما زاد عليه هو الباطل^(٤).
- يفهم من كلامه: أن الله ﷻ يوفيههم الجزاء الحق دون زيادة عليهم بالباطل، وإنما ما يستحقونه بعدل وإنصاف.

(١) جامع البيان للطبري (١٨/٨٤).

(٢) مختصر البغوي (٢/٦٣٩).

(٣) مدارك التنزيل للنسفي (٣/١٠٦).

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي (٨/٣٥٤).

وهو: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي، الأصولي المفسر، قال عنه الذهبي: كان يتوقد ذكاءً وانتشرت تواليقه في البلاد شرقاً وغرباً، وقد بدت منه في تواليقه بلايا وعظائم، والله ﷻ يعفو عنه، فإنه توفي على طريقة حميدة، والله يتولى السرائر. توفي سنة (٦٠٦هـ). نزهة الفضلاء (٣/١٥٢٥).

- ٥- القرطبي: « أي حسابهم وجزاءهم »^(١).
- ٦- ابن جزي: « ((دينهم الحق)) أي جزاءهم الواجب لهم »^(٢).
- ٧- البيضاوي: « ((يومئذ يوفيههم الله دينهم الحق)) جزاءهم المستحق »^(٣).
- ٨- المحلى: « ((يومئذ يوفيههم الله دينهم الحق)) يجازيهم جزاء الواجب عليهم »^(٤).
- ٩- أبوالسعود: « ((يومئذ يوفيههم الله دينهم الحق)) أي يوم إذ تشهد جوارحهم بأعمالهم القبيحة، يعطيهم الله تعالى جزاءهم الثابت الذي يحقق أن يثبت لهم لا محالة وافيةً كاملاً »^(٥).
- ١٠- السعدي: « ((يومئذ يوفيههم الله دينهم الحق)) أي جزاءهم على أعمالهم الجزاء الحق، الذي بالعدل والقسط، يجدون جزاءها موفراً، لم يفقدوا منها شيئاً ﴿ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ سورة الكهف: ٤٩»^(٦).
- ١١- سيد قطب: « ((يومئذ يوفيههم الله دينهم الحق))... ويجزيهم جزاءهم العدل، ويؤدي لهم حسابهم الدقيق »^(٧).

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١١/١٢).

(٢) التسهيل لابن جزي (١٣٦/٣).

(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي (٦١/٢).

(٤) تفسير الجلالين ص (٢٩٤).

والمحلي هو: الإمام محمد بن أحمد بن محمد، جلال الدين المحلي، كان علامة آية في الذكاء والفهم، ومن أجل كتبه التي لم يكملها (تفسير القرآن) كتب منه من أول الكهف إلى آخر القرآن، توفي سنة (٦٨٤هـ). طبقات المفسرين (٨٠/٢).

(٥) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٠٦/٤).

(٦) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٥٦٥).

(٧) في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٥٠٥/٤).

١٢- ابن عاشور: « وقوله ((يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق)) استئناف بياني ؛ لأن ذكر شهادة الأعضاء يثير سؤالاً عن آثار تلك الشهادة ؛ فيجاب بأن أثرها أن يجازيهم الله على ما شهدت به أعضاؤهم عليهم ، فدينهم جزاؤهم كما في قوله ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [سورة الفاتحة : ٤٣] ، و((الحق)) نعت للدين ، أي الجزاء العادل الذي لا ظلم فيه »^(١).

تعقيب الباحث:

بعد استعراض أقوال المفسرين في بيان معنى ((دينهم الحق))؛ يظهر - والله أعلم - أنها كلها تصب في معنى واحد، فكون أن الله جل وعلا يجازيهم بعدل وإنصاف وعدم ظلم ؛ فإن هذا المقدار من الجزاء هو الذي يوفيهم إياه يوم القيامة. قال الزمخشري : « يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم أهل له، حتى يعلموا ((أن الله هو الحق المبين)) ومعناه: ذو الحق البين، أي: العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه، والمُحَقِّق الذي لا يوصف بباطل. ومن هذه صفته لم تسقط عنده إساءة مسيء ، ولا إحسان محسن »^(٢).
ونقل القرطبي عن النحاس^(٣) قوله: ((دينهم الحق)) يكون (الحق) نعتاً لـ (دينهم)، والمعنى حسن ؛ لأن الله ﷻ ذكر المسيئين واعلم أنه يجازيهم بالحق ؛ كما قال الله ﷻ: ﴿ وَهَلْ نَجْزِيكَ إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ [سورة سبأ: ١٧]؛ لأن مجازاة الله ﷻ للكافر

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٨/١٩٢).

(٢) الكشاف للزمخشري (٣/٢١٧ - ٢١٩) بتصرف.

(٣) أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، كان واسع العلم غزير الرواية، واشتغل بالتصنيف في علوم القرآن والأدب، من مصنفاته (الناسخ والمنسوخ). توفي سنة (٣٣٧هـ). طبقات المفسرين (١/٦٧).

والمسيء بالحق والعدل، ومجازاته للمحسن بالإحسان والفضل»^(١).

وفي اللغة العربية نجد أن كلمة ((الحق)) تشمل من ضمن ما تشمل من معان: الحق والواجب؛ ففي القاموس المحيط: «الحق... العدل ... وأحق الشيء: أوجبه»^(٢). والله أعلم بالصواب.



(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/٢١١).
 (٢) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص(١١٢٩)، باب: القاف، فصل: الحاء.

معنى الاستئناس

٥- قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ
حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النور: ٢٧].

مجمال الأقوال الواردة في الآية:

- ١- الاستئناس المراد به ضد الاستيحاش، وهذا الأنس وزوال الوحشة من ناحيتين.
 - أ - من ناحية أهل البيت الساكنين فيه، فإن الاستئذان بالطريقة المهذبة الواردة في تعاليم الإسلام تجعل أهل البيت يستعدون لاستقبال الزائر ويأمنون لوجوده بينهم، بخلاف ما لو اقتحم البيت ووقعت عينه على عورات لا يحب أهل البيت أن يراها أحد^(١).
 - ب- من ناحية الزائر، فإنه عندما يقرع الباب لا يدري أيؤذن له أم لا؟ فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه، فإن أذن له استأنس وزال عنه الاستيحاش^(٢).
- ٢- الاستئناس يعني الاستعلام والاستخبار، يعني يستعلم هل يأذن أهل الدار ويريدوا دخول الزائر أم لا؟^(٣).

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٤/٢٥٠٨)، التحرير والتنوير لابن عاشور (١٨/١٩٧).
(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٦/١٦٧)، الكشاف للزمخشري (٣/٢٢٠).
(٣) فتح القدير للشوكاني (٤/٢١)، التسهيل لابن جزي (٣/١٣٧).

٣- أن يراد الاستثناس الاستئذان^(١)، وهذا القول يشبه بصورة كبيرة القول الثاني السابق له مباشرة.

٤- أن الاستثناس من الإنس يعني هل يوجد إنسان في الدار؟^(٢).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: « في تفسير هذه الآية الكريمة بما يناسب لفظها وجهان، ولكل منهما شاهد من كتاب الله تعالى:

الوجه الأول: أنه من الاستثناس الظاهر الذي هو ضد الاستيحاش؛ لأن الذي يقرع باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه، فإذا أذن له استأنس وزال عنه الاستيحاش، ولما كان الاستثناس لازماً للإذن أطلق اللازم، وأريد ملزومه الذي هو الإذن، وإطلاق اللازم وإرادة الملزوم أسلوب عربي معروف^(٣). وعليه يصير المعنى: حتى تستأذنوا. ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى بعده: ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا

حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [سورة النور: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿لَا

تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [سورة

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١٣/١٢)، تفسير آيات الأحكام للصابوني (١٢٦/٢).

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي (٦١/٢)، لباب التأويل للخازن (٥٤/٥).

(٣) وهي إحدى علاقات المجاز المرسل، وقسمي: اللازمة. انظر: عقود الجمان في المعاني والبيان للسيوطي (٤٥/٢).

الأحزاب: ٥٣].

الوجه الثاني: هو أن يكون الاستئناس بمعنى الاستعلام والاستكشاف. فهو استفعال من
أنس الشيء إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً أو علمه. والمعنى: حتى تستعلموا
وتستكشفوا الحال، هل يؤذن لكم أم لا؟ وتقول العرب: استئسس هل
ترى أحداً، واستأنست فلم أر أحداً، أي تعرفت واستعلمت، ومن
هذا المعنى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ أَنْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا
إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [سورة النساء: ٦]. أي علمتم رشدهم وظهر لكم.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَدْنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ
﴾ [سورة طه: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ

الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾
[سورة القصص: ٢٩]. فمعنى آنس ناراً: رآها مكشوفة، «إلى أن قال:
« وهذا الوجه الذي هو أن معنى تستأنسوا: تستكشفوا وتستعلموا هل
يؤذن لكم، وذلك الاستعلام والاستكشاف إنما يكون بالاستئناس أظهر
عندي »^(١).

الموافقون:

القول الذي ذهب إليه الشيخ الشنقيطي أن الاستئناس يراد به الاستعلام

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦/١٦٧ - ١٦٨)، بتصرف.

والاستكشاف، وأن المعنى: حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يؤذن لكم أم لا؟ قال به من المفسرين:

- ١- ابن جزي: « معنی تستأنسوا، تستأذنوا، وهو مأخوذ من قولك أنست الشيء إذا علمته، فالاستئناس: أن يستعلم هل يريد أهل الدار الدخول أم لا؟ »^(١).
- ٢- الشوكاني: « والاستئناس: الاستعلام والاستخبار، أي حتى تستعلموا من في البيت، والمعنى: حتى تعلموا أن صاحب البيت قد علم بكم، وتعلموا أنه قد أذن بدخولكم، فإذا علمتم ذلك دخلتم، ومنه قوله: ﴿ فَإِنَّ أَدَّسْتُمْ مِمَّهمْ رُشْدًا ﴾ [سورة النساء: ١٦] أي علمتم »^(٢).

ويظهر أن القول بأن الاستئناس في الآية معناه: الاستئذان، يشبه هذا القول جداً ويتداخل معه بصورة كبيرة تجعلهما قولاً واحداً، فكون الداخل للبيت - من غير أهله - يستعلم أيؤذن له؛ كقولهم يستأذن. وعليه فإن عدداً من المفسرين جعلوا معنى الاستئناس: الاستئذان - باختصار -، فيكون قولهم أيضاً موافقاً لما ذهب إليه الشنقيطي، فمن هؤلاء:

- ١- النسفي: « ((حتى تستأنسوا)) أي تستأذنوا، والاستئناس في الأصل: الاستعلام والاستكشاف؛ استفعال من أنس الشيء إذا أبصره ظاهر مكشوفاً، أي حتى تستعلموا يطلق لكم الدخول أم لا؟ »^(٣).
- ٢- القرطبي: « الاستئناس: هو الاستئذان »^(٤).
- ٣- ابن تيمية: « بين أن المقصود في الآية الاستئذان؛ مبيناً أن الله - ﷻ - ذكر

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٣/١٣٧).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٤/٢١٤).

(٣) مدارك التنزيل للنسفي (٣/١٠٧).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/٢١٣).

الاستئذان على نوعين :

الأول : - المذكور في هذه الآية - ويكون قبل دخول البيت مطلقاً .

والثاني : استئذان الصغار والماليك المذكور في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ

يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ۚ ﴾ [سورة النور: ٢٥٨] ^(١) .

٤- ابن كثير: « - بعد ذكر الآية - هذه آداب شرعية أدب الله ﷻ بها عباده المؤمنين ، وذلك في الاستئذان أمرهم أن لا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتى يستأنسوا ؛ أي : يستأذنوا قبل الدخول ويسلموا بعد » ^(٢) .

٥- المحلّي : « ((حتى تستأنسوا)) أي تستأذنوا » ^(٣) .

٦- السعدي : « ... حتى يستأنسوا أي يستأذنوا . وسمى الاستئذان استئناساً ؛ لأن به يحصل الاستئناس ، وبعدمه تحصل الوحشة » ^(٤) .

المخالفون :

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥/٣٦٩ - ٣٧١) .

وهو : الإمام الحافظ شيخ الإسلام ، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني ، حفظ القرآن الكريم وهو صغير ولطلب العلم ، وتولى التدريس وعمره إحدى وعشرون سنة ، كتب له تراجم جمّة ، وذكروا أن شيوخه أكثر من مائة شيخ ، ومصنفاته أكثر من ستة آلاف مجلد . قال عنه الذهبي : لعل فتاويه في الفنون تبلغ ثلاثمائة مجلد ؛ بل أكثر ، وإذا سئل كان السنة بين عينيه ؛ وعلى طرف لسانه . توفي سنة (٧٢٨هـ) . بتصرف من مقدمات مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، المجلد الأول .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٢٧٨) .

(٣) تفسير الجلالين ص (٢٩٤) .

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٥٦٥) .

وأعني بالمخالفين الذين اختاروا أن الاستثناس هو ضد الاستيحاش سواءً كان زوال الوحشة متعلقاً بأهل البيت أو الضيف، وكذلك من قال بأن المعنى: هل يوجد إنسان في البيت؟، فمنهم:

١- ابن العربي: اختار المعنى الوارد عن ابن قتيبة^(١) أن معنى ((حتى تستأنسوا)) أي: حتى تعلموا فيها من تستأذنون عليه أم لا؟ حيث قال: «وأشبه ما فيه قول ابن قتيبة؛ فإنه عبر عن اللفظيين بمعنيين متغايرين مقيدين. وهذا هو حكم اللغة في جعل معنى لكل لفظ»^(٢).

٢- سيد قطب: «ويعبر عن الاستئذان بالاستثناس، وهو تعبير يوحي بلطف الاستئذان، ولطف الطريقة التي يجيء بها الطارق، فتحدث في نفوس أهل البيت أنساً به، واستعداداً لاستقباله. وهي لفظة دقيقة لطيفة، لرعاية أحوال النفوس، ولتقدير ظروف الناس في بيوتهم، وما يلابسها من ضرورات لا يجوز أن يشقى بها أهلها ويخرجوا أمام الطارقين في ليل أو نهار.

فالاستئذان على البيوت يحقق للبيوت حرمتها التي تجعل منها مثابة وسكناً. ويوفر على الحرج من المفاجأة، والضيق والمباغطة، والتأذي بانكشاف العورات... وهي عورات كثيرة، تعني غير ما يتبادر إلى الذهن عند ذكر هذه اللفظة... إنها ليست عورات البدن وحدها. إنما تضاف إليها عورات الطعام، وعورات اللباس، وعورات الأثاث، التي قد لا يجب أهلها أن يفاجئهم عليها الناس دون تهيؤ وتجميل وإعداد. وهي عورات المشاعر الحالات النفسية؛ فكم منا يجب أن يراه الناس وهو في حال ضعف يبكي لانفعال مؤثر، أو يغضب لشأن مثير، أو يتوجع لألم يخفيه عن

(١) عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، كان رأساً في اللغة والأخبار وأيام الناس، ثقة ديناً فاضلاً، من (إعراب القرآن) و (مشكل القرآن). توفي سنة (٢٦٧هـ). طبقات المفسرين (١/٢٤٥).
(٢) أحكام القرآن لابن العربي (٣/١٣٥٩) بتصرف.

الغرباء؟! وكل هذه الدقائق يرهاها المنهج القرآني بهذا الأدب الرفيع، أدب الاستئذان»^(١).

٣- ابن عاشور: « هذه الآيات لبيان أحكام التزاور وتعليم آداب الاستئذان. وشرع الاستئذان لمن يزور أحداً في بيته لأن الناس اتخذوا البيوت للاستتار مما يؤذي الأبدان من حرٍّ وقرٍّ ومطرٍ وقتام، ومما يؤذي العرض والنفس من انكشاف ما لا يحب الساكن اطلاع الناس عليه، فإذا كان في بيته وجاءه أحد فهو لا يدخله حتى يصلح ما في بيته وليستر ما يجب أن يستره ثم يأذن له أو يخرج له فيكلمه من خارج الباب. ومعنى ((تستأنسوا)) تطلبوا الأُنس بكم، أي تطلبوا أن يأنس بكم صاحب البيت، وأنسه به بانتفاء الوحشة والكراهية. وهذا كناية لطيفة عن الاستئذان، أي أن يستأذن الداخل، أي يطلب إذنًا من شأنه أن لا يكون معه استيحاش رب المنزل بالداخل. قال الإمام مالك^(٢): الاستئناس فيما نرى - والله أعلم - الاستئذان. يريد أنه المراد كناية أو مرادفة فهو من الأُنس، وهذا الذي قاله مالك هو القول الفصل. وليس المراد بالاستئناس أنه مشتق من أنس بمعنى علم لأن ذلك إطلاق آخر لا يستقيم هنا فلا فائدة في ذكره، وذلك بحسب الظاهر فإنه إذا أذن له دل إذنه على أنه لا يكره دخوله وإذا كره دخوله لا يأذن له والله متولي علم ما في قلبه فلذلك عبّر عن الاستئذان بالاستئناس مع ما في ذلك من الإيماء إلى علة مشروعية الاستئذان. وفي ذلك من الآداب أن المرء لا ينبغي أن يكون كلاً على غيره، ولا ينبغي له أن يعرض نفسه إلى الكراهية والاستئصال، وأنه ينبغي أن يكون الزائر والمزور متوافقين

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٠٥٨/٤) يتصرف.

(٢) الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس الخيميري ثم الأصبحي المدني، حجة الأمة، إمام دار الهجرة، ولد عام (٩٣هـ)، طلب العلم صغيراً، وتاهل للفتيا وجلس للإفادة وله إحدى وعشرون سنة، قال الإمام الشافعي: إذا ذكر العلماء فمالك النجم. نزهة الفضلاء (٦١٤/٢).

متأسنين وذلك عون على توفر الأخوة الإسلامية»^(١).

تعقيب الباحث:

الذي يظهر - والله أعلم - أن الاستثناس المذكور في الآية بقوله تعالى: (حتى تستأنسوا)) يراد به جميع المعاني الواردة عن المفسرين، وذلك لأمر:

١- أنه قد دلت عدد من آيات القرآن الكريم على مختلف معاني الاستثناس، منها:

أ- من قال إن الاستثناس في قوله ((حتى تستأنسوا)) مأخوذ من الإنس؛ يعني هو

يوجد إنسان في الدار؟ استدل بالآية التي تليها، وهي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ

تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾ [النور: ٢٨].

ب- ومن قال إن الاستثناس يراد به الاستعلام واستكشاف الحال هل يؤذن لكم أو

لا؟ استدلوا بعدد من الآيات، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَأَنْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾

[سورة النساء: ٦٦]. أي علمتم، وقوله ﴿ءَأَنْسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾

﴿سورة القصص: ٢٩﴾ أي رآها وأبصرها مكشوفة.

ج- ومن رأى أن الاستثناس ضد الاستيحاش والمراد به زوال الوحشة وحلول

الأنس والراحة من قبل أهل البيت والضيف؛ استدلوا بسياق الآيات وبالذات

عند قوله تعالى: ((ذلكم خير لكم))... وقوله تعالى: ((فارجعوا هو أزكى

لكم))... فقد دلت على أن في الاستثناس خير... ولا يكون خيراً لأهل البيت إلا

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩٧/١٨) بتصرف.

إذا كانوا منشرحي النفس طيبة نفوسهم باستقبال الضيف، وليس هناك خير إذا دخل الضيف وكانوا على حالة لا يحبوا أن يراهم عليها أحد. ودلت على أن رجوع الضيف عن الدخول إلى البيت - فيما إذا طلب منه ذلك - زكاة وطهارة له حيث حفظ أن يقع في الإثم والذنب باطلاعه على ما لا يجوز اطلاعه عليه.

فهذه المعاني المستندة على الآيات القرآنية تدخل تحت أفضل وأعلى درجات التفسير وهو تفسير القرآن بالقرآن^(١).

٢- من ناحية اللغة العربية: فإن لفظة الاستئناس تحمل معنى زوال الوحشة ومعنى الاستعلام والاستبصار والاستئذان^(٢).

٣- بعض أئمة التفسير؛ عند تفسيره للآية جعل معنى الاستئناس شاملاً لكل المعاني المذكورة أو معظمها وجعل المعنى مترابطاً مبنياً بعضه على بعض محققاً جميع الحكم والفوائد الدينية والنفسية والاجتماعية التي شرعها الإسلام في شعيرة الاستئذان. فمثلاً:

أ- الطبري يقول: « والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الاستئناس؛ الاستفعال من الأئس، وهو أن يستأذن أهل البيت في الدخول عليهم مخبراً بذلك من فيه، وهل فيه أحد، وليؤذنه أنه داخل عليهم فيأنس إلى إذنه له في ذلك، ويأنسوا إلى استئذانه إياهم.

وقد حكى عن العرب سماعاً: اذهب فاستأنس هل ترى أحداً في الدار؛

(١) شرح مقدمة التفسير، لابن عثيمين ص(١٢٧)، قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحري (١/٣١٢)، قواعد التفسير لخالد السبت (١/١٠٩).

(٢) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص(٦٨٣)، باب السين، فصل الهمزة، ومختار الصحاح للرازي ص(٢٨) مادة: أن س.

بمعنى: انظر هل ترى فيها أحداً»^(١).

ب- الفخر الرازي: « السؤال السادس: إن كلمة (حتى) للغاية، والحكم بعد للغاية يكون بخلاف ما قبلها؛ فقلوه: ((لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا)) يقتضي جواز الدخول بعد الاستئذان وإن لم يكن من صاحب البيت إذن، فما قولكم فيه؟

الجواب من وجوه:

أحدها: أن الله تعالى جعل للغاية الاستئناس لا الاستئذان، والاستئناس لا يحصل إلا إذا حصل الإذن بعد الاستئذان.

ثانيها: أننا لما علمنا بالنص أن الحكمة في الاستئذان أن لا يدخل الإنسان على غيره بغير إذنه فإن ذلك مما يسوءه، وعلمنا أن هذا المقصود لا يحصل إلا بعد حصول الإذن، علمنا أن الاستئذان ما لم يتصل به الإذن وجب أن لا يكون كافياً.

ثالثها: أن قوله تعالى: ((فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم...)) فحظر الدخول إلا بإذن، فدل على أن الإذن مشروط بإباحة الدخول في الآية الأولى «^(٢). - والله أعلم بالصواب - .



(١) جامع البيان للطبري (١٨/٨٩).

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي (٨/٣٥٨).

الزينة الظاهرة

٦- قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [سورة النور: ٣١].

مجمل الأقوال الواردة:

اختلف العلماء في تحديد المراد بالزينة الظاهرة في

الآية، ومجمل كلامهم يرجع إلى ثلاثة أقوال:

١- أن المراد بالزينة الظاهرة هنا شيء خارج عن بدن المرأة، ولا يتضمن إبداءه رؤية شيء من بدن المرأة؛ كالملاءة التي تلبسها المرأة فوق القميص والخمار والإزار.

٢- أن المراد بالزينة الظاهرة شيء خارج عن بدن المرأة أيضاً، ولكن يتضمن إبداءها رؤية شيء من البدن؛ كالكحل في العين فإنه يتضمن رؤية الوجه أو بعضه، وكالخضاب والخاتم فإن رؤيتهما تستلزم رؤية اليد، وكالقرط والقلادة والسوار فإن رؤية ذلك تستلزم رؤية محله من البدن.

٣- أن يراد بالزينة الظاهرة هنا شيء من نفس بدن المرأة كوجهها وكفيها^(١).

ترجيح الشنقيطي:

بعد أن نقل أقوال عدد من المفسرين في بيان المراد بقوله تعالى ((ولا يبدین زینتھن إلا ما ظهر منها))؛ قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - :
«...وجميع ذلك راجع في الجملة إلى ثلاثة أقوال :

الأول: أن المراد بالزينة ما تتزين به المرأة خارجاً عن أصل خلقتها، ولا يستلزم النظر إليه رؤية شيء من بدنها كقول ابن مسعود، ومن وافقه: إنها ظاهر الثياب؛ لأن الثياب زينة لها خارجة عن أصل خلقتها وهي ظاهرة بحكم الاضطرار كما ترى.

وهذا القول هو أظهر الأقوال عندنا وأحوطها،

وأبعدها من الريبة وأسباب الفتنة.

القول الثاني: أن المراد بالزينة، ما تتزين به، وليس من أصل خلقتها أيضاً، لكن النظر إلى تلك الزينة يستلزم رؤية شيء من بدن المرأة، وذلك كالحضاب والكحل، ونحو ذلك؛ لأن النظر إلى ذلك يستلزم رؤية الموضع الملابس له من البدن كما لا يخفى.

القول الثالث: أن المراد بالزينة الظاهرة بعض بدن المرأة الذي هو من أصل خلقتها، لقول من قال: إن المراد بما ظهر منها الوجه والكفان.

وإذا عرفت هذا فاعلم أننا قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك^(١): أن من أنواع

(١) الأقوال الثلاثة مجتمعة ذكرها ابن العربي في أحكام القرآن (القسم الثالث / ص ١٣٦٨)، والشنقيطي في أضواء البيان (١٩٢/٦).

البيان التي تضمنها أن يقول بعض العلماء في الآية قولاً، وتكون في نفس الآية قرينة دالة على عدم صحة ذلك القول، وقدمنا أيضاً في ترجمته أن من أنواع البيان التي تضمنها أن يكون الغالب في القرآن إرادة معنى معين في اللفظ، مع تكرار ذلك اللفظ في القرآن، فكون ذلك المعنى هو المراد من اللفظ في الغالب، يدل على أنه هو المراد في محل النزاع، لدلالة غلبة إرادته في القرآن بذلك اللفظ، وذكرنا له بعض الأمثلة في الترجمة.

وإذا عرفت ذلك فاعلم أن هذين النوعين من أنواع البيان اللذين ذكرناهما في ترجمة هذا الكتاب المبارك، ومثلنا لهما بأمثلة متعددة كلاهما موجود في هذه الآية، التي نحن بصددتها.

أما الأول منهما فبيانه: أن قول من قال في معنى ((ولا يبيدين زينتهن إلا ما ظهر منها)) أن المراد بالزينة: الوجه والكفان مثلاً، توجد في الآية قرينة تدل على عدم صحة هذا القول، وهي أن الزينة في لغة العرب، هي ما تتزين به المرأة مما هو خارج عن أصل خلقتها: كالحلي، والحلل. فتفسير الزينة ببعض بدن المرأة خلاف الظاهر، ولا يجوز الحمل عليه، إلا بدليل يجب الرجوع إليه، وبه تعلم أن قول من قال: الزينة الظاهرة: الوجه والكفان؛ خلاف ظاهر معنى لفظ الآية، وذلك قرينة على عدم صحة هذا القول، فلا يجوز الحمل عليه إلا بدليل منفصل يجب الرجوع إليه.

وأما نوع البيان الثاني المذكور فإيضاحه: أن لفظ الزينة يكثر تكرره في القرآن العظيم مراداً به الزينة الخارجة عن أصل المزين بها، ولا يراد بها بض أجزاء ذلك الشيء المزين بها، كقوله تعالى: ﴿يَبْنِيْ أَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ لسورة الأعراف: ٣١، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ لسورة الأعراف: ٣٢،

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً هَآ﴾ [سورة الكهف: ٧]، وقوله تعالى: ﴿

وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [سورة القصص: ٦٠]،

وقوله ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴿٦١﴾﴾ [سورة الصافات: ٦]، وقوله

تعال: ﴿وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لَتَرَكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [سورة النحل: ٨] الآية،

وقوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ [سورة القصص: ٧٩] الآية، وقوله

تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الآية [سورة الكهف: ٤٦]، وقوله

تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ [سورة طه: ٥٩]، وقوله تعالى عن قوم

موسى: ﴿حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ [سورة طه: ٨٧]، وقوله تعالى: ﴿

يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِّنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [سورة النور: ٣١]. فلفظ

الزينة في هذه الآيات كلها يراد به ما يزين به الشيء وهو ليس من أصل خلقته كما ترى،
وكون هذا المعنى هو الغالب في لفظ الزينة في القرآن، يدل على أن لفظ الزينة في محل النزاع
يراد به هذا المعنى، الذي غلبت إرادته في القرآن العظيم، وهو المعروف في كلام العرب
كقول الشاعر^(١):

وإذا عطلن فهن خير عواطل

يأخذن زينتهن أحسن ما ترى

(١) لم أقف على اسم الشاعر ولا موقع بيته.

وبه تعلم أن تفسير الزينة في الآية بالوجه والكفين فيه نظر.
وإذا علمت أن المراد بالزينة في القرآن ما يتزين به مما هو خارج عن أصل الخلقة
وأن ما فسروها من العلماء بهذا اختلفوا على قولين، فقال بعضهم: هي زينة لا يستلزم
النظر إليها رؤية شيء من بدن المرأة كظاهر الثياب، وقال بعضهم: هي زينة يستلزم النظر
إليها رؤية موضعها من بدن المرأة؛ كالكحل، والحضاب، ونحو ذلك.

قال مقيده^(١) عفا الله عنه وغفر له: أظهر القولين المذكورين عندي قول ابن
مسعود - رضي الله عنه - : أن الزينة الظاهرة، هي ما لا يستلزم النظر إليه رؤية شيء من بدن المرأة
الأجنبية، وإنما قلنا إن هذا القول هو الأظهر، لأنه هو أحوط الأقوال، وأبعدها عن أسباب
الفتنة، وأظهرها لقلوب الرجال والنساء، ولا يخفي أن وجه المرأة هو أصل جمالها ورؤيته
من أعظم أسباب الافتتان بها، كما هو معلوم. والجاري على قواعد الشرع الكريم، هو تمام
المحافظة والابتعاد من الوقوع فيما لا ينبغي^(٢).

خلاصة: الشيخ الشنقيطي يرجح أن المراد بالزينة الظاهرة هي ما تتزين به المرأة
خارجاً عن أصل خلقتها ولا يستلزم النظر إليها رؤية شيء من بدن المرأة، كظاهر الثياب.

الموافقون:

إلى مثل ما رجحه الشنقيطي وأن المراد بالزينة الظاهرة ظاهر الثياب، قد ذهب
عدد من المفسرين، مع اختلافات يسيرة في الألفاظ المعبر بها عن المعنى المتفق عليه، ويعتبر
موافقاً أيضاً من رجح أن الزينة: ما تتزين به المرأة من الحلي وغيرها، والنهي عن إبداء هذه
الزينة نهى عن إبداء مواضعها، لاتفاقهم على عدم إبداء شيء من بدن المرأة للأجانب،

(١) الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (١٩٧/٦ - ٢٠٠).

فمنهم:

١- النسفي: « (ولا يبدين زينتهن) » الزينة، ما تزينت به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب، والمعنى: ولا يظهرن مواضع الزينة، إذ إظهار عين الزينة وهي الحلي ونحوها مباح، فالمراد بها مواضعها أو إظهارها وهي في مواضعها لإظهار مواضعها لا لإظهار أعيانها»^(١).

٢- الزمخشري: « وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الأمر بالتصون والتستر؛ لأن هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر إليها لغير هؤلاء^(٢)، وهي الذراع والساق والعضد والعنق والرأس والصدر والأذن، فنهى عن إبداء الزينة نفسها، ليعلم أن النظر إذا لم يحلّ إليها لملابتها تلك المواقع - بدليل أن النظر إليها غير ملابسة لها لا مقال في حلة - كان النظر إلى المواقع أنفسها متمكناً في الحظر، ثابت القدم في الحرمة، شاهداً على أن النساء حقهن أن يحتطن في سترها ويتقين الله ﷻ في الكشف عنها»^(٣).

٣- ابن تيمية: « قال تعالى ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [سورة النور: ٣٠- ٣١]

فأمر الله سبحانه الرجال والنساء بالغض من البصر وحفظ الفرج، كما أمرهم جميعاً بالتوبة، وأمر النساء خصوصاً بالاستتار، وأن لا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن ومن

(١) مدارك التنزيل للنسفي (١٠٨/٣).

(٢) أي المحارم المذكورون في الآية.

(٣) الكشاف للزمخشري (٢٢٤/٣).

استثناه الله تعالى في الآية، فما ظهر من الزينة هو الثياب الظاهرة فهذا لا جناح عليها في إبدائها إذا لم يكن في ذلك محذور آخر، فإن هذه لا بد من إبدائها، وهذا قول ابن مسعود وغيره، وهو المشهور عن أحمد^(١).

٤- البيضاوي: « (ولا يبدين زينتهن) كالحلي والثياب والأصباغ، فضلاً عن مواضعها لمن لا يحل أن تبدي له. ((إلا ما ظهر منها)) عند مزاوله الأشياء كالثياب والخاتم فإن في سترها حرجاً. وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف، أو ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية؛ والمستثنى هو الوجه والكفان لأنها ليست بعورة، والأظهر أن هذه في الصلاة لا في النظر، فإن كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر إلى شيء منها؛ إلا للضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة^(٢) ».

٥- الشوكاني: « (ولا يبدين زينتهن) أي ما يتزين به من الحلية وغيرها، وفي النهي عن إبداء الزينة؛ نهي عن إبداء مواضعها من أبدانهم بالأولى^(٣) ».

٦- السعدي: « (ولا يبدين زينتهن) كالثياب الجميلة والحلي، وجميع البدن كله من الزينة. ولما كانت الثياب الظاهرة لا بد لها منها؛ قال ((إلا ما ظهر منها)) أي: الثياب الظاهرة التي جرت العادة بلبسها، إذ لم يكن في ذلك ما يدعو إلى الفتنة بها^(٤) ».

المخالفون:

وهم من رجع أن المراد بقوله تعالى ((إلا ما ظهر منها)): الوجه والكفان،

منهم:

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٧١/١٥).

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي (٦٢/٢).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٢٤/٤).

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٥٦٦).

١- الإمام الطبري: « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب؛ قول من قال: عني بذلك الوجه والكفان... »^(١).

وينحو ما قاله الطبري قال كل من:

٢- ابن العربي^(٢).

٣- القرطبي^(٣).

٤- ابن عاشور^(٤).

في حين أن عدداً من المفسرين اكتفوا عند بيان المراد بالزينة الظاهرة بسرد الأقوال

الواردة في ذلك دون ترجيح قول على قول، فمنهم.

١- الجصاص^(٥).

٢- ابن عطية^(٦).

٣- الفخر الرازي^(٧).

٤- ابن جزى^(٨).

٥- أبو حيان^(٩).

٦- ابن كثير^(١٠).

٧- أبو السعود^(١١).

(١) جامع البيان للطبري (١٨/٩٤).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (القسم الثالث / ص ١٣٦٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/٢٢٩).

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٨/٢٠٧).

(٥) أحكام القرآن للجصاص (٣/٤٠٨).

(٦) المحرر الوجيز لابن عطية (١٠/٤٨٨).

(٧) التفسير الكبير للفخر الرازي (٨/٣٦٣).

(٨) التسهيل لابن جزى (٣/١٣٨).

(٩) البحر المحیط لأبي حيان (٨/٣٣).

(١٠) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٢٨٣).

تعقيب الباحث:

بعد استعراض ما ورد عن المفسرين في بيان المراد بالزينة الظاهرة، يظهر - والله أعلم- أن الراجح - ما رجحه الشنقيطي والموافقون- أن يراد بالزينة الظاهرة هو ما تتزين به المرأة خارجاً عن أصل خلقتها، ولا يستلزم النظر إليه رؤية شيء من بدنها؛ وهو ظاهر الثياب، يدل لذلك أمور:

١- بناءً على القاعدة الترجيحية: «القول الذي تؤيده قرينة في السياق مقدم على غيره»^(٣)، وذلك أن من قال بأن المراد بالزينة الظاهرة: الوجه والكفان؛ فقولهم مردود بهذه القاعدة، «لأن الزينة في لغة العرب: هي ما تتزين به المرأة مما هو خارج عن أصل خلقتها كالحلي، والحلل»، فتفسير الزينة ببعض بدن المرأة خلاف الظاهر، ولا يجوز الحمل عليه إلا بدليل يجب الرجوع إليه^(٤).

٢- إلحاقاً للنقطة السابقة، وبتأييد قاعدة ترجيحية معتمدة لدى المفسرين، وهي «حمل كلام الله ﷻ على المعهود من كلام العرب...»^(٥)، فإن الزينة معناها في لغة العرب: «هي: ما يتزين به»^(٦)، فهل أصل البدن يتزين به، أو أن الزينة شيء خارج عن البدن يزين به البدن. فلا بد أن تكون الزينة زيادة عن أصل البدن.

٣- وتَمَّ قاعدة مهمة عند المفسرين يُصار إليها عند الحاجة إلى ترجيح قول على قول،

(١) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١١٠/٤).

(٢) محاسن التأويل للقاسمي (٤٥١٠/١٢).

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحريمي (٢٩٩/١).

(٤) أضواء البيان للشنقيطي (١٩٨/٦).

(٥) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحريمي (٣٦٩/٢).

(٦) مختار الصحاح للرازي ص (٢٨٠) مادة: زي ن، والقاموس المحيط للفيروز آبادي ص (١٥٥٤) باب النون، فصل الزاي.

وهي « حمل معاني كلام الله ﷻ على الغالب من أسلوب القرآن الكريم ومعهود استعماله أولى »^(١)، فإن لفظ الزينة يكثر تكرره في القرآن الكريم مراداً به الزينة الخارجة عن أصل المزين بها، ولا يراد بها بعض أجزاء ذلك الشيء المزين بها، انظر إلى قوله تعالى: ﴿ يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [سورة

الأعراف: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً هَآءِ ﴾

[سورة الكهف: ٧]، وقوله تعالى: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

﴿ [سورة الكهف: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿ حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ﴾^ط

[سورة طه: ٨٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَّعَ الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا ﴾ [سورة القصص: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ

قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾^ط [سورة القصص: ٧٩]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا

السَّمَآءَ الدُّنْيَا بَزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴾ [سورة الصافات: ٦] وغيرها من

الآيات.

« فلفظ الزينة في هذه الآيات كلها يراد به ما يزين به الشيء، وهو ليس من أصل خلقته كما ترى، وكون هذا المعنى هو الغالب في لفظ الزينة في القرآن الكريم؛ يدل على أن لفظ الزينة في محل النزاع يراد به هذا المعنى الذي غلبت إرادته في القرآن

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحاربي (١٧٢/١)، وقواعد التفسير لحالده السبتي (٧٩٨/٢).

العظيم»^(١).

- ٤- قال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - : « الزينة الظاهر: الثياب، وكل شيء منها عورة حتى الظفر، ويفيد هذا تحريم النظر إلى شيء من الأجنيات لغير عذر، مثل أن يريد أن يتزوجها أو يشهد عليها، فإنه ينظر في الحالين إلى وجهها خاصة؛ فأما النظر إليها لغير عذر فلا يجوز لا لشهوة ولا بغيرها، وسواء في ذلك الوجه والكفان وغيرهما من البدن»^(٢).
- ٥- ويقول الإمام ابن عطية: « ويظهر لي بحكم ألفاظ الآية أن المرأة مأمورة بأن لا تبدي، وأن تجتهد في الإخفاء لكل ما هو زينة، ويقع الاستثناء في كل ما غلبها فظهر بحكم ضرورة حركة فيما لا بد منه، أو إصلاح شأن ونحو ذلك، فما ظهر على هذا الوجه فهو المعفي عنه»^(٣).
- ٦- استدل شيخ الإسلام ابن تيمية بما « ثبت في الصحيح » أن المرأة المحرمة تنهى عن الانتقاب والقفازين»^(٤)، وهذا مما يدل على أن النقاب والقفازين كانا معروفين في النساء اللاتي لم يحرمن، وذلك يقتضي ستر وجوههن وأيديهن»^(٥). والله أعلم بالصواب.



لِمَنْ تَكُونُ الْمَغْفِرَةُ

(١) أضواء البيان للشنقيطي (١٩٩/٦).
(٢) حكاة ابن الجوزي في زاد المسير (٣٥٦/٥) عن القاضي أبي يعلى عن الإمام أحمد.
(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٤٨٨/١٠).
(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب جزاء الصيد، باب ما ينهى من الطيب للمحرم والمحرمة.
انظر: فتح الباري (٥٢/٤).
(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٧١/١٥).

٧- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُكْرِهْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

﴿[سورة النور: ٤٣].﴾

مجمل الأقوال الواردة في الآية :

- ١- أن المعنى غفور لهم ، يعني الإمام المكروهات^(١) .
- ٢- أن المعنى غفور لهم ، يعني للسيد الذي يكرهه^(٢) .
- ٣- غفور لهم ولهن^(٣) .

ترجيح الشنقيطي :

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « قوله تعالى في هذه الآية الكريمة ((فإن الله من بعد إكراهه غفور رحيم)) قيل غفور لهم. وقيل غفور لهم. وقيل لهم ولهم.

وأظهرها أن المعنى غفور لهم ؛ لأن المكروه لا يؤخذ بما أكره عليه ، بل يغفره الله لعدوه بالإكراه كما يوضحه قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [سورة النحل: ١٠٦]. ويؤيده قراءة ابن مسعود، وجابر بن عبد الله، وابن

(١) مختصر البغوي (٢/٦٤٣).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٣/١٤٤)، ذكره محتملاً ولم يرجحه.

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٢١٩) ولم يرجحه.

جبير، فإن الله من بعد إكراهه لمن غفور رحيم، ذكره عنهم القرطبي^(١)، وذكره
الزمخشري^(٢) عن ابن عباس - رضي الله عنه - أجمعين.

وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك أن لا نبين القرآن بقراءة شاذة، وربما
ذكرنا القراءة الشاذة استشهدا لقراءة سبعة^(٣) كما هنا، فزيادة لفظه لمن في قراءة من ذكرنا،
استشهدا بقراءة شاذة لبيان بقراءة غير شاذة أن الموعود بالمغفرة والرحمة هو المعذور بالإكراه
دون المكره؛ لأنه غير معذور في فعله القبيح، وذلك البيان المذكور بقوله: ﴿إِلَّا مَنْ

أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [سورة النحل: ١٠٦] ^(٤).

الموافقون:

كل من وقتت عليه من المفسرين رجّحوا ما رجّحه الشنقيطي، منهم:

- ١- الإمام البغوي: « ((ومن يكرهه فإن الله من بعد إكراهه غفور رحيم)) يعني للمكروهات والوزر على المكره » ^(٥).
- ٢- القرطبي: « ((ومن يكرهه)) أي يقهره ((فإن الله من بعد إكراهه غفور)) لمن ((رحيم)) بهن » ^(٦).
- ٣- ابن كثير: « ((ومن يكرهه فإن الله من بعد إكراهه غفور رحيم)) أي لمن. إلى أن قال [وفي الحديث المرفوع عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رفع عن أمّتي الخطأ والنسيان

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٥٥).

(٢) الكشاف (٣/٢٣٣).

(٣) مقدمة أضواء البيان (١/٥).

(٤) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٢١٩ - ٢٢٠).

(٥) مختصر البغوي (٢/٦٤٣).

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/٢٥٥).

وما استكروها عليه»^(١)»^(٢).

- ٤- البيضاوي: «أي لهن، أو له إذا تاب، والأول أوفق للظاهر»^(٣).
- ٥- المحلّي: «(غفور) لهن ((رحيم)) بهن»^(٤).
- ٦- الشوكاني: «المعنى: أن عقوبة الإكراه راجعة إلى المكرهين لا إلى المكرهات»^(٥).

المخالفون:

لم أجد فيما وقفت عليه من أقوال المفسرين أحداً رجّح قولاً مخالفاً لما ذهب إليه الشنقيطي ومن وافقه، إنما أورد بعض المفسرين القول المخالف في معرض ذكره للأقوال الواردة في معنى الآية منهم الإمام النسفي^(٦)، وابن جزوي^(٧)، والبيضاوي^(٨).

تعقيب الباحث:

الذي يظهر -والله أعلم- أن الراجح في معنى الآية هو ما ذهب إليه الشيخ الشنقيطي ومن وافقه من أن المغفرة المذكورة في الآية تكون للإماء المكرهات، وذلك لأمر:

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، باب طلاق المكره والناسي، بلفظ «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكروها عليه». وقال محقق سنن ابن ماجه: «في الزوائد: إسناده صحيح إن سلم من الانقطاع». انظر: سنن ابن ماجه، بتحقيق: محمد الأعظمي (٣٧٨/١)، حديث رقم (٢٠٥٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٨٩/٣).

(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي (٦٣/٢).

(٤) تفسير الجلالين ص (٢٩٥).

(٥) فتح القدير للشوكاني (٣٢/٤).

(٦) مدارك التنزيل للنسفي (١١٠/٣).

(٧) التسهيل لابن جزوي (١٤٤/٣).

(٨) أنوار التنزيل للبيضاوي (٦٣/٢).

- ١- أن ظاهر الآية يدل على هذا المعنى، فقد وردت المغفرة بعد ذكر تعرض الفتيات للإكراه، والاستدلال بظاهر السياق على المعنى الراجح من القواعد المهمة عند المفسرين^(١).
- ٢- أن في الآية قرينة^(٢) واضحة تدل على المعنى الراجح، وهي قوله ((ولا تكرهوا)) وقوله ((ومن يكرههن)) وقوله ((من بعد إكراههن)) فكل هذه الألفاظ تدل على وقوع الأمة تحت الإكراه، وقد دل القرآن ودلت السنة على أن المكره لا شيء عليه، فقد قال الله ﷻ: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ لسورة النحل: ١٠٦ وقال رسول الله ﷺ: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»^(٣).
- ٣- بناءً على ما تقرر عند علماء الأصول^(٤) من أن صورة سبب النزول قطعية الدخول، الدخول، فإن الروايات الواردة في سبب نزول الآية تدل على تعرض بعض الإمامة للإكراه على الزنا وشكاتهم ذلك إلى النبي ﷺ^(٥)، وهذا يدل دلالة واضحة على القول الراجح في الآية أن المغفرة لهن.
- ٤- وأخيراً إجماع المفسرين على المعنى الراجح دلالة عليه، مع عدم وجود مرجح للقول المخالف. والله أعلم بالصواب.

(١) قواعد التفسير لخالد السبت (٢٤٩/١)، قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (١٢٥/١).
(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٩٩/١) قاعدة: القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه.
(٣) سبق تخريج الحديث.
(٤) البحر المحیط للزرکشي (٢١٦/٣)، شرح مختصر الروضة للطوفي (٥٠٥/٢)، مذكرة أصول الفقه للشنقيطي ص (٢٥٢)..
(٥) الروايات الواردة في سبب نزول الآية، جامع البيان للطبري (١٠٣/١٨)، أسباب النزول للنيسابوري - مطبوع بذييل مختصر تفسير الطبري المطبوع بهامش القرآن الكريم - ص (٣٢٨)، لباب النقول للسيوطي - مطبوع بذييل كلمات القرآن لحسنين مخلوف المطبوع بهامش القرآن الكريم ص (٢٩٣)، تسهيل الوصول لخالد العك ص (٢٤٢).



تقلب القلوب والأبصار

٨ - قوله تعالى: ﴿تَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [سورة النور:

.١٣٧

مجمل الأقوال الواردة في الآية :

- ١ - أن تقلب القلوب حركتها من أماكنها من شدة الخوف، وأن تقلب الأبصار هو زيغوتها ودورانها بالنظر في جميع الجهات من شدة الخوف. ويشبهه قول من قال: إن تقلب القلوب ببلوغها إلى الحناجر، والأبصار بالشخوص والزرقة^(١).
- ٢ - أن المراد: تتقلب القلوب في يوم القيامة من هولاء بين طمع بالنجاة وحذر من الهلاك، والأبصار أي ناحية يؤخذ بهم أذات اليمين أم ذات الشمال؛ ومن أين يؤتون كتبهم أمن قبل الأيمان أم من قبل الشمائل^(٢).
- ويشبهه قول من عبر عن هذا المعنى بكلام مجمل فقال: تتقلب: يعني تضطرب من شدة الفرع وعظمة الأهوال يوم القيامة^(٣).
- ٣ - أن المراد بالتقلب تحوّل القلوب والأبصار عما كانت عليه من الشك إلى اليقين^(٤).
- ٤ - أن المراد التقلب على جمر جهنم^(٥).

(١) ذكره السيوطي عن ابن أبي حاتم عن الضحاك في الدر المنثور (٥/٥٢)، أضواء البيان للشنقيطي (٢٤٠/٦).

(٢) جامع البيان للطبري (١١٤/١٨)، نظم الدرر للبقاعي (٢٨٠/١٣).

(٣) التسهيل لابن جزي (١٤٧/٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٩٥/٣).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤٦/٤)، الجواهر لطنطاوي جوهري (٢٠/١٢).

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٨١/١٢)، فتح القدير للشوكاني (٣٧/٤) ولم يرجحاه.

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « وفي معنى تقلب القلوب والأبصار أقوال متعددة لأهل التفسير. وأظهرها عندي: أن تقلب القلوب هو حركتها من أماكنها من شدة الخوف كما قال تعالى: ﴿ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ... ﴾ [سورة غافر: ١٨] وأن تقلب الأبصار هو زيغوغتها ودورانها بالنظر في جميع الجهات من شدة الخوف كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ [سورة الأحزاب: ١٩]، وكقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ [سورة الأحزاب: ١٠] فال دوران والزيغوغة المذكوران يُعلم بهما معنى تقلب الأبصار، وإن كانا مذكورين في الخوف من المكروه في الدنيا^(١).

الموافقون:

ذهب إلى ما ذهب إليه الشنقيطي قلة من المفسرين منهم:

- ١- الإمام النسفي: « (تقلب فيه القلوب) ببلوغها إلى الحناجر. ((والأبصار)) بالشخوص والزرقة.
- أو تقلب القلوب إلى الإيمان بعد الكفران، والأبصار إلى العيان بعد إنكاره للطغيان؛
- كقوله: ﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [سورة ق:

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٢٤٠ - ٢٤١).

« ٢٢ »^(١).

٢- الإمام النيسابوري: « ((تقلب فيه القلوب)) ببلوغها إلى الخناجر. ((والأبصار))
بالشخص والزرقة والردّ على الأدبار»^(٢).

المخالفون:

وأعني بهم كل من اختار قولاً أو أكثر من الأقوال الواردة في الآية بترجيح
صريح أو ضمني، فالصريح أن يقول إن ما اختاره هو الصحيح، أو لا يذكر قولاً غيره
فيكون ترجيحه ضمنياً، وربما يربط بين قولين أو أكثر في بيان معنى الآية؛ فمن هؤلاء:

١- الإمام الطبري: « وقوله تعالى: ((يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار)) يقول:
يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب من هوله بين طمع بالنجاة وحذر بالهلاك، والأبصار
أي ناحية يؤخذ بهم أذات اليمين أم ذات الشمال، ومن أين يؤتون كتبهم أمن قبل
الأيمن أم من قبل الشمال، وذلك يوم القيامة»^(٣).

٢- الواحدي: « ((تقلب فيه القلوب)) بين الطمع في النجاة، والحذر من الهلاك
((والأبصار)) تتقلب في أي ناحية يؤخذ بهم، أذات اليمين أم ذات الشمال؟ ومن أي
جهة يؤتون كتبهم من جهة اليمين أم من جهة الشمال»^(٤).

٣- ابن جزى: « ((تقلب فيه القلوب والأبصار)) أي تضطرب من شدة الهول والخوف
ثم ذكر قولاً آخر وقال بعده: [والأول أصح]»^(٥).

(١) مدارك التنزيل للنسفي (١١٣/٣).

(٢) إيجاز البيان للنيسابوري (٧٢/٢).

(٣) جامع البيان للطبري (١١٤/١٨).

(٤) الوجيز للواحدي (٧٦٥/٢).

وهو: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري، كان أوحد عصره في التفسير، صتّف
التفاسير الثلاثة: (البسيط، والوسيط، والوجيز). توفي سنة (٥٦٤٨هـ). طبقات المفسرين (٣٨٧/١).

(٥) التسهيل لابن جزى (١٤٧/٣).

- ٤- أبوحيان: « والظاهر أن معنى ((تقلب)) تضطرب من هول ذلك اليوم؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ لسورة الأحزاب: ١٠] فتقلبها هو قلقها واضطرابها، فتقلب من طمع في النجاة إلى طمع ومن حذر هلاك إلى هلاك [وذكر أقوالاً أخرى، ثم قال:] والقول الأول أبلغ في التهويل □»^(١).
- ٥- ابن كثير: « وقوله تعالى ((يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار)) أي يوم القيامة الذي تتقلب فيه القلوب والأبصار أي من شدة الفزع وعظمة الأهوال □»^(٢).
- ٦- المحلي: « ((تقلب)) تضطرب ((فيه القلوب والأبصار)) من الخوف، والقلوب بين النجاة والهلاك، والأبصار بين ناحيتي اليمين والشمال هو يوم القيامة »^(٣).
- ٧- البقاعي: « ((تقلب فيه)) أي لشدة هوله، ((القلوب والأبصار)) أي بين طمع في النجاة، وحذر من الهلاك »^(٤).
- ٨- القاسمي: « أي تضطرب وتتغير من الهول والفزع »^(٥).
- ٩- طنطاوي جوهرى: « ويخشون يوماً تضطرب فيه وتتغير القلوب، فتفقه ما لم تكن تفقه وتبصر الأبصار ما لم تكن تبصر، وتخشى الهلاك وتطمع في النجاة »^(٦).

(١) البحر المحيط لأبي حيان (٥٠/٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٩٥/٣).

(٣) تفسير الجلالين ص (٢٩٦).

(٤) نظم الدرر للبقاعي (٢٨٠/١٣).

وهو: برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، أصله من البقاع في سورية، نزيل القاهرة ثم دمشق، من مؤلفاته: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) و (مصراع التصريح). توفي سنة (٨٨٥هـ). الضوء اللامع (١٠١/١).

(٥) محاسن التأويل للقاسمي (٤٥٣٠/١٢).

وهو: جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي، إمام الشام في عصره، عالماً بالدين، وتضلعا من فنون الأدب، كان سلفي العقيدة. توفي سنة (١٣٣٢هـ). الأعلام (١٣٥/٢).

(٦) الجواهر لطنطاوي جوهرى (٢٠/١٢).

- ١٠ - السعدي: « (يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار) » من شدة هوله وإزعاجه للقلوب والأبدان، فلذلك خافوا ذلك اليوم فسهل عليهم العمل وترك ما يشغل عنه^(١) .
- ١١ - سيد قطب: « (يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار) » تتقلب فلا تثبت على شيء من الهول والكره والاضطراب^(٢) .
- ١٢ - ابن عاشور: « وتقلب القلوب والأبصار: اضطرابها عن مواضعها من الخوف والوجل كما يتقلب المرء في مكانه، والمقصود من خوفه: العمل لما فيه الفلاح يومئذ^(٣) .
- ومن المفسرين من جمع الأقوال كلها أو معظمها دون ترجيح واحد منها على البقية؛ من هؤلاء: الإمام البغوي^(٤) والفخر الرازي^(٥)، والقرطبي^(٦)، والخازن^(٧)، والشوكاني^(٨) وغيرهم^(٩) .

تعقيب الباحث:

يظهر لي - والله أعلم - صحة حمل الآية على جميع المعاني الواردة

- هو: طنطاوي بن جوهرى المصري، له اشتغال بالتفسير والعلوم الحديثة، من أشهر كتبه (الجواهر في تفسير القرآن الكريم). توفي سنة (١٣٥٨هـ). الأعلام (٣/٢٣٠).
- (١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٥٦٩).
- (٢) في ظلال القرآن لسيد قطب (٤/٢٥٢٠).
- (٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٨/٢٤٩).
- (٤) مختصر البغوي (٢/٦٤٦).
- (٥) التفسير الكبير للفخر الرازي (٨/٣٩٨).
- (٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/٢٨١).
- (٧) لباب التأويل للخازن (٥/٦٧).
- (٨) فتح القدير للشوكاني (٤/٣٧).
- (٩) كابن الجوزي في زاد المسير (٥/٣٦٥)، والبيضاوي والشهاب (حاشيته الشهاب على البيضاوي (٦/٣٨٧)، وأبي السعود في إرشاد العقل السليم (٤/١٢٥).

فيها عن المفسرين، فإن كل قول له ما يؤيده من الأدلة، تتفاوت قلة وكثرة، على ما سيأتي بيانه:

١- القول الأول: وأن المراد بتقلب القلوب هو حركتها من أماكنها من شدة الخوف حتى تكاد تبلغ الحناجر فلا هي تخرج فيموتوا ولا تعود إلى مكانها فيستريحوا، وأن تقلب الأبصار هو دورانها وزيفوغتها في جميع الاتجاهات من شدة الخوف، وهو القول الذي اختاره الشيخ الشنقيطي ومن كان قوله مثله، فهو مبني على آيات قرآنية، فأما تقلب القلوب فقد دل عليه قوله تعالى ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ

لَدَى الْحَنَاجِرِ... ﴾ [سورة غافر: ١٨]، وقد أجمع المفسرون على أن آية سورة غافر يراد بها أنه في يوم القيامة قلوب بعض العباد تبلغ إلى حناجرهم من شدة الخوف، فلا هي تعود ولا تخرج^(١). وأما تقلب الأبصار فقد دل عليه قوله تعالى: ﴿

فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۗ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ ۗ

[سورة الأحزاب: ١٠] فكما ذكر الشنقيطي أن الدوران والزيفوغة المذكوران يعلم بهما معنى تقلب الأبصار، وإن كانا مذكورين في الخوف من المكروه في الدنيا^(٢).

٢- القول الثاني: وهو أن يراد بتقلب القلوب اضطرابها من شدة الفزع من أهوال يوم

(١) انظر: جامع البيان للطبري (٣٥/٢٤)، مختصر البغوي (٨١٩/٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٠٢/١٥)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧٥/٤)، فتح القدير للشوكاني (٤٦٨/٤)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٧٣٥).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٢٤٨/٦).

القيامة بين طمع بالنجاة وحذر من الهلاك ، وتقلب الأبصار من أي ناحية يؤخذ بهم أذات اليمين أم ذات الشمال ومن أين يؤتون كتبهم من قبل الأيمان أم من قبل الشمائل؟ فإن هذا يؤيده إجماع المفسرين قديماً وحديثاً من ابن جرير الطبري في أوائل القرن الرابع وحتى السعدي في أواخر القرن الرابع عشر الهجري ، على أنه هو المراد بتقلب القلوب والأبصار^(١).

٣- القول الثالث: وهو أن المراد بتقلب القلوب والأبصار تحولها من الشك إلى اليقين ، من الآيات الدالة عليه قوله تعالى: ﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾

[سورة ق: ٢٢] على أصح أقوال المفسرين فيها أنه في يوم القيامة تنكشف الحقائق وما كانوا يشكّون فيه وينكرونه من أحوال البعث ويوم القيامة يروونه أمامهم عياناً^(٢).

٤- القول الرابع: وأن المراد بتقلب القلوب هو تقلبها على جمر جهنم فهو وإن لم يجزم به أحد من المفسرين أنه هو معنى الآية إلا أن قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَقَلَّبُ

وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ... ﴾ [سورة الأحزاب: ٦٦] يؤيده ، فإن تقلب وجوه الكافرين في جهنم يدل على تقلب الجسم كله بما فيه القلب والبصر^(٣).

٥- وعليه فلا مانع أن تحتل جميع المعاني الآية ، فإنه في يوم القيامة تنكشف الحقائق وما كان يكذب به منكروا البعث يروونه عياناً أمام أعينهم فينقلب الشك الذي كان عندهم إلى يقين ولا ينفعهم ذلك.

ثم إن الناس كلهم يكونون خائفين وقلوبهم وأبصارهم غير مستقرة فهم يأملون في

(١) وقد استعرضت أقوال عدد منهم ، فانظرهم تحت فقرة (المخالفون).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٨٠٥) ، أضواء البيان للشنقيطي (٤١٣/٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٨١/١٢).

النجاة ولا يدرون أيؤخذ بهم ذات اليمين أم الشمال؟ وكيف يأخذون كتبهم بأيانهم أو شمائلهم.

ولا مانع أن حالة الخوف هذه قد تشتد ببعضهم حتى تحرك قلوبهم من أماكنها فتبلغ حناجرهم فلا تخرج ولا تعود فتشخص أبصارهم وتزرق^(١) من شدة ما حصل بهم من الخوف.

وإذا أدخل الكفار إلى جهنم تتقلب وجوههم وأجسامهم كلها بما فيها قلوبهم وأبصارهم في جهنم، أجارنا الله ﷻ وإياكم وجميع المسلمين من النار.

٦- كنت في أثناء بحثي في هذا الموضوع أحدث مع عدد من الأطباء خصوصاً المختصين بالقلب عن إمكانية تحرك القلب من مكانه في حالات الخوف الشديد أو غيرها وذلك في حدود علمنا بالدنيا من خلال ما درسوه أو شاهدوه في حياتهم العملية، فأكدوا لي عدم حدوث شيء من هذا القبيل. إذاً تقلب القلب أي تحركه من مكانه لم يشاهد حقيقة في الدنيا، وأما في الآخرة فليس لنا من علمها إلا الأسماء وأما الكيفيات فهذا مما غيب عنا، والله ﷻ على كل شيء قدير.

ومن أبرز من لقيت الدكتور: خالد بن عبدالعزيز الجبير^(٢) : وقد أطلعني على بحث أعدّه ولم ينشر بعد، أمل أن يرى النور قريباً في المكتبات لما فيه من الفوائد الكثيرة والجليلة، وبمحة تحدث فيه عن القلب، والخلاف بين العلماء في فهم المراد بالقلب في القرآن والسنة، وهل هو هذا القلب الصنوبري الشكل الموجود داخل القفص الصدري في يساره، والذي يضخ الدم في دورتيه الصغرى والكبرى، أم هو قلب آخر تجري عليه الأحكام، كقضية النكت السوداء البيضاء^(٣) وكقضية العمى الذي

(١) مدارك التنزيل للنسفي (١١٣/٣).

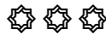
(٢) استشاري وجراح القلب بمركز الأمير سلطان لأمراض القلب بالرياض.

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن حذيفة بن اليمان - رضى الله عنه - ، في كتاب الإيمان، باب

يصبب القلب ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي

فِي الصُّدُورِ ﴾ [سورة الحج: ٤٦]، إلى غير ذلك من الأمور التي تحدث عنها في

بحثه الذي يقع في ما يزيد على سبعين صفحة، أنصح بقراءته إذا طبع ونشر لما فيه من
الفوائد. والله أعلم بالصواب.



المراد بالزيادة في قوله تعالى: ﴿ وَيَزِيدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ ﴾

٩- قال تعالى: ﴿ لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ ﴾^١
[سورة النور: ٣٨].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

- ١- أن المراد بالزيادة: ما يضاعفه الله ﷻ من الحسنة بعشر أمثالها^(١).
- ٢- المراد بالزيادة: ما يتفضل الله جل وعلا به على عباده من غير جزاء^(٢).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « وقوله في هذه الآية الكريمة ((ويزيدهم من فضله)) الظاهر أن هذه الزيادة من فضله تعالى هي مضاعفة الحسنات؛ كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلِهَا ﴾ [سورة الأنعام: ١٦٠] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفْهَا ﴾ [سورة النساء: ٤٠] وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [سورة البقرة: ٢٦١].

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٨١/١٢)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٩٥/٣).
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٨١/١٢)، مختصر البغوي (٦٤٧/٢).

وقال بعض أهل العلم: الزيادة هنا كالزيادة في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ

أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس: ٢٦] والأصح أن الحسنى الجنة، والزيادة

النظر إلى وجه الله الكريم، وذلك هو أحد القولين في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ

فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [سورة ق: ١٣٥] ^(١).

الموافقون:

لقد ذهب إلى مثل ما ذهب إليه الشنقيطي من أن المراد بالزيادة في هذه الآية هي مضاعفة الحسنات قلة من المفسرين؛ منهم:

١- ابن جزري: «(ويزيدهم من فضله) يعني زيادة على ثواب أعمالهم» ^(٢).

٢- ابن كثير: «(ويزيدهم من فضله) أي يتقبل منهم الحسن ويضاعفه لهم؛ كما قال

تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا ۖ

[سورة النساء: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ

[سورة الأنعام: ١٦٠]، وقال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا

فِيضَعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [سورة البقرة: ٢٤٥] وقال: ﴿وَاللَّهُ

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٢٤١/٦).

(٢) التسهيل لابن جزري (١٤٨/٣).

يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴿ [سورة البقرة: ٢٦١] ﴾^(١).

٣- السعدي: « ((ويزيدهم من فضله)) زيادة كثيرة عن الجزاء المقابل لأعمالهم »^(٢).
يُفهم من كلام ابن جزري والسعدي أنهما أرادوا مضاعفة الحسنات، والله أعلم.

المخالفون:

- جمع غفير من المفسرين اختاروا أن المراد بالزيادة في الآية أمر آخر زيادة على مضاعفة الحسنات، وإن تنوعت ألفاظهم في التعبير عن المعنى، فمن هؤلاء:
- ١- الإمام الطبري: « ((ليجزئهم الله أحسن ما عملوا)) يقول: فعلوا ذلك يعني أنهم لم تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، وأطاعوا ربهم مخافة عذابه يوم القيامة، كي يثيبهم الله يوم القيامة بأحسن أعمالهم التي عملوها في الدنيا من فضله، فيفضل عليهم من عنده بما أحب من كرامته لهم »^(٣).
 - ٢- البغوي: « ((ويزيدهم من فضله)) ما لم يستحقوه بأعمالهم »^(٤).
 - ٣- النسفي: « ((ليجزئهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله)) أي يسبحون ويخافون ليجزيهم الله أحسن جزاء أعمالهم، أي ليجزيهم ثوابهم مضاعفاً ويزيدهم على الثواب الموعود على العمل تفضلاً »^(٥).
 - ٤- الزمخشري: « ((أحسن ما عملوا)) أي أحسن جزاء أعمالهم، والمعنى يسبحون

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٢٩٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٥٦٩).

(٣) جامع البيان للطبري (١٨/١١٤).

(٤) مختصر البغوي (٢/٦٤٧).

(٥) مدارك التنزيل للنسفي (٣/١١٣).

- ويخافون ليجزيهم ثوابهم مضاعفاً ويزيدهم على الثواب تفضلاً»^(١).
- ٥ - الخازن: «(ويزيدهم من فضله)) يعني أنه - بِإِذْنِ اللَّهِ - يجزيهم بأحسن أعمالهم ولا يقتصر على ذلك، بل يزيدهم من فضله»^(٢).
- ٦ - البيضاوي: «(ويزيدهم من فضله)) أشياء لم يعدهم بها على أعمالهم ولم تخطر ببالهم»^(٣).
- ٧ - البقاعي: «(ويزيدهم من فضله)) على العدل من الجزاء ما لم يستحقوه، كما هي عادة أهل الكرم»^(٤).
- ٨ - أبو السعود: «(ويزيدهم من فضله)) أي يتفضل عليهم بأشياء لم توعدهم لهم بخصوصياتها أو بمقاديرها ولم تخطر ببالهم كفياتها ولا كمياتها»^(٥).
- ٩ - الشوكاني: «(ويزيدهم من فضله)) المراد به: التفضل عليهم بما فوق الجزاء الموعود به»^(٦).
- ١٠ - القاسمي: «أي يفعلون ما يفعلون ليجزيهم، وفي آخر الآية تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الإحسان؛ لأن ((بغير حساب)) كناية عن السعة، والمراد أنه لا يدخل تحت حساب الخلق وعدهم»^(٧).
- ١١ - طنطاوي جوهرى: «(ويزيدهم من فضله)) فهو لا يقتصر على مكافأتهم على أعمالهم»^(٨).

(١) الكشاف للزمخشري (٢٣٧/٣).

(٢) لباب التأويل للخازن (٦٧/٥).

(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي (٦٤/٢).

(٤) نظم الدرر للبقاعي (٢٨١/١٣).

(٥) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٢٥/٤).

(٦) فتح القدير للشوكاني (٣٧/٤).

(٧) محاسن التأويل للقاسمي (٤٥٣٠/١٢).

(٨) تفسير الجواهر (٢٠/١٢).

وغيرهم من المفسرين قالوا مثل هذا القول كالإمام الواحدي^(١) وأبي حيان^(٢)،
والقنوجي^(٣) وغيرهم^(٤).

تعقيب الباحث:

الذي يظهر - والله أعلم - في ضوء ما استعرض من أقوال المفسرين في المراد بالزيادة، أن الراجح فيها: هو ما يتفضل الله ﷻ به على عباده غير مضاعفة الحسنات، فإن مضاعفة الحسنات قد وعد الله ﷻ بها عبادة في عدد من الآيات - وسبق ذكر بعضها - فهذا الموعود به هو ما عبّر عنه في هذه الآية بقوله: ((ليجزئهم الله أحسن ما عملوا)) فإن الجزء على الأعمال موعود بالمضاعفة، وأما الزيادة من فضلة فهي شيء آخر فوق مضاعفة الحسنات؛ يتفضل ويتكرم الله ﷻ به على عباده في دار كرامته، زيادة في الحسنات ورفعته في الدرجات ومزيداً من التكريم مما لا يخطر على قلب بشر. والمستند في اختيار هذا الترجيح:

١ - قاعدة إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحملة على التأسيس أولى^(٥)، وهي قاعدة مقررة عند أئمة التفسير ومنهم الشيخ الشنقيطي^(٦). فإذا كان الجزء على العمل الصالح مضاعفاً يوعد الله ﷻ الذي لا يخلف الميعاد؛ فإن قيل إن الزيادة هي

(١) الوجيز للواحدى (٧٦٥/٢).

(٢) البحر المحيط لأبي حيان (٥٠/٨).

(٣) فتح البيان للقنوجي (٢٣٤/٩).

وهو: محمد صديق خان بن حسن بن علي البخاري القنوجي، من رجال النهضة الإسلامية المجددين، ولد ونشأ في (قنوج)، بالهند، له مصنفات بالعربية والفارسية والهندية. توفي سنة (١٣٠٧هـ). الإعلام (١٦٧/٦).

(٤) ابن الجوزي في زاد المسير (٣٦٥/٥) كالرازي في التفسير الكبير (٣٩٩/٨)، والمرآة في تفسيره (١١١/١٨).

(٥) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٤٧٣/٢).

(٦) أضواء البيان للشنقيطي (٣٥٥/٣).

المضاعفة كان تأكيداً، وإن قيل إن الزيادة شيء آخر غير المضاعفة أفاد معنى جديداً
فحمله عليه أوّلئ.

٢- إن اختيار هذا المعنى فيه بيان لعظمة الله ﷻ وسعة فضله وجوده وكرمه. فكونه جل
وعلا يضاعف الحسنات هذا قد وعد به جل وعلا عباده في غير هذه الآية كثير،
ولكن ما أضافته هذه الآية من معنى الزيادة من فضل الله ﷻ أمر أكبر وفوق مضاعفة
الحسنات.

٣- إجماع جمهور من المفسرين على هذا المعنى، وقلة من قال إن الزيادة هي المضاعفة
دليل على رجحانه. والله أعلم بالصواب.



مرجع الضمير المقدر في الفعل ((عَلِمَ))

في قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ﴾

١٠- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخِجُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ

صَفَقَتِ كُلُّهُ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ

[سورة النور: ٤١].

- ١- أن يرجع الضمير على لفظ الجلالة في قوله ((ألم تر أن الله))، فيكون تأويل الكلام: كل مصل ومسيح منهم قد علم الله صلاته وتسيحه^(١).
- ٢- أن يرجع الضمير إلى لفظ ((كل)) وعليه إما أن يكون المعنى أنهم يعلمون ما يجب عليهم من الصلاة والتسيح^(٢)، أو أنّ كل مصل ومسيح قد علم صلاة نفسه وتسيح نفسه^(٣).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « اعلم أن الضمير المحذوف الذي هو فاعل ((علم)) قال بعض أهل العلم: إنه راجع إلى الله ﷻ في قوله: ((ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات)) الآية؛ وعلى هذا فالمعنى: كل من المسيحين والمصلين قد علم الله صلاته وتسيحه. وقال بعض أهل العلم: إن الضمير المذكور راجع إلى قوله: ((كل)) أي كل من المصلين والمسيحين قد علم صلاة نفسه وتسيح نفسه، وقد قدمنا في سورة النحل^(٤) في الكلام على قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتِىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [سورة النحل: ٩٧] كلام الأصوليين في أن اللفظ إن احتمل التوكيد والتأسيس حمل على التأسيس^(٥)، وبيننا أمثلة متعددة لذلك من القرآن العظيم.

(١) جامع البيان للطبري (١١٧/١٨).

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي (٤٠٢/٨).

(٣) فتح البيان للقنوجي (٢٤٠/٩).

(٤) أضواء البيان للشنقيطي (٣٥٥/٣).

(٥) وهي قاعدة مقررة عند علماء الأصول، انظر مثلاً: التمهيد في تخريج الأصول على الفروع للأستوي (١٦٧)، والبحر المحيط للزركشي (١١٧/٢)، والمحصول في علم أصول الفقه (٣٥٧/١/١).

وإذا علمت ذلك فاعلم أن الأظهر على مقتضى ما ذكرنا عن الأصوليين ؛ أن يكون ضمير الفاعل المحذوف في قوله: «(كل قد علم صلاته وتسيبته)» راجعاً إلى قوله «(كل)» أي كل من المصلين قد علم صلاة نفسه، وكل من المسيحين قد علم تسيب نفسه، وعلى هذا القول فقوله تعالى: «(والله عليم بما يفعلون)» تأسيس لا تأكيد. أما على القول بأن الضمير راجع إلى الله تعالى: أي قد علم الله صلاته ؛ يكون قوله: «(والله عليم بما يفعلون)» كالتكرار مع ذلك، فيكون من قبيل التوكيد اللفظي.

وقد علمت أن المقرر في الأصول أن الحمل على التأسيس أرجح من الحمل على التوكيد^(١).

الموافقون:

- قال مثل القول الذي اختاره الشيخ الشنقيطي من أن الضمير المحذوف عائد على لفظ «(كل)» عدد من المفسرين، منهم:
- ١- أبوحيان، قال: « والظاهر أن الفاعل المستكن في «(علم)» وفي «(صلاته وتسيبته)» عائد على «(كل)»^(٢).
 - ٢- ابن كثير، قال: « أي كل قد أرشده إلى طريقته ومسلكه في عبادة الله ﷻ »^(٣).
 - ٣- الشوكاني، قال: « والضمير في «(علم)» يرجع إلى «(كل)»، والمعنى: أن كل واحد من هذه المسبحات لله قد علم صلاة المصلى وتسيب المسيح لثم ذكر عدداً من أقوال المفسرين... إلى أن قال: [والأول أرجح ؛ لاتفاق القراء على رفع «(كل)»،

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٢٤٤ - ٢٤٥).

(٢) البحر المحيط لأبي حيان (٨/٥٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٢٩٧).

ولو كان الضمير في ((علم)) لله لكان نصب ((كل)) أولى^(١).
 وسار على هذا القول أيضاً عدد من الأئمة؛ كأبي البقاء العكبري^(٢)، والسمين
 الحلبي^(٣)، والقنوجي^(٤) وغيرهم.

المخالفون:

- اختار بعض المفسرين قولاً مخالفاً، فاعتبروا أن مرجع المضير هو لفظ الجلالة في
 قوله تعالى: ((ألم تر أن الله يسبح له...))، من هؤلاء:
- ١- الإمام الطبري، قال: «وأظهر المعاني... المعنى الأول: وهو أن يكون المعنى كل مصل
 منهم ومسبح قد علم الله صلواته وتسيححه»^(٥).
 - ٢- البيضاوي، قال: «أي: قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختياراً أو طبعاً»^(٦).

تعقيب الباحث:

- (١) فتح القدير للشوكاني (٤٢/٤).
- (٢) إملاء ما من به الرحمن لأبي البقاء العكبري (١٥٨/٢).
 = وهو: أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري النحوي الحلبي، صاحب الإعراب،
 المقرئ الفقيه المفسر الفرضي اللغوي، كان معيداً للشيخ أبي الفرج بن الجوزي في المدرسة. توفي سنة
 ٦١٦هـ. طبقات المفسرين (١/٢٢٤).
- (٣) الدر المصون للسمين الحلبي (٤١٨/٨).
- وهو: شهاب الدين أحمد بن يوسف بن محمد المقرئ النحوي الشافعي المعروف بـ، (السمين
 الحلبي)، كان فقيهاً بارعاً في النحو والتفسير وعلم القراءات وغيرها، من مصنفاته (الدر المصون). توفي
 سنة ٧٥٦هـ. طبقات المفسرين (١/١٠٠).
- (٤) فتح البيان للقنوجي (٢٤٠/٩).
- (٥) جامع البيان للطبري (١١٧/١٨).
- (٦) أنوار التنزيل للبيضاوي (٦٥/٢).

هذا الموضوع اجتمعت فيه ثلاث قواعد ترجيحية كلها بموجبها يتأيد القول الذي ذهب إليه الشنقيطي ومن وافقه، وذلك على النحو الآتي :

- ١- قاعدة: إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحملة على التأسيس أولى^(١).
فإذا اعتُبر رجوع الضمير المحذوف في قوله ((علم)) إلى لفظ الجلالة في قوله ((ألم تر أن الله يسبح له..)) كان قوله ((والله عليم بما يفعلون)) تأكيد. وأما إذا اعتُبر رجوع الضمير إلى لفظ ((كل)) أفاد معنى جديداً؛ فحملة عليه أولى.
- ٢- قاعدة: توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها^(٢). فإن إعادة ضمائر ((علم صلته وتسيبحة)) إلى ((كل)) أولى من تفريقها بإعادة ضمير ((علم)) إلى لفظ الجلالة ((الله)) وإعادة ضمير ((صلاته وتسيبحة)) إلى ((كل)).
- قال السمين الحلبي وهو يتحدث عن الضمائر في الآية التي نحن بصدددها: «أنها كلها عائدة على ((كل)) أي كل قد علم هو صلاة نفسه وتسيبحةا. وهذا أولى لتوافق الضمائر»^(٣).
- ٣- قاعدة: عودة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يصرفه صارف^(٤). فإن الأقرب لفظ ((كل))، فإعادة الضمير إليه أولى من إعادته إلى الأبعد، وهو لفظ الجلالة.

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٤٧٣/٢).

(٢) الإقتان للسيوطي (٥٠٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٦١٣/٢)، وقواعد التفسير لخالد السبت (٤١٤/١).

(٣) الدر المصون للسمين الحلبي (٤١٩/٨).

(٤) الإقتان للسيوطي (٥٠٨/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٦٢١/٢)، وأضواء

البيان للشنقيطي (٢٤٦/٤)، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا

- ٤- إن من ما يدل على عودة الضمير إلى لفظ ((كل))؛ اتفاق القراء على قراءة ((كل)) بالرفع^(١)، ولو كان الضمير في ((علم)) يعود على لفظ الجلالة لكان نصب ((كل)) أولى، كما ذكر ذلك للإمام الشوكاني^(٢) وغيره.
- ٥- وهناك فائدة أخيرة لطيفة في رجوع الضمير إلى لفظ ((كل)) ذكرها الشيخ صديق حسن القنوجي؛ قال: «وفائدة الإخبار بأن كل واحد قد علم ذلك؛ أن صدور هذا التسييح هو عن علم قد علمها الله ذلك وألمها إليه، لا أن صدوره منها على طريقة الاتفاق بلا روية، وفي ذلك زيادة دلالة على بديع صنع الله سبحانه وعظم شأنه، من كونه جعلها مسبحة له، عالمة بما يصدر منها، غير جاهلة له»^(٣). والله أعلم بالصواب.



(١) القراءات العشر المتواترة لمحمد كريم راجح (٣٥٥).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٤٢/٤).

(٣) فتح البيان للقنوجي (٢٤١/٩).

معنى قوله تعالى ﴿ دُعَاءَ الرَّسُولِ ﴾

١١ - قوله تعالى: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ [سورة النور: ٦٣].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

- ١ - لا تجعلوا دعاءه لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضاً؛ إن شاء أجاب، وإن شاء ترك، بل إذا دعاكم لم يكن بد من إجابته، ولم يسعكم التخلف عنها ألبتة. فعلى هذا: المصدر [دعاء] مضاف إلى الفاعل، أي دعاؤه إياكم^(١).
- ٢ - لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضاً: يا محمد؛ ولكن فخموه وشرفوه فقولوا: يا نبي الله يا رسول الله في لين وتواضع. فعلى هذا: المصدر مضاف إلى المفعول، أي دعاؤكم الرسول ﷺ^(٢).
- ٣ - احذروا دعاء الرسول ﷺ عليكم إذا أسخطتموه فإن دعاءه موجب لنزول البلاء بكم ليس كدعاء غيره^(٣). ويدخل تحت هذا المعنى قول من قال: لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم، يسأل حاجة فرما أجابه وربما

(١) بدائع التفسير لابن القيم (٢٧٥/٣)، وانظر: مدارج السالكين له (٤٠٥/٢).

(٢) مختصر تفسير البغوي (٦٥٣/٢)، وبدائع التفسير لابن القيم (٢٧٥/٣).

(٣) جامع البيان للطبري (١٣٤/١٨)، ومختصر تفسير البغوي (٦٥٣/٢).

رده، فإن دعوات رسول الله ﷺ مسموعة مستجابة^(١). وعلى هذا: المصدر مضاف إلى الفاعل.

ترجیح الشنقيطي:

رجح الشيخ الشنقيطي - رحمه الله - المعنى المبني على أن المصدر مضاف إلى مفعوله، حيث قال: « إن المعنى لا تجعلوا دعاء الرسول ﷺ إذا دعوتوه كدعاء بعضكم بعضاً، فلا تقولوا له: يا محمد مصرحين باسمه، ولا ترفعوا أصواتكم عنده كما يفعل بعضكم مع بعض، بل قولوا له: يا نبي الله، يا رسول الله مع خفض الصوت احتراماً له ﷺ. ثم قال بعد ذلك [وهذا القول هو الذي تشهد له آيات من كتاب الله تعالى كقوله تعالى: ﴿ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٥﴾ سورة الحجرات: ٢-٥

(١) الكشاف للزخشري (٢٥٣/٣)، وأنوار التنزيل للبيضاوي (٦٨/٢).

[٥] وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ [سورة البقرة:

١١٠٤] ^(١).

الموافقون:

- ١- الإمام ابن كثير، قال: «قال الضحاك ^(٢) عن ابن عباس: كانوا يقولون يا محمد يا أبا القاسم فنهاهم الله ﷺ عن ذلك إعظاماً لنبيه ﷺ قال فقولوا يا نبي الله يا رسول الله. وهكذا قال مجاهد، وسعيد بن جبير. وقال قتادة: أمر الله ﷺ أن يهاب نبيه ﷺ وأن يبجل وأن يعظم وأن يسود. وقال مقاتل في قوله تعالى: ((لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً)) يقول لا تسموه إذا دعوتوه يا محمد ولا تقولوا يا ابن عبد الله ولكن شرفوه فقولوا: يا نبي الله يا رسول الله، ثم قال في آخر كلامه: هذا قول وهو الظاهر من السياق، كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ [سورة البقرة: ١٠٤]، وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ إلى ﴿حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [سورة الحجرات: ٢- ٥]، فهذا كله من باب الأدب في مخاطبة النبي ﷺ والكلام معه وعنده ^(٣).
- ٢- سيد قطب، قال: «ويلفت إلى ضرورة توقير الرسول ﷺ عند الاستئذان، وفي كل

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٢٥٢/٦)

(٢) الضحاك بن مزاحم الهلالي، الخراساني، المفسر، ذكره ابن حبان في الثقات، اشتهر بالتفسير. توفي سنة (١٠٦هـ). تهذيب التهذيب (٤/٤٥٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٣٠٧).

الأحوال، فلا يدعي باسمه: يا محمد، أو كنيته: يا أبا القاسم، كما يدعو المسلمون بعضهم بعضاً. إنما يدعى بتشريف الله ﷺ له وتكريمه: يا نبي الله، يا رسول الله، ((لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً))، فلا بد من امتلاء القلوب بالتوقير لرسول الله ﷺ حتى تستشعر توقير كل كلمة منه وكل توجيه. وهي لفظة ضرورية؛ فلا بد للمربي من وقار، ولا بد للقائد من هيبة. وفرق بين أن يكون هو متواضعاً هيناً ليناً؛ وأن ينسوا هم أنه مربيهم فيدعوه دعاء بعضهم لبعض.. يجب أن تبقى للمربي منزلة في نفوس من يربيهم يرتفع بها عليهم في قرارة شعورهم، ويستحون هم أن يتجاوزا معها حدود التبجيل والتوقير^(١).

المخالفون:

خالف الشنقيطي في ترجيحه عدد من المفسرين يمكن تقسيمهم على النحو

الآتي:

أولاً: من اختار قولاً واحداً مخالفاً لما اختاره الشنقيطي، ومنهم:

أ- الإمام الطبري، قال: « نهى الله ﷻ بهذه الآية المؤمنين أن يتعرضوا لدعاء الرسول ﷺ عليهم، وقال لهم اتقوا دعاءه عليكم بأن تفعلوا ما يسخطه فيدعوا لذلك عليكم فتهلكوا؛ فلا تجعلوا دعاءه كدعاء غيره من الناس فإن دعاءه موجبة [إلى أن قال]: وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي: التأويل الذي قاله ابن عباس [الذي ضمن في كلام الطبري آنفاً] وذلك أن الذي قبل قوله تعالى: ((لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً)) نهى من الله ﷻ المؤمنين أن يأتوا من الانصراف عنه في الأمر الذي يجمع جميعهم ما يكرهه.

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٤/٢٥٣٥).

والذي بعده وعيد للمصرفين عنه بغير إذنه. فالذي بينهما بأن يكون تحذيراً لهم
سخطه أن يضطره إلى الدعاء عليهم أشبه من أن يكون أمراً لهم بما لم يجر له
ذكر من تعظيمه وتوقيره بالقول والدعاء»^(١).

ب- ابن جزري، في أثناء ذكره للأقوال الواردة في معنى الآية رجح القول الأول بقوله:
« إن الدعاء هنا يراد به دعاء النبي ﷺ إياهم ليجتمعوا إليه في أمر جامع أو في
قتال وشبه ذلك، فالعنى أن إجابتكم له إذا دعاكم واجبة عليكم بخلاف إذا دعا
بعضكم بعضاً، فهو كقوله تعالى: ﴿ أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا
دَعَاكُمْ ﴾ [سورة الأنفال: ٢٤] ويقوي هذا القول مناسبتة لما قبله من
الاستئذان والأمر الجامع»^(٢).

ثانياً: ومنهم من ذكر الأقوال كلها أو بعضها معتبراً إياها معنى للآية وكلها بدرجة واحدة،
فإما أن يسرده سرداً كالإمام البيضاوي^(٣)، والبقاعي^(٤)، أو يكون له أسلوب في
ترجيح الأقوال الشارحة للآيات ولكنه لم يتبعه هنا وإنما ذكر الأقوال كلها وسكت
كالإمام القرطبي^(٥)، والشوكاني^(٦)، والسعدي^(٧)، أو يذكر قولاً في بداية تفسير
الآية جازماً، ويذكر بعده قولاً بصيغة التضعيف ولكنه يقول بعده إنه موافق لمساق

(١) جامع البيان للطبري (١٨/١٣٤).

(٢) التسهيل لابن جزري (٣/١٥٨).

(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/٦٨).

(٤) نظم الدرر للبقاعي (١٣/٣٢٤).

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/٣٢٢).

(٦) فتح القدير للشوكاني (٤/٥٨).

(٧) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٥٧٦).

الآية أو إن الآية تحتمل ألفاظها هذا المعنى كالإمام أبي حيان^(١) وابن عاشور^(٢).

وسأقل كلام ابن عاشور لاشتماله على تفصيلات وفوائد جيدة؛ يقول: « لما كان الاجتماع للرسول ﷺ في الأمور يقع بعد دعوته الناس للاجتماع وقد أمرهم الله ﷻ أن لا ينصرفوا عن مجامع الرسول ﷺ إلا لعذر بعد إذنه أنبأهم بهذه الآية وجوب استجابة دعوة الرسول ﷺ إذا دعاهم.

والمعنى لا تجعلوا دعوة الرسول ﷺ إياكم للحضور لديه مخيرين في استجابتها كما تتخيرون في استجابة دعوة بعضكم بعضاً، فوجه الشبه المنفي بين الدعوتين هو الخيار في الإجابة. والغرض من هذه الجملة أن لا يتوهموا أن الواجب هو الثبات في مجامع الرسول ﷺ إذا حضروها، وأنهم في حضورها إذا دعوا إليها بالخيار، فالدعاء على هذا التأويل مصدر دعاه إذا ناداه أو أرسل إليه ليحضر.

وإضافة ((دعاء)) إلى ((الرسول)) من إضافة المصدر إلى فاعله. ويجوز أن تكون إضافة ((دعاء)) من إضافة المصدر إلى مفعوله والفاعل المقدر ضمير المخاطبين. والتقدير: لا تجعلوا دعاءكم الرسول، فالعنى نهيهم.

ووقع الالتفات من الغيبة إلى خطاب المسلمين حثاً على تلقي الجملة بنشاط فهم، فالخطاب للمؤمنين الذين تحدث عنهم بقوله ((إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله)) وقوله ((إن الذين يستأذنونك)) إلخ.. نهوا عن أن يدعوا الرسول ﷺ عند مناداته كما يدعو بعضهم بعضاً في اللفظ أو في الهيئة. أما في اللفظ فبأن لا يقولوا: يا محمد، أو يا بن عبدالله، أو يا بن عبدالمطلب، ولكن: يا رسول الله أو يا نبي الله أو بكنيته يا أبا

(١) البحر المحيط لأبي حيان (٧٥/٨).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠٩/١٨).

القاسم^(١). وأما في الهيئة فبأن لا يدعوه من وراء الحجرات، وأن لا يلحوا في دعائه إذا لم يخرج إليهم، كما جاء في سورة الحجرات. لأن ذلك كله من الجلافة التي لا تليق بعظمة قدر الرسول ﷺ. فهذا أدب للمسلمين وسد لأبواب الأذى عن المنافقين. وإذا كانت الآية تحتمل ألفاظها هذا المعنى صح للمتدبر أن يتنزع هذا المعنى منها إذ يكفي أن يأخذ من لاح له معنى؛ ما لاح له^(٢).

تعقيب الباحث:

بالنظر في أقوال أئمة التفسير يظهر لي - والله أعلم - صحة حمل الآية على المعنيين؛ الأول والثاني^(٣):

فالقول الأول هو: لا تجعلوا دعاءه لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضاً، إن شاء أجب وإن شاء ترك، بل إذا دعاكم لم يكن لكم بد من إجابته، ولم يسعكم التخلف عنها ألبتة. هذا القول يدل عليه سياق الآيات ونظمها، فالآية التي قبل تتحدث عن اجتماع المؤمنين مع الرسول ﷺ على أمر جامع وضرورة الاستئذان عند الاحتياج للخروج من الاجتماع، وما بعد يذكر فئة من المنافقين يحاولون التسلل خفية والخروج من الاجتماع دون إذن وختمت الآية بذكر العقوبة الدنيوية والأخرية لمن يخالف أمر الرسول ﷺ؛ وحمل الآية على معنى ما قبلها وما بعدها قاعدة قررها أئمة التفسير^(٤).

والقول الثاني وهو: لا تدعوه باسمه كما يدعوا بعضكم بعضاً؛ يا محمد؛ ولكن

(١) المناداة بالكنية تدخل في عدم الأدب في مناداة الرسول ﷺ لأنها مما ينادي بها المسلمون بعضهم بعضاً.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠٨/١٨).

(٣) سبق ذكر الأقوال في بداية الموضوع.

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (١٢٧/١ - ١٣٢).

فخموه وشرفوه فقولوا: يا نبي الله يا رسول الله في لين وتواضع. فهذا القول استدل عليه الإمام الشنقيطي ومن وافقه بعدد من آيات القرآن الكريم - سبق ذكرها - ومعلوم أن أحسن طرق التفسير؛ تفسير القرآن بالقرآن^(١).

وأما القول الثالث والمراد به: احذوا دعاء الرسول ﷺ عليكم إذا أسخطتموه فإن دعاءه موجب وليس كدعاء غيره، فقد ضعفه عدد من المفسرين وإن كان يصح في المعنى، قال ابن عطية: «ولفظ الآية يدفع هذا المعنى»^(٢)، وقال ابن جزي: «ولفظ الآية بعيد من هذا المعنى، على أن المعنى صحيح»^(٣)، وقال الشنقيطي - بعد أن ذكر الوجه الأخير - : «هذا الوجه الأخير يأباه ظاهر القرآن؛ لأن قوله تعالى ((كدعاء بعضكم بعضاً)) يدل على خلافه، ولو أراد دعاء بعضهم على بعض لقال: لا تجعلوا دعاء الرسول عليكم كدعاء بعضكم على بعض، فدعاء بعضهم بعضاً ودعاء بعضهم على بعض متغايران كما لا يخفى»^(٤). والله أعلم بالصواب.



(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/٣٦٣)، وشرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(١٢٧).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (١٠/٥٥٦).

(٣) التسهيل لابن جزي (٣/١٥٨).

(٤) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٢٥٢).

المراد بالفتنة في قوله تعالى: ﴿ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾

١٢- قوله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ

أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة النور: ٦٣].

مجمل الأقوال الواردة في الآية :

اختلفت أقوال المفسرين في بيان معنى الفتنة في هذه الآية الكريمة، وهم ما بين
مرجح لقول أو أكثر في بيان معنى الآية أو جامع للأقوال كلها أو بعضها، فإلى استعراض
مجمل الأقوال :

١- الطبع على القلوب.

٢- قسوة القلب عن معرفة المعروف والمنكر.

٣- إسباغ النعم استدراجاً.

٤- الكفر.

٥- بلاء.

٦- القتل^(١).

٧- محنة في الدنيا^(٢).

(١) هذه المعاني الستة قال عنها الإمام أبو حيان: « وهذه الأقوال خرجت مخرج التمثيل لا الحصر، وهي
في الدنيا » البحر المحيط (٧٦/٨).

(٢) الكشف للزخشي (٢٥٣/٣).

- ٨- الفضيحة^(١).
 ٩- زلازل.
 ١٠- أهوال.
 ١١- تسليط سلطان جائر^(٢).
 ١٢- شيء يخالطهم في الدنيا فيحيل أمورهم إلى غير الحالة المحبوبة^(٣).
 ١٣- الفتنة هنا غير مقيدة بنوع من أنواع الفتن^(٤).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « والفتنة في قوله ((أن تصيبهم فتنة)) قيل هي القتل، وقيل الزلازل والأهوال، وقيل السلطان الجائر. وقال بعضهم: هي الطبع على القلوب بسبب شؤم مخالفة أمر الله ورسوله ﷺ. وقال بعض العلماء: ((فتنة)) محنة في الدنيا أو يصيبهم عذاب أليم في الآخرة. قال مقيدة^(٥) عفا الله عن وغفر له: قد دل استقراء القرآن العظيم أن الفتنة فيه أطلقت على أربعة معان:

الأول: أن يراد بها الإحراق بالنار؛ كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾

(١) التسهيل لابن جزي (١٥٩/٣).

(٢) الأقوال (٩ - ١٠ - ١١) ذكرها النسفي في مدارك التنزيل (١٢٠/٣).

(٣) نظم الدرر للبقاعي (٣٢٦/١٣).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٥٨/٤).

(٥) الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

[سورة الذاريات: ١١٣]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ

وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [سورة البروج: ١١٠] أي أحرقوهم بنار الأخدود على القول

بذلك.

الثاني: وهو أشهرها إطلاق الفتنة على الاختبار؛ كقوله تعالى: ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ

وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [سورة الأنبياء: ٢٣٥]. وقوله تعالى: ﴿وَالْوَأَسْتَقَمُوا

عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [سورة البقرة: ١٦٦] ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [سورة

الجن: ١١٦ - ١١٧].

والثالث: إطلاق الفتنة على نتيجة الاختبار إن كانت سيئة؛ كقوله تعالى:

﴿وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [سورة

البقرة: ١٩٣]، وفي الأنفال: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [سورة

الأنفال: ٢٣٩]. فقوله ((حتى لا تكون فتنة)) أي حتى لا يبقى شرك، على

أصح التفسيرين، ويدل على صحته قوله بعده ((ويكون الدين لله)) لأن

الدين لا يكون كله لله حتى لا يبقى شرك كما ترى، ويوضح ذلك قوله ﷺ:

«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»^(١) كما لا يخفى.

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب ((فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم)). انظر: فتح الباري (٧٥/١). ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله. انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٢٠٦/١).

والرابع: إطلاق الفتنة على الحجة؛ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ

قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿١٣﴾ [سورة الأنعام: ٢٣] أي لم

تكن حجبتهم، كما قال به بعض أهل العلم.

والأظهر عندي: أن الفتنة في قوله هنا: ((أن تصيهم فتنة)) أنه من النوع الثالث من الأنواع المذكورة. وأن معناه أن يفتنهم الله ﷻ أي يزيدهم ضلالاً بسبب مخالفتهم عن أمره وأمر رسوله ﷺ.

وهذا المعنى تدل عليه آيات كثيرة من كتاب الله تعالى، كقوله جل وعلا: ﴿كَلَّا

بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ [سورة المطففين: ١٤]، وقوله

تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴿٥﴾ [سورة الصف: ٥]، وقوله تعالى ﴿فِي

قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴿١٠﴾ [سورة البقرة: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا

الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ﴿١٥﴾ [سورة

التوبة: ١٢٥]، وغيرها.

والآيات تمثل ذلك كثيرة والعلم عند الله تعالى»^(١).

نخلص من هذا أن الشنقيطي يرى معنى الفتنة في هذه الآية: زيادة الإضلال للمخالفين بسبب مخالفتهم، وهو ما عبر عنه بعض

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٢٥٢ - ٢٥٥).

المفسرين بالطبع على القلوب، وقولهم موافق لما ذهب إليه الشنقيطي.

الموافقون:

- ١- الطبري: ((أن تصيبهم فتنة من الله أو يصيبهم عذاب أليم فيطبع على قلوبهم فيكفروا بالله))^(١).
- ٢- ابن كثير: « (أن تصيبهم فتنة) ((أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة))^(٢).
- ٣- السيوطي: ((فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة)) أن يطبع على قلوبهم^(٣).

المخالفون:

- وأعني بهم كل من اختار معنى واحداً فقط لبيان المراد بالفتنة في الآية - غير ما رجحه الشنقيطي - ، فمنهم:
- ١- البغوي: « (أن تصيبهم فتنة) أي لثلا تصيبهم فتنة ، أي بلاء في الدنيا »^(٤).
 - ٢- الزمخشري: « (فتنة) ((محنة في الدنيا))^(٥).
 - ٣- الخازن: « (أن تصيبهم فتنة) ((أي بلا في الدنيا))^(٦).
 - ٤- البيضاوي: « محنة في الدنيا »^(٧).

(١) جامع البيان للطبري (١٨/١٣٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٣٠٧).

(٣) الدر المنثور للسيوطي (٥/٦١).

(٤) مختصر البغوي (٢/٦٥٤).

(٥) الكشاف للزمخشري (٣/٢٥٣).

(٦) لباب التأويل للخازن (٥/٧٦).

- ٥- البقاعي: « (أن تصيبهم فتنة) » أي: شيء يخالطهم في الدنيا فيحيل أمورهم إلى غير الحالة المحبوبة التي كانوا عليها»^(٢).
- ٦- السعدي: « (أن تصيبهم فتنة) » أي شرك وشر»^(٣).
- ٧- سيد قطب: « (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) » وإنه لتحذير مرهوب، وتهديد رهيب... فليحذر الذين يخالفون عن أمره، ويتبعون نهجاً غير نهجه، ويتسللون من الصف ابتغاء منفعة أو اتقاء مضرة. ليحذروا أن تصيبهم فتنة تضطرب فيها المقاييس، وتختل فيها الموازين، وينتكث فيها النظام، فيختلط الحق بالباطل، والطيب بالخبث، وتفسد أمور الجماعة وحياتها؛ فلا يأمن على نفسه أحد، ولا يقف عند حده أحد، ولا يتميز فيها خير من شر... وهي فترة شقاء للجميع، «(أو يصيبهم عذاب أليم)» في الدنيا أو في الآخرة؛ جزاء المخالفة عن أمر الله، ونهجه الذي ارتضاه للحياة»^(٤).
- ووجدت عدداً من المفسرين جمعوا عدداً من الأقوال المحتملة في بيان معنى الفتنة في الآية المذكورة دون ترجيح أو تقوية لقول على غيره، فمن هؤلاء: الإمام ابن الجوزي^(٥)، وأبو حيان^(٦)، والقرطبي^(٧)، والنسفي^(٨)، وابن جزري^(١)، والشوكاني^(٢).

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي (٦٨/٢).

(٢) نظم الدرر للبقاعي (٣٢٦/١٣).

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٥٧٧).

(٤) في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٥٣٥/٤).

(٥) زاد المسير لابن الجوزي (٣٧٩/٥).

(٦) البحر المحيط لأبي حيان (٧٦/٨).

(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٢٣/١٢).

(٨) مدارك التنزيل للنسفي (١٢٠/٣).

تعقيب الباحث:

بالنظر في مجمل الأقوال الواردة في بيان معنى الآية يتضح أن اختلاف المفسرين فيها اختلاف في ذكر الأنواع، بمعنى أن بعضهم عبّر عن الفتنة بلفظ عام مثل لفظ: المحنة أو البلاء، بل إن بعضهم صرّح بالعموم، كمن قال إن المراد بالفتنة شيء يخالطهم في الدنيا فيحيل أمرهم إلى غير الحالة المحبوبة^(٣)، أو من قال إن الفتنة هنا غير مقيّدة بنوع من أنواع الفتنة^(٤).

ونجد البعض الآخر يبين معنى الفتنة ببعض أنواع الفتن التي قد تصيب المخالفين لأمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ؛ من طبع على القلوب أو قسوة فيها تؤدي إلى عدم معرفة المعروف من المنكر، أو إسباغ النعم استدراجاً أو الكفر أو القتل أو الفضيحة أو الزلازل والأهوال أو تسليط سلطان جائر أو غير ذلك، وكل هذه من أنواع الفتن التي تصيب المخالفين في الدنيا^(٥). فيصح بناءً عليه حمل الآية على الجميع.

هذا علماً أن لفظ الفتنة في القرآن إطلاقات عديدة، سبق ذكر بعضها تحت فقرة (ترجيح الشنقيطي)، وينظر للتوسع فيها كتاب: شواهد القرآن^(٦)، وكتاب: الفتنة وموقف

(١) التسهيل لابن جزي (١٥٩/٣).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٥٨/٤).

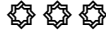
(٣) نظم الدر للبقاعي (٣٢٦/١٣).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٥٨/٤).

(٥) قد سبق أن ذكرت كلام الإمام أبي حيان أن أقوال المفسرين في بيان معنى الفتنة في هذه الآية خرجت مخرج التمثيل لا الحصر، وهي في الدنيا. البحر المحيط (٧٦/٨).

(٦) تأليف: أبي تراب الظاهري (٤١١/١ - ٤١٨).

المسلم منه في ضوء القرآن الكريم^(١). والله أعلم بالصواب.



معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾

١٣- قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ

يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا

يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ ﴿٣﴾ [سورة الفرقان: ٣].

مجمّل الأقوال الواردة في الآية :

١- ((ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً)) أي لا دفع ضرر، وجلب نفع، فحذف المضاف^(٢).

٢- أن المعنى: لا يقدرّون أن يضرّوا أنفسهم أو ينفعوها بشيء^(٣).

٣- أن يعود ضمير ((لأنفسهم)) إلى ما عاد إليه ضمير ((واتخذوا)) أي: لا تقدر الأصنام

(١) تأليف: عبد الحميد بن عبدالرحمن السحبياني ص (٢٩ - ٣٤).

(٢) مختصر البغوي (٦٥٥/٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/١٣).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٢٧٢)، ولم يرجّحه.

على نفع الذين عبدوهم ولا على ضرهم^(١).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - « وقوله تعالى: ((لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً)) أظهر الأقوال فيه أن المعنى لا يملكون لأنفسهم دفع ضرر ولا جلب نفع.

كما قاله القرطبي^(٢) وغيره. وغاية ما في هذا التفسير حذف مضاف دل المقام عليه، وهو كثير في القرآن وفي كلام العرب.

وقيل المعنى: لا يقدر أن يضروا أنفسهم أو ينفعوها بشيء، والأول هو الأظهر^(٣).

الموافقون:

جمهور من أئمة التفسير ذهبوا في بيان معنى الآية إلى مثل ما اختاره الشنقيطي؛ من حذف المضاف الذي دل المقام عليه، ويكون عليه المعنى أن الأصنام ونحوها لا يملكون لأنفسهم دفع ضرر ولا جلب نفع، وإليك أقوال بعضهم:

١- الطبري: « ولا تملك لأنفسها نفعاً تجره إليها ولا ضراً تدفعه عنها ممن أرادها بضر^(٤) ».

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٢٠/١٩) وجوّز هذا المعنى.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/١٣).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٢٧٢ - ٢٧١/٦).

(٤) جامع البيان للطبري (١٣٦/١٨).

- ٢- النسفي: « (ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً) ولا يستطيعون لأنفسهم دفع ضرر عنها ولا جلب نفع إليها »^(١).
- ٣- الزمخشري: « (ولا يملكون) أي لا يستطيعون لأنفسهم دفع ضرر عنها أو جلب نفع إليها »^(٢).
- ٤- ابن الجوزي: « (ولا يملكون لأنفسهم ضراً) أي: دفع ضرر، ولا جر نفع؛ لأنها جماد لا قدرة لها »^(٣).
- ٥- أبو السعود: « (ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً) لبيان ما لم يدل عليه ما قبله من مراتب عجزهم وضعفهم فإن بعض المخلوقين العاجزين عن الخلق ربما يملك دفع الضرر وجلب النفع في الجملة كالحيوان، وهؤلاء لا يقدرّون على التصرف في ضرر ما ليدفعوه عن أنفسهم، ولا في نفع ما حتى يجلبوه إليهم؛ فكيف يملكون شيئاً منهما لغيرهم. وتقديم ذكر الضرر لأن دفعه مع كونه أهم في نفسه أول مراتب النفع وأقدمها »^(٤).
- ٦- الشوكاني: « (ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً) أي لا يقدرّون على أن يجلبوا لأنفسهم نفعاً ولا يدفعوا عنها ضرراً. وقدم ذكر الضرر؛ لأن دفعه أهم من جلب النفع، وإذا كانوا بحيث لا يقدرّون على الدفع والنفع فيما يتعلق بأنفسهم فكيف يملكون ذلك لمن يعيدهم؟ »^(٥).

(١) مدارك التنزيل للنسفي (١٢١/٣).

(٢) الكشف للزمخشري (٢٥٦/٣).

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٤/٦).

(٤) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٥٧/٤).

(٥) فتح القدير للشوكاني (٦١/٤).

ومن قال مثل هذا القول الإمام البغوي^(١)، وأبوحيان^(٢)، والبيضاوي^(٣)
والقرطبي^(٤) والخازن^(٥) وغيرهم^(٦).

المخالفون:

وأعني بهم الذين لم يذكروا في بيان معنى الآية مسألة حذف المضاف، إنما بينوا
المعنى بصورة عامة في الضرر والنفع، وقولهم يشبه القول الثاني في مجمل الأقوال التي
ذُكرت في بداية البحث فمنهم:

١- الفخر الرازي: « اعلم أنه سبحانه لما وصف نفسه بصفات الجلال والعزة والعلو
أردف ذلك بتزييف مذهب عبدة الأوثان وبيّن نقصانها من وجوه: ...

وثالثها: أنها لا تملك لأنفسها ضراً ولا نفعاً، ومن كان كذلك فهو لا يملك
لغيره أيضاً نفعاً، ومن كان كذلك فلا فائدة في عبادته »^(٧).

٢- البقاعي: « ((لا يملكون)) أي: لا يتجدد لهم بوجه من الوجوه أن يملكوا ((لأنفسهم
ضراً)) ولذلك قدّمه، ونكّره ليعم. فلما ثبت بذلك أنهم خلقه؛ ولكن كان ربما قال
متعنت: إنهم يملكون ذلك ولكنهم يتركونه عمداً؛ لأن أحداً لا يريد ضر نفسه،
قال: ((ولا نفعاً)) أي: ولو بالبقاء على حالة واحدة، وعبدتهم يقدرّون على ما

(١) مختصر البغوي (٢/٦٥٥).

(٢) البحر المحيط لأبي حبان (٨/٨١).

(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/٦٩).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/٣).

(٥) لباب التأويل للخازن (٥/٧٧).

(٦) جلال الدين المحلي في الجلالين ص(٣٠٠)، وطنطاوي جوهر في الجواهر (١٢/١٣٠).

(٧) التفسير الكبير للفخر الرازي (٨/٤٣١).

أراد الله من ذلك على وجه الكسب، فهم أعلى منهم، وعبادة الأعلى لمن دونه ليست من أفعال العقلاء»^(١).

٣- السعدي: «(ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً)) أي لا قليلاً ولا كثيراً، لأنه نكرة في سياق النفي فتعم»^(٢).

٤- سيد قطب: «(ولا يملكون لأنفسهم)) فضلاً عن أن يملكوا لعبادهم ((ضراً ولا نفعاً)) والذي لا يملك لنفسه النفع قد يسهل عليه الضر. ولكن حتى هذا لا يملكونه. ومن ثمَّ يقدمه في التعبير بوصفه أيسر شيء كان يملكه أحد لنفسه»^(٣).

أما القول الثالث وهو المبني على رجوع ضمير ((لأنفسهم)) على نفس مرجع الضمير في ((اتخذوا)) فلم أجد من رجحه إطلاقاً، وسيأتي الكلام عنه - إن شاء الله - في التعقيب.

تعقيب الباحث:

يتضح مما سبق أنه لا خلاف جوهرى بين الموافقين والمخالفين في بيان معنى الآية، فكل كلامهم يصب في معنى واحد: وهو عدم قدرة الأصنام على النفع والضر، سواء لنفسها أو لمن يعبدها، فيصح إذاً حمل الآية على ما ذكره من أقوال؛ لأمر:

١- لدلالة آيات أخرى من كتاب الله ﷻ على هذا المعنى، وهذا من تفسير القرآن بالقرآن الذي يعد أعلى درجات التفسير^(٤). وقد استعرض الشيخ الشنقيطي عدداً من الآيات المؤيدة لمعنى الآية على هذا الوجه؛ قال: «وكونهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، فقد جاء

(١) نظم الدرر للبقاعي (١٣/٣٣٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٥٧٧).

(٣) في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/٢٥٥٠).

(٤) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(١٢٧)، قواعد التفسير الخالد السبت (١/١٠٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (١/٣١٢).

مبيناً في مواضع من كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ
لأنفسِهِمْ نفعاً ولا ضرراً ۚ ﴾ [سورة الرعد: ١٦]، وكقوله تعالى: ﴿
أيشركون ما لا تخلق شيئاً وهم يخلقون ﴿١١٦﴾ ولا يستطيعون لهم
نصراً ولا أنفسهم ينصرون ﴿١١٧﴾ ﴾ [سورة الأعراف: ١٩١ - ١٩٢]، ومن
لا ينصر نفسه فهو لا يملك لها نصراً ولا نفعاً، وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ
دُونِهِ لَا يَسْتطيعُونَ نصرَكم ولا أنفسهم ينصرون ﴿١١٧﴾ ﴾
[سورة الأعراف: ١٩٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا
يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدْعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَمِتُونَ ﴿١١٧﴾
إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ
فَلَيْسَتْ جِبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ
بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ
ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ [سورة الأعراف: ١٩٣ - ١٩٥] وفيها الدلالة

الواضحة على أنهم لا يملكون لأنفسهم شيئاً، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْأَلُكُمْ

الذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ [سورة الحج: ١٧٣] إلى غير ذلك من

الآيات»^(١).

٢- أن هذا المعنى هو الظاهر من لفظ الآية بوضوح وبدون تكلف، وقاعدة: عدم العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل، تؤكد هذا الأمر، وهي قاعدة مهمة عند أئمة التفسير^(٢).

٣- رداً على القول الثالث الوارد في مجمل الأقوال؛ أن يكون معنى الآية على رجوع ضمير ((لأنفسهم)) إلى مرجع ضمير ((واتخذوا))، أقول: إن هذا القول ليس بقوي فلقد اجتمعت ثلاث قواعد ترجيحية تردّ عليه وتؤيد القول الراجح، وهي:

أ- قاعدة: إعادة الضمير إلى مذكور أولى من إعادته إلى مقدّر^(٣)، فأعاده ضمير ((لأنفسهم)) على لفظ ((آلهة)) أولى لأنه مذكور.

ب- قاعدة: توحيد مرجع الضمائر أولى من تفريقها^(٤)، فإن إعادة ضمير ((لأنفسهم)) إلى ما عاد إليه ضمير ((واتخذوا)) يكون نشازاً بين بقية الضمائر الواردة في الآية والتي ترجع إلى لفظ ((آلهة))، فالأولى أن يتحد مرجع هذا الضمير مع بقية الضمائر.

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٢٧٠).

(٢) قواعد التفسير لخالد السبت (٢/٨٤٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (١/١٣٧).

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٢/٥٩٣).

(٤) الإيقان في علوم القرآن للسيوطي (١/٥٠٩)، وقواعد التفسير لخالد السبت (١/٤١٤)، وقواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٢/٦١٣).

ج- قاعدة: إعادة الضمير إلى أقرب مذكور^(١)، فإن لفظ ((آلهة)) أقرب إلى ضمير
((لأنفسهم)) من مرجع ((واتخذوا)) الذي لم يرد له ذكر أصلاً.

٤- إن رجوع ضمير ((لأنفسهم)) على الآلهة أبلغ
لأن المعنى يكون حينئذٍ من باب الأولى؛ فإن الذي لا
يستطيع نفع نفسه لا ينفع غيره من باب أولى. والله
أعلم بالصواب.



(١) الإلتقان للسيوطي (٥٠٨/١)، وقواعد الترجيح لحسين الحربي (٦٢١/٢).

معنى قوله تعالى: ﴿ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ﴾

١٤- قال تعالى: ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا

يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ [سورة الفرقان: ٩].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

- ١- ((انظر كيف ضربوا لك الأمثال)) أي جاءوا بما يقذفوا به النبي ﷺ ويكذبوا به عليه من قولهم ساحر مسحور مجنون كذاب شاعر كاهن^(١) وغيرها.
- ٢- ((ضربوا لك الأمثال)) أي قالوا تلك الأقوال واخترعوا تلك الصفات والأحوال النادرة من نبوة مشتركة بين إنسان وملك، وإلقاء كنز عليه من السماء وحاجته إلى الغذاء^(٢)، ونحو ذلك.

ترجيح الشنقيطي

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « ذكر - جل وعلا - في

هذه الآية الكريمة : أن الظالمين وهم الكفار قالوا للذين اتبعوا النبي ﷺ ﴿ إِنْ تَتَّبِعُونَ

إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [سورة الفرقان: ٨] يعنون: أنه أثر فيه السحر فاختلط عقله فالتبس

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٣١٠)، أضواء البيان للشنقيطي (٦/٢٨٤).

(٢) الكشف للزمخشري (٣/٢٥٩)، نظم الدرر للبقاعي (١٣/٣٤٦).

عليه أمره، وقال مجاهد ((مسحوراً)) أي مخدوعاً؛ بقوله: ﴿فَأَنى تُسْحَرُونَ﴾ [سورة
المؤمنون: ١٨٩] أي من أين تخدعون. وقال بعضهم: ((مسحوراً)) أي له سحر أي رثة وقهر
لا يستغني عن الطعام والشراب، فهو بشر مثلكم وليس بملك، ولما ذكر الله هذا الذي قاله
الكفار في نبيه ﷺ من الإفك والبهتان خاطب نبيه ﷺ بقوله: ((انظر كيف ضربوا لك الأمثال
فضلوا فلا يستطيعون سيلاً)).

قال الزمخشري: «ضربوا لك الأمثال: قالوا فيك تلك الأقوال واقترحوا لك
تلك الصفات والأحوال النادرة من نبوة مشتركة بين إنسان وملك وإلقاء كنز عليك من
السماء وغير ذلك»^(١).

والأظهر عندي في معنى الآية ما قاله غير واحد من أن معنى ((ضربوا لك
الأمثال)) أنهم تارة يقولون إنك ساحر، وتارة مسحور، وتارة مجنون، وتارة شاعر، وتارة
كاهن، وتارة كذاب، ومن ذلك ما ذكره الله ﷻ عنهم من قوله هنا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِن هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ أَفْتَرْتَهُ﴾ [سورة الفرقان: ٤]، وقوله: ﴿وَقَالُوا
أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة الفرقان: ٥] ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن
تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [سورة الفرقان: ١٨].

وقوله تعالى: ((فضلوا)) أي عن طريق الحق؛ لأن الأقوال التي قالوها والأمثال
التي ضربوها كلها كذب وافتراء وكفر مخلد في نار جهنم، فالذين قالوها هم أضل الضالين

أقوال المفسرين:

لقد تداخلت أقوال المفسرين في بيان معنى هذه الآية، فنجد أن بعضهم يذكر بعض المعاني، وآخرين يذكرون معانٍ أخرى وغير هؤلاء وهؤلاء يذكرون من هذه المعاني ومن هذه المعاني، لذلك كان من الصعب تقسيمهم إلى موافقين ومخالفين، وإنما سأستعرض أقوال عدد من المفسرين ليتبين للقارئ تداخل المعاني ويكون التعقيب بعد ذلك. فمن أقوال المفسرين في الآية:

- ١ - الطبري، قال: « ((انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا)) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ انظر يا محمد إلى هؤلاء المشركين الذين شبهوا لك الأشباه بقولهم لك هو مسحور، فضلوا بذلك عن قصد السبيل وأخطأوا طريق الهدى والرشاد»^(٢).
- ٢ - النسفي، قال: « ((لك الأمثال)) الأشباه أي قالوا فيك تلك الأقوال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال من المفترى والمملى عليه والمسحور»^(٣).
- ٣ - أبوحيان - بعد أن ذكر الآية - قال: « أي قالوا فيك تلك الأقوال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال النادرة من نبوة مشتركة بين إنسان وملك وإلقاء كنز عليك، وغير ذلك»^(٤).
- ٤ - ابن كثير، قال: - بعد أن ذكر الآية - : « أي جاءوا بما يقذفونك به ويكذبون به

(١) أعضاء البيان للشنقيطي (٦/٢٨٤ - ٢٨٥) بتصرف.

(٢) جامع البيان للطبري (١٨/١٣٩).

(٣) مدارك التنزيل للنسفي (٣/١٢٢).

(٤) البحر المحيط لأبي حيان (٨/٨٥).

- عليك من قولهم: ساحر، مسحور، مجنون، كذاب، شاعر، وكلها أقوال باطلة.
كل أحد ممن له أدنى فهم وعقل يعرف كذبهم وافتراءهم على ذلك»^(١).
- ٥- البيضاوي، قال: «(انظر كيف ضربوا لك الأمثال)) أي قالوا فيك الأقوال الشاذة،
واخترعوا لك الأحوال النادرة»^(٢).
- ٦- البقاعي، قال: «(لك الأمثال)) فجعلوك تارة مثلهم في الاحتياج إلى الغذاء، وتارة
نظيرهم في التوسل إلى التوصل إلى الأرباح والفوائد بلطف الحيلة وغزير العقل،
وتارة مغلوب العقل مختلط المزاج تأتي بما لا يرضى به عاقل، وتارة ساحراً تأتي بما
يعجز عنه قواحم، وتحير منه أفكارهم»^(٣).
- ٧- الشوكاني، قال: «(انظر كيف ضربوا لك الأمثال)) ليتوصلوا بها إلى تكذيبك،
والأمثال هي: الأقوال النادرة والاقتراحات الغريبة، وهي ما ذكروه هاهنا»^(٤).

يقصد الآيات السابقة، من الآية ٤ إلى الآية ٨، وهي قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِن هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ
جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ ﴿١٣﴾ وَقَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ
تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٣١٠).

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/٦٩).

(٣) نظم الدرر للبقاعي (١٣/٣٤٦).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٤/٦٣).

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا مَالِ هَذَا
الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ
مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٥﴾ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ
جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴿٦﴾ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا
مَسْحُورًا ﴿٧﴾ ﴿سورة الفرقان: ٤ - ٨﴾.

- ٨- السعدي، قال: « (انظر كيف ضربوا لك الأمثال) » وهي: هل كان ملكاً، وزالت عنه
خصائص البشر؟ أو معه ملك؛ لأنه غير قادر على ما قال، أو أنزل عليه كنز، أو جعلت
له جنة تغنيه عن المشي في الأسواق أو أنه كان مسحوراً^(١).
- ٩- سيد قطب، قال: « (انظر كيف ضربوا لك الأمثال) » وشبهوك بالمسحورين مرة،
واتهموك بالتزوير مرة، ومثلوك برواة الأساطير مرة.. وكله ضلال ويعد عن الحق
﴿٢﴾.

وغير هؤلاء من الأئمة قالوا^(٣) في معنى الآية أقوالاً لا تخرج عن ما سبق ذكره.

تعقيب الباحث:

الذي يظهر - والله أعلم - صحة حمل الآية على جميع المعاني الواردة
عن المفسرين، وأن كل واحد منهم قد ذكر جانباً من المعاني المحتملة في الآية، فإن

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥٧٩).

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٥٥٤/٥).

(٣) كالإمام ابن الجوزي في زاد المسير (٥/٦)، والإمام ابن جزي في التسهيل (١٦٢/٣).

سياق الآيات يدل على بعض الأمثال والتشبيهات التي شبه بها الكفار النبي ﷺ فقد ذكر الله ﷻ في الآيات القريبة أن الكفار قالوا - زوراً وبهتاناً - عن النبي ﷺ عدداً من الأقوال ، وهي :

- ١- أنه افترى القرآن.
- ٢- أنه قد أعانه قوم آخرون على هذا الافتراء.
- ٣- أنه يأتي بأساطير الأولين ويلقيها عليهم.
- ٤- إنهم قالوا لماذا يأكل الطعام مثلنا، فالرسول يجب أن يكون ملكاً.
- ٥- وإن لم يكن ملكاً فلينزل معه ملك يساعده.
- ٦- إن هذا الرسول يمشي في الأسواق ويطلب المعيشة مثلنا.
- ٧- فحتى يكون رسولاً لابد أن يكون متميزاً عنا بأن يلقي إليه كنز.
- ٨- أو تكون له جنة يأكل منها ويستغني عن المشي في الأسواق.
- ٩- وقالوا عنه أيضاً إنه مسحور.

ثم ختم تلك الأقوال بأن قال - جل وعلا- : ((انظر كيف ضربوا لكل الأمثال)) يعني أن ما سبق ذكره من التشبيهات على سبيل المثال، وإلا فإن في جعبتهم من الكذب والافتراء عليك غير ذلك كثير، من ذلك ما ذكره الله ﷻ عنهم في غير هذا الموضع من أنهم قالوا عن الرسول ﷺ بأنه ساحر، وكذاب^(١)، وكاهن ومجنون^(٢)، وشاعر^(٣)

(١) في قوله تعالى: ﴿ قَالَ الْكٰفِرُونَ اِنَّ هٰذَا لَسٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ سورة

يونس: ٢٢، وقوله ﴿ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هٰذَا سٰحِرٌ كٰذِبٌ ﴾ [سورة ص: ٤٤]..

(٢) وقد ردّ الله ﷻ على الكفار بأن قال لنبيه ﷺ: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا اَنْتَ بِنِعْمَتِ

رَبِّكَ بِكٰهِنٍ وَّلَا مُجْتَوِنٍ ﴾ [سورة الطور: ٢٩]، وقال: ﴿ وَلَا بِقَوْلِ

ونحوها.

وعلى هذا فلا مانع من حمل الآية على جميع المعاني التي ذكرها
أئمة التفسير. والله أعلم بالصواب.



كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿١٤﴾ [سورة الحاقة: ٤٢].

(١) في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمَ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ... ﴾

﴿ سورة الأنبياء: ٥٥، وقوله: ﴿ وَيَقُولُونَ أَيُّنَّا لَتَارِكُوا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ

مَجْنُونٍ ﴿١٦﴾ [سورة الصافات: ٣٦، وقوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ

بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ ﴿٣٠﴾ [سورة الطور: ٣٠، وقوله: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ

شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ ﴿١١﴾ [سورة الحاقة: ٤١].

معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾

١٥- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا

﴿٨﴾ أَنْظَرَ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ

سَبِيلًا ﴿٩﴾ [سورة الفرقان: ٨ - ٩].

مجمّل الأقوال الواردة في الآية:

- ١- ((فلا يستطيعون سبيلاً)): أي طريقاً إلى الحق والصواب والهدى^(١).
- ٢- ((فلا يستطيعون سبيلاً)): فلا يجدون في أمرك حيلة يقدحوا في نبوتك^(٢).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « قوله تعالى: ((فلا يستطيعون سبيلاً)) فيه أقوال متقاربة، وأظهرها: أن معنى: فلا يستطيعون سبيلاً: أي طريقاً إلى الحق والصواب. ونفى الاستطاعة المذكورة هنا كقوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا

^١ () أضواء البيان للشنقيطي (٢٨٥/٦)، جامع البيان للطبري (١٨/١٣٩)، مختصر البغوي (٦٥٦/٢).

^٢ () معاني القرآن للفراء (٢٦٣/٢)، أنوار التنزيل للبيضاوي (٦٩/٢)، فتح القدير للشوكاني (٦٣/٤).

يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿سورة هود: ٢٠﴾، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ ﴿سورة الكهف: ١٠١﴾^(١).

الموافقون:

- اختار القول الذي ذهب إليه الشنقيطي عدد من أئمة التفسير؛ منهم:
- ١- الطبري « (فلا يستطيعون) يقول فلا يجدون سبيلاً إلى الحق إلا فيما بعثك به ومن الوجه الذي ضلوا عنه »^(٢).
 - ٢- البغوي: « (فضلوا) عن الحق (فلا يستطيعون سبيلاً) إلى الهدى ومخرجاً عن الضلالة »^(٣).
 - ٣- النسفي: « (فضلوا) عن الحق (فلا يستطيعون سبيلاً) فلا يجدون طريقاً إليه »^(٤).
 - ٤- ابن عطية « أي: أخطئوا الطريق فلا يجدون سبيلاً لهداية، ولا يطبقونه لالتباسهم بضده من الضلال »^(٥).
 - ٥- ابن جزي: « (فلا يستطيعون سبيلاً) أي لا يقدرون على الوصول إلى الحق لبعدهم

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٢٨٥).

(٢) جامع البيان للطبري (١٨/١٣٩).

(٣) مختصر البغوي (٢/٦٥٦).

(٤) مدارك التنزيل للنسفي (٣/١٢٢).

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية (١١/٨).

عنه وإفراط جهلهم»^(١).

- ٦- البقاعي: «(فضلوا)) أي عن جميع طرق العدل وسائر أنحاء البيان بسبب ذلك فلم يجدوا قولاً يستقرون عليه وأبعدوا جداً. ((فلا يستطيعون)) في الحال ولا في المآل بسبب هذا الضلال ((سيلاً)) أي سلوك سبيل من السبل الموصلة إلى ما يستحق أن يقصد. بل هم في مجاهل موحشة، وفيافي مهلكة»^(٢).
- ٧- سيد قطب: « ضلوا عن كل طريق للحق، وكل سبيل للهدى»^(٣).

المخالفون:

قلة من المفسرين اختاروا القول المخالف، منهم:

- ١- الفراء: « ((فلا يستطيعون سيلاً)) يقول: لا يستطيعون في أمرك حيلة □»^(٤).
- ٢- الشوكاني: « ((فلا يستطيعون سيلاً)) أي لا يجدون إلى القدر في نبوة هذا النبي ﷺ طريقاً من الطرق»^(٥).

تعقيب الباحث:

الذي يظهر - والله أعلم - صحة حمل الآية على جميع المعاني الواردة عن

١ () التسهيل لابن جزي (١٦٢/٣).

٢ () نظم الدرر للبقاعي (٣٤٧/١٣).

٣ () في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٥٥٤/٥).

٤ () معاني القرآن للفراء (٢٦٣/٢).

وهو: أبو زكريا يحيى بن زياد عبدالله الأسدي الفراء، كان ثقة، بجرأ في النحو، عارفاً بالفقه، خبيراً بالطب، وبأيام العرب، وغيرها من العلوم. توفي سنة (٢٠٧هـ). نزاهة الفضلاء (٧٤٥/٢).

() فتح القدير للشوكاني (٦٣/٤).

المفسرين سواء قالوا ((فلا يستطيعون سبيلاً)) أي طريقاً إلى الحق والصواب أو كان المعنى لا يجدون في أمر الرسول ﷺ حيلة يقدحوا بها في نبوته ﷺ ، فإن سياق الآيات محتمل لها. والله ﷻ بعد أن ذكر أن الكفار قالوا تلك الأحوال العجيبة والصفات الغريبة عن النبي ﷺ ، في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرْتَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ۖ ﴾ (٤) وَقَالُوا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ

أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۖ ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ ﴿٦﴾ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ۖ ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا

﴿٨﴾ (سورة الفرقان: ٤ - ١٩). ختم الحديث بقوله: ((فلا يستطيعون سبيلاً)) أي لن

يستطيعوا الوصول إلى طريق الحق والصواب ما داموا على منهجهم ذلك في الكفر، أو لا يستطيعوا أن يجدوا وسيلة يقدحوا بها في نبوة محمد ﷺ مهما حالوا واخترعوا. وقاعدة دلالة

السياق من القواعد المهمة في تفسير كلام الله ﷻ^(١).

وإن اختلفت أقوال المفسرين فهو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد^(٢)، وعليه

فالأولى « حمل الآية على جميع الأقوال الواردة »^(٣). والله أعلم بالصواب.



(١) قواعد التفسير لخالد السبت (٢٤٩/١)، قواعد الترجيح عند المفسرين (١٢٥/١).

(٢) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص (٢٩).

(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي (٦٩/٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/١٣).

معنى قوله تعالى: ﴿سَمِعُوا هَا تَغِيظًا﴾

١٦- قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا هَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾

﴿سورة الفرقان: ١٢﴾.

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

- ١- أن المراد بقوله تعالى: ((سمعوا لها تغيظًا)) أنهم يسمعون صوت غليان النار من شدة غيظها على الكفار^(١).
- ٢- أو يكون المراد أنهم يسمعون صوت زبانية النار، فنسب إلى النار على حذف المضاف^(٢).
- ٣- أو أن الذي يُسمع هو تغيظ المعذبين وزفيرهم^(٣).
- ٤- أو يكون المقصود بسماع التغيظ رؤيته وعلمه^(٤).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « ذكر - جل وعلا - في هذه الآية الكريمة: أن النار يوم القيامة، إذا رأت الكفار من مكان بعيد، أي في عرصات

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٥٩).

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/٧٠).

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٦/٦).

(٤) تفسير الجلالين ص (٣١٠).

المحشر اشتد غيظها على من كفر بربها وعلا زفيرها، فسمع الكفار صوتها من شدة غيظها
وسمعوا زفيرها.

وما ذكره - جل وعلا - في هذه الآية الكريمة بين بعضه في سورة الملك،
فأوضح فيها شدة غيظها على من كفر بربها، وأنهم يسمعون لها أيضاً شهيقاً مع الزفير
الذي ذكره في آية الفرقان هذه، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِذَا الْقُورُ فِيهَا سَمِعُوا هَا
شَهيقاً وَهِيَ تَفُورٌ ۝ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۝ ﴾ [سورة الملك: ٧ - ٨] أي:

يكاد بعضها يفصل عن بعض من شدة غيظها على من كفر بالله تعالى.

والأظهر أن معنى قوله تعالى ((سمعوا لها تغيظاً)) أي: سمعوا غليانها من شدة
غيظها، ولما كان سبب الغليان التغيظ أطلقه عليه، وذلك أسلوب عربي معروف^(١). وقال
بعض أهل العلم: سمعوا لها تغيظاً أي أدركوه، والإدراك يشمل الرؤية والسمع، وعلى
هذا فالسمع مضمن معنى الإدراك، وما ذكرنا أظهر^(٢).

الموافقون:

جمهور من المفسرين ذهبوا في بيان معنى الآية إلى مثل ما ذهب إليه الشنقيطي، ومنهم:

١ - الإمام الطبري: « (إذا رأتهم من مكان بعيد) يقول: إذا رأت هذه النار التي
اعتدناها لهؤلاء المكذبين أشخاصهم من مكان بعيد تغيظت عليهم، وذلك أن تغلي
وتفور، يقال: فلان تغيظ على فلان وذلك إذ غضب عليه فعلى صدره من الغضب

(١) وهي إحدى علاقات المجاز المرسل؛ تسمية الشيء باسم سبب له. انظر: عقود الجمان في المعاني
والبيان للسيوطي (٢/٤٤).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٢٨٨).

عليه وتبين في كلامه، وزفيراً وهو صوتها. فإن قال قائل: وكيف قيل سمعوا لها تغيظاً والتغيظ لا يسمع، قيل: معنى ذلك سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب والتوقد»^(١).

- ٢- ابن عطية: « وقوله تعالى: ((سمعوا لها تغيظاً وزفيراً)) لفظ فيه تجوُّز، وذلك أن التغيظ لا يسمع، وإنما المسموع أصوات دالة على التغيظ، وهي ولا شك احتدامات في النار كالذي يسمع في نار الدنيا، فَنَسَبَهُ هذا المسموع الذي في الدنيا من ذلك نسبة الإحراق من الإحراق هي سبعون درجة كما ورد في الصحيح»^(٢).
- ٣- القرطبي: « ((سمعوا لها تغيظاً وزفيراً)) قيل: المعنى إذا رأتهم جهنم سمعوا لها صوت التغيظ عليهم. وقيل: المعنى إذا رأتهم خزائنها سمعوا لهم تغيظاً وزفيراً حرصاً على عذابهم. والأول أصح»^(٣).
- ٤- البقاعي: « ((سمعوا لها)) أي: خاصة ((تغيظاً)) أي صوتاً في غليانها وفورانها كصوت المتغيظ في تحرقه ونكارتة إذا غلا صدره من الغضب»^(٤).
- ٥- الشوكاني: « ومعنى التغيظ: أن لها صوتاً يدل على التغيظ على الكفار أو لغليانها صوتاً يشبه صوت المغتاض. والزفير: هو الصوت الذي يسمع من الجوف. قال الزجاج^(٥): المراد سماع ما يدل على الغيظ وهو الصوت، أي سمعوا لها صوتاً يشبه صوت المتغيظ»^(٦).

(١) جامع البيان للطبري (١٨/١٤٠).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (١١/١١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/٧).

(٤) نظم الدرر للبقاعي (١٣/٣٥٤).

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٥٩).

(٦) فتح القدير للشوكاني (٤/٦٤).

- ٦- طنطاوي جوهرى: « ((سمعوا لها تغيضاً وزفيراً)) أي سمعوا صوت غليانها كأنه صوت المتغيظ والزافر »^(١).
- ٧- سيد قطب: « ونحن هنا أمام مشهد السعير المتسعرة، وقد دبّت فيها الحياة! فإذا هي تنظر فترى أولئك المكذبين بالساعة. تراهم من بعيد، فإذا هي تتغيظ وتزفر فيسمعون زفيرها وتغيظها؛ وهي تتحرق عليهم وتصدع الزفرات غيضاً منهم؛ وهي تتميز من النقمة، وهم إليها في الطريق!.. مشهد رعب يزلزل الأقدام والقلوب »^(٢).
- ٨- ابن عاشور: « والتغيظ: شدة الغيظ. والغيظ: الغضب الشديد. فصيغة التفاعل هنا الموضوعية في الأصل لتكلف الفعل مستعملة مجازاً في قوّته؛ لأن المتكلف لفعل يأتي به كأشد ما يكون. والمراد به هنا صوت المتغيظ، بقرينة تعلقه بفعل ((سمعوا)) فهو تشبيهه بليغ.
- والزفير: امتداد النفس من شدة الغيظ وضيق الصدر، أي صوتاً كالزفير فهو تشبيهه بليغ أيضاً.
- ويجوز أن يكون الله قد خلق لجهنم إدراكاً للمرئيات بحيث تشتد أحوالها عند انطباع المرئيات فيها فتضطرب وتفيض وتتهياً لالتهام بعثها فتحصل منها أصوات التغيظ والزفير، فيكون إسناد الرؤية والتغيظ والزفير حقيقة، وأمور العالم الأخرى لا تقاس على الأحوال المتعارفة في الدنيا »^(٣).
- وذهب إلى مثل ذلك أيضاً كل من الإمام الفراء^(٤)، والبغوي^(٥)،

(١) تفسير الجواهر لطنطاوي جوهرى (١٣١/١٢).

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٥٥٥/٥).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٣٣/١٨).

(٤) معاني القرآن للفراء (٢٦٣/٢).

(٥) مختصر البغوي (٦٥٦/٢).

والزحشري^(١)، وابن كثير^(٢)، والسعدي^(٣).

ولم أجد أحداً رجّح قولاً آخر، وإنما يذكرون أكثر من قول عند تفسيرهم للآية، مع ملاحظة أن أول قول يذكرونه هو القول الراجح لدى الشنقيطي ومن وافقه، وسأذكر كلام بعضهم وأشير إلى البقية اختصاراً، وهم على النحو الآتي:

أ- منهم مَنْ ذكر القول الأول والثاني من الأقوال الواردة في مجمل الأقوال، كالإمام أبي حيان^(٤)، والبيضاوي^(٥)، وأبي السعود^(٦)، وإليك - مثلاً - كلام النسفي حيث قال: قال: «(سمعوا لها تغيظاً وزفيراً)) أي سمعوا صوت غليانها، وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر، أو إذا رأتهم زبانيتهما تغيظوا وزفروا غضباً على الكفار»^(٧).

ب- منهم من ذكر القول الأول والثالث من مجمل الأقوال، كالإمام ابن الجوزي حيث قال: « قوله تعالى: ((سمعوا لها تغيظاً)) فيه قولان:

أحدهما: غليان تغيظ. قال المفسرون:

والمعنى أنها تتغيظ عليهم، فيسمعون

صوت تغيظها وزفيرها كالغضبان إذا غلى

(١) الكشف للزحشري (٣/٢٦٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٣١٠).

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٥٧٩).

(٤) البحر المحيط لأبي حيان (٨/٨٧).

(٥) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/٧٠).

(٦) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/١٦٢).

(٧) مدارك التنزيل للنسفي (٣/١٢٣).

صدره من الغيظ.

والثاني: يسمعون فيها تغيظ المعذبين وزفيرهم»^(١).

ج- ومنهم من ذكر القول الأول والرابع كالإمام المحلي، قال: «(سمعوا لها تغيظاً) غلياناً كالغضببان إذا غلى صدره من الغضب. ((وزفيراً)) صوتاً شديداً. أو سماع التغيظ رؤيته وعلمه»^(٢).

تعقيب الباحث:

يظهر لي - والله أعلم - أن الراجح في بيان معنى الآية هو ما ذهب إليه الشنقيطي ومن وافقه، من أن الذي يسمعه الكفار هو صوت النار - والعياذ بالله - وذلك لأمر:

- ١ - سياق الآية يدل عليه، فإن التاء في ((رأتهم)) والهاء في (لها) عائدة على السعير، ولو كان المراد صوت الزبانية لاختلفت الضمائر.
- ٢ - وجود آيات من القرآن الكريم تؤيد القول الراجح وهي الآيات التي في سورة الملك، وقد ذكرت أثناء كلام الشيخ الشنقيطي في ترجمته.
- ٣ - إجماع المفسرين المتقدمين والمتأخرين على هذا المعنى الراجح.
- ٤ - عدم وجود مرجح لقول آخر، بل ومن ذكر أكثر من قول يبدأ بذكر القول الراجح - لدى الشنقيطي كما سبقت الإشارة إلى ذلك - والله أعلم بالصواب.

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٦/٦).

(٢) تفسير الجلالين ص (٣٠١).



معنى ﴿مُقَرَّنِينَ﴾

١٧- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [سورة الفرقان: ١٣].

مجملة الأقوال الواردة في الآية:

- ١- أن معنى ((مقرنين)): الكفار يقرن - أي يربط - بعضهم إلى بعض في الأصفاد والسلاسل^(١).
- ٢- أن كل كافر يقرن هو وشيطانه^(٢).
- ٣- أن يكون المعنى: قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال وأرجلهم في السلاسل^(٣).
- ٤- أن ((مقرنين)) معناه: مكثفين^(٤).

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (١٢/١١)، أضواء البيان للشنقيطي (٢٩١/٦).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٦/٦).

(٣) جامع البيان للطبري (١٤٠/١٨)، مدارك التنزيل للنسفي (١٢٣/٣).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/١٣)، حكاة عن أبي صالح.

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « وقوله تعالى في هذه الآية
الكريمة ((مقرنين)) أي في الأصفاذ بدليل قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ
مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ [سورة إبراهيم: ٤٩] والأصفاذ القيود.

والأظهر أن معنى ((مقرنين)) أن الكفار يقرن بعضهم إلى بعض في الأصفاذ
والسلاسل، وقال بعض أهل العلم: كل كافر يقرن هو وشيطانه، وقد قال تعالى:
﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴾
[سورة الزخرف: ٣٨].

وهذا أظهر من قول من قال: مقرنين مكتفين، ومن قول من قال: مقرنين أي
قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال^(١).
إذاً يلاحظ أن الشنقيطي رجح قولان يحتملان الآية وهما: أن الكفار يقرن
بعضهم إلى بعض في الأصفاذ، أو أن كل كافر يقرن هو وشيطانه، وحسب الترتيب الذي
ذكرته في مجمل الأقوال فهما القولان الأولان.

الموافقون:

وأعني بهم كل من ذكر أحد القولين الأولين اللذين ذكرهما الشنقيطي في بيان
معنى الآية؛ ومنهم:

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٢٩١).

- ١- الإمام ابن عطية: « ومعنى ((مقرّنين)) مربوط بعضهم إلى بعض، وروي أن ذلك بسلاسل من نار »^(١).
- ٢- وبنفس لفظ ابن عطية قال ابن جزي^(٢).
- ٣- ابن الجوزي - بعد ذكر الآية - قال: « وهم قد قرنوا مع الشياطين »^(٣).
- ٤- وبلغف مقارب له قال طنطاوي جوهرى^(٤).
- ٥- السعدي: « ((وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين)) أي: وقت عذابهم، وهم في وسطها، جمع في مكان بين ضيق المكان، وتزاحم السكان وتقربهم بالسلاسل والأغلال »^(٥).
- ٦- ابن عاشور: « ((مقرّنين)) حال من ضمير ((ألقوا)) أي مقرناً بعضهم في بعض كحال الأسرى والمساجين أن يقرن عدد منهم في وثاق واحد، كما قال تعالى: ﴿وَأَخْرَجْنَا مُمْرِقِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [سورة ص: ٣٨]. والمقرّن: المقرون، صيغت له مادة التفعيل للإشارة إلى شدة القرن »^(٦).

المخالفون:

- قلة من المفسرين اختاروا أحد الأقوال الأخرى في بيان معنى الآية - سوى ما اختاره الشنقيطي - منهم:

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (١٢/١١).
(٢) التسهيل لابن جزي (١٦٣/١٣).
(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٦/٦).
(٤) تفسير الجواهر لطنطاوي جوهرى (١٣١/١٢).
(٥) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٥٧٩).
(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٣٤/١٨).

- ١- الإمام الطبري: « (وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك بثوراً) يقول تعالى ذكره وإذا ألقى هؤلاء المكذبون بالساعة من النار مكاناً ضيقاً قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال دعوا هنالك بثوراً »^(١).
 - ٢- المحلّي: « (مقرنين) مصفدين قد قرنت أي جمعت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال والتشديد للتكثير »^(٢).
 - ٣- البيضاوي: « (مقرنين) قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل »^(٣).
 - ٤- سيد قطب: « ثم ها هم أولاء قد وصلوا. فلم يتركوا لهذا الغول طلقاء. يصارعونها فتصرعهم. ويتحامونها فتغلبهم. بل ألقوا إليها لقاء. ألقوا مقرنين، قد قرنت أيديهم إلى أرجلهم في السلاسل »^(٤).
- ومع قلة الموافقين وقلة المخالفين فإن الأغلب الأعم من المفسرين يذكرون أكثر من قول عند تفسيرهم الآية ولا يمكن تصنيفهم (موافقين - مخالفين) حيث إن الأقوال لتتداخل مع بعضها، وإليكم بعض ما قالوه:
- ١- الإمام البغوي: « (مقرنين) مصفدين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال. وقيل: مقرنين مع الشياطين في السلاسل »^(٥).
 - ٢- ٣- ٤- ٥- ٦- ٧- ٨- ٩- وبعبارة مشابهة لما قاله البغوي قال كل من: النسفي^(٦) والزمخشري^(٧) والنيسابوري^(٨) والفخر الرازي^(١) والحاظن^(٢)

(١) جامع البيان للطبري (١٨/١٤٠).

(٢) تفسير الجلالين ص (٣٠١).

(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/٧٠).

(٤) في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/٢٥٥٥).

(٥) مختصر البغوي (٢/٦٥٦).

(٦) مدارك التنزيل للنسفي (٣/١٢٣).

(٧) الكشاف للزمخشري (٣/٢٦٠).

(٨) إيجاز البيان للنيسابوري (٢/٧٦).

والخازن^(٢) وأبو حيان^(٣) والبقاعي^(٤) وأبو السعود^(٥).

- ١٠- الإمام القرطبي: « ومعنى ((مقرنين)) مكثفين. وقيل: مصفدين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال. وقيل: قرنوا مع الشياطين؛ أي قرن كل واحد منهم إلى شيطانه^(٦). »
- ١١- ويمثل ما ذكره القرطبي قال الشوكاني^(٧).

تعقيب الباحث:

من خلال استعراض ما قاله المفسرون في بيان معنى ((مقرنين)) يظهر لي - والله أعلم - صحة حمل الآية على جميع المعاني المذكورة حيث إن بعض المعاني يشبه ويتداخل بشدة مع بعض المعاني الأخرى فإن القول الرابع (مكتفين) يشبه جداً القول الثالث (قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال وأرجلهم في السلاسل) فإن هذا التقرين من أنواع التكتيف، ثم إن كل معنى من المعاني له مؤيد من آيات القرآن الكريم:

فالقول الأول: أن الكفار يربط بعضهم إلى بعض في الأصفاذ والسلاسل؛ يدل عليه قوله تعالى: ﴿

وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ لسورة إبراهيم: ٤٩.

والقول الثاني: أن كل كافر يقرن هو وشيطانه، يدل عليه قوله تعالى: ﴿يَلَلَيْتَ بَيْنِي

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي (٤٣٨/٨).

(٢) لباب التأويل للخازن (٧٨/٥).

(٣) البحر المحيط لأبي حيان (٨٧/٨).

(٤) نظم الدرر للبقاعي (٣٥٤/١٣).

(٥) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٦٣/٤).

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/١٣).

(٧) فتح القدير للشوكاني (٦٤/٤).

وَبَيِّنَاكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿سورة ص: ١٣٨﴾

وكون آيات من القرآن تدل على معنى آية؛ تفسير للقرآن بالقرآن الذي هو
أحسن أنواع التفسير^(١).

أضف إلى ذلك كون جمهور من المفسرين ربطوا بين عدد من المعاني سواء
صرحوا بذكر الآيات التي استندوا عليها أم لم يصرحوا، وقد سبقت الإشارة إلى عدد كبير
من المفسرين الذين لم يرجحوا أحد الأقوال وإنما اعتبروها كلها أو بعضها تصحح بياناً لمعنى
الآية. والله أعلم بالصواب.



(١) شرح مقلمة التفسير لابن عثيمين ص(١٢٧)، وقواعد التفسير لحالد السبب (١/١٠٩).

مرجع الإشارة في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾

١٨- قوله: ﴿قُلْ أَذَلِكْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ^ج

كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ [سورة الفرقان: ١٥].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

١- أن الإشارة في قوله ((أذلك)) راجعة إلى النار وما يلقاه الكفار فيها من أنواع العذاب^(١).

٢- أن الإشارة راجعة إلى الكنز والجنة^(٢) في قوله تعالى: ﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ

تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾ [سورة الفرقان: ١٨].

٣- أن الإشارة راجعة إلى الجنات والقصور المعلقة على المشيئة^(٣) في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ

الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٥﴾ [سورة الفرقان: ١٥].

ترجيح الشنقيطي:

(١) جامع البيان للطبري (١٤١/١٨)، نظم الدرر للبقاعي (٣/٣٥٥).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٢٩٤)، ذكره ولم ينسبه لأحد.

(٣) المرجع السابق.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « التحقيق أن الإشارة في قوله ((أذلك)) راجعة إلى النار وما يلقاه الكفار فيها من أنواع العذاب ؛ بما ذكره جل وعلا بقوله: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝١١٤ إِذَا رَأَوْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا ۝١١٥ وَإِذَا أَلْقَاوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقْرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ۝١١٦ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ۝١١٧ ﴾ [سورة الفرقان: ١١ - ١١٤]، وغير هذا من الأقوال لا يعول عليه، كقول من قال: إن الإشارة راجعة إلى الكنز والجنة في قوله تعالى: ﴿ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكْوَنُ لَهُ جَنَّةٌ ۝١١٨ ﴾ [سورة الفرقان: ١١٨]، وكقول من قال إنها راجعة إلى الجنات والقصور المعلقة على المشيئة في قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِيٰ إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ مَّجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ۝١١٩ ﴾ [سورة الفرقان: ١١٠].

والتحقيق إن شاء الله تعالى: أنه لما ذكر شدة عذاب النار وفضاعته؛ قال: أذلك العذاب خير أم جنة الخلد.

وهذا المعنى الذي تضمنته هذه الآية الكريمة جاء أيضاً في غير هذا الموضع؛ كقوله تعالى في سورة الصافات: ﴿ إِنَّ هَٰذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٦١ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ۝٦٢ أذَٰلِكَ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ۝٦٣ إِنَّا

جَعَلْنَهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾
 طَلَعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَأَكَلُونَ مِنْهَا فَمَا لُكُونَ مِنْهَا
 الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرَجِعَهُمْ
 لِإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ
 مُّهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴿سورة الصافات: ٦٠ - ٧٠﴾، وكقوله تعالى:

﴿أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿سورة فصلت: ٤٠﴾
 (١)

فالشيخ الشنقيطي إذا يرجح أن الإشارة في قوله تعالى ((أذلك)) راجعة إلى النار وما يلقاه الكفار فيها من العذاب الشديد.

الموافقون:

جمهور المفسرين ذهبوا في بيان مرجع الإشارة إلى مثل ما ذهب إليه الشيخ

الشنقيطي؛ منهم:

- ١ - الإمام البغوي: «(قل أذلك)» يعني الذي ذكرته من صفة النار وأهلها» (٢).
- ٢ - النسفي: «(قل أذلك خير)» أي المذكور من صفة النار خير ((أم جنة الخلد التي وعد

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٢٩٤ - ٢٩٦).

(٢) مختصر البغوي (٢/٦٥٦).

المتقون»^(١).

- ٣- ابن عطية، قال: « والأصح أن الإشارة بقوله: ((ذلك)) إلى النار »^(٢).
- ٤- ابن الجوزي: « قوله تعالى ((قل أذلك)) يعني السعير ((خير أم جنة الخلد)) وهذا تنبيه على تفاوت ما بين المنزلتين، لا على أن في السعير خيراً »^(٣).
- ٥- أبوحيان: « والظاهر أن الإشارة بـ ((ذلك)) إلى النار وأحوال أهلها »^(٤).
- ٦- ابن كثير: « يقول تعالى: يا محمد هذا الذي وصفناه لك من حال الأشقياء الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم فتلقاهم بوجه عبوس وتغيظ وزفير، ويلقون في أماكنها الضيقة^(٥) مقرنين، لا يستطيعون حراكاً ولا استنصاراً ولا فكاكاً مما هم فيه؛ لهذا خير أم جنة الخلد التي وعدها الله المتقين من عباده، التي أعدها لهم وجعلها لهم جزاءً ومصيراً على ما أطاعوه في الدنيا وجعل مآلهم إليها »^(٦).
- ٧- السعدي: « أي: قل لهم - مبيناً لسفاهة رأيهم واختيارهم الضار على النافع - ((أذلك)) الذي وصفت لكم من العذاب ((خير)) أم جنة الخلد التي وعد المتقون »^(٧).
- ٨- سيد قطب: « أذلك الكرب الفظيع خير؟ أم جنة الخلد التي وعدها الله المتقين »^(٨).

المتقين »^(٨).

(١) مدارك التنزيل للنسفي (١٢٣/٣).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (١٥/١١).

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٧/٦).

(٤) البحر المحيط لأبي حيان (٨٨/٨).

(٥) في أصل تفسير ابن كثير قال (الضيق) ولعله خطأ مطبعي، ولا يستقيم المعنى إلا بلفظ (الضيقة) وقد وجدت هذا التصحيح في: مختصر تفسير ابن كثير، للشيخ محمد علي الصابوني (٦٢١/٢).

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣١١/٣).

(٧) تفسير الكريم الرحمن للسعدي (٥٧٩).

(٨) في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٥٥٥/٥).

وممن اختاره أيضاً الإمام الطبري^(١) والبقاعي^(٢) والشوكاني^(٣) وغيرهم^(٤).
ولم أجد أحداً اختار قولاً مخالفاً.

تعقيب الباحث:

الذي يظهر - والله أعلم - أن الراجح رجوع الإشارة إلى السعير وما أعد الله ﷻ فيها من العذاب الشديد للكفار. وهو القول الذي رجحه الشيخ الشنقيطي ومن وافقه، والأدلة على رجحان هذا القول أمور عدة؛ منها:

- ١ - دلالة آيات أخرى من القرآن الكريم على هذا القول الراجح، وقد سبق أنفاً ذكر الآيات الواردة في سورة الصافات، وفي سورة فصلت المؤكدة لهذا القول تحت فقرة ترجيح الشنقيطي، ومعلوم أن تفسير القرآن بالقرآن هو أعلى درجات التفسير وأقواها، وأول ما يجب على المفسر أن يطلبه عند تفسير كتاب الله ﷻ^(٥).
- ٢ - دلالة السياق على هذا المعنى الراجح، فإن سياق الآيات في أن الله ﷻ أعد لمن كذب بالساعة سعيراً وهي جهنم وأنها إذا رأت الكفار تغيطت وزفرت وأن الأماكن التي يلقي فيها الكفار في جهنم ضيقة وأنهم يُلقون فيها وهم مقيدون مكبلين، فإذا ألقوا فيها دَعَوْا على أنفسهم بالهلاك، ثم يختتم الله ﷻ هذا الوصف الرهيب لجهنم وما أعد فيها للمكذبين بقوله: ((أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون))، وفي هذا دلالة واضحة من ظاهر السياق^(٦) على رجوع الإشارة إلى السعير.

(١) جامع البيان للطبري (١٤١/١٨).

(٢) نظم الدرر للبقاعي (٣٥٥/١٣).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٦٤/٤).

(٤) الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٦٠/٤)، وابن جزى في التسهيل (١٦٣/٣).

(٥) الإتيان للسيوطي (٤٩٧/٢)، شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين (١٢٧)، قواعد التفسير لخالد السبت (١٠٩/١).

(٦) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (١٢٥/١)، قاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله

٣- من القواعد الترجيحية المقررة لدى أئمة التفسير والتي يمكننا بها تأييد القول الراجح ؛ قاعدة: توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها^(١). وبتطبيقها على المثال الذي نحن بصده نجد الضمائر في ((رأتهم)) و ((سمعوا لها)) و ((ألقوا منها)) وكذلك الإشارة المكانية^(٢) في قوله ((هنالك)) كلها تعود على لفظ ((سعيراً))، تأمل معي الآيات ؛ قال تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ

كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا صَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَاَدْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَلِكْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴿١٥﴾

كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ [سورة الفرقان: ١١ - ١٥]، فإذا من الأولى أن ترجع الإشارة بقوله ((أذلك)) أيضاً إلى لفظ ((سعيراً)).

٤- ومن القواعد التي يتقوى بها القول الراجح ؛ قاعدة: رجوع الضمير إلى أقرب مذكور^(٣)، وإن أقرب مذكور يمكن أن ترجع الإشارة إليه ب ((ذلك)) هو لفظ

وما بعده أولى...
(١) الإتيان للسيوطي (٥٠٩/١)، قواعد التفسير لخالد السبت (٤١٤/١)، قواعد الترجيح عند المفسرين لحسن الحربي (٦١٣/٢).
(٢) ((هنالك)) اسم إشارة في محل نصب على الظرفية المكانية، وهو متعلق ب ((دعوا)) في ذلك المكان. إعراب القرآن الكريم وبيانه لحجي الدين الدرويش (٦٧٧/٦).
(٣) الإتيان للسيوطي (٥٠٨/١)، قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٦٢١/٢).

((سعيراً)).

- ٥- ومن الأدلة على تقوية القول الراجح إجماع المفسرين قديماً وحديثاً عليه، وقد ذكرت أقوال عددٍ من المفسرين من عصور مختلفة، هذا مع عدم وجود مخالف لما رجحوه - والله أعلم بالصواب - .



المراد بالوعد المسئول

١٩- قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ
وَعَدًا مَّسْئُولًا﴾ [سورة الفرقان: ١١٦].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

- ١- أن معنى مسئولاً أي مطلوباً^(١)، والذي يسأل ويطلب صنفان:
أ- المؤمنون يطلبون الله ﷻ وهم في دار الدنيا أن ينجز لهم ما وعدهم على السنة
الرسول، يدل عليه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَعَاثَنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ
وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [سورة آل
عمران: ١٩٤].
- ب- أن الملائكة تطلب وتساءل ذلك الموعود للمؤمنين، يدل عليه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا
وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ
وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ [سورة غافر: ٨].
- ٢- أن معنى مسئولاً أي واجباً^(٢)؛ لأن ما وعد الله ﷻ به فهو واجب الوقوع لأنه لا يخلف الميعاد،

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٧/٦)، أنوار التنزيل البيضاوي (٧٠/٢).
(٢) معاني القرآن للفراء (٢٦٣/٢)، أضواء البيان للشنقيطي (٢٩٧/٦).

وهو جل وعلا يوجب على نفسه بوعده الصادق ما شاء لا معقب لحكمه.

٣- أن المسلمين يوم القيامة يقولون: قد فعلنا في دار الدنيا كل ما أمرتنا به فأنجز لنا ما وعدتنا^(١).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « وقوله تعالى: ((كان على ربك وعداً مستولاً)) فيه وجهان معروفان:

أحدهما: أن معنى كونه مستولاً أن المؤمنين كانوا يسألونه، وكانت الملائكة أيضاً تسأله لهم، أما سؤال المسلمين له فقد ذكره تعالى بقوله عنهم: ﴿رَبَّنَا وَإِنَّا مَا

وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا نُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٤٦﴾

[سورة آل عمران: ١٩٤]، وسؤال الملائكة لهم إياه ذكره تعالى أيضاً في قوله: ﴿رَبَّنَا

وَأَدْخَلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ ﴿سورة غافر: ١٨﴾.

وقال بعض العلماء: مستولاً، أي واجباً؛ لأن ما وعد الله ﷻ به فهو واجب الوقوع؛ لأنه لا يخلف الميعاد، وهو جل وعلا يوجب على نفسه بوعده الصادق ما شاء لا معقب لحكمه. ويستأنس لهذا القول بلفظ على في قوله: ((كان على ربك وعداً مستولاً))

كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿سورة الروم: ٤٧﴾.

وقال بعض أهل العلم: إن المسلمين يوم القيامة يقولون: قد فعلنا في دار الدنيا كل ما

(١) ذكره الشنقيطي ولم ينسبه لأحد، أضواء البيان (٢٩٧/٦).

أمرتنا به فأنجز لنا ما وعدتنا. والقولان الأولان أقرب من هذا. والعلم عند الله تعالى»^(١).

الموافقون:

المعنى الذي ذهب إليه الشيخ الشنقيطي أن الوعد المسئول: أي المطلوب سواء طلبه المؤمنون لأنفسهم أو طلبته لهم الملائكة، وأن هذا الوعد المسئول واجب قد أوجبه الله جل وعلا لعباده المتقين وهو جل وعلا لا يخلف الميعاد؛ قد اختاره أيضاً وقال به عدد من أئمة التفسير، منهم:

١- الإمام النسفي: «(على ربك وعداً) أي موعوداً ((مسئولاً)) مطلوباً أو حقيقةً أن يُسأل أو قد سأله المؤمنون والملائكة في دعواتهم ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [سورة آل عمران: ١٩٤] ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [سورة البقرة: ٢٠١] ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾ [سورة غافر: ٨]»^(٢).

٢- ابن عطية: «وقوله تعالى: ((وعداً مسئولاً)) يحتمل معنيين: أحدهما أنه مسئول لأن المؤمنين سألوه أو يسألونه، وروي أن الملائكة سألت الله تعالى تنعيم المتقين فوعدهم بذلك. والمعنى الثاني ذكره الطبري^(٣) عن بعض أهل العربية: أن يريد وعداً واجباً قد حتمه، فهو لذلك معدٌ أن يُسأل ويقتضى»^(٤).

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٢٩٧/٦).

(٢) مدارك التنزيل للنسفي (١٢٣/٣).

(٣) جامع البيان (١٤١/١٨).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (١٥/١١) بتصرف.

٣- ابن الجوزي: « وفي معنى ((مستولاً)) قولان: أحدهما: مطلوباً، وفي الطالب له قولان: أحدهما: أنهم المؤمنون، سألوا الله ﷻ في الدنيا إنجاز ما وعدهم به، والثاني: أن الملائكة سألته ذلك لهم وهو قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ ﴾ [سورة غافر: ٨]، والثاني: أن معنى المسؤل: الواجب»^(١).

٤- ابن جزى: « ((وعداً مستولاً)) أي سأله المؤمنون أو الملائكة في قولهم: ((وأدخلهم جنات عدن))، وقيل معناه وعداً واجب الوقوع لأنه حتمه»^(٢).

٥- البيضاوي: « الوعد: الموعود؛ أي كان ذلك موعوداً حقيقاً بأن يُسأل ويطلب، أو مستولاً سأله الناس في دعائهم ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾

[سورة آل عمران: ١٩٤]، أو الملائكة بقوله: ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ

عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ ﴾ [سورة غافر: ٨]. وما في ((على)) من معنى الوجوب؛

لامتناع الخلف في وعده تعالى □»^(٣).

المخالفون:

وأعني بالمخالفين في هذا الموضوع الذين اختاروا قولاً واحداً من المعاني التي تحملها الآية، فمنهم من جعل معنى الوعد المسؤل هو أن المؤمنين يطلبون ذلك الوعد لأنفسهم وهم في الدنيا؛ ومن قال به: الإمام الفراء^(٤)، والطبري^(٥)، والسعدي^(١)، وسيد

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٧/٦).

(٢) التسهيل لابن جزى (١٦٣/٣).

(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي (٧٠/٢).

(٤) معاني القرآن للفراء (٢٦٣/٢).

(٥) جامع البيان للطبري (١٤١/١٨).

وسيد قطب^(٢).

ومنهم من اعتبر المعنى أن الملائكة تطلب ذلك النعيم للمؤمنين ؛ ومن قال به :
الإمام الزجاج^(٣).

ومنهم من اعتبر معنى الوعد المسئول طلب المؤمنين ذلك لأنفسهم وطلب
الملائكة ذلك للمؤمنين ؛ ومن قال به : الإمام البغوي^(٤) ، والنيسابوري^(٥) .
ومنهم من حدد معنى ((مسئولاً)) أي واجباً محتماً جعله الله جل وعلا وهو لا
يخلف الميعاد لعباده المتقين ؛ ومن قال به : الإمام ابن كثير^(٦) ، والبقاعي^(٧) .
وها كم بعض أقوالهم :

١- الإمام الطبري : « وقوله ((كان على ربك وعداً مسئلاً)) وذلك أن المؤمنين سألوا
ربهم ذلك في الدنيا حين قالوا ((آتنا ما وعدتنا على رسلك)) يقول الله تبارك وتعالى
كان إعطاء الله المؤمنين جنة الخلد التي وصف صفتها في الآخرة وعداً وعدهم الله
على طاعتهم إياه في الدنيا ومسألتهم إياه ذلك »^(٨) .

٢- الزجاج : « ((كان على ربك وعداً مسئلاً)) مسؤل ذلك قول الملائكة ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٥٨٠)..

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٥٥٥/٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٦٠/٤).

وهو: أبو إسحاق بن السري بن سهل الزجاج ، كان من أهل الفضل والدين ، حسن الاعتقاد ،
جميل المذهب ، من تصانيفه (معاني القرآن) وآخر ما سُمِعَ منه : اللهم احشرنني على مذهب أحمد بن
حنبل . توفي سنة (٣١١هـ) . طبقات المفسرين (٧/١).

(٤) مختصر البغوي (٦٥٧/٢).

(٥) إيجاز البيان للنيسابوري (٧٧/٢).

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣١١/٣).

(٧) نظم الدرر للبقاعي (٣٥٦/١٣).

(٨) جامع البيان للطبري (١٤١/١٨).

جَنَّتِ عَدْنِ الَّتِي وَعَدْتُهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ ﴿سورة غافر: ٤٨﴾^(١).

٣- النيسابوري: « (وعداً مستولاً) هو قول الملائكة ((ربنا وأدخلهم)) أو قول المؤمنين ((ربنا آتنا ما وعدتنا))^(٢) .

٤- البقاعي: « (كان) أي ذلك كله ((على ربك)) أي المحسن إليك بالإحسان إلى اتباعك ((وعداً)). ولما أشار سبحانه إلى إيجاب ذلك على نفسه العظيمة بالتعبير بـ ((على)) والوعد، وكان الإنسان لاسيما الكريم مجبولاً على عزة النفس، لا يكاد يسمح بأن يسأل فيما لا يحقق حصوله، قال: ((مستولاً)) أي حقيقاً بأن يسأل إنجازَه؛ لأن سائله خليق بأن يجاب سؤاله، وتحقيق ظنونه وآماله، فالعنى أنه إذا انضاف إلى تحميمه الشيء على نفسه سؤال الموعود به إياه، أنجزه لا محالة^(٣) .

تعقيب الباحث:

الذي يظهر - والله أعلم - صحة حمل الآية على جميع المعاني، سواء أريد بالوعد المستول طلب المؤمنين لأنفسهم وهم في الدنيا أو طلب الملائكة للمؤمنين أو كونه واجباً محتملاً واقعاً لا محالة بوعد الله ﷻ وهو لا يخلف الميعاد. فإن اللفظ في الآية إن احتمل عدة معان ولم يمتنع إرادة الجميع صح الحمل عليها^(٤).

أما القول الأخير الوارد في مجمل الأقوال وهو أن المؤمنين يسألون ذلك يوم القيامة؛ فلم أجد أحداً من المفسرين رجّحه، بل لقد ردّ عليه الإمام الفراء بأن هذا الأمر في

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/٦٠).

(٢) إيجاز البيان للنيسابوري (٢/٧٧).

(٣) نظم الدرر للبقاعي (١٣/٣٥٦).

(٤) قواعد التفسير لخالد السبت (٢/٨٠٧).

« يوم القيامة غير مسئول »^(١). والله أعلم بالصواب.



المراد بالمعبودين من دون الله

٢٠- قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ
ءَأَنْتُمْ أَضَلُّتُمْ عِبَادِي هَتُولَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴾^(٢) قَالُوا
سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ
وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعِآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا

﴿سورة الفرقان: ١٧ - ٢١٨﴾

مجمل الأقوال الواردة:

- ١- أن المراد بالمعبودين: الملائكة والإنس والجن والمسيح وعزير^(٢).
- ٢- أن المراد بالمعبودين: الأصنام^(٣).
- ٣- أن المراد بالمعبودين: عام وشامل لكل ما عُبد من دون الله ﷻ، سواء العقلاء
كالملائكة والإنس والجن والمسيح وعزير أو غير العقلاء كالأصنام^(٤).

(١) معاني القرآن للفراء (٢/٢٦٣).

(٢) جامع البيان للطبري (١٨/١٤٢)، الجامع لأحكام القرآن (١٣/١٠).

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/٢٦٤)، الجامع لأحكام القرآن (١٣/١٠).

(٤) نظم الدرر للبقاعي (١٣/٣٦٠)، فتح القدير للشوكاني (٤/٦٦).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « الأظهر عندي شمول المعبودين المذكورين للأصنام مع الملائكة وعيسى وعزير؛ لأن ذلك تدل عليه قرئتان قرآنيتان:

الأولى: أنه عبر عن المعبودين المذكورين بـ (ما) التي هي لغير العاقل في قوله: ((ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله)). فلفظة ((ما)) تدل على شمول غير العقلاء، وأنه غلب غير العاقل لكثرتة.

القرينة الثانية: هي دلالة آيات من كتاب الله، على أن المعبودين غافلون عن عبادة من عبدهم؛ أي لا يعلمون بها لكونهم غير عقلاء، كقوله تعالى في سورة يونس:

﴿ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا

بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ سورة

يونس: ٢٨ - ٢٩، وإنما كانوا غافلين عنها لأنهم جماد لا يعقلون، وإطلاق اللفظ المختص بالعقلاء عليهم، نظراً إلى أن المشركين نزولهم منزلة العقلاء،

وكقوله تعالى في الأحقاف: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ

مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُدًى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ
غَافِلُونَ ﴿٦﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا
بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ [سورة الأحقاف: ٥ - ٦]. فقد دل قوله تعالى:

((وهم عن دعائهم غافلون)) على أنهم لا يعقلون، ومع ذلك قال: ((وإذا
حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين))، وكقوله تعالى في
العنكبوت: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ
وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [سورة العنكبوت: ٢٥] فصرح بأنهم

أوثان ثم ذكر أنهم هم وعبدتهم يلعن بعضهم بعضاً^(١).

إذا فالشيخ الشنقيطي يرى أن معنى الآية شامل لكل ما عبُد من دون الله ﷻ
سواء العقلاء أو غير العقلاء.

الموافقون:

قال مثل القول الذي ذهب إليه الشنقيطي عدد من أئمة التفسير، منهم:

١ - ابن جزري، قال: « (فيقول أنتم أضللتهم عبادي هؤلاء) القائل لذلك هو الله ﷻ،
والمخاطب هم المعبودون مع الله على العموم، وقيل الأصنام خاصة، والأول أرجح

- ٢- ابن القيم - بعد أن أورد الآية - قال: «عام في كل عابد ومن عبده من دون الله ﷻ»^(٢).
- ٣- ابن كثير، قال: «يقول تعالى مخبراً عما يقع يوم القيامة من تفرقة الكفار في عبادتهم من عبدوا من دون الله من الملائكة وغيرهم فقال: ((ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله))»^(٣).
- ٤- البقاعي، قال: «((وما يعبدون)) أي من الملائكة والإنس والجن وغيرهم ممن يعقل ومن لا يعقل، ونبه على سفول رتبته عن ذلك وعدم أهليتهم بقوله: ((من دون الله)) أي الملك الأعلى الذي لا كفؤ له. وذكر بلفظ ((ما)) إشارة إلى أن ناطقتها وصامتة جماد بل عدم؛ بالنسبة إليه سبحانه بما أشار إليه التعبير بالاسم الأعظم الدال على جميع الكمال، مع أن ((ما)) موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم، وإن كان أكثر استعماله في غير العقلاء»^(٤).
- ٥- الشوكاني، قال: «((وما يعبدون من دون الله)) معطوف على مفعول نحشر، وغلب غير العقلاء من الأصنام والأوثان ونحوها على العقلاء من الملائكة والجن والمسيح تنبيهاً على أنها جميعاً مشتركة في كونها غير صالحة لكونها آلهة، أو لأن من يعبد من لا يعقل أكثر ممن يعبد من يعقل منها، فغلبت اعتباراً بكثرة من يعبدها»^(٥).
- ٦- سيد قطب، قال: «وما يعبدون من دون الله قد يكونون هم الأصنام. وقد يكونون هم الملائكة والجن، وكل معبود من دون الله. وإن الله ليعلم؛ ولكن الاستجواب هكذا في الساحة الكبرى، وهم محشورون أجمعين، فيه تشهير وتأنيب، وهو ذاته

(١) التسهيل لابن جزي (١٦٣/٣).

(٢) بدائع التفسير لابن القيم (٢٨٥/٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣١٢/٣).

(٤) نظم الدرر للبقاعي (٣٦٠/١٣).

(٥) فتح القدير للشوكاني (٦٦/٤).

عذاب مرهوب! والجواب هو الإنابة من هؤلاء (الآلهة)! الإنابة لله الواحد القهار. وتنزيهه عن ذلك الافتراء، والتبرؤ لا من ادعاء الألوهية؛ ولكن من مجرد أن يتخذوا لهم أولياء من دون الله، والزراية^(١) على أولئك الجاحدين الجهال: ((قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء))^(٢).

المخالفون:

- ١- الإمام الفراء - بعد أن أورد الآية - قال: « قالت الأصنام ما كان لنا أن نعبد غيرك، فكيف ندعو إلى عبادتنا »^(٣).
- ٢- ابن الجوزي: « ((قالوا)) يعني الأصنام ((سبحانك)) نزهوا الله تعالى أن يُعبد غيره ((ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء)) نوالهم؛ والمعنى: ما كان ينبغي لنا أن نعبد نحن غيرك، فكيف ندعو إلى عبادتنا؟! فدل هذا الجواب على أنهم لم يأمرُوا بعبادتهم »^(٤).
- ٣- أبوحيان: « ((وما يعبدون)) قال الضحاك وعكرمة: الأصنام التي لا تعقل يقدرها الله على هذه المقالة من الجواب. وقال الكلبي « يحيي الله الأصنام يومئذ لتكذب عابديها. وقال الجمهور: من عبد ممن يعقل ممن لم يأمر بعبادته كالملائكة وعيسى وعزير؛ وهو الأظهر، لقوله ((أأنتم أضللتم)) وما بعده من المحاوراة التي ظاهرها أنها لا تصدر إلا من العقلاء، وجاء ما يشبه ذلك منصوصاً في قوله: ﴿ ثُمَّ يَقُولُ^(٥) لِلْمَلٰٓئِكَةِ أَهٰٓؤُلَآءِ اِيَّاكُمْ

(١) الزراية: العيب. مختار الصحاح ص(٢٧١)، مادة: زرى.

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٥٥٥/٥).

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/٢٦٤).

(٤) زاد المسير لابن الجوزي (٦/٨).

(٥) هذه اللفظة فيها قراءتان فقط: بالياء؛ حفص ويعقوب، وبالنون، الباقون (القراءات العشر

كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿سورة سبأ: ٤٠﴾، ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي

وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة المائدة: ١١٦]، وسؤاله تعالى وهو عالم

بالمسؤول عنه ليجيبوا بما أجابوا به فيبكت عبدتهم بتكذيبهم إياها فيزيد حسرتهم ويسرُّ المؤمنون بحالهم ونجاتهم من فضيحة أولئك^(١).

تعقيب الباحث:

الذي يظهر - والله أعلم - أن الراجح هو شمول معنى الآية لكل ما عبد من دون الله ﷻ سواء كانوا من العقلاء أو من غير العقلاء، وذلك لأمر:

١- ما عبر عنه في الآية بلفظ (ما) الدالة على غير العقلاء والتي استدل بها الشنقيطي ومن وافقه على شمول الآية للعقلاء وغير العقلاء، باعتبار أن من الحالات التي تستخدم فيها (ما) إذا اختلط العقلاء مع غير العقلاء في المعنى، وهذه من القواعد المهمة عند علماء اللغة^(٢)، وعند المفسرين^(٣) في فهمهم لآيات الذكر الحكيم.

٢- إلحاقاً للنقطة السابقة في أن من مسوغات إطلاق (ما) على العقلاء مع أنها أصلاً في اللغة لغير العقلاء؛ في حالة إذا ما اختلطوا ببعضهم، فبناء عليه استنبط المفسرون المعنى من نواح:

أ- أنه بورود لفظة (ما) غلب غير العقلاء من الأصنام والأوثان ونحوها على

المتواترة، محمد كريم راجح ص(٤٣٣)، وقد وردت في البحر المحيط لأبي حيان بالتاء، ولعله خطأ مطبعي والصحيح هو ما أثبتته.

(١) البحر المحيط لأبي حيان (٩٠/٨).

(٢) منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل لمحمد محي الدين (١٤٧/١).

(٣) قواعد التفسير لخالد السبت (٥٥١/٢).

العقلاء من الملائكة والجن والمسيح تنبيهاً على أنها جميعاً مشتركة في كونها غير صالحة لأن تكون آلهة^(١).

ب- أو لأن من يعبد من لا يعقل أكثر ممن يعبد من يعقل منها، فغلبت اعتباراً بكثرة من يعبدها^(٢).

ج- أنه غلبت العبارة عما لا يعقل من الأوثان لأنها كانت الأغلب وقت المخاطبة^(٣).

د- أو أنه غلب غير العقلاء من الأصنام ونحوها تحقيراً لكل عابد عبد غير الله ﷻ^(٤).

٣- في احتجاج القائلين بأن المراد بالآية المعبودون من دون الله ﷻ من العقلاء بناء على المحاورة المذكورة في نفس الآيات التي نحن بصددنا وهي قوله تعالى: ﴿ءَأَنْتُمْ أَضَلُّتُمْ

عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ

وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿٧٨﴾ ﴿سورة

الفرقان: ١٧ - ١٨، والآيات الواردة في شأن الملائكة^(٥) وعيسى^(١) عليهم

(١) فتح القدير للشوكاني (٦٦/٤).

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي (٧٠/٢)، وفتح القدير للشوكاني (٦٦/٤).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (١٦/١١).

(٤) أنوار التنزيل (٧٠/٢).

(٥) قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا

يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ ﴿سورة سبأ: ٤٠﴾.

السلام. يرد عليهم بقدرة الله ﷻ على إنطاق كل شيء ومنها الأصنام وكل ما عبد من دون الله ﷻ مما لا يعقل، كما أنطق الجلود والأيدي والأرجل^(٢).

٤ - أن معنى الغفلة في الآيات^(٣) التي استدلت بها الشيخ الشنقيطي أن المراد بها لا يعلمون لكونهم غير عقلاء فيه نظر، فإن معنى الغفلة فيها أعم من ما ذكر، نعم أية سورة الأحقاف اتفق المفسرون على أن المراد بها الأصنام وكل جماد؛ وأنهم غافلون أي لا يعقلون ولا يبصرون ولا يسمعون شيئاً مما يدعوهم به المشركون، لكن أية سورة يونس معنى الغفلة فيها غير ذلك لأن الآية عامة في كل ما عبد من دون الله ﷻ،

(١) قوله تعالى: ﴿ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ

اللَّهِ﴾ [سورة المائدة: ١١٦].

(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا

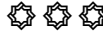
أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة فصلت: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة يس: ٦٥] وغيرها.

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ [سورة

بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلِينَ﴾ [سورة يونس: ٢٨ - ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ

غَافِلُونَ﴾ [سورة الأحقاف: ١٥]. وقد سبق ذكرها تحت فقرة ترجيح الشنقيطي.

فيراد بالغفلة أنهم لا يعلمون شيئاً عن تلك العبادة ولم يأمرُوا بها ولا يرضون بها،
وهذا المعنى ذكره عدد من أعلام المفسرين كالطبري^(١) والشوكاني^(٢)، والسعدي^(٣)
وغيرهم^(٤).



(١) جامع البيان للطبري (٧٩/١١).
(٢) فتح القدير للشوكاني (٤٥٦/٢).
(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٣٦٣).
(٤) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٥٠٩٨/١١).

معنى ﴿نَسُوا﴾

٢١- قوله: ﴿حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ﴾ [سورة الفرقان: ١٨].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

- ١- أن معنى نسوا: تركوا^(١).
- ٢- أن معنى نسوا: غفلوا^(٢).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : «الظاهر أن معنى نسوا:

تركوا»^(٣).

الموافقون:

وأعني بهم كل من فسّر النسيان في الآية بأنه التَّرك والنسيان المتعمد، ومنهم:

- ١- ابن الجوزي: «((حتى نسوا الذكر)) أي تركوا الإيمان بالقرآن والاتعاظ به»^(٤).
- ٢- القرطبي: «((حتى نسوا الذكر)) أي تركوا ذكرك فأشركوا بك بطراً وجهلاً فعبدونا

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/١٣).

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي (٧٠/٢).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٣٠٠/٦).

(٤) زاد المسير لابن الجوزي (٨/٦).

من غير أن أمرناهم بذلك»^(١).

- ٣- الخازن: « ((حتى نسوا الذكر)) معناه تركوا المواعظ والإيمان بالقرآن»^(٢).
- ٤- المحلي: « ((حتى نسوا الذكر)) تركوا الموعدة والإيمان بالقرآن»^(٣).
- ٥- ابن عاشور: « والنسيان مستعمل في الإعراض عن عمد على وجه الاستعارة لأنه إعراض يشبه النسيان في كونه من غير تأمل»^(٤).

المخالفون:

- وأعنى بهم الذين حملوا النسيان في الآية على معنى النسيان المتبادر إلى الذهن والذي يقصد به الغفلة والذهول عن الشيء، فمنهم:
- ١- أبوحيان: « والمعنى: لكن لما أكثرت عليهم وعلى آباؤهم النعم وأطلت أعمارهم وكان يجب عليهم شكرها والإيمان بما جاءت به الرسل، فكان ذلك سبباً للإعراض عن ذكر الله»^(٥).
 - ٢- البيضاوي: « ((حتى نسوا الذكر)) حتى غفلوا عن ذكرك أو التذكر لآلائك والتدبر في آياتك»^(٦).
 - ٣- أبو السعود: « ((حتى نسوا الذكر)) أي: غفلوا عن ذكرك، أو عن التذكر في آلائك والتدبر في آياتك فجعلوا أسباب الهداية بسوء اختيارهم ذريعة إلى الغواية»^(٧).
 - ٤- الشوكاني: « ((حتى نسوا الذكر)) حتى غفلوا عن ذكرك ونسوا موعظتك والتدبر

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/١٣).
(٢) لباب التأويل للخازن (٧٩/٥).
(٣) تفسير الجلالين ص (٣٠١).
(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٤٠/١٨).
(٥) البحر المحيط لأبي حيان (٩٢/٨).
(٦) أنوار التنزيل للبيضاوي (٧٠/٢).
(٧) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٦٦/٤).

لكتابتك والنظر في عجائب صنعك وغرائب مخلوقاتك»^(١).

- ٥- السعدي: « ((حتى نسو الذكر)) اشتغلاً في لذات الدنيا، وانكباً على شهواتها، فحافظوا على دنياهم وضعوا دينهم»^(٢).
- ٦- سيد قطب: « ((ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر)) فهذا المتاع الطويل المورث - على غير معرفة بواهب النعمة ولا توجه ولا شكر - قد ألهاهم وأنساهم ذكر المنعم»^(٣).

تعقيب الباحث:

يتضح من استعراض أقوال المفسرين صحة حمل (نسوا) على المعنيين المذكورة سواء أريد بالنسيان الترك المتعمد أو أريد به معنى النسيان المتبادر إلى الذهن الذي هو الغفلة والذهول عن الشيء، وذلك أن سياق الآية محتمل لكلا المعنيين ((ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر...)) فإن انشغال الإنسان بمُتَع الحياة الدنيا التي وهب الله ﷻ إياها يؤدي به إلى نسيان ذكر الله ﷻ وشكره على نعمه إما غفلة أو تركاً متعمداً. والله أعلم بالصواب.



(١) فتح القدير للشوكاني (٦٧/٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٥٨٠).

(٣) في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٥٥٥/٥).

المراد بالذكر في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نُسُوا ٱلذِّكْرَ﴾

٢٢- قوله تعالى: ﴿وَلٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَاَبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نُسُوا ٱلذِّكْرَ﴾ لسورة

الفرقان: ١٨.

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

- ١- أن الذكر هو ما جاءت به الرسل من التوحيد^(١).
- ٢- أن المراد بالذكر: القرآن.
- ٣- أن الذكر في هذه الآية يراد به: الشكر على إحسان الله ﷻ بنعمه وآلائه على العباد^(٢).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : «الأظهر أن الذكر هو ما جاءت به الرسل من التوحيد»^(٣).

الموافقون:

- ١- النسفي: « ((حتى نسوا الذكر)) أي ذكر الله ﷻ والإيمان به والقرآن

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٣١٢).

(٢) القولان الثاني والثالث ذكرهما القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١١/١٣).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٣٠٠).

والشرائع □»^(١).

- ٢- ابن عطية: « نسوا الذكر ؛ أي: ما ذكر به الناس على السنة الأنبياء »^(٢).
- ٣- الفخر الرازي: « الذكر: ذكر الله والإيمان به والقرآن والشرائع »^(٣).
- ٤- ابن كثير: « ((حتى نسوا الذكر)) أي نسوا ما أنزلت إليهم على السنة رسلك من الدعوة إلى عبادتك وحدك لا شريك لك »^(٤).
- ٥- البقاعي: « ((حتى نسوا الذكر)) الذي لا ينبغي أن يطلق الذكر على غيره، وهو الإيمان بكل ما أرسلت به سبحانه رسلك، ببرهان ما يعرفه كل عاقل من نفسه بما وهبته من غريزة العقل من أنه لا يصح بوجه أن يكون الإله إلا واحداً »^(٥).
- ٦- طنطاوي جوهرى: « ((حتى نسوا الذكر)) تركوا توحيدك وطاعتك والمواظب والإيمان وغفلوا عن ذكرك »^(٦).

المخالفون:

وأعنى بهم الذين بينوا أن المراد بالذكر في الآية القرآن الكريم والإيمان به. أما القول الثالث في مجمل الأقوال وهو أن يراد بالذكر شكر الله ﷻ على إحسانه إلى عباده بالنعم فلم أجد من جزم بترجيحه بياناً لمعنى الآية إنما ذكره القرطبي^(٧) على أنه أحد الأقوال الأقوال الواردة في الآية، وذكره الشوكاني^(٨) بصيغة التمرىض (قيل). فمن الذين اختاروا قولاً مخالفاً لما ذهب إليه الشنيطي:

- (١) مدارك التنزيل للنسفي (١٢٤/٣).
- (٢) المحرر الوجيز لابن عطية (١١/١٨).
- (٣) التفسير الكبير للفخر الرازي (٤٤٤/٨).
- (٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣١٢/٣).
- (٥) نظم الدرر للبقاعي (٣٦٣/١٣).
- (٦) تفسير الجواهر لطنطاوي جوهرى (١٣٢/١٢).
- (٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/١٣).
- (٨) فتح القدير للشوكاني (٦٧/٤).

- ١- ابن الجوزي: « ((حتى نسوا الذكر)) أي تركوا الإيمان بالقرآن والاعتاظ به »^(١).
- ٢- الخازن: « ((حتى نسوا الذكر)) معناه تركوا المواعظ والإيمان بالقرآن »^(٢).
- ٣- المحلي: « ((حتى نسوا الذكر)) تركوا الموعدة والإيمان بالقرآن »^(٣).
- ٤- الشوكاني: « ((حتى نسوا الذكر)) حتى غفلوا عن ذكرك ونسوا موعظتك والتدبر لكتابك والنظر في عجائب صنعك وغرائب مخلوقاتك »^(٤).
- ٥- ابن عاشور: « والذكر: القرآن لأنه يتذكر به الحق »^(٥).

أما من بينوا معنى الآية دون ترجيح أو تحديد لقول معين، إنما ذكروا قولين أو أكثر مما يحتمله معنى الآية فمنهم:

- ١- البغوي: « ((حتى نسوا الذكر)) تركوا الموعدة والإيمان بالقرآن. وقيل: تركوا ذكركم وغفلوا عنه »^(٦).
- ٢- الزمخشري: « والذكر: ذكر الله والإيمان به، أو القرآن والشرائع »^(٧).
- ٣- القرطبي: « وفي الذكر قولان: أحدهما: القرآن المنزل على الرسل؛ تركوا العمل به. الثاني: الشكر على الإحسان إليهم والإنعام عليهم »^(٨).
- ٤- أبوحيان: « و((الذكر)) ما ذكر به الناس على السنة الأنبياء أو الكتب المنزلة أو القرآن »^(٩).

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٨/٦).
(٢) لباب التأويل للخازن (٧٩/٥).
(٣) تفسير الجلالين ص (٣٠١).
(٤) فتح القدير للشوكاني (٦٧/٤).
(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٤٠/١٨).
(٦) مختصر البغوي (٦٥٧/٢).
(٧) الكشاف للزمخشري (٢٦٣/٣).
(٨) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/١٣).
(٩) البحر المحيط لأبي حيان (٩٢/٨).

تعقيب الباحث:

يظهر لي - والله أعلم - رجحان ما ذهب إليه الشنقيطي ومن قال مثل قوله من أن الذكر - في هذه الآية - يراد به كل ما جاء على ألسنة الرسل والأنبياء - عليهم السلام - من التوحيد، وذلك لأمرين:

- ١ - كون سياق الآية يدل عليه ((ولكن متعتهم وآباءهم...)) فلو كان يراد بالذكر - هنا - القرآن لاكتفى في ذكر المتعة بهم فقط - أعني المشركين - ولا داعي لذكر آبائهم فإنهم لم يكونوا موجودين عند بعثة النبي ﷺ ونزول القرآن.
- ٢ - إن هذا القول يتقوى - أيضاً - بقاعدتين من قواعد الترجيح عند المفسرين المتعلقة بمرجع الضمائر على النحو الآتي:

أ - لو اعتبرنا الضمير في قوله ((نسوا)) عائد إلى أقرب مذكور^(١)، فإن أقرب مذكور الآباء، فعليه لا بد أن يراد بالذكر ما جاء على ألسنة الرسل - عموماً - من التوحيد.

ب - أيضاً قاعدة: إذا كان في الآية ضمير يحتمل عوده إلى أكثر من مذكور، وأمكن الحمل على الجميع، حمل عليه^(٢). فإن حمل الضمير في ((نسوا)) على المشركين - المذكورين بالضمير ((متعتهم)) - وآبائهم يقوي أن يراد بالذكر ما جاء على ألسنة الرسل من التوحيد. والله أعلم بالصواب.



(١) الإتيان للسيوطي (٥٠٨/١)، قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٦٢١/٢).
 (٢) قواعد التفسير لخالد السبت (٤٠٠/١).

معنى ﴿بُورًا﴾

٢٣- قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ [سورة الفرقان:

١١٨].

مجملة الأقوال الواردة في الآية:

- ١- أن معنى ((بوراً)): هلكى غلب عليهم الشقاء والخذلان^(١).
- ٢- أن ((بوراً)) تعني: الفاسد الذي لا خير فيه^(٢).
- ٣- وقيل ((بوراً)): عمياً عن الحق^(٣).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله- : « والأصح أن قوله ((بوراً)) معناه: هلكى ، وأصله اسم مصدر يقع على الواحد وعلى الجماعة ، فمن إطلاقه على الجماعة قوله هنا ((وكانوا قوماً بوراً)) وقوله في سورة الفتح ﴿وَضَنَّتُمْ ظُنِّبًا﴾

السَّوِّءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [سورة الفتح: ١١٢]. ومن إطلاقه على المفرد قول

عبدالله بن الزبيري السهمي^(٤) - رضي الله عنه - :

(١) جامع البيان للطبري (١٨/١٤٢).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٦١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/١٢) ذكره بالتضعيف ولم يرجحه.

(٤) عبدالله بن الزبيري - بكسر الزاي والموحدة وسكون المهملة بعدها راء مقصورة - بن قيس

راتق ما فتقت إذ أنا بور

يا رسول الملّيك إن لسانِي

ويطلق البور على الهلاك. وعن ابن عباس أنها لغة أهل عمان، وهم من أهل

اليمن^(١)، ومنه قول الشاعر^(٢):

وكافوا به فالكفر بور

فلا تكفروا ما قد صنعنا إليكم

لصانعه

وما ذكر من أن معنى ((بوراً)) لا خير فيهم؛ له وجه في اللغة العربية، ولكن

التحقيق أنه ليس معنى الآية، وأن معنى ((بوراً)) هلكى كما تقدم، والعلم عند الله □^(٣).

الموافقون:

- ١- الإمام الطبري: « وكانوا قوماً هلكى قد غلب عليهم الشقاء والخذلان »^(٤).
- ٢- البغوي: « ((وكانوا قوماً بوراً)) يعني هلكى غلب عليهم الشقاء والخذلان، رجل يقال له بائر، وقوم بور، وأصله من البوار وهو الكساد والفساد، وقيل: هو اسم مصدر كالزور يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث »^(٥).
- ٣- ابن عطية: « ((بوراً)) معناه: هلكى، والبوار: الهلاك. واختلف في لفظه؛ فقالت فرقة: هي مصدر يوصف به الجمع والواحد، وقالت فرقة: هي جمع باير؛ وهو الذي قد فارقه الخير فحصل بذلك في حكم الهلاك، باشره الهلاك بعد أو لم يباشر

القرشي السهمي، كان من أشعر قريش، وكان شديداً على المسلمين ثم أسلم في الفتح ومدح النبي ﷺ فأمر له بحلة الإصابة (٣٠٨/٢).

(١) انظر: لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم، لأبي عبيد القاسم بن سلام، ص (٢١٠).

(٢) لم أقف على اسم الشاعر وموقع بيته، ولكن ذكره أبو تراب الظاهري في شواهد القرآن (١/٥٦٠).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٣٠٠).

(٤) جامع البيان للطبري (١٨/١٤٢).

(٥) مختصر البغوي (٢/٦٥٧).

- ٤- البقاعي: « (وكانوا)) في علمك بما قضيت عليهم في الأزل ((قوماً بوراً)) هلكى □ »^(٢).
- ٥- الشوكاني: « (وكانوا قوماً بوراً)) أي وكان هؤلاء الذين أشركوا بك وعبدوا غيرك في قضائك الأزلي قوماً بوراً، أي هلكى، مأخوذ من البوار وهو الهلاك »^(٣).
- ٦- سيد قطب: « (ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بوراً)) فهذا المتاع الطويل الموروث - على غير معرفة بواهب النعمة ولا توجه ولا شكر - قد ألهاهم وأنساهم ذلك المنعم، فاتته قلوبهم إلى الجذب والبوار. كالأرض البور لا حياة فيها ولا زرع ولا ثمار، والبوار: الهلاك، ولكن اللفظ يوحي كذلك بالجذب والخواء. جذب القلوب، وخواء الحياة »^(٤).
- ٧- ابن عاشور: « والبور: جمع بائر كالعود جمع عائد، والبائر: هو الذي أصابه البوار أي الهلاك. وقد استعير البور لشدة سوء الحالة بناء على العرف الذي يعدُّ الهلاك آخر ما يبلغ إليه الحي من سوء الحال »^(٥).
- وممن قال بمثل ذلك أيضاً النسفي^(٦)، والمخشري^(٧)، والفخر الرازي^(٨)، والحاازن^(٩)، وابن جزى^(١٠)، والبيضاوي^(١١)، وأبو السعود^(١٢)، وغيرهم^(١).

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (١١/١٩).
(٢) نظم الدرر للبقاعي (١٣/٣٦٣).
(٣) فتح القدير للشوكاني (٤/٦٧).
(٤) في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/٢٥٥٥).
(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٨/٣٤١).
(٦) مدارك التنزيل للنسفي (٣/١٢٤).
(٧) الكشاف للزمخشري (٣/٢٦٣).
(٨) التفسير الكبير للفخر الرازي (٨/٤٤٤).
(٩) لباب التأويل للحاازن (٥/٧٩).
(١٠) التسهيل لابن جزى (٣/١٦٤).
(١١) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/٧٠).
(١٢) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/١٦٦).

المخالفون:

- وأعني بهم الذي بينوا معنى ((بوراً)) أي: الذي لا خير فيه، ومنهم:
- ١- الإمام الفراء: «(قوماً بوراً)) والبور مصدر واحد وجمع؛ والبائر الذي لا شيء فيه. نقول: أصبحت منازلهم بوراً أي لا شيء فيها. فكذلك أعمال الكفار باطل. ويقال: رجل بور وقوم بور»^(٢).
 - ٢- السعدي: «(وكانوا قوماً بوراً)) أي: بائرين لا خير فيهم، ولا يصلحون لصالح، لا يصلحون إلا للهلاك والبوار. فذكروا المانع من أتباعهم الهدى، وهو التمتع في الدنيا؛ الذي صرفهم عن الهدى. وعدم مقتضى للهدى؛ وهو أنهم لا خير فيهم، فإذا عدم مقتضى، ووجد المانع، فلا تشاء من شر وهلاك إلا وجدته فيهم»^(٣).
- في حين وُجد عدد من المفسرين ذكروا القولين (هلكى - وفاسدين لا خير فيهم) عند تفسيرهم للآية واعتبروهما بياناً لمعنى ((بوراً)) منهم: النيسابوري^(٤)، وابن الجوزي^(٥)، والسمين الحلبي^(٦)، وابن كثير^(٧) والسيوطي^(٨).
- وأما القرطبي^(٩) وأبو حيان^(١٠) فقد ذكرا المعاني الثلاثة - المذكورة في مجمل الأقوال - عند تفسير الآية.

(١) جلال الدين المحلي في الجلالين ص(٣٠٢)، وطنطاوي جوهر في الجواهر (١٣٢/١٢).

(٢) معاني القرآن للفراء (٢/٢٦٤).

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٥٨٠).

(٤) إيجاز البيان للنيسابوري (٢/٧٧).

(٥) زاد المسير لابن الجوزي (٦/٨).

(٦) الدر المصون للسمين الحلبي (٨/٤٦٦).

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٣١٢).

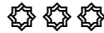
(٨) الدر المنثور للسيوطي (٥/٦٥).

(٩) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/١٢).

(١٠) البحر المحيط لأبي حيان (٨/٩٢).

تعقيب الباحث:

يتضح من استعراض أقوال المفسرين في معنى ((بوراً)) أنه لا تعارض بين القولين، فكلاهما يصح معنى للآية فكون الكفار هالكين تساوي أنهم فاسدين ولا خير فهم بل تساوي أيضاً أنهم عمي عن الحق، فإن عماهم عن الحق أدى إلى هلاكهم وفسادهم. ولو نظرت فيما قاله البغوي والسعدي^(١) لا تضح لك الترابط بين المعنيين، مع كون البغوي فسّر ((بوراً)) أي هلكى غلب عليهم الشقاء والخذلان فإنه شرح البوار بأنه الفساد. وأما السعدي فقد فسّر ((بوراً)) أي لا خير فيهم ثم شرح المراد بعدم وجود الخير فيهم بأنهم لا يصلحون إلا للهلاك والوبار. والله أعلم بالصواب.



من القائل ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾؟

٢٤- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ

وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [سورة الفرقان: ٢٢].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

(١) ذكرت كلام البغوي تحت فقرة الموافقون، وذكرت كلام السعدي تحت فقرة المخالفون.

- ١- أن يكون ((حجراً محجوراً)) من قول الملائكة ؛ وعليه يكون المعنى : حراماً محرماً أن تكون للكفار يوم القيامة بشرى أو غفران ذنوب، أو دخول الجنة^(١).
- ٢- أن يكون ((حجراً محجوراً)) من قول الكفار ؛ وعليه يكون المعنى : حرام عليكم أن تمسونا بسوء، وهي كلمة تعوذ تقولها العرب - الذين نزل القرآن بلغتهم - عند لقاء عدو موتور أو هجوم نازلة ونحو ذلك^(٢).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - « وقوله تعالى ((ويقولون حجراً محجوراً)) أظهر القولين فيه عندي أنه من كلام الكفار، يوم يرون الملائكة، لا من كلام الملائكة. وإيضاحه: أن الكفار الذين اقترحوا إنزال الملائكة ؛ إذا رأوا الملائكة توقعوا العذاب من قبلهم، فيقولون حينئذ للملائكة: حجراً محجوراً: أي حراماً محرماً عليكم أن تمسونا بسوء أي لأننا لم ترتكب ذنباً نستوجب به العذاب، كما أوضحه تعالى بقوله عنهم:

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّوهُمْ الْمَلٰٓئِكَةُ ظَالِمِيْٓ اَنْفُسِهِمْ ۗ فَالْقَوْا ٱلسَّلٰمَ مَا كُنَّا

نَعْمَلُ مِنْ سُوٓءٍ بَلٰٓى اِنَّ اِلٰهَ عَلِيْمٌۢ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ ﴿٢٨﴾ [سورة النحل:

٢٨]. فقولهم: ما كنا نعمل من سوء: أي لم نستوجب عذاباً، فتعذيبنا حرام محرّم، وقد كذبهم الله ﷻ في دعواهم هذه بقوله: ((بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون)) وعادة العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، أنهم يقولون هذا الكلام ؛ أي حجراً محجوراً، عند لقاء عدو موتور أو هجوم نازلة أو نحو ذلك. [إلى أن قال:] وأما على القول بأن حجراً محجوراً من قول الملائكة،

(١) جامع البيان للطبري (٣/١٩)، مدارك التنزيل للنسفي (١٢٥/٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/١٣).

(٢) البحر المحيط لأبي حيان (٩٧/٨)، نظم الدرر للبقاعي (٣٧٠/١٣)، فتح القدير للشوكاني (٦٩/٤).

فمعناه: أنهم يقولون للكفار حجراً محجوراً: أي حراماً محرماً أن تكون للكفار اليوم بشرى، أو أن يغفر لهم، أو يدخلون الجنة»^(١).

الموافقون:

ذهب إلى القول الذي اختاره الشنقيطي عدد من أئمة التفسير، منهم:

- ١- الإمام النيسابوري: « (ويقولون حجراً محجوراً) » كان الرجل في الجاهلية يقول لمن يخافه في أشهر الحرم: حجراً محجوراً، أي حراماً محرماً عليك قتلى في هذا الشهر، فلا يبدؤه بشر. فإن كان يوم القيامة رأى المشركون ملائكة العذاب فقالوا: حجراً محجوراً؛ وظنوا أنه ينفعهم»^(٢).
- ٢- البقاعي: « (يومئذ للمجرمين) » أي لأحد ممن قطع ما أمر الله به أن يوصل (ويقولون) أي في ذلك الوقت ((حجراً محجوراً)) أي نطلب منعاً منكم ممنوعاً، أي: مبالغاً في مانعيته، والمعنى أنهم يريدون أن يكون بينهم وبين الملائكة مانع عظيم يمنعهم منهم»^(٣). فالإمام البقاعي يرى أن القائلين هم الكفار.
- ٣- الشوكاني: « (ويقولون حجراً محجوراً) » أي ويقول الكفار عند مشاهدتهم للملائكة: حجراً محجوراً وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو وهجوم نازلة، يضعونها موضع الاستعاذة»^(٤).
- ٤- السعدي: « (يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين) » وذلك أنهم لا يرونها - مع استمرارهم على جرمهم وعنادهم - إلا لعقوبتهم وحلول البأس بهم. فأول

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٣٠٦ - ٣٠٧).

(٢) إيجاز البيان للنيسابوري (٢/٧٨).

(٣) نظم الدرر للبقاعي (١٣/٣٧٠).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٤/٦٩).

ذلك عند الموت؛ إذا تنزلت عليهم الملائكة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ

الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ

أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ ۖ أَلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ

تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ سورة

الأنعام: [٩٣]، ثم في القبر حيث يأتيهم منكر ونكير فيسألانهم عن ربهم ونبئهم ودينهم، فلا يجيبون جواباً ينجيهم، فيحلون بهم النقمة، وتزول عنهم بهم الرحمة، ثم يوم القيامة حين تسوقهم الملائكة إلى النار، ثم يسلمونهم لخزنة جهنم، الذين يتولون عذابهم ويباشرون عقابهم. فهذا الذي اقترحوه وهذا الذي طلبوه؛ إن استمروا على إجرامهم لا بد أن يروه ويلقوه. وحينئذ يتعوذون من الملائكة ويفرون ولكن لا مفر لهم ((ويقولون حجراً محجوراً))^(١).

٥- سيد قطب: «يومئذ يقولون: ((حجراً محجوراً)) أي حراماً محرماً. وهي جملة اتقاء للشر وللأعداء، كانوا يقولونها استبعاداً لأعدائهم وتحزناً من أذاهم. وهي تجري في ذلك اليوم على ألسنتهم بحكم العادة من الدهول حين يفاجأون. ولكن أين هم اليوم مما كانوا يقولون، إن الدعاء لا يعصمهم ولا يمنعهم»^(٢).

المخالفون:

أيضاً هناك عدد من المفسرين اختاروا القول الآخر؛ منهم:

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥٨١).

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٥٥٨/٥).

- ١- الإمام الطبري: « ويقولون حجراً محجوراً، يعني: أن الملائكة يقولون للمجرمين حجراً محجوراً، حراماً محرماً عليكم اليوم البشرى أن تكون لكم من الله عِزًّا. لا إلى أن قال: قال أبو جعفر: وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك من أجل أن الحجر هو الحرام فمعلوم أن الملائكة هي التي تخبر أهل الكفر أن البشرى عليهم حرام. وأما الاستعاذة فإنها الاستجارة وليست بتحريم»^(١).
- ٢- الزجاج: « والمعنى: وتقول الملائكة حجراً محجوراً^(٢) أي حراماً محرماً عليهم البشرى »^(٣).
- ٣- النسفي: « ((ويقولون)) أي الملائكة ((حجراً محجوراً)) حراماً محرماً عليكم البشرى، أي جعل الله ذلك حراماً عليكم، إنما البشرى للمؤمنين »^(٤).
- ٤- القرطبي: « ((ويقولون حجراً محجوراً)) يريد تقول الملائكة حراماً محرماً أن يدخل الجنة إلا من قال لا إله إلا الله، وأقام شرائعها »^(٥).

تعقيب الباحث:

الذي يظهر - والله أعلم - أن الأرجح هو ما ذهب إليه الشنقيطي ومن وافقه من أئمة التفسير، يؤيد ذلك قاعدتان مهمتان من قواعد الترجيح المعتمدة عند كثير من المفسرين:

الأولى: قاعدة توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها^(٦)، فإن في السياق

(١) جامع البيان للطبري (٣/١٩).

(٢) كلمة محجوراً طمست منها الحاء والجيم في المطبوعة.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٦٣/٤٠).

(٤) مدارك التنزيل للنسفي (١٢٥/٣).

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/١٣).

(٦) قواعد التفسير لخالد السبت (٤١٤/١)، قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٦١٣/٢).

عدداً من الضمائر ما بين بارز ومستتر عائدة إلى الكفار وهي في (علينا) (نرى ربنا) (لقد استكبروا) (أنفسهم) (عَتَوُ) (يوم يرون) فالأولى في الموضع المتنازع عليه (يقولون) أن يتحد مرجعه مع بقية الضمائر. وقد قرر العمل بهذه القاعدة عدد من الأئمة، منهم السيوطي^(١)، والزرکشي^(٢)، والشنقيطي^(٣) وغيرهم..

الثانية: قاعدة رجوع الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه^(٤). فإن أقرب مذكور هو لفظ (للمجرمين) ورجوع الضمير إليه أولى، وعليه فإن الراجح أن يكون القائلون هم الكفار - والله أعلم بالصواب - .



-
- (١) الإتيان للسيوطي (٥٠٩/١).
 (٢) البرهان للزرکشي (٣٥/٤).
 أبو عبدالله محمد بن بهادر بن عبدالله الزرکشي، عالم بفقهاء الشافعية والأصول، له تصانيف في فنون عدة، توفي سنة (٧٩٤هـ). الأعلام (٦٠/٦).
 (٣) أضواء البيان للشنقيطي (١٢/١).
 (٤) الإتيان للسيوطي (٥٠٨/١)، قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحري (٦٢١/٢).

المراد بالذكر في قوله تعالى ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾

٢٥- ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلِيَّتَنِي أَخَذْتُ مَعَ

الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٧٧﴾ يَتَوَلَّتْ لِيَّتِي لَمْ أَخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٧٨﴾

لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ﴿٧٩﴾ [سورة الفرقان: ٢٧-

.١٢٩]

مجمل الأقوال الواردة في الآية :

- ١- أن المراد بالذكر: القرآن الكريم^(١).
- ٢- أن يراد به النبي ﷺ^(٢).
- ٣- أن الذكر هو الهدى والإيمان^(٣).
- ٤- أنه النطق بكلمة الشهادة^(٤).
- ٥- أنه كل ما ذكر به الإنسان أمر آخرته من قرآن وموعظة ونحوه^(٥).

ترجيح الشنقيطي :

- (١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٦/١٣).
- (٢) معاني القرآن للفراء (٢٦٦/٢).
- (٣) مدارك التنزيل للنسفي (١٢٦/٣).
- (٤) أنوار التنزيل للبيضاوي (٧١/٢).
- (٥) المحرر الوجيز لابن عطية (٣٤/١١).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « وقوله تعالى في هذه الآية ((لقد أضلني عن الذكر)) الأظهر أن الذكر القرآن »^(١).

الموافقون :

وأعني بهم كل من فسّر الذكر - في الآية - بالقرآن الكريم، متفقاً في ذلك مع ما ذهب إليه الشنقيطي، ومنهم :

- ١- الطبري : « وقوله تعالى ((لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني)) يقول جل ثناؤه مخبراً عن هذا النادم على ما سلف منه في الدنيا من معصية ربه في طاعة خليله ؛ لقد أضلني عن الإيمان بالقرآن وهو الذكر، بعد إذ جاءني من عند الله فصدني عنه »^(٢).
- ٢- ابن الجوزي : « ((لقد أضلني عن الذكر)) أي صرفني عن القرآن والإيمان به »^(٣).
- ٣- القرطبي : « أي يقول هذا النادم : لقد أضلني من اتخذته في الدنيا خليلاً عن القرآن والإيمان به »^(٤).
- ٤- ابن كثير : « ((لقد أضلني عن الذكر)) وهو القرآن »^(٥).
- ٥- المحلي : « ((لقد أضلني عن الذكر)) أي القرآن »^(٦).
- ٦- البقاعي : « ((أضلني عن الذكر)) أي عمى عليّ طريق القرآن الذي لا ذكر في الحقيقة غيره وصرفتني عنه »^(٧).

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٣١٦/٦).

(٢) جامع البيان للطبري (٧/١٩).

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (١٣/٦).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٦/١٣).

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣١٧/٣).

(٦) تفسير الجلالين ص (٣٠٢).

(٧) نظم الدرر للبقاعي (٣٧٥/١٣).

- وأعني بهم كل من فسّر الذكر على العموم، بأن يذكر عدداً من المعاني ويربط بينها بلفظ (أو) ونحوها معتبراً إياها كلها بياناً لمعنى ((الذكر)) في هذه الآية، ومنهم:
- ١- الإمام الفراء: « (لقد أضلني عن الذكر) » يقال: النبي ﷺ ويقال: القرآن. فيه قولان^(١).
 - ٢- السمعاني: « (لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني) » أي: عن الهدى بعد إذ جاءني، وقيل: عن القرآن^(٢).
 - ٣- الزمخشري: « (عن الذكر) » عن ذكر الله أو القرآن أو موعظة الرسول، ويجوز أن يريد نطقه بالشهادة الحق وعزمه على الإسلام^(٣).
 - ٤- ابن عطية: « و((الذكر)) هو ما ذكر به الإنسان أمر آخرته من قرآن أو موعظة ونحوه^(٤) ».
 - ٥- الفخر الرازي: « (عن الذكر) » أي عن ذكر الله أو القرآن وموعظة الرسول ﷺ ويجوز أن يريد نطقه بشهادة الحق وغيرته على الإسلام^(٥).
 - ٦- البيضاوي: « (لقد أضلني عن الذكر) » عن ذكر الله أو كتابه أو موعظة الرسول أو كلمة الشهادة^(٦).
 - ٧- أبو السعود: « (لقد أضلني عن الذكر) » تعليل لتمنيه المذكور وتوضيح لتعلله وتصديره باللام القسمية للمبالغة في بيان خطئه وإظهار ندمه وحسرتة، أي والله لقد

(١) معاني القرآن للفراء (٢/٢٦٦).

(٢) تفسير القرآن للسمعاني (٤/١٧).

وهو: أبوالمظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني التميمي، صنّف في الفقه والتفسير والحديث والأصول. توفي سنة (٤٨٩هـ). طبقات المفسرين (٢/٣٣٩).

(٣) الكشاف للزمخشري (٣/٢٦٩).

(٤) المحرر الوجيز لابن عية (١١/٣٤).

(٥) التفسير الكبير للفخر الرازي (٨/٤٥٥).

(٦) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/٧١).

أضلني عن ذكر الله تعالى أو عن القرآن أو عن موعظة الرسل عليه الصلاة والسلام أو كلمة الشهادة»^(١).

٨- الشوكاني: «(لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني)) أي والله لقد أضلني هذا الذي اتخذته خليلاً عن القرآن أو عن الموعظة أو عن كلمة الشهادة؛ أو مجموع ذلك، بعد إذ جاءني وتمكنت منه وقدرت عليه»^(٢).

وقال كلاماً مشابهاً لما قالوه كل من الإمام البغوي^(٣)، والنسفي^(٤)، وأبي حيان^(٥)، والخبازن^(٦)، وطنطاوي جوهرى^(٧).

تعقيب الباحث:

- يتضح من خلال سياق الآيات أن كل ما ذكره المفسرون في بيان معنى الذكر - في هذه الآية - يصح حمل الآية عليه، وذلك لأمرين:
- ١- كون الأغلبية من المفسرين اعتبروا أن المراد بالذكر معناه على العموم فيشمل القرآن والنطق بالشهادة والإيمان والهدى وكل ما يذكر به الإنسان أمر آخرته من قرآن وموعظة ونحوها.
 - ٢- سياق الآية يدل على العموم في معنى الذكر، فكون الظالم يندم أنه لم يتخذ مع الرسول ﷺ سبيلاً وأن خليله منعه من النطق بالشهادة ومن الإيمان بالقرآن ومن سماع

(١) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٧٤/٤).
 (٢) فتح القدير للشوكاني (٧٢/٤).
 (٣) مختصر البغوي (٦٥٩/٢).
 (٤) مدارك التنزيل للنسفي (١٢٦/٣).
 (٥) لباب التأويل للخبازن (٨٢/٥).
 (٦) البحر المحيط لأبي حيان (١٠٢/٨).
 (٧) تفسير الجواهر لطنطاوي جوهرى (١٣٣/١٢).

المواعظ من النبي ﷺ والتي بها يكون الإنسان مؤمناً بما أعدَّ الله ﷻ للعباد في الآخرة
من جنة أو نار فيحتاط لنفسه، كل هذه المعاني لا يرفضها سياق الآية. والله أعلم
بالصواب.



من القائل ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾

٢٦- قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلِيَّتَنِي أَخَذْتُ

مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَوِيلَتِي لِيَتَنِي لِمَ أَخَذْتُ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾

لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ

لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ [سورة الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

- ١- أن يكون قوله تعالى ((وكان الشيطان للإنسان خذولاً)) ابتداء إخبار من قول الله تعالى^(١).
- ٢- ويحتمل أن يكون حكاية كلام الظالم^(٢).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « وقوله تعالى ((وكان الشيطان للإنسان خذولاً)) الأظهر أنه من كلام الله تعالى ، وليس من كلام الكافر النادم يوم القيامة »^(٣).

الموافقون:

(١) التسهيل لابن جزي (١٦٧/٣).
 (٢) التفسير الكبير للفيروز الرازي (٤٥٥/٨).
 (٣) أضواء البيان للشنقيطي (٣١٥/٦).

- وأعني بهم الذين ذهبوا في معنى الآية إلى مثل ما ذهب إليه الشنقيطي، من أن قوله تعالى ((وكان الشيطان للإنسان خذولاً)) ابتداء إخبار من كلام الله تعالى، ومنهم:
- ١- الإمام ابن الجوزي: « (لقد أضلني عن الذكر) أي صرفني عن القرآن والإيمان به (بعد إذ جاءني) مع الرسول ﷺ، وها هنا تم الكلام. ثم قال الله تعالى ((وكان الشيطان للإنسان)) يعني الكافر ((خذولاً)) يتبرأ منه في الآخرة »^(١).
 - ٢- القرطبي: « ((وكان الشيطان للإنسان خذولاً)) قيل: هذا من قول الله تعالى لا من قول الظالم »^(٢).
 - ٣- ابن عاشور: « وجملة ((وكان الشيطان للإنسان خذولاً)) تذييل من كلام الله تعالى لا من كلام الظالم؛ تنبيهاً للناس على أن كل هذا الإضلال من عمل الشيطان فهو الذي يسوّ لخليل الظالم إضلال خليله؛ لأن الشيطان خذول الإنسان، أي محبوب على شدة خذله »^(٣).
- ولم أجد أحداً رجّح القول الآخر، وإنما من لم يرجح أنه ابتداء إخبار من كلام الله جل وعلا جعل القولين يحتملان الآية، وها أنا أورد إليكم كلام بعضهم لفائدته وأشير إلى البقية اختصاراً، فمنهم:
- ١- الإمام ابن عطية: « ((وكان الشيطان للإنسان خذولاً)) يحتمل أن يكون من قول الظالم، ويحتمل أن يكون ابتداء إخبار من الله تعالى على جهة الدلالة على وجه ضلالهم، والتحذير من الشيطان الذي بلغ ثمّ ذلك المبلغ »^(٤).
 - ٢- الفخر الرازي: « ويحتمل أن يكون ((وكان الشيطان)) حكاية كلام الظالم، وأن

(١) زاد المسير لابن الجوزي (١٣/٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٦/١٣).

(٣) التحرير والتوير لابن عاشور (١٧/١٩).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (٣٥/١١).

يكون كلام الله تعالى»^(١).

٣- أبو السعود: «(وكان الشيطان للإنسان خذولاً) أي مبالغاً في الخذلان حيث يواليه حتى يؤديه إلى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه. اعتراض مقرر لمضمون ما قبله، إما من جهته تعالى، أو من تمام كلام الظالم على أنه سمي خليله شيطاناً بعد وصفه بالإضلال الذي هو أخص الأوصاف الشيطانية أو على أنه أراد بالشيطان إبليس؛ لأنه الذي حمّله على مخالّة المضلّين، ومخالفة الرسول الهادي عليه الصلاة والسلام بوسوسته وإغوائه، لكن وصفه بالخذلان يشعر كأنه يعلّمه في الدنيا ويمّنه بأنه ينفعه في الآخرة، وهو أوفق بحال إبليس»^(٢).

٤- الشوكاني: «(وكان الشيطان للإنسان خذولاً) الخذل: ترك الإغاثة، ومنه خذلان إبليس للمشرّكين حيث يوالونه، ثم يتركهم عند استغاثتهم به، وهذه الجملة مقررة لمضمون ما قبلها، ويحتمل أن تكون من كلام الله تعالى، أو من تمام كلام الظالم، وأنه سمي خليله شيطاناً بعد أن جعله مضلاً، أو أراد بالشيطان إبليس لكونه الذي حمّله على مخالّة المضلّين»^(٣).

وقال بنحو ما سبق كل من ابن جزّي^(٤) والسّمين الحلبي^(٥) والشهاب^(٦).

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي (٤٥٥/٨).

(٢) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٧٤/٤).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٧٢/٤).

(٤) التسهيل لابن جزّي (١٦٧/٣).

(٥) الدر المصون للسّمين الحلبي (٤٨٠/٨).

(٦) حاشية الشهاب على البيضاوي (٤٢٠/٦).

وهو: أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي المصري، قاضي القضاة وصاحب التصانيف العديدة، ومنها: حاشية على تفسير البيضاوي. توفي سنة (١٠٦٩هـ) الأعلام (٢٣٨/١).

تعقيب الباحث:

من خلال استعراض أقوال المفسرين في بيان هل ((وكان الشيطان للإنسان خذولاً)) ابتداء إخبار من قول الله ﷻ أو هي تنمة لكلام الظالم النادم يوم القيامة ؛ يتضح صحة اعتبار القولين بياناَ لمعنى الآية ، لأمر:

١- على اعتبار أنه ابتداء إخبار من قول الله ﷻ، يؤيد ذلك عدد كثير من الآيات التي حذر الله ﷻ فيها عباده من الشيطان الرجيم وأخبرهم بعداوته لهم، فتكون آية الفرقان هذه داخلة أيضاً في نوع تلك الآيات باعتبار أنها كلها إخبار من الله ﷻ؛

ومنها على سبيل المثال: قوله تعالى: ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ

ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [سورة النساء: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّهِمْ

وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [سورة النساء: ١٢٠]، وقوله

تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [سورة الأعراف: ٢٢]،

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ^ج إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ

لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾ [سورة الإسراء: ٥٣] وغيرها من الآيات^(١).

٢- على اعتبار أنه من تنمة كلام الظالم النادم فإنه يقول هذا الكلام عندما يتضح له كل شيء في يوم القيامة. ويؤيد ذلك أيضاً عدد من الآيات الدالة على انكشاف الأمور على حقيقتها في يوم القيامة، ومن ذلك ما يصرِّح به الشيطان في يوم القيامة من

(١) منها: لسورة المائدة: ٩١، لسورة يوسف: ٥، لسورة لقمان: ٢١، لسورة الزخرف: ٦٢ وغيرها.

هروبه وتخليه عن المشركين الظالمين، وهي قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا

قَضَى الْأَمْرَ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ

فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ

فَأَسْتَجِبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تُلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ ۗ مَا أَنَا

بِمُصْرِحِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِي ۗ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا

أَشْرَكْتُمُونَ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢٢﴾

لسورة إبراهيم: ٢٢٢. ويؤيد ذلك أيضاً في قضية اتضاح الأمور قوله تعالى:

﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ

الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢٢﴾ لسورة ق: ٢٢٢. والله أعلم بالصواب.



متى كانت القرون الكثيرة

٢٧- قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا

﴿سورة الفرقان : ٣٨﴾.

مجمل الأقوال الواردة في الآية :

- ١- ((وقرُونًا بين ذلك كثيراً)) أي: أمماً لا يعلمهم إلا الله ﷻ بين قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرس^(١).
- ٢- ((وقرُونًا بين ذلك كثيرًا)) أي: وأهلكنا قرونًا كثيراً بين عاد وثمود وأصحاب الرس^(٢).
- ٣- ((وقرُونًا بين ذلك كثيراً)) يعني وأهلكنا قرونًا كثيراً بين عاد وأصحاب الرس^(٣).
- ٤- ((وقرُونًا بين ذلك كثيراً)) أي: وأمماً أضعاف من ذكر أهلكتناهم كثيرة^(٤).
- ٥- ((وقرُونًا بين ذلك كثيراً)) إبهام لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى^(٥).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله- : « والأظهر أن القرون
الكثيرة المذكورة؛ بعد قوم نوح وعاد وثمود، وقبل أصحاب الرس^(٦)، وقد دلت آية في

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٤/١٣).

(٢) لباب التأويل للبخاري (٨٤/٥).

(٣) مختصر البغوي (٦٦٠/٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣١٩/٣).

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية (٤١/١١).

(٦) اختلف في أصحاب الرس على أقوال:

- ١- أنهم قرية من ثمود.
- ٢- أنهم قرية من اليمامة يقال لها الفلج.
- ٣- أنهم قوم رسوا نبيهم في بئر.
- ٤- وقيل هي بئر كانت تسمى الرس.
- ٥- وقيل: الرس بئر بأذربيجان.
- ٦- وقيل أصحاب الرس قوم شعيب.

سورة إبراهيم على أن بعد عاد وثمود خلقاً كفروا وكذبوا الرسل وأنهم لا يعلمهم إلا الله جل وعلا.

وتصريحه بأنهم بعد عاد وثمود يوضح ما ذكرنا؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿الْم

يَاتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۗ وَالَّذِينَ
 مِنْ بَعْدِهِمْ ۗ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ۗ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا
 أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ ۗ وَإِنَّا لَفِي شَكِّ
 مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿١٩﴾ [سورة إبراهيم: ١٩]»^(١).

الموافقون:

وأعني بهم كل من قال بأحد الأقوال الثلاثة الأولى المذكورة في مجمل الأقوال،
 بمعنى أنهم ذكروا أسماء الأقسام المذكورين في الآيات - أو بعضهم - وأشاروا إلى أن
 القرون الكثيرة بينها. ومنهم:

١- الإمام البغوي: « ((وقروناً بين ذلك كثيراً)) يعني وأهلكنا قروناً كثيراً بين عاد
 وأصحاب الرس»^(٢).

٢- ابن الجوزي: « قوله تعالى: ((وقروناً)) المعنى: وأهلكنا قروناً ((بين ذلك)) أي بين

وقيل غير ذلك... انظر: ما قيل عن أصحاب الرس في: جامع البيان للطبري (١١/١٩)، والدر

المنثور للسيوطي (٧١/٥).

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٣٢٤/٦).

(٢) مختصر البغوي (٦٦٠/٢).

- عاد وأصحاب الرس. وفي هذه القصص تهديد لقريش»^(١).
- ٣- القرطبي: «(وقروناً بين ذلك كثيراً)) أي أمماً لا يعلمهم إلا الله بين قوم نوح و عاد و ثمود وأصحاب الرس»^(٢).
- ٤- الخازن: «(وقروناً بين ذلك كثيراً)) أي وأهلكنا قروناً كثيراً بين عاد و ثمود وأصحاب الرس»^(٣).
- ٥- المحلي: «(وقروناً)) أقوماً ((بين ذلك كثيراً)) أي بين عاد وأصحاب الرس»^(٤).

المخالفون:

- وأعني بهم كل من أشار إلى القرون على أنهم عدد من الأمم والأقوام لا يعلمهم إلا الله ﷻ أهلکوا بسبب تكذيبهم، ولم يحد وقتهم بين أمم معينة، منهم:
- ١- الإمام الطبري: «(وقروناً بين ذلك كثيراً)) يقول ودمرنا بين أضعاف هذه الأمم التي سمينا لكم أمماً كثيرة»^(٥).
- ٢- النسفي: «(وقروناً)) وأهلكنا أمماً ((بين ذلك)) المذكور ((كثيراً)) لا يعلمها إلا الله أرسل إليهم فكذبوهم فأهلكوا»^(٦).
- ٣- ابن عطية: «وقوله تعالى: ((وقروناً بين ذلك كثيراً)) إبهام لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى»^(٧).
- ٤- ابن كثير: «(وقروناً بين ذلك كثيراً)) أي وأمماً أضعاف من ذكر أهلكتناهم

(١) زاد المسير لابن الجوزي (١٦/٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٤/١٣).

(٣) لباب التأويل للخازن (٨٤/٥).

(٤) تفسير الجلالين ص (٣٠٣).

(٥) جامع البيان للطبري (١١/١٩).

(٦) مدارك التنزيل للنسفي (١٢٨/٣).

(٧) المحرر الوجيز لابن عطية (٤١/١١).

كثيرة □»^(١).

- ٥- الشوكاني: « (وقروناً بين ذلك كثيراً) معطوف على ما قبله. والقرون جمع قرن، أي أهل قرون، والقرن: مائة سنة، وقيل: مائة وعشرون، وقيل: القرن أربعون سنة. والإشارة بقوله ((بين ذلك)) إلى ما تقدم ذكره من الأمم. وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها بذلك »^(٢).
- ٦- ابن عاشور: « ومعنى ((بين ذلك)) أن أماً تخللت تلك الأقسام ابتداء من قوم نوح. وفي هذه الآية إيدان بطول مدد هذه القرون وكثرتها »^(٣).

تعقيب الباحث:

من خلال استعراض أقوال المفسرين، يظهر لي - والله أعلم - أنه لا خلاف حقيقي بين أقوالهم، فإنه قد وُجد من المفسرين من ذكر في تفسيره أسماء جميع الأقسام المذكورين في الآيات، في حين اقتصر البعض على ذكر بعض الأقسام اختصاراً وإشارة إلى البعض الآخر، وكلهم يبين أن المراد بالقرون هم ما بين تلك الأمم. ووجد من المفسرين من لا يذكر في التفسير أسماء الأقسام المذكورين في الآيات اكتفاءً بذكرهم في الآيات، وإنما يشير إلى أن القرون هم بين الأقسام الذين ذكروا في الآيات.

وعليه فإنه لا خلاف تناقض بين أقوال المفسرين إنما هو اختلاف تنوع في التعبير عن المعنى. وإن كان الشنقيطي قد استدل على ما رجّحه في آية سورة الفرقان بما ورد في آية سورة إبراهيم؛ فإنه من باب إيضاح القرآن بالقرآن الذي هو أفضل أنواع التفسير^(٤).

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٣١٩).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٤/٧٥).

(٣) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/٢٩).

(٤) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص (١٢٧)، وقواعد التفسير لخالد السبت (١/١٠٩).

وأما عن عدم التفصيل في ذكر كل الأقوام في الآيات فقد قال العلامة
أبو السعود: « ... ولعل الاكتفاء في شئون تلك القرون بهذا البيان الإجمالي لما أن كل قرن
منها لم يكن في الشهرة وغرابة القصة بمثابة الأمم المذكورة »^(١). والله أعلم بالصواب.



مرجع الضمير في قوله ﴿صَرَفْتَهُ﴾ والمعنى المترتب عليه.

٢٨- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَفْتَهُ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا فَآبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا

كُفُورًا﴾ [سورة الفرقان: ٥٠].

مجمل الأقوال الواردة في الآية :

اختلفت أقوال المفسرين في مرجع الضمير في قوله ((صرفناه)) إلى ثلاثة أقوال :

- ١- أنه راجع إلى ماء المطر^(٢).
- ٢- أنه راجع إلى القرآن الكريم^(٣).
- ٣- أنه راجع إلى ما ذكر من الدلائل ، أي كرر أحوال الإضلال ، وإنشاء السحاب وإنزال

(١) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/١٨١).

(٢) جامع البيان للطبري (١٩/١٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للطبري (١٣/٥٧).

المطر في القرآن وفي سائر الكتب السماوية ليتفكروا ويعتبروا^(١).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « التحقيق أن الضمير في

قوله ((ولقد صرفنا)) راجع إلى ماء المطر المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنْ

السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ [سورة الفرقان: ٤٨] ^(٢).

الموافقون:

وافق الشيخ الشنقيطي في ترجيحه عدد من المفسرين؛ منهم:

- ١- الإمام الطبري: حيث قال بعد إيراد الآية: « يقول تعالى ذكره ولقد قسمنا هذا الماء الذي أنزلناه من السماء طهوراً لنحيي به الميت من الأرض بين عبادي ليتذكروا نعمي عليهم ويشكروا أيادي عندهم وإحساني إليهم » ^(٣).
- ٢- ابن كثير، قال: « أي أمطرنا هذه الأرض دون هذه وسقنا السحاب يمر على الأرض ويتعدها ويتجاوزها إلى الأرض الأخرى فيمطرها ويكفيها ويجعلها غدقاً والتي وراءها لم ينزل فيها قطرة من ماء، وله في ذلك الحجة البالغة والحكمة القاطعة » ^(٤).

(١) فتح القدير للشوكاني (٨٠/٤).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٣٢٥/٦).

(٣) جامع البيان للطبري (٢٥/١٩).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٢١/٣).

٣- أبوحيان، قال: « والضمير في ((صرفناه)) عائد على الماء المنزل من السماء، أي جعلنا إنزال الماء تذكرة بأن يصرفه عن بعض المواضع إلى بعض وهو في كل عام بمقدار واحد»^(١).

واختار هذا القول أيضاً غيرهم من المفسرين كالإمام البغوي^(٢) والنيسابوري^(٣) وابن الجوزي^(٤) وابن عاشور^(٥) وغيرهم.

المخالفون:

اختار بعض المفسرين رأياً مخالفاً لما اختاره الشنقيطي وذلك على قولين:

- ١- فمنهم من قال: إن الضمير راجع إلى ما ذكر من الدلائل؛ أي كرر أحوال الإظلال، وذكر إنشاء السحاب وإنزال المطر في القرآن وفي سائر الكتب السماوية ليتفكروا ويعتبروا. ومن قال بهذا الإمام النسفي^(٦)، والزمخشري^(٧)، والشوكاني^(٨).
- ٢- ومنهم من قال: إن الضمير راجع إلى القرآن الكريم. ومن قال بهذا:
أ- القرطبي، قال: « قوله تعالى: ((ولقد صرفناه بينهم)) يعني القرآن، وقد جرى

١ () البحر المحيط لأبي حيان (١١٨/٨).

٢ () مختصر تفسير البغوي (٦٦٦/٢).

٣ () إيجاز البيان للنيسابوري (٨١/٢).

٤ () زاد المسير لابن الجوزي (١٩/٦).

٥ () التحرير والتنوير لابن عاشور (٤٩/١٩).

٦ () مدارك التنزيل للنسفي (١٣٠/٣).

٧ () الكشف للزمخشري (٢٧٧/٣).

٨ () فتح القدير للشوكاني (٨٠/٤).

ذكره في أول السورة؛ قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴾

لسورة الفرقان: ١١، وقوله: ﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ

جَاءَنِي ﴾ [سورة الفرقان: ٢٩]، وقوله: ﴿ اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ

مَهْجُورًا ﴾ [سورة الفرقان: ٣٠] ^(١).

ب- ابن جزي، قال: « الضمير للقرآن، وقيل للمطر وهو بعيد » ^(٢).

ج- الإمام البقاعي ولقد ربط بكلام محكم دقيق جميل بين الآيات مبيناً رجوع

الضمير في ((صرفناه)) إلى القرآن الكريم؛ حيث قال: « ولما ذكر سبحانه أن

من ثمرة إنزال القرآن نجوماً إحياء القلوب التي هي أرواح الأرواح، وأتبعه ما

لاءمه، إلى أن ختم بما جعله سبباً لحياة الأشباح، فكان موضعاً لتوقع العود

إلى ما هو حياة الأرواح، قال عاطفاً على متعلق ﴿ كَذَلِكَ لِنُنَبِّئَكَ ﴾

لسورة الفرقان: ٣٢ منها على فائدة أخرى لتنجيمه أيضاً ((ولقد صرفناه))

أي وجهنا القرآن وجوهاً من البيان، وطرقناه طرقاً تعيي أرياب اللسان، في

معان كثير جداً ((بينهم)) في كل قطر كل قوم ((ليذكروا)) بالآيات المسموعة

ما ركزنا في فطرحهم من الأدلة العقلية المؤيدة بالآيات المرئية ولو على أدنى

وجوع التذکر المنجية لهم » ^(٣).

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/٥٧).

(٢) التسهيل لابن جزي (٣/١٧٢).

(٣) نظم الدرر للبقاعي (١٣/٤٠٤).

د- سيد قطب، بعد حديثه عن الآيات السابقة للآية المقصودة وعن الآيات المتحدثة عن نعمة إرسال الرياح المبشرة بالمطر وإنزال المطر لحياة الأرض والخلائق، يقول: «□ وعند هذا المقطع من استعراض المشاهد الكونية يلتفت إلى القرآن النازل من السماء كذلك لتطهير القلوب والأرواح؛ وكيف يستبشرون بالماء المحيي للأجسام ولا يستبشرون بالقرآن المحيي للأرواح: ((ولقد صرفنا بينهم)) فعرضناه عليهم في صور شتى، وأساليب متعددة، ولغات متنوعة؛ وخطبنا به مشاعرهم ومداركهم، وأرواحهم وأذهانهم؛ ودخلنا عليهم به من كل باب من أبواب نفوسهم، وبكل وسيلة تستجيش ضمائرهم.. ((ليذكروا)).. فما يحتاج الأمر إلى أكثر من التذكر. والحقيقة التي يحاول القرآن ردهم إليها مركوزة في فطرتهم، أنساهم إياها الهوى الذي اتخذوا منه إلهاً... ((فأبى أكثر الناس إلا كفوراً)). اثم وضع حاشية لزيادة الإيضاح قائلاً: [بعض المفسرين يرجع الضمير في ((صرفناه)) إلى الماء بوصفه أقرب مذكور في العبارة. ولأن القرآن لم يذكر في هذا المقام. ولكننا نرجح أن الضمير عائد على القرآن، لأنه لا شك في أن قوله: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ (سورة الفرقان: ٥٢) يعني القرآن فهو لا يجاهدهم بالماء. والذي يجعل الضمير الثاني راجعاً إلى القرآن يجعل الضمير الأول كذلك. إنما هي التفاتة من التفاتات القرآن الكثيرة بمناسبة مضمرة ملحوظة. هذه المناسبة هنا إنزال الماء الطهور المحيي؛ التي ترد الذهن إلى إنزال القرآن المطهر المحيي الذي تدور السورة كلها عليه»^(١).

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/٢٥٧٠).

تعقيب الباحث:

يظهر لي - والله أعلم - رجحان قول من قال إن الضمير راجع إلى القرآن على اعتبار قاعدة توحيد مرجع الضمائر أولى من تفريقها^(١). وقد ذكرت آنفاً كلام سيد قطب أنه لا شك في أن قوله: ((وجاهدكم به)) يعني القرآن؛ فهو لا يجاهدكم بالماء، والذي يجعل الضمير الثاني راجعاً إلى القرآن يجعل الضمير الأول كذلك. وقد يقول قائل لم لا تعتبر قاعدة رجوع الضمير إلى أقرب مذكور؛ فأقول: عند تنازع قاعدة توحيد مرجع الضمائر مع قاعدة رجوع الضمير إلى أقرب مذكور؛ تقدم قاعدة توحيد مرجع الضمائر^(٢). وقد قرر هذا التقديم إمامنا الشنقيطي نفسه^(٣). والله أعلم بالصواب.



(١) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٢/٦١٣).

(٢) المرجع السابق (١/٦٧).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٥/٧٥١).

﴿ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴾

٢٩- قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴾ [سورة الفرقان: ٥٥].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

- ١- وكان الكافر معيناً للشيطان وللكفار على عداوة الله ﷻ ورسله^(١).
- ٢- أن يكون الظهير جمعاً؛ كقوله تعالى: ﴿ وَالْمَلَأْتِيكَ بُعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرًا ﴾ [سورة التحريم: ٤٤]، والمعنى: أن بعض الكفار مظاهر لبعض على رسول الله ﷺ أو على دين الله ﷻ^(٢). وهذا يدخل تحت القول الأول بصورة كبيرة.
- ٣- وكان الكافر على ربه هيناً ذليلاً لا قدرة له ولا وزن عنده^(٣).
- ٤- وكان الكافر على ربه الذي يعبده وهو الصنم قوياً غالباً يعمل به ما يشاء؛ لأن الجماد لا قدرة له على دفع ضرر ولا جلب نفع^(٤).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « ومعنى قوله تعالى في

(١) جامع البيان للطبري (١٨/١٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٣٢٢).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٤/٨٢) ذكره بالتضعيف.

(٣) جامع البيان للطبري (١٨/١٩) ذكره وضعفه، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/٦١) ذكره بصيغة التمريض.

(٤) المرجع السابق وذكره بصيغة التمريض أيضاً، وفتح القدير للشوكاني (٤/٨٢).

هذه الآية الكريمة ((وكان الكافر على ربه ظهيراً)) على أظهر الأقوال: وكان الكافر معيناً للشيطان، وحزبه من الكفرة على عداوة الله ورسله، فالكافر من حزب الشيطان يقاتل في سبيله أولياء الله؛ الذي يقاتلون في سبيل الله، فالكافر يعين الشيطان وحزبه في سعيهم؛ لأن تكون كلمة الله ليست هي العليا.

وهذا المعنى دلت عليه آيات من كتاب الله؛ كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا

يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ^ط وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ

فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ^ط ﴿سورة النساء: ٧٦﴾، ومعلوم أن الذي يقاتل في سبيل

الطاغوت المقاتلين في سبيل الله؛ أنه على ربه ظهير.

وقوله تعالى: ﴿وَآخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ

لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴿سورة يس:

٧٤- ٧٥﴾ على قول من قال: إن الجند المحضرون هم الكفار؛ يقاتلون عن آلهتهم ويدافعون عنها، ومن قاتل عن الأصنام مدافعاً عن عبادتها، فهو على ربه ظهير، وكونه ظهيراً على ربه أي معيناً للشيطان وحزبه على عداوة الله ورسوله. ككونه عدواً له المذكور

في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ

وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴿سورة البقرة: ٢٦﴾، وقوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٦٦﴾ ﴿سورة فصلت:

فائدة:

ومعلوم بالضرورة أن جميع الخلق لو تعاونوا على عداوة الله ﷻ لا يمكن أن
يضره بشيء وإنما يضررون بذلك أنفسهم: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ أَلْفُقَرَاءُ إِلَى
اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [سورة فاطر: ١١٥] (١).

الموافقون:

جمهور المفسرين اختاروا القول الموافق لما ذهب إليه الشنقيطي من أن معنى
ظهيراً: معيناً، أي كان الكافر معيناً للشيطان وحزبه من الكفرة على عداوة الله ﷻ
ورسله، فمن هؤلاء المفسرين:

١ - الطبري؛ قال: «يقول تعالى ذكره وكان الكافر معيناً للشيطان على ربه مظاهر له
على معصيته»، ثم ذكر قولاً خلاصته أن معنى: ((وكان الكافر على ربه ظهيراً))
يعني: وكان الكافر على ربه هيناً من قول العرب ظهرت به فلم التفت إليه؛ إذ جعله
خلف ظهره فلم يلتفت إليه. ولكنه ضعّف هذا القول، ثم قال: «□ والقول الذي
قلناه هو وجه الكلام والمعنى الصحيح؛ لأن الله تعالى ذكره أخبر عن عبادة هؤلاء
الكفار من دونه، فأولى الكلام أن يتبع ذلك ذمّه إياهم وذم فعلهم دون الخبر عن
هوانهم على ربهم، ولما يجز لاستكبارهم عليه ذكر فيتبع بالخبر عن هوانهم عليه
» (٢).

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٣٤٣).

(٢) جامع البيان للطبري (١٩/١٧ - ١٨).

- ٢- الزجاج؛ قال: « معنى الظهير المعين؛ لأنه يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الله ﷻ لأن عبادتهم للأصنام معاونة للشيطان »^(١).
- ٣- النسفي؛ قال: « ((وكان الكافر على ربه)) على معصية ربه ((ظهيراً)) معيناً ومظاهراً، والمعنى: أن الكافر بعبادة الصنم يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الرحمن ﷻ »^(٢).
- ٤- ابن القيم؛ قال: « هذا من أطف خطاب القرآن، وأشرف معانيه، وأن المؤمن دائماً مع الله ﷻ على نفسه وهواه وشيطانه وعدو ربه. وهذا معنى كونه من حزب الله وجنده وأوليائه، فهو مع الله سبحانه على عدوه الداخل فيه والخارج عنه، يحاربهم ويعاديهم ويُغضبهم له سبحانه. كما يكون خواص الملك معه على حرب أعدائه، والبعيدون منه فارغون من ذلك، غير مهتمين به، والكافر مع شيطانه ونفسه وهواه على ربه. والمعنى: أنه يوالي عدوه على معصيته والشرك به، فيكون مع عدوه معيناً له على مساخط ربه.
- فالمعية الخاصة التي للمؤمن مع ربه وإلهه قد صارت لهذا الكافر والفاجر مع الشيطان ومع نفسه وهواه وقربانه، ولهذا صدر الآية بقوله: ((ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم))، وهذه العبادة هي الموالاتة والمحبة والرضا بعبوديتهم المتضمنة لمعيتهم الخاصة؛ فظاهروا أعداء الله ﷻ على مُعاداته ومخالفته ومساخطه، بخلاف وليه سبحانه؛ فإنه معه على نفسه وشيطانه وهواه.
- وهذا المعنى من كنوز القرآن لمن فهمه وعقله، وبالله التوفيق »^(٣).

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٧٣/٤).

(٢) مدارك التنزيل للنسفي (١٣١/٣) بتصرف.

(٣) بدائع التفسير (١٩٨/٣)، والفوائد لابن القيم ص(١٢٠).

- ٥- ابن كثير؛ قال: « يخبر تعالى عن جهل المشركين في عبادتهم غير الله من الأصنام التي لا تملك لهم^(١) ضرراً ولا نفعاً، بلا دليل قادم إلى ذلك ولا حجة أدتهم إليه بل بمجرد الآراء والتشهي والأهواء، فهم يوالونهم ويقاتلون في سبيلهم ويعادون الله ورسوله والمؤمنين فيهم، ولهذا قال تعالى: ((وكان الكافر على ربه ظهيراً)) أي عوناً في سبيل الشيطان على حزب الله^(٢) ».
- ٦- البقاعي؛ قال: « ((ظهيراً)) معيناً لشياطين الإنس والجن على أولياء الله ﷺ^(٣) ».
- ٧- الشوكاني؛ قال: « ((وكان الكافر على ربه ظهيراً)) الظهير المظاهر، أي المعاون على ربه بالشرك والعداوة، والمظاهرة على الرب جلا وعلا هي المظاهرة على رسوله ﷺ وعلى دينه^(٤) ».
- ٨- القاسمي؛ قال: « أي معيناً للشيطان على عصيان ربه ﷻ^(٥) ».
- ٩- السعدي؛ قال: « أي: يعبدون أصناماً وأمواتاً لا تضر ولا تنفع، وتجعلونها أنداداً لملك النفع والضرر، والعطاء والمنع، مع أن الواجب عليهم أن يكونوا مقتدين بإرشادات ربهم، ذابيين عن دينه، ولكنهم عكسوا القضية. فالباطل الذي هو الأوثان والأنداد؛ أعداء الله ﷻ، فالكافر عاونها وظاهرها على ربها، وصار عدواً لربه، مبارزاً له في العداوة والحرب^(٦) ».

(١) في تفسير ابن كثير قال: « لا تملك له » وهو خطأ مطبعي، ولكي تستقيم العبارة لا بد أن يكون الضمير لهم" كما أثبتته.

انظر: مختصر تفسير ابن كثير للصابوني (٦٣٦/٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٣٢٢).

(٣) نظم الدرر للبقاعي (١٣/٤١٠).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٤/٨٢).

(٥) محاسن التأويل للقاسمي (١٢/٤٥٨٥).

(٦) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٥٨٥).

ولم أجد أحداً اختار قولاً مخالفاً ورجّحه، ولكن ربما بعض المفسرين جمع الأقوال دون ترجيح، منهم ابن عطية^(١)، وابن الجوزي^(٢)، والخازن^(٣).

تعقيب الباحث:

الذي يظهر - والله أعلم - أن الراجح في معنى قوله تعالى: ((وكان الكافر على ربه ظهيراً)) هو ما ذهب إليه جمهور المفسرين من المتقدمين والمتأخرين ومنهم الشيخ الشنقيطي؛ وذلك لأمرين:

- ١ - دلالة سياق الآيات على المعنى الراجح؛ وهي قاعدة^(٤) مهمة عند المفسرين في فهم كلام الله ﷻ فقد قال الإمام الطبري - وقد سبق ذكر كلامه وأعيده لربط الكلام وإيضاح المعنى في الذهن - : «لأن الله تعالى ذكره أخبر عن عبادة هؤلاء الكفار من دونه، فأولى الكلام أن يتبع ذلك ذمّ إياهم وذم فعلهم دون الخبر عن هوانهم على ربهم ولما يجز لاستكبارهم عليه ذكر فيتبع بالخبر عن هوانهم عليه»^(٥).
- ٢ - كون ((ظهيراً)) تعني المعاونة هو الغالب في أسلوب^(٦) القرآن الكريم باستقراء الآيات الواردة فيها هذه الكلمة، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٥٥/١١).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٢٠/٦).

(٣) لباب التأويل للخازن (٨٧/٥).

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (١٢٥/١).

(٥) جامع البيان للطبري (١٨/١٩).

(٦) قواعد التفسير لخالد السبت (٧٩٨/٢)، وقواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (١٧٢/١).

الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ

بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ سورة الإسراء:

١٨٨، ومنها قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ

الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَكِ بَعَدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ سورة التحريم: ٤٤. وغيرها

من الآيات^(١).

٣- أن الظهير هو المعين، والمظاهرة المعاونة، واستظهر به استعان، هذا هو المعروف في
اللغة^(٢) وهو الأولى بحمل الآية عليه فهو الأغلب والأشهر^(٣).

٤- إجماع جمهور المفسرين^(٤) على هذا القول وجه من وجوه ترجيحه، مع عدم وجود
وجود أحد رجح قولاً مخالفاً.

فائدة:

اختلف في المراد بالكافر على أقوال: ف قيل عام في كل كافر، وقيل: إبليس،
وقيل: أبوجهل، وقد صحح كل من الرازي والحاازن: أنه عام في كل كافر^(٥)، ويبدو أنهم

(١) (سورة القصص: ١٧، وكذلك ١٨٦، (سورة سبأ: ٢٢).

(٢) (القاموس المحيط للفيروز آبادي ص(٥٥٧)، باب الرء فصل الظاء، ومختار الصحاح للرازي
ص(٤٠٦)، مادة ظ هر.

(٣) قواعد التفسير لخالء السبب (١/٢١٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٢/٣٦٩).

(٤) المرجع السابق (١/٢٨٨).

(٥) التفسير الكبير للفخر الرازي (٨/٤٧٦)، لباب التأويل للهازن (٥/٨٧).

أنهم بنوه على قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب^(١)، ومن قال إنه أبو جهل على اعتبار أن الآية نزلت فيه^(٢) وجوز الألويسي أن يكون معنى ((ظهيراً)) مراداً على سائر الاحتمالات في "الكافر"، فقد قال: « المراد بالكافر الجنس، فهو إظهار في مقام الإضمار لنعي كفرهم عليهم. وقيل: هو أبو جهل والآية نزلت فيه، وقيل: هو إبليس عليه اللعنة، والمراد يعاون المشركين على ربه ﷻ بأن يغريهم على معصيته والشرك به ﷻ، وقيل: المراد يعاون على أولياء الله ﷻ.

وجوز أن يكون هذا مراداً على سائر الاحتمالات في الكافر^(٣). والله أعلم

بالصواب.



(١) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٥٤٥/٢)، وقواعد التفسير لخالل السبب (٥٩٣/٢).

(٢) الدر المنثور للسيوطي (٧٤/٥) أورد الروايات الدالة على ذلك.

(٣) روح المعاني للألويسي (٣٦/١٠ - ٣٧).

معنى الغرام

٣٠- قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۗ

إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۗ ﴾ [سورة الفرقان: ٦٥].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

- ١- أن معنى غراماً: لازماً دائماً غير مفارق^(١).
- ٢- أن الغرام: أشد العذاب^(٢).
- ٣- معنى ((كان غراماً)) هلاكاً وخسراناً^(٣).
- ٤- الغرام: الشر^(٤).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « الأظهر أن معنى قوله ((كان غراماً)) أي كان لازماً دائماً غير مفارق، ومنه سمي الغريم ملازمته، ويقال: فلان مغرم بكذا أي لازم له مولع به.

وهذا المعنى دلت عليه آيات من كتاب الله تعالى، كقوله تعالى: ﴿ وَلَهُمْ

(١) جامع البيان للطبري (٢٣/١٩)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٣٢٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٧٥).

(٣) نقله القرطبي ولم يرجحه عن أبي عبيدة (٧٢/١٣)، التسهيل لابن جزي (٣/١٧٦).

(٤) نقله القرطبي ولم يرجحه عن ابن زيد (٧٢/١٣).

عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿المائدة: ٣٧، التوبة: ٦٨﴾، وقوله تعالى: ﴿لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ ﴿سورة الزخرف: ١٧٥﴾، وقوله تعالى: ﴿فَلَنْ نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ ﴿سورة النبا: ٢٣٠﴾، وقوله تعالى: ﴿لَا تُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ﴿البقرة: ١٦٢، آل عمران: ١٨٨﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَفِّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ ﴿سورة فاطر: ٣٦﴾، وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ ﴿سورة النساء: ٥٦﴾ إلى غير ذلك من الآيات^(١).

وقال الزجاج: «الغرام أشد العذاب، وقال ابن زيد: الغرام الشر، وقال أبو عبيدة: الهلاك، قاله القرطبي^(٢)»^(٣).

الموافقون:

كثير من أئمة التفسير ذهبوا إلى ما ذهب إليه الشيخ الشنقيطي في معنى ((كان

(١) مثلاً: ﴿سورة البقرة: ٨٦﴾، ﴿سورة يونس: ٥٢﴾، ﴿سورة هود: ٣٩﴾، ﴿سورة النحل: ٨٥﴾، ﴿سورة الحج: ٢٢﴾، ﴿سورة السجدة: ١٤﴾، ﴿سورة الزمر: ٤٠﴾، ﴿سورة الشورى: ٤٥﴾.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/٧٢).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٣٥٠-٣٥١).

غراماً)) وأن معناها: لازماً دائماً غير مفارق ونحوها؛ من هؤلاء:

- ١- الإمام الطبري: « وقوله ((إن عذابها كان غراماً)) يقول إن عذاب جهنم كان غراماً ملحقاً دائماً لازماً غير مفارق من عذب به من الكفار »^(١).
 - ٢- القرطبي: « ((إن عذابها كان غراماً)) أي لازماً دائماً غير مفارق »^(٢).
 - ٣- ابن كثير: « أي ملازماً دائماً »^(٣).
 - ٤- البيضاوي: « لازماً، ومنه الغريم لملازمته »^(٤).
 - ٥- السعدي: « أي ملازماً لأهلها، بمنزلة ملازمة الغريم لغريمه »^(٥).
- ومن قال به أيضاً من الأئمة: الفراء^(٦)، والبغوي^(٧)، والزنجشيري^(٨)، والنيسابوري^(٩)، والسمين الحلبي^(١٠)، البقاعي^(١١)، والشوكاني^(١٢) وغيرهم^(١٣).

١ () جامع البيان للطبري (٢٣/١٩).

٢ () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧٢/١٣).

٣ () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٢٥/٣).

٤ () أنوار التنزيل للبيضاوي (٧٤/٢).

٥ () تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥٨٦).

٦ () معاني القرآن للفراء (٢٧٢/٢).

٧ () مختصر البغوي (٦٦٥/٢).

٨ () الكشف للزنجشيري (٢٨٤/٣).

٩ () إيجاز البيان للنيسابوري (٨٣/٢).

١٠ () الدر المصون للسمين الحلبي (٤٩٩/٨).

١١ () نظم الدرر للبقاعي (٣٢٤/١٣).

١٢ () فتح القدير للشوكاني (٨٥/٤).

١٣ () مثلاً: النسفي في مدارك التنزيل (١٣٣/٣)، ابن عطية في المحرر الوجيز (٦٩/١١)، وسيد قطب في ظلال القرآن (٢٥٧٨/٥)، وابن عاشور في التحرير والتنوير (٧١/١٩).

المخالفون:

قلة من المفسرين اختاروا القول المخالف؛ منهم:

١- الزجاج: «الغرام في اللغة أشد العذاب»^(١).

٢- ابن زيد: «الغرام الشر»^(٢).

٣- أبو عبيدة: «الهلاك»^(٣).

ومن الأئمة من جمع الأقوال كلها دون ترجيح بينها كابن الجوزي^(٤) وابن

جزى^(٥) وابن القيم^(٦).

تعقيب الباحث:

الذي يظهر - والله أعلم - أن الراجح في معنى الغرام هو ما ذهب إليه

الشنقيطي ومن وافقه، من أن معناه لازم دائم غير مفارق، لأمر:

١- أن القول بأن معنى الغرام: الشر أو الهلاك أو أشد العذاب ليس فيه إفادة معنى جديد

في الآية، إنما هو من باب التوكيد، فإن عذاب جهنم فيه الشدة والهلاك والشر، بل

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٧٥/٤).

(٢) حكاة عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٧٢/١٣).

وإبن زيد هو: عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولا هم المدني، روى عن أبيه وابن المنكدر، له: (التفسير) و (الناسخ والمنسوخ). توفي سنة (١٨٢هـ). طبقات المفسرين (٢٦٥/١).

(٣) المرجع السابق.

وأبو عبيدة هو: معمر بن المثنى البصري، اللغوي، من أئمة اللغة والأدب، من مصنفاته المشهورة: (غريب القرآن). توفي سنة (٢٠٩هـ). طبقات المفسرين (٣٢٦/٢).

(٤) زاد المسير لابن الجوزي (٢٣/٦).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى (١٧٦/٣).

(٦) بدائع التفسير لابن القيم (٣٠٣/٣).

٢- من الأدلة على القول الراجح؛ إجماع المفسرين عليه وقلة المخالفين، وقد سبق استعراض أقوال عدد منهم والإحالة إلى بعضهم. والله أعلم بالصواب.



أَسْلَمًا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٣﴾ وَنَدَيْنَهُ أَنْ يَتَابِرْهِيمُ ﴿١٤﴾ قَدْ
صَدَّقْتَ الرَّءْيَىٰ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾

= إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلْتُوا الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٧﴾
﴿سورة الصافات: ٩٩-١٠٧﴾، وعند قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن

سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ
كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَاهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ

يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٣﴾ ﴿سورة محمد: ١- ٣﴾، وعند قوله تعالى: ﴿

اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴿١٦﴾ ﴿سورة المجادلة: ١٦﴾.

والإمام الأنسوي في كتاب التمهيد في تخريج الفروع على الأصول (١٦٧) والإمام الزركشي في البحر
المحيط (١١٧/٢).

الإسراف والإقتار

٣١- قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ

بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ [سورة الفرقان: ٦٧].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

- ١- الإسراف: مجاوزة الحد في النفقة حتى يدخل في حد التبذير. والإقتار: التقصير عما لا بد منه^(١).
- ٢- الإسراف: الإنفاق في معصية الله وإن قلّ. والإقتار: منع حق الله تعالى^(٢).
- ٣- الإسراف هو أن تأكل من مال غيرك بغير حق^(٣).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « اعلم أن أظهر الأقوال في هذه الآية الكريمة، أن الله ﷻ مدح عباده الصالحين بتوسطهم في إنفاقهم، فلا يجاوزون الحد بالإسراف في الإنفاق، ولا يقترون أي لا يضيعون فيبخلون بإنفاق القدر اللازم. وقال بعض أهل العلم: الإسراف في الآية الإنفاق في الحرام والباطل، والإقتار منع الحق الواجب، وهذا المعنى وإن كان حقاً؛ فالأظهر في الآية هو القول الأول ثم نقل

(١) مختصر البغوي (٦٦٥/٢)، زاد المسير لابن الجوزي (٢٣/٦).

(٢) مختصر البغوي (٦٦٥/٢)، زاد المسير لابن الجوزي (٢٣/٦)، ونقله عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جريج.

(٣) جامع البيان للطبري (٢٤/١٩) نقله - ولم يرجحه - عن عون بن عبدالله بن عتبة.

عن بعض المفسرين وتكلم عن الإعراب، إلى أن قال: [والظاهر أن التوسط في الإنفاق الذي مدحهم به شامل لإنفاقهم على أهلهم، وإنفاقهم المال في أوجه الخير.

وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في غير هذا الموضع،

فمن ذلك أن الله أوصى نبيه ﷺ بالعمل بمقتضاه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ

مَغْلُوبَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [سورة الإسراء: ٢٩]، فقوله

((ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك)) أي مسكة عن الإنفاق إمساكاً كلياً، يؤدي معنى قوله هنا ((ولم يفتروا)). وقوله ((ولا تبسطها كل البسط)) يؤدي معنى قوله هنا ((لم يسرفوا)).

وأشار إلى هذا المعنى في قوله: ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ

السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا﴾ [سورة الإسراء: ٢٦]،^(١).

الموافقون:

الجم الغفير من أئمة التفسير قالوا في معنى الآية ما قاله الشيخ الشنقيطي من أن الإسراف هو مجاوزة الحد في الإنفاق حتى يصل إلى التبذير، وأن الإقتار هو التصيق والتقصير والبخل عما لا بد منه، وما كم بعض أقوالهم:

١- الإمام الطبري، قال: «والصواب من القول في ذلك قول من قال: الإسراف في النفقة الذي عناه الله في هذا الموضع ما جاوز الحد الذي أباحه الله لعباده إلى ما فوقه،

(١) أعضاء البيان للشنقيطي (٦/٣٥١-٣٥٢).

والإقتار ما قصر عما أمر الله به، والقوام بين ذلك»^(١).

٢- الزجاج، قال: «والحق في هذا ما أدب الله ﷻ به نبيه ﷺ؛ فقال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ

يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا

مَحْسُورًا﴾ ﴿سورة الإسراء: ١٢٩﴾^(٢).

٣- ابن عطية، قال: «التأديب في هذه الآية في نفقة الطاعات في المباحات، فأدب الشرع

فيها ألا يفرط الإنسان حتى يضيع حقاً آخر أو عيالاً ونحو هذا، وألا يضيق أيضاً

ويقتر حتى يبيع العيال ويفرط في الشح، والحسن في ذلك هو القوام؛ أي العدل،

والقوام في كل واحد بحسب عياله وماله، وخفه ظهره وصبره وجلده على الكسب،

أو ضد هذه من الخصال، وخير الأمور أوسطها، ولهذا ترك رسول الله ﷺ أبا بكر

الصديق رضي الله تبارك وتعالى عنه يتصدق بجميع ماله؛ لأن ذلك وسط بنسبة جلده

وصبره في الدين، ومنع غيره من ذلك»^(٣).

٤- ابن كثير، قال: «وقوله تعالى: ((والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا...)) الآية..

أي ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهلهم

فيقصرون في حقهم فلا يكفونهم بل عدلاً خياراً، وخير الأمور أوسطها لا هذا ولا

هذا ((وكان بين ذلك قواماً))»^(٤).

٥- البيضاوي، قال: «((والذي إذا أنفقوا لم يسرفوا)) لم يجاوزوا حدَّ الكرم ((ولم

(١) جامع البيان للطبري ١٩/٢٤٤.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٧٥).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (١١/٧١).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٣٢٥).

يقتروا)) ولم يضيعوا تضيق الشحيح»^(١).

٦- البقاعي، قال: «(والذي إذا أنفقوا)) أي للخلق أو للخالق في واجب أو مستحب ((لم يسرفوا)) أي: يجاوزوا الحد في النفقة بالتبذير، فيضيعوا الأموال في غير حقها فيكونوا إخوان الشياطين، ((ولم يقتروا)) أي يضيعوا الحقوق □»^(٢).

٧- السعدي، قال: «(والذين إذا أنفقوا)) النفقات الواجبة والمستحبة ((لم يسرفوا)) بأن يزيدوا على الحد، فيدخلوا في قسم التبذير وإهمال الحقوق الواجبة، ((ولم يقتروا)) فيدخلوا في باب البخل والشح ((وكان)) إنفاقهم ((بين ذلك)) بين الإسراف والتقتير ((قواماً)) يذلون في الواجبات من الزكوات والكفارات، والنفقات الواجبة وفيما ينبغي على الوجه الذي ينبغي، من غير ضرر ولا ضرار، وهذا من عدلهم واقتصادهم»^(٣).

٨- سيد قطب، قال: «(والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً)) وهذه سمة الإسلام التي يحققها في حياة الأفراد والجماعات؛ ويتجه إليها في التربية والتشريع، يقيم بناءه كله على التوازن والاعتدال.

والمسلم - مع اعتراف الإسلام بالملكية الفردية المقيدة - ليس حراً في إنفاق أمواله الخاصة كما يشاء - كما هو الحال في النظام الرأسمالي وعند الأمم التي لا يحكم التشريع الإلهي حياتها في كل ميدان - إنما هو مقيد بالتوسط في الأمرين الإسراف والتقتير. فالإسراف مفسدة للنفس والمال والمجتمع، والتقتير مثله؛ حبس للمال عن انتفاع صاحبه به، وانتفاع الجماعة من حوله، فالمال أداة اجتماعية لتحقيق خدمات اجتماعية. والإسراف والتقتير يحدثان اختلافاً في

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي (٧٤/٢).

(٢) نظم الدرر للبقاعي (٤٢٤/١٣).

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥٣٤).

المحيط الاجتماعي والمجال الاقتصادي، وحبس الأموال يحدث أزمات ومثله إطلاقها بغير حساب. ذلك فوق فساد القلوب والأخلاق.

والإسلام وهو ينظم هذا الجانب من الحياة يبدأ به من نفس الفرد، فيجعل الاعتدال سمة من سمات الإيمان: ((وكان بين ذلك قواماً))^(١).

ومن قال مثل هذا القول أيضاً الإمام النسفي^(٢)، والزمخشري^(٣)، وابن جزى^(٤)، أبوحيان^(٥)، وابن عاشور^(٦) وغيرهم.

المخالفون:

لم أجد فيما وقت عليه من أقوال المفسرين أحداً رجح قولاً من الأقوال الأخرى، إنما غاية من وجدت ربما جمع الأقوال الواردة في معنى الآية دون ترجيح كالإمام البغوي^(٧)، وابن الجوزي^(٨) وغيرهما.

تعقيب الباحث:

القول الذي رجّحه الشيخ الشنقيطي ورجّحه جمهور المفسرين بإجماعهم عليه

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/٢٥٧٩).

(٢) مدارك التنزيل للنسفي (٣/١٣٤).

(٣) الكشاف للزمخشري (٣/٢٨٥).

(٤) التسهيل لابن جزى (٣/١٧٦).

(٥) البحر المحیط لأبي حيان (٨/١٢٨).

(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/٧١).

(٧) مختصر البغوي (٢/٦٦٥).

(٨) زاد المسير لابن الجوزي (٦/٢٣).

هو الراجح كما يظهر من خلال هذه الدراسة، مع كون الأقوال الأخرى لم يرجحها أحد من المفسرين، بل لقد ردّ عليها بعض المفسرين ووجه تلك الأقوال بما يجعلها خارج دائرة هذه الآية، وضعيفة العلاقة بها.

يقول الإمام ابن عطية - راداً على الأقوال الأخرى: « وخلط الطاعة والمعصية بالإسراف والإقتار فيه نظر، والوجه أن يقال: إن النفقة في معصية أمر قد حظرت الشريعة قليله وكثيره، وكذلك التعدي على مال الغير، وهؤلاء الموصوفون منزهون عن ذلك »^(١).

ويقول الإمام الطبري - في زيادة إيضاح للقول الراجح عنده وعند جمهور المفسرين والذي سبق ذكره تحت فقرة الموافقون - يقول متابِعاً: « وإنما قلنا إن ذلك كذلك لأن المسرف والمقتر كذلك، ولو كان الإسراف والإقتار في النفقة مرخصاً فيهما ما كانا مذمومين، ولا كان المسرف ولا المقتر مذموماً؛ لأن ما أذن الله في فعله فغير مستحق فاعله الذم. فإن قال قائل فهل لذلك من حد معروف تبينه لنا، قيل: نعم؛ ذلك مفهوم في كل شيء من المطاعم والمشارب والملابس والصدقة، وأعمال البر وغير ذلك، نكره تطويل^(٢) الكتاب بذكر كل نوع من ذلك مفصلاً غير أن جملة ذلك هو ما بينا، وذلك نحو: أكل أكل من الطعام فوق الشبع ما يضعف بدنه وينهك قواه ويشغله عن طاعة ربه وأداء فرائضه فذلك من السرف، وأن يترك الأكل وله إليه سبيل حتى يضعف ذلك جسمه وينهك قواه ويضعفه عن أداء فرائض ربه فذلك من الإقتار، وبين ذلك القوام على هذا النحو كل ما جانس ما ذكرنا، فأما اتخاذ الثوب للجمال يلبسه عند اجتماعه مع الناس وحضوره المحافل والجمع والأعياد دون ثوب مهنته، أو أكله من الطعام من قواه على عبادة ربه مما ارتفع عما

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (١١/٧٠).

(٢) لا زال الكلام للإمام الطبري.

قد يسد الجوع مما هو دونه من الأغذية غير أنه لا يعين البدن على القيام لله ﷻ بالواجب معونته، فذلك خارج عن معنى الإسراف، بل ذلك من القوام لأن النبي ﷺ قد أمر ببعض ذلك وحض على بعضه، كقوله: « ما على أحدكم لو اتخذ ثوبين ثوباً لمهنته وثوباً لجمعته وعيده »^(١)، وكقوله: « إذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن يرى أثره عليه »^(٢)، وما أشبه ذلك من الأخبار^(٣)، والله أعلم بالصواب.



معنى ﴿ لَمْ يَحْزِرُوا عَلَيْهَا صُماً وَعَمِيَانًا ﴾

٣٢ - قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَحْزِرُوا عَلَيْهَا

صُماً وَعَمِيَانًا ﴾ [سورة الفرقان: ٧٣].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

() في جامع الأصول قال: « أخرجه أبو داود [بلفظ] « ما على أحدكم إن وجد أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته ». وقال محقق الأصول: « رقم (١٠٧٨) في الصلاة، باب اللبس للجمعة. ورواه أيضاً بنحوه ابن ماجه رقم (١٠٩٥) في إقامة الصلاة، باب ما جاء في الزينة يوم الجمعة. وإسناده صحيح ». انظر: جامع الأصول بتحقيق عبدالقادر الأرناؤوط (٦٥٩/١٠).

() في جامع الأصول قال: « أخرجه الترمذي [بلفظ] « إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ». وقال محقق جامع الأصول: « رقم (٢٨٢٠) في الأدب، باب ما جاء أن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده. وإسناده حسن ». انظر: جامع الأصول بتحقيق عبدالقادر الأرناؤوط (٦٥٨/١٠).

() جامع البيان للطبري (٢٤/١٩ - ٢٥).

- ١ - المعنى: أن الكافر إذا تليت عليه آيات الله ﷻ خَرَّ عليها أصم وأعمى وخره عليها كذلك إقامته على الكفر^(١).
- ٢ - أن معنى: « (والذي إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا) » لم يقعوا ولم يسقطوا ((عليها صماً وعمياناً)) كأنهم صم عمي، بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه^(٢).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « إن لهذه الآية الكريمة دالتان: دلالة بالمنطوق ودلالة بالمفهوم:

- ١ - فقد دلت بمنطوقها: على أن من صفات عباد الرحمن، أنهم إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها، لم يكبوا عليها في حال كونهم صماً عن سماع ما فيها من الحق، وعمياناً عن إبصارهم، بل هم يكبون عليها سامعين ما فيها من الحق مبصرين له.

وهذا المعنى دلت عليه آيات آخر من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ

ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ [سورة الأنفال: ٢]. ومعلوم أن من تليت عليه آيات

هذا القرآن فزادته إيماناً أنه لم يخز عليها أصم أعمى، وكقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا

أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هِدَايَةً إِيمَانًا فَأَمَّا

(١) جامع البيان للطبري (١٩/٣٣).

(٢) مختصر البغوي (٢/٦٦٦).

الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴿سورة التوبة:

١٢٤﴾، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًا

تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ سَخَشُونَهُ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ

وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴿سورة الزمر: ٢٣﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

٢- وقد دلت الآية المذكورة أيضاً بمفهومها: أن الكفرة المخالفين لعباد الرحمن الموصوفين
في هذه الآيات؛ إذا ذكروا بآيات ربهم خروا عليها صماً وعمياناً أي لا يسمعون ما
فيها من الحق ولا يبصرونه حتى كأنهم لم يسمعوها أصلاً.

وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة بمفهومها جاء موضحاً في آيات آخر من

كتاب الله كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَوَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن

لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧٧﴾ ﴿سورة

لقمان: ٧٧﴾، وقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ

تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ

﴿٨٦﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْعًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ؕ أُولَٰئِكَ هُمُ عَذَابُ

مُهِينٌ ﴿١٠١﴾ ﴿سورة الجاثية: ٧ - ٩﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً

فَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هُدًىٰ ۖ فَمِمَّا الَّذِي

ءَامَنُوا فَرَّادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١١٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي
 قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَّادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ
 كَافِرُونَ ﴿١١٥﴾ ﴿سورة التوبة: ١٢٤ - ١٣٥ إلى غير ذلك من الآيات.

والظاهر أن معنى خروا الكفار على الآيات في حال كونهم صماً وعمياناً؛ هو إكبابهم على إنكارها والتكذيب بها»^(١).

الموافقون:

وأعني بهم كل من تكلم في تفسير الآية في ضوء دلالة المنطوق ودلالة المفهوم معاً، مع إبراز دلالة المفهوم وإيضاحها - مثل ما فعل الشنقيطي - ومنهم:

١- الإمام الطبري - عند تفسيره للآية - قال: « فإن قال قائل وما معنى قوله لم يخروا عليها صماً وعمياناً، أو يخر الكافرون صماً وعمياناً إذا ذكروا بآيات الله فينفي عن هؤلاء ما هو صفة للكفار، قيل: نعم الكافر إذا تليت عليه آيات الله خر عليها أصم وأعمى، وخره عليها كذلك؛ إقامته على الكفر. وذلك نظير قول العرب سببت فلاناً فقام يبكي بمعنى فظل يبكي ولا قيام هنالك ولعله أن يكون بكى قاعداً، وكما يقال نهيت فلاناً عن كذا فقعد يشتمني ومعنى ذلك فجعل يشتمني وظل يشتمني ولا قعود هنالك، ولكن ذلك قد جرى على ألسن العرب حتى قد فهموا معناه، فكَذَلِكَ قَوْلُهُ ((لم يخروا عليها صماً وعمياناً)) إنما معناه لم يصموا عنها ولا عمواً عنها ولم يصيروا على باب ربهم صماً وعمياناً»^(٢).

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٣٥٧ - ٣٥٨) بتصرف.

(٢) جامع البيان للطبري (١٩/٣٣).

٢- أبوحيان: « (بآيات ربهم) هي القرآن (لم يخروا عليها صماً وعمياناً) النفي متوجه إلى القيد الذي هو صم وعميان لا للخروج الداخلي عليه، وهذا الأكثر في لسان العرب أن النفي يتسلط على القيد، والمعنى أنهم إذا ذكروا بها أكبوا عليها حرصاً على استماعها، وأقبلوا على المذكر بها بأذان واعية وأعين راعية، بخلاف غيرهم من المنافقين وأشباههم فإنهم إذا ذكروا بها كانوا مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها في ظاهر الأمر، وكانوا ((صماً وعمياناً)) حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما فيها»^(١).

٣- ابن كثير: « وقوله تعالى: ((والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً)) وهذه أيضاً من صفات المؤمنين: ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [سورة الأنفال: ٢٢] بخلاف الكافر فإنه إذا سمع كلام الله لا يؤثر فيه ولا يتغير عما كان عليه بل يبقى مستمراً على كفره وطغيانه وجهله وضلاله؛ كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ

رَجْسِهِمْ ﴿ سورة التوبة: ١٢٤ - ١٢٥ ﴾، فقلوه ((لم يخزوا عليها صماً وعمياناً)) أي بخلاف الكافر الذي إذا سمع آيات الله فلا تؤثر فيه فيستمر على حاله كأن لم يسمعها أصم أعمى^(١).

٤- سيد قطب: « ومن سماتهم [عباد الرحمن] أنهم سرعوا التذكر إذا ذكروا، قربوا الاعتبار إذا وُعطوا، مفتوحو القلوب لآيات الله، يتلقونها بالفهم والاعتبار ((والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخزوا عليها صماً وعمياناً)) وفي التعبير تعريض بالمشركين الذين ينكبون على آلهتهم وعقائدهم وأباطيلهم كالصم والعميان؛ لا يسمعون ولا يبصرون، ولا يتطلعون إلى هدى أو نور. وحركة الانكباب على الوجوه بلا سمع ولا بصر ولا تدبر؛ حركة تصور الغفلة والانطماس والتعصب الأعمى. فأما عباد الرحمن، فهم يدركون إدراكاً واعياً بصيراً ما في عقيدتهم من حق، وما في آيات الله من صدق، فيؤمنوا إيماناً واعياً بصيراً^(٢) ».

٥- ابن عاشور - بعد ذكر الآية - قال: « أريد تمييز المؤمنين بمخالفة حالة هي من حالات المشركين وتلك هي حالة سماعهم دعوة الرسول ﷺ وما تشتمل عليه من آيات القرآن وطلب النظر في دلائل الوحانية، ولذلك جيء بالصلة منفية لتحصيل الثناء عليهم، مع التعريض بتفضيح حال المشركين، فإن المشركين إذا ذكروا بآيات الله ﷻ خزوا صماً وعمياناً كحال من لا يحب أن يرى شيئاً فجعل وجهه على الأرض. فاستعير الخرور لشدة الكراهية والتباعد بحيث إن حالهم عند سماع القرآن كحال الذي يخز إلى الأرض لثلا يرى ما يكره بحيث لم يبق له شيء من التقوم والنهوض، فتلك حالة هي غاية في نفسي إمكان القبول.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٣٢٩).

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/٢٥٨٠).

ويجوز أن يكون الخرور واقعاً منهم أو من بعضهم حقيقة لأنهم يكونون جلوساً في مجتمعاتهم ونواديتهم فإذا دعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام طأطأوا رؤوسهم وقربوها من الأرض ؛ لأن ذلك للقاعد يقوم مقام الفرار.

و ((صماً وعمياناً)) حالان من ضمير ((يخرؤا))، مراد بهما التشبيه بجذف حرف التشبيه، أي يخرؤون كالصم والعميان في عدم الانتفاع بالمسموع من الآيات والمبصر منها مما يذكرّون به ^(١).

وانظر: كذلك ما قاله الأئمة ابن عطية ^(٢)، وأبو السعود ^(٣)، والألوسي ^(٤) فإنه حول ما ذكر يدور.

المخالفون:

وهم الذين شرحوا الآية في ضوء دلالة المنطوق، وأن من صفات عباد الرحمن أنهم لا يخرؤون عند سماع الآيات صماً وعمياناً بل سجداً وبكياً بوعي وإدراك وفهم وقبول، وإليك بعض ما قالوه:

١ - الإمام البغوي: « ((والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخرؤا)) لم يقعوا ولم يسقطوا ((عليها صماً وعمياناً)) كأنهم صم عمي، بل يسمعون ما يذكرّون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه ^(٥)».

٢ - النسفي: « ((والذين إذا ذكروا بآيات ربهم)) أي: قريء عليهم القرآن أو وعظوا بالقرآن ((لم يخرؤوا عليها صماً وعمياناً)) هذا ليس بنفي للخرور بل هو إثبات له

(١) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (٨٠/١٩ - ٨١).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٨٠/١١).

(٣) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٩٧/٤).

(٤) روح المعاني للألوسي (٥٢/١٩).

(٥) مختصر البغوي (٦٦٦/٢).

ونفي الصمم والعمى ، ونحوه لا يلقاني زيد مسلماً هو نفي للسلام لا للقاء ، يعني أنهم إذا ذكروا بها خروا سجداً وبكياً سامعين بأذان واعية مبصرين بعيون راعية لما أمروا به ونهوا عنه ؛ لا كالمنافقين وأشباههم ، دليله قوله تعالى : ﴿ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ

وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ

عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ حَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [سورة مريم : ٥٨] «^(١) .

٣- النيسابوري : « ((لم يخروا عليها)) لم يسقطوا عليها ((صماً وعمياناً)) بل سجداً وبكياً »^(٢) .

٤- ابن جزي : « ((لم يخروا عليها صماً وعمياناً)) أي لم يعرضوا عن آيات الله بل أقبلوا عليها بأسماعهم وقلوبهم ، فالنفي للصم والعمي لا للخروج عليها »^(٣) .

٥- الشوكاني : « ((والذي إذا ذكروا بآيات ربهم)) أي بالقرآن ، أو بما فيه موعظة وعبرة ((لم يخروا عليها صماً وعمياناً)) أي لم يقفوا عليها حال كونهم صماً وعمياناً ، ولكنهم أكبوا عليها سامعين مبصرين وانفعوا بها »^(٤) .

٦- السعدي : « ((والذين إذا ذكروا بآيات ربهم)) التي أمرهم باستماعها والاهتداء بها ، ((لم يخروا عليها صماً وعمياناً)) أي لم يقابلوها بالإعراض عنها ، والصمم عن سماعها ، وصرف النظر والقلوب عنها ، كما يفعله من لم يؤمن بها ولم يصدق ،

وَإِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ

(١) مدارك التنزيل للنسفي (١٣٥/٣) .

(٢) إيجاز البيان للنيسابوري (٨٣/٢) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١٧٧/٣) .

(٤) فتح القدير للشوكاني (٨٨/٤) .

إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا

يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١١٥﴾ [سورة السجد: ١١٥]. يقابلونها بالقبول والافتقار إليها،

والانقياد والتسليم لها، وتجد عندهم أذاناً سامعة، وقلوباً واعية، فيزداد بها إيمانهم ويتم
بها إيقانهم، وتحدث لهم نشاطاً، ويفرحون بها سروراً واعتباطاً^(١).

وغيرهم من المفسرين مثلهم؛ كابن العربي^(٢)، والقرطبي^(٣)، والخازن^(٤)،

والمحلي^(٥)، فإن ما قالوه يشبهه كلام مَنْ ذُكِرَ.

تعقيب الباحث:

بعد هذه الجولة في أقوال المفسرين بتقسيمهم (موافقين - مخالفين) يظهر عدم
اختلاف المفسرين في بيان معنى آية سورة الفرقان قوله تعالى: ((والذين إذا ذُكِّروا بآيات
ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً)) وذلك أن هذه من الآيات التي لها دلالة بالمنطوق
ودلالة بالمفهوم، فبعض المفسرين شرحوها في ضوء الدلالاتين لبيان الفرق بين المؤمنين
والكافرين في موقفهم من سماع آيات الله ﷻ، على اعتبار أن سورة الفرقان قد ذكر فيها
عدد من المفارقات بين المؤمنين والكافرين وما أُعدَّ لكل فريق. والبعض الآخر من المفسرين
ذكروا دلالة المنطوق فقط، على اعتبار أن سياق الآيات في أواخر سورة الفرقان حديث عن
صفات عباد الرحمن المؤمنين ومدح لهم بما اتصفوا به في عبوديتهم لله ﷻ. علماً أن كلاً

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٥٨٧).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (٣/١٤٣٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/٨١).

(٤) لباب التأويل للخازن (٥/٩١).

(٥) تفسير الجلالين ص(٣٠٦).

الدالتين قد دلت عليها آيات أُخِرَ من كتاب الله ﷻ ، وقد سبق استعراض عدد منها في
ترجيح الشنقيطي وفي ثنايا كلام المفسرين. والله أعلم بالصواب.



معنى قوله تعالى ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾

٣٣- قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ

فَسَوْفَ يَكُونُ لِرِزَامًا﴾ [سورة الفرقان : ١٧٧].

مجمل الأقوال الواردة في الآية :

- ١- أن يكون المصدر (دعاء) مضاف إلى مفعوله ؛ وعليه يكون المعنى : لولا دعاؤه إياكم إلى التوحيد والإسلام على السنة رسله ^(١).
- ٢- أن يكون المصدر مضافاً إلى فاعله ؛ وهذا يحتل ثلاثة معان :
الأول : لولا دعاؤكم ؛ أي عبادتكم له وحده جل وعلا ^(٢).
الثاني : أن المعنى : لولا دعاؤكم أيها الكفار له وحده عند الشدائد والكروب ^(٣).
الثالث : أن المعنى : ما يعجب بكم ربي لولا دعاؤكم الأصنام دونه ^(٤).

ترجيح الشنقيطي :

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « أعلم أن كلام أهل التفسير في هذه الآية الكريمة يدور على أربعة أقوال ، ثلاثة منها مبنية على كون المصدر فيها

(١) معاني القرآن للفراء (٢/٢٧٥) ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/٨٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٧٨) ، البحر المحیط لأبي حيان (٨/١٣٤).

(٣) نظم الدرر للبقاعي (١٣/٤٣٨) ، والدر المصون للسمين الحلبي (٨/٥٠٧).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (١١/٨٣).

مضاف إلى فاعله ، والرابع مبني على كونه مضافاً إلى مفعوله .

أما الأقوال الثلاثة المبنية على كونه مضافاً إلى فاعله ، فهي :

**الأول: أن المعنى: ما يعبؤ بكم ربي لولا
دعاؤكم: أي عبادتكم له وحده جل وعلا،
وعلى هذا القول فالخطاب عام للكافرين
والمؤمنين ثم أفرد الكافرين دون المؤمنين بقوله
(فقد كذبتهم)) الآية.**

الثاني: أن المعنى: لولا دعاؤكم أيها الكفار له وحده عند الشدائد والكروب: أي ولو كنتم ترجعون إلى شرككم ، إذا كشف الضر عنكم .

الثالث: أن المعنى: ما يعبؤ بكم ربي: أي ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة أخرى ، ولا يخفى بعد هذا القول ، وأن فيه تقدير ما لا دليل عليه ولا حاجة إليه .

أما القول الرابع المبني على أن المصدر في الآية مضاف إلى مفعوله فهو ظاهر ؛ أي: ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤه إياكم على السنة رسله. [إلى أن قال:] فهذا القول الأخير المبني على أن المصدر في الآية مضاف إلى مفعوله ، وأن المعنى ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤه إياكم إلى الإيمان به وتوحيده وعبادته على السنة رسله ، فقد دلت عليه آيات من كتاب الله

كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ ۝

﴿سورة هود: ٧٧﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا

لِنَبْتُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧٧﴾ [سورة الكهف: ٧٧]، وقوله تعالى: ﴿

الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧٧﴾ [سورة

الملك: ٢٢].

فهذه الآيات قد أوضحت أن الحكمة في خلقه السماوات والأرض، وجميع ما
على الأرض والموت والحياة، هي أن يدعوهم على السنة رسله، وابتليهم أي يختبرهم أيهم
أحسن عملاً. وهذه الآيات تبين معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا

لِيَعْبُدُونَ ﴿٥٦﴾ [سورة الذاريات: ٥٦].

وفي هذه الآيات إيضاح لأن معنى قوله ((لولا دعاؤكم)) أي دعاؤه إياكم على
السنة رسله، وابتلاؤكم أيكم أحسن عملاً، وعلى هذا فلا إشكال في قوله ((فقد كذبتم))
أي ما يعبؤ بكم لولا دعاؤه إياكم: أي وقد دعاكم فكذبتم.

وهذا القول هو وحده الذي لا إشكال فيه، فهو قوي بدلالة الآيات المذكورة عليه.

ثم أكد أن اختياره هو الراجح بكونه فصيحاً من ناحية اللغة العربية بقوله: [و
واظهر الأقوال في الآية عندي، هو القول بأن المصدر فيها مضاف إلى مفعوله، لجريانه على
اللغة الفصيحة من غير إشكال ولا تقدير، والعلم عند الله تعالى] ^(١).

الموافقون:

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٣٥٩ - ٣٦٣) بتصرف.

- اختار المعنى المبني على أن المصدر مضاف إلى مفعوله - مثل اختيار الشنقيطي - عدد من أئمة التفسير، منهم:
- ١- الفراء: « ((لولا دعاؤكم)) لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام »^(١).
 - ٢- السمعاني: « ((لولا دعاؤكم)) أحسن الأقاويل فيه أن معناه: لولا دعاؤه إياكم إلى التوحيد »^(٢).
 - ٣- القرطبي: « ((لولا دعاؤكم)) أي لولا دعاؤه إياكم لتعبده، فالمصدر الذي هو الدعاء على هذا القول مضاف إلى مفعوله »^(٣).
 - ٤- الشوكاني: « ((لولا دعاؤكم)) أي لولا دعاؤكم^(٤) إياه لتعبده، وعلى هذا فالمصدر الذي هو الدعاء مضاف إلى مفعوله، وهو اختيار الفراء »^(٥).
 - ٥- ابن عاشور: « والدعاء: الدعوة إلى شيء، وهو هنا مضاف على مفعوله، والفاعل يدل عليه ((ربي)) أي لولا دعاؤه إياكم، أي لولا أنه يدعوكم، فتعين أن الدعاء الدعوة إلى الإسلام. وهذا التفسير هو الذي يقتضيه المعنى »^(٦).

المخالفون:

بعض المفسرين اعتبروا أن المصدر (دعاء) مضاف إلى فاعله، وأياً كان المعنى الذي قالوه بناء على هذه الإضافة فإن قولهم يعتبر هو القول المخالف لما ذهب إليه

(١) معاني القرآن للفراء (٢/٢٧٥).

(٢) تفسير القرآن للسمعاني (٤/٣٧) بتصرف.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/٨٤).

(٤) يظهر لي أن العبارة لا بد أن تكون كالتالي « أي لولا دعاؤه إياكم لتعبده » طالما أنه اعتبر أن المصدر مضاف إلى مفعوله. ويؤيد كلامي هذا أيضاً أن الشوكاني أشار إلى أن هذا المعنى اختيار الفراء، وسبق ذكر كلام الفراء قريباً.

(٥) فتح القدير للشوكاني (٤/٨٩).

(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/٨٦) بتصرف.

الشنقيطي ومن وافقه، فمن هؤلاء:

- ١- الإمام الطبري: « وقوله ((لولا دعاؤكم)) يقول لولا عبادة من يعبد منكم وطاعة من يطيعه منكم »^(١).
- ٢- الزجاج: « ((لولا دعاؤكم)) أي لولا توحيدكم إياه »^(٢).
- ٣- ابن القيم: « قيل: لولا دعاؤكم إياه، وقيل: دعاؤه إياكم إلى عبادته فيكون المصدر مضافاً إلى المفعول، وعلى الأول مضافاً إلى الفاعل وهو الأرجح من القولين □ »^(٣).
- ٤- أبو حيان: « ((دعاؤكم)) مصدر أضيف إلى الفاعل أي لولا عبادتكم إياه، أي لولا دعاؤكم وتضرعكم إليه »^(٤).
- ٥- ابن كثير: « ((قل ما يعبأ بكم ربي)) أي لا يبالي ولا يكثر بكم إذا لم تعبدوه، فإنه إنما خلق الخلق ليعبدوه ويوحده ويسبحوه بكرة وأصيلاً »^(٥).

تعقيب الباحث:

الذي يظهر - والله أعلم - أن الراجح في معنى الآية هو ما ذهب إليه الشيخ الشنقيطي ومن وافقه من أن المصدر (دعاء) مضاف إلى مفعوله، وأن المعنى: لولا دعاؤه إياكم على أسنة الرسل صلوات الله ﷺ عليهم وسلامه إلى التوحيد والإسلام، وأن معنى الآية التي نحن بصددنا قد دل عليه قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا

(١) جامع البيان للطبري (٣٥/١٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٧٨/٤).

(٣) بدائع التفسير لابن القيم (٣٢١/٣).

(٤) البحر المحيط لأبي حيان (١٣٤/٨).

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٣١/٣).

لِيَعْبُدُونَ ﴿٥٦﴾ [سورة الذاريات: ٥٦]، وغيرها من الآيات - وقد وردت أثناء كلام الشنقيطي في ترجيحه - وذلك أن في الآية قرينة دلت على هذا المعنى وهي قوله تعالى: ((فقد كذبتم))، فإنه جل وعلا قد دعا الجميع إلى الإسلام على ألسنة الرسل صلوات الله عليهم، فمن أطاع الرسل فهو من عباد الرحمن المذكورة صفاتهم خلال الآيات السابقة للآية التي نحن بصدها، ومن كذب الرسل فسوف يكون له العذاب اللزام، ودلالة قرينة في الآية على المعنى الراجح قاعدة سار عليها عدد من أئمة التفسير^(١) في الترجيح بين الأقوال^(٢). والله أعلم بالصواب.

(١) منهم الإمام الطبري، مثلاً عند قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَهُمَا﴾ [سورة الأنبياء: ٣٠].
 جامع البيان (١٥/١٧). ومنهم الإمام ابن كثير، مثلاً عند قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة الملك: ١٤] تفسير القرآن العظيم (٣٩٧/٤)، ومنهم الإمام القرطبي، مثلاً عند قوله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ﴿[سورة البقرة: ٢٥٩] الجامع لأحكام القرآن (٢٨٨/٣). ومنهم الإمام الشنقيطي ذكر هذه القاعدة في مقدمة أضواء البيان (١٣/١)، ومن الأمثلة عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا﴾ [سورة المائدة: ١٩٥]. أضواء البيان (٣٠١/٢).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٢٩٩/١).

دراسة ترجيحات الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه
الله - في تفسيره أضواء البيان



٣٤- قوله تعالى: ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾

﴿سورة الشعراء: ١١٩﴾.

مجمّل الأقوال الواردة في الآية:

- ١- معنى ((وأنت من الكافرين)) أي من الكافرين للنعمة حيث قتلت رجلاً من أصحابي^(١).
- ٢- وقيل: معنى ((وأنت من الكافرين)) يعني وأنت من الكافرين بإلهك الذي تدعيه، ومعناه: على ديننا هذا الذي تعيبه^(٢).
- ٣- وقيل المعنى: وأنت من الكافرين بفرعون وإلهيته^(٣).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « وأظهر الأقوال عندي في معنى قوله ((وأنت من الكافرين)): أن المراد به كفر النعمة، يعني أنعمنا عليك بتريتنا إياك صغيراً، وإحساننا إليك تتقلب في نعمتنا، فكفرت نعمتنا، وقابلت إحساننا بالإساءة لقتلك نفساً منا. وباقي الأقوال تركناه لأن هذا أظهرها عندنا^(٤) ».

(١) فتح القدير للشوكاني (٩٤/٤).

(٢) مختصر البغوي (٦٦٩/٢).

(٣) لباب التأويل للهازم (٩٥/٥).

(٤) أضواء البيان للشنقيطي (٣٧٠/٦).

الموافقون:

- عدد من المفسرين بينوا أن المراد بالكفر في الآية هو كفر النعمة - مثل ما ذهب إليه الشنقيطي - منهم:
- ١- الإمام الطبري: «... فتأويل الكلام وقتلت الذي قتلت منا وأنت من الكافرين نعمتنا عليك وإحساننا إليك في قتلك إياه»^(١).
 - ٢- النيسابوري: «(وأنت من الكافرين)) أي بحق نعمتي وتربيتي»^(٢).
 - ٣- ابن كثير: «(ألم نريك فينا وليداً)) أي أما أنت الذي رببناه فينا وفي بيتنا وعلى فراشنا وأنعمنا عليه مدة من السنين ثم بعد هذا قابلت ذلك الإحسان بتلك الفعلة؛ أن قتلت منا رجلاً وجحدت نعمتنا عليك، ولهذا قال ((وأنت من الكافرين)) أي الجاحدين»^(٣).
 - ٤- المحلي: «(وأنت من الكافرين)) الجاحدين لنعمتي عليك بالتربية وعدم الاستعباد»^(٤).
 - ٥- القاسمي: «(وأنت من الكافرين)) أي بنعمتي»^(٥).

المخالفون:

لم أجد فيما وقفت عليه من أقوال المفسرين في بيان معنى الآية من اختار قولاً مخالفاً لما ذهب إليه الشنقيطي ومن وافقه، إلا:

(١) جامع البيان للطبري (٤٢/١٩).
(٢) إيجاز البيان للنيسابوري (٨٦/٢).
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٣٣٢).
(٤) تفسير الجلالين ص (٣٠٧).
(٥) محاسن التأويل للقاسمي (٤٦٠٨/١٣).

- ١- السعدي: « (وأنت من الكافرين)) أي: وأنت إذ ذاك طريقك طريقنا، وسيلك سبيلنا في الكفر، فأقر على نفسه ليعني فرعوناً بالكفر من حيث لا يدري »^(١).
- ٢- سيد قطب: « (ووفعلت فعلتك التي فعلت))... فعلتك بالشعة الشنيعة التي لا يليق الحديث عنها بالألفاظ المفتوحة! فعلتها ((وأنت من الكافرين)) برب العالمين الذي تقول به اليوم. فإنك لم تكن وقتها تتحدث عن رب العالمين »^(٢).
- وغير الموافقين والمخالفين وجدت عدداً كثيراً من المفسرين ذكروا تحت تفسير الآية عدداً من المعاني تحتمل الآية، والأغلبية منهم عندما يسردون المعاني، يذكروا كفر النعمة أولاً، وبعض من لا يذكره في الأول يشير إلى أنه قول أكثر المفسرين، وإليك أقوال بعضهم:
- ١- البغوي: « (وأنت من الكافرين)) يعني وأنت من الكافرين بإلهك الذي تدعيه، ومعناه: على ديننا هذا الذي تعيبه. وقال أكثر المفسرين: معنى قوله ((وأنت من الكافرين)) يعني من الجاحدين لنعمتي وحق تربيتي، يقول ربيناك فينا فكافأتنا أن قتلنا منا نفساً وكفرت بنعمتنا »^(٣).
- ٢- النسفي: « (وأنت من الكافرين)) بنعمتي حيث قتلنا خبازي، أو كنت على ديننا الذي تسميه كفراً، وهذا افتراء منه عليه لأنه معصوم من الكفر وكان يعيشهم بالتقية »^(٤).
- ٣- ابن الجوزي: « وفي قوله ((وأنت من الكافرين)) قولان: أحدهما: من الكافرين لنعمتي، والثاني: من الكافرين بإلهك، كنت معنا على ديننا الذي تعيب. فعلى

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٥٩٠).

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٥٩١/٥).

(٣) مختصر البغوي (٦٦٩/٢).

(٤) مدارك التنزيل لنسفي (١٣٨/٣).

- الأول: وأنت من الكافرين الآن، وعلى الثاني: وكنت»^(١).
- ٤- الخازن: «(وأنت من الكافرين)) قال أكثر المفسرين: من الجاحدين لنعمتي وحق تربيتي، يقول ريبناك فينا فكافأتنا أن قتلنا منا نفساً وكفرت نعمتنا؛ وهي رواية عن ابن عباس قال إن فرعون لم يكن يعلم الكفر^(٢) بالربوبية ولأن الكفر غير جائز على الأنبياء لا قبل النبوة ولا بعدها. وقيل معناه: وأنت من الكافرين بفرعون وإلهيته»^(٣).
- ٥- الشوكاني: «(وأنت من الكافرين)) أي من الكافرين للنعمة حيث قتلنا رجلاً من أصحابي، وقيل: المعنى: من الكافرين بأن فرعون إله، وقيل: من الكافرين بالله في زعمه...»^(٤).
- ٦- ابن عاشور: «وجملة ((وأنت من الكافرين)) حال من ضمير ((فعلت)) والمراد به كفر نعمة فرعون من حيث اعتدى على أحد خاصته وموالي آله، وكان ذلك انتصاراً لرجل من بني إسرائيل الذين يعدونهم عبيد فرعون وعبيد قومه، فجعل فرعون انتصار موسى لرجل من عشيرته كفراً لنعمة فرعون لأنه يرى واجب موسى أن يعد نفسه من قوم فرعون فلا ينتصر لإسرائيلي...»
- ويجوز أن تكون جملة ((وأنت من الكافرين)) عطفاً على الجُمْل التي قبلها التي هي توبيخ ولوم، فويخه على تقدم رعيه تربيتهم إياه فيما مضى، ثم ويخه على كونه كافراً بدينهم في الحال ...»
- ويجوز أن يكون المعنى: وأنت حينئذٍ من الكافرين بديننا، استناداً منه إلى ما بدا

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٣٣/٦).

(٢) انظر: الرواية في جامع البيان للطبري (٤٢/١٩)، والدر المنثور للسيوطي (٨٣/٥).

(٣) لباب التأويل للخازن (٩٥/٥).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٩٤/٤).

من قرائن دلته على استخفاف موسى بدينهم فيما مضى لأن دينهم يقتضي الإخلاص لفرعون وإهانة من يهينهم فرعون..»^(١).

وتشابهت أقوال كل من الزمخشري^(٢)، وابن عطية^(٣)، والفخر الرازي^(٤)، والقرطبي^(٥)، وابن جزى^(٦)، وابن حيان^(٧)، وأبي السعود^(٨)، والألوسي^(٩) بنحو أقوال أقوال مَنْ ذكرت.

تعقيب الباحث:

- من خلال استعراض ما قاله المفسرون في بيان المراد بالكفر في الآية، يظهر لي - والله أعلم - أن ما ذهب إليه الشنقيطي ومن قال بمثل قوله من أن المراد كفر النعمة هو الراجح، وذلك لأمرين:
- ١- أن سياق الآية يدل عليه^(١٠)، فإن فرعون امتن على موسى - ~~عليه السلام~~ - بالتربية والرعاية، فناسب أن يكون الكفر المذكور كفر النعمة.
 - ٢- تأييداً لذلك ذكر حبر الأمة وترجمان القرآن الصحابة الجليل عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أن فرعون لم يكن يعلم الكفر بالربوبية - وقد سبقت الإشارة

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/١١٢).

(٢) الكشاف للزمخشري (٣/٢٩٧).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (١١/٩٨).

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي (٨/٤٩٦).

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/٩٥).

(٦) التسهيل لابن جزى (٣/١٨٢).

(٧) البحر المحيط لأبي حيان (٨/١٤٦).

(٨) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/٢٠٧).

(٩) روح المعاني للألوسي (١٩/٦٨).

(١٠) قاعدة: «إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده...، قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (١٢٥/١).

- إلى رواية ابن عباس - ، فلا بد أن يكون المراد بلفظ الكفر المذكور كفر النعمة فقط.
- ٣- ندرة وجود مرجحين لقول مخالف، وكثرة المختارين للقول الراجح؛ مرجح له.
- ٤- بل ومن رجح قولاً مخالفاً فهو على حدّ زعم فرعون، فإن من المسلّمات عند المؤمنين أن الأنبياء - عليهم السلام - معصومون، ولا يجوز في حقهم الكفر قبل النبوة ولا بعدها، وأشار إلى ذلك صراحة عدد من المفسرين^(١). والله أعلم بالصواب.



المراد بقوله ﴿مِنَ الضَّالِّينَ﴾

- ٣٥- قوله تعالى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [سورة الشعراء: ٢٠].

مجمّل الأقوال الواردة في الآية:

- ١- ((من الضالين)) أي قبل أن يوحى إليّ وينعم الله ﷻ عليّ بالرسالة والنبوة^(٢).
- ٢- ((من الضالين)) الجاهلين بأنها تبلغ القتل؛ لأن فعل الوكزة على وجه التأديب لا على وجه القتل^(٣).

(١) مدارك التنزيل للنسفي (٣/١٣٨)، الكشاف للزمخشري (٣/٢٩٧)، التفسير الكبير للفخر الرازي (٨/٤٩٦)، لباب التأويل للخازن (٥/٩٥)، البحر المحيط لأبي حيان (٨/١٤٦)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/٢٠٧)، روح المعاني للألوسي (١٩/٦٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٣٣٢).

(٣) إيجاز البيان للنيسابوري (٢/٨٥)، لباب التأويل للخازن (٥/٩٥).

٣- ((من الضالين)) أي الناسين^(١)، كقوله تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾

فَتَذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴿ [سورة البقرة: ٢٨٢].

٤- ((من الضالين)) أي المحبين، وأنه قتل القبطي غيرة لله ﷻ، وأن الضلال بمعنى

المحبة^(٢)، كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [سورة يوسف: ٩٥].

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « قوله تعالى: ((قال فعلتها إذاً أو أنا من الضالين)) أي قال موسى مجيباً لفرعون: فعلتها إذاً، أي إذ فعلتها وأنا في ذلك الحين من الضالين، أي قبل أن يوحي الله ﷻ إليّ ويبعثني رسولاً؛ وهذا هو التحقيق إن شاء الله في معنى الآية.

وقول من قال من أهل العلم: وأنا من الضالين، أي من الجاهلين؛ راجع إلى ما ذكرنا؛ لأنه بالنسبة إلى ما علمه الله من الوحي يعتبر قبله جاهلاً، أي غير عالم بما أوحى الله إليه.

ولفظ الضلال يطلق في القرآن وفي اللغة العربية ثلاثة إطلاقات:

الإطلاق الأول: يطلق الضلال مراداً به الذهاب عن حقيقة الشيء. فتقول العرب في كل من ذهب عن علم حقيقة شيء ضل عنه، وهذا الضلال ذهاب عن علم شيء ما، وليس من الضلال في الدين. ومن هذا المعنى قوله هنا ((وأنا من الضالين)) أي الذاهبين عن علم حقيقة العلوم والأسرار التي لا تعلم إلا

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٩٩/١١) حكاه عن أبي عبيدة.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان (١٤٧/٨).

عن طريق الوحي ، لأنني في ذلك الوقت لم يوح إليّ. ومنه على التحقيق ﴿

وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ [سورة الضحى: ١٧] أي ذاهباً عما

علمك من العلوم التي لا تدرك إلا بالوحي. ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿

قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَصِلُ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾

﴿سورة طه: ٥٢﴾ أي لا يذهب عنه علم شيء كائناً ما كان.

والإطلاق الثاني: وهو المشهور في اللغة وفي القرآن، هو إطلاق الضلال على الذهاب عن طريق الإيمان إلى الكفر، وعن طريق الحق إلى الباطل، وعن طريق الجنة إلى

النار، ومنه قوله تعالى: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا

الضَّالِّينَ ﴾ [سورة الفاتحة: ١٧].

والإطلاق الثالث: هو إطلاق الضلال على الغيبوبة والاضمحلال، تقول العرب: ضل

الشيء إذا غاب واضمحل، ومنه قولهم: ضل السمن في الطعام إذا غاب

فيه واضمحل، ولأجل هذا سمّت العرب الدفن في القبر إضلالاً؛ لأن

المدفون تأكله الأرض فيغيب فيها ويضمحل. ومن هذا المعنى قوله تعالى:

﴿ وَقَالُوا أءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة السجدة: ١٠]. يعنون إذا

دُفِنوا وأكلتهم الأرض فضلوا فيها؛ أي غابوا فيها واضمحلوا.

وزعم بعض أهل العلم، أن للضلال إطلاقاً رابعاً: قال: ويطلق أيضاً على

الحبة، ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالُوا تَأَلَّهَ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ [سورة يوسف: ٩٥] قال أي في حبك القديم ليوسف»^(١).

الموافقون:

وأعني بهم كل من ذهب في بيان المراد بالضلال في الآية الجهل وأنه لم يوح إلى موسى - ~~الطبري~~ - شيء في ذلك الوقت، متفقاً في ذلك مع ما ذهب إليه الشنقيطي، ومنهم:

١- الإمام الطبري - بعد إيراد الآية - قال: « يقول تعالى ذكره قال موسى لفرعون فعلت وتلك الفعلة التي فعلت؛ أي قتلت النفس التي قتلت إذاً وأنا من الضالين، يقول وأنا من الجاهلين قبل أن يأتيني من الله وحي بتحريم قتله عليّ. والعرب تضع الضلال موضع الجهل والجهل موضع الضلال؛ فتقول: قد جهل فلان الطريق وضل الطريق بمعنى واحد»^(٢).

٢- القرطبي: « ((من الضالين)) أي من الجاهلين؛ فنفى عن نفسه الكفر، وأخبر أنه فعل ذلك على الجهل»^(٣).

٣- ابن كثير: « ((وأنا من الضالين)) أي: قبل أن يوحى إليّ وينعم الله عليّ بالرسالة والنبوة»^(٤).

٤- المحلّي: « ((وأنا من الضالين)) عما أتاني الله بعدها من العلم والرسالة»^(٥).

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٣٧١/٦ - ٣٧٣) بتصرف يسير.

(٢) جامع البيان للطبري (٤٢/١٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩٥/١٣).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٣٢/٣).

(٥) تفسير الجلالين ص (٣٠٧).

- ٥- الشوكاني: « ((قال فعلتها إذا وأنا من الضالين)) أي قال موسى مجيباً لفرعون: فعلت هذه الفعلة التي ذكرت، وهي قتل القبطي وأنا إذ ذاك من الضالين، أي الجاهلين، فنفي - ~~الشيخ~~ - عن نفسه الكفر، وأخبر أنه فعل ذلك على الجهل قبل أن يأتيه العلم الذي علمه الله »^(١).
- ٦- السعدي: « ((فعلتها إذا وأنا من الضالين)) أي عن غير كفر، وإنما كان عن ضلال وسفه، فاستغفرت ربي فغفر لي »^(٢).

المخالفون:

- وأعني بهم كل من رجّح أحد الأقوال الأخرى غير القول الأول - وهو ما رجحه الشنقيطي وموافقوه - ومنهم:
- ١- الإمام النيسابوري: « ((وأنا من الضالين)) الجاهلين بأنها تبلغ القتل »^(٣).
- ٢- الفخر الرازي: « ((فعلتها إذا وأنا من الضالين)) والمراد بذلك الذاهلين عن معرفة ما يؤول إليه من القتل لأنه فعل الوكزة على وجه التأديب، ومثل ذلك ربما حسن وإن أدى إلى القتل، فبين له أن فعله على وجه لا يجوز معه أن يواخذ به أو يعد منه كافراً أو كافراً نعمه »^(٤).
- ٢- الألويسي: ذكر عدداً من الأقوال منسوبة إلى قائلها ومن ضمن ما ذكره « ما روي عن قتادة: أنه - موسى - ~~الشيخ~~ فعل ذلك جاهلاً به غير متعمد إياه فإنه - ~~الشيخ~~ - إنما تعمد الوكز للتأديب فأدى إلى ما أدى »، ثم قال الألويسي: « والذي أميل

(١) فتح القدير للشوكاني (٩٤/٤).

(٢) تفسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٥٩٠).

(٣) إيجاز البيان للنيسابوري (٨٥/٢).

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي (٤٩٦/٨).

إليه من بين هذه الأقوال ما روي عن قتادة ^(١).

ولقد وجدت عدداً غير قليل من المفسرين ذكروا عدداً من المعاني تحت تفسير الآية، وكانهم بهذا يشيرون إلى احتمال كل المعاني المذكورة للآية، أذكر كلام بعضهم وأشير إلى البقية:

١- الإمام البغوي: « (وأنا من الضالين) أي من الجاهلين، لم يأت من الله شيء. وقيل: من الجاهلين بأن ذلك يؤدي إلى قتله. وقيل: من الضالين عن طريق الصواب من غير تعمد. وقيل من المخطئين ^(٢).

٢- النسفي: « (وأنا من الضالين) الجاهلين بأنها تبلغ القتل، والضال عن الشيء هو الذاهب عن معرفته، أو الناسين، من قوله ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ

﴿ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٢] فدفع وصف الكفر عن نفسه ووضع الضالين موضع الكافرين ^(٣).

٣- الخازن: « (قال) يعني موسى ((فعلتها إذا وأنا من الضالين)) أي من الجاهلين بأن ذلك يؤدي إلى قتله لأن فعل الوكزة على وجه التأديب لا على وجه القتل. وقيل من الضالين عن طريق الصواب، وقيل: من المخطئين ^(٤).

وبنحو كلام من ذكرت أو قريباً منه قال كل من: الزمخشري ^(٥)، وابن عطية ^(٦)،

(١) روح المعاني للألوسي (٦٩/١٩).

وهو: محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، كان سلفي الاعتقاد، مجتهداً، من مؤلفاته المشهورة: (روح المعاني) في التفسير، مات سنة (١٢٧٠هـ). الأعلام (١٧٦/٧).

(٢) مختصر البغوي (٦٧٠/٢).

(٣) مدارك التنزيل للنسفي (١٣٨/٣).

(٤) لباب التأويل للخازن (٩٥/٥).

(٥) الكشاف للزمخشري (٢٩٧/٣).

عطية^(١)، وابن الجوزي^(٢)، وابن جزري^(٣)، وابن عاشور^(٤) وغيرهم.

تعقيب الباحث:

من خلال استعراض أقوال المفسرين في بيان المراد بالضلال في قوله تعالى عن موسى - ~~عليه السلام~~ - ((وأنا من الضالين)) يظهر لي - والله أعلم - صحة احتمال جميع المعاني الواردة للآية الكريمة - باستثناء القول الرابع - فكون موسى - ~~عليه السلام~~ - ذكر أمام فرعون بأنه كان جاهلاً بمعنى أنه لم يوح إليه شيء من الوحي ولم يؤمر بتبليغ رسالة للناس في ذلك الوقت فهذا كلام صحيح. ولو أريد بقوله ((من الضالين)) أنه كان يجهل أن تلك الوكزة قد تقتل فلا لوم عليه لأنه لم يرد قتله، وإنما تأديبه، وكذلك لو حمل معنى الضلال على النسيان كما هو القول الثالث في مجمل الأقوال - فإنه يدخل في معنى ما سبق أن قلته آنفاً وكأنه قال: أي ناسياً أن وكزي ذلك مما يفضي إلى القتل عادة. أما جعل الضلال في الآية بمعنى المحبة فهو بعيد عن سياق الآية ومرادها؛ وقد أشار إلى ضعف هذا القول وبعده وغرابته الإمام أبوحيان^(٥) والألوسي^(٦)، والشنقيطي^(٧). والله أعلم بالصواب.



(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٩٩/١١).
(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٣٣/٦).
(٣) التسهيل لابن جزري (١٨٣/٣).
(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (١١٤/١٩).
(٥) البحر المحيط لأبي حيان (١٤٧/٨).
(٦) روح المعاني للألوسي (٦٩/١٩).
(٧) أضواء البيان للشنقيطي (٣٧٣/٦).

﴿ فَوْهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا ﴾ معنى

٢٦- قوله تعالى: ﴿ فَوْهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ لسورة الشعراء:

[٢١].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

- ١- أن المراد بالحُكْم: العلم النافع^(١).
- ٢- أن يراد به الحكمة^(٢).
- ٣- أن الحُكْم يعني: النبوة^(٣).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « وقوله ((فوهب لي ربي حكماً)) قال بعضهم: الحكم هنا هو النبوة، والأظهر عندي أن الحكم هو العلم النافع الذي علمه الله إياه بالوحي - والعلم عند الله تعالى - «^(٤).

الموافقون:

وأعني بهم الذين فسروا الحكم بأنه العلم أو الحكمة، ومنهم:

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٤٧٣/٦).

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي (٧٧/٢).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٩٩/١١).

(٤) أضواء البيان للشنقيطي (٣٧٤/٦).

- ١- الإمام البيضاوي: « (فوهب لي ربي حكماً) »^(١) .
- ٢- المحلي: « (فوهب لي ربي حكماً) »^(٢) .
- ٣- سيد قطب: « (ففررت منكم لما خفتكم) » على نفسي. فقسم الله لي الخير، ووهب لي الحكمة^(٣) .

المخالفون:

وأعني بهم الذين بينوا المراد بالحكم أنه النبوة، ومنهم:

- ١- الإمام الطبري: « (فوهب لي ربي حكماً) » يقول فوهب لي ربي نبوة وهي الحكم^(٤) .
 - ٢- ابن عطية: « وقوله: ((حكماً)) يريد النبوة وحكمها^(٥) .
- أما الكثرة الكاثرة من المفسرين فلم يرجحوا قولاً على قول في بيان المراد بالحكم، وإنما جعلوا جميع المعاني الواردة محتملة للآية، وإليك أمثلة من أقوال بعضهم:
- ١- الإمام النسفي: « (فوهب لي ربي حكماً) »^(٦) .
 - ٢- ابن الجوزي: « (فوهب لي ربي حكماً) » وفيه قولان:
أحدهما: النبوة، والثاني: العلم والفهم^(٧) .
 - ٣- أبو السعود: « (فوهب لي ربي حكماً) » أي حكمة، أو نبوة^(٨) .

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي (٧٧/٢).

(٢) تفسير الجلالين ص (٣٠٧).

(٣) في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٥٩١/٥).

(٤) جامع البيان للطبري (٤٢/١٩).

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية (٩٩/١١).

(٦) مدارك التنزيل للنسفي (١٣٨/٣).

(٧) زاد المسير لابن الجوزي (٣٤/٦).

(٨) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢٠٧/٤).

٤ - الشوكاني: « (فوهب لي ربي حكماً) أي نبوة، أو علماً ومنها »^(١).
 وانظر كذلك ما قاله الأئمة: البغوي^(٢)، والقرطبي^(٣)، والخازن^(٤)،
 وأبوحيان^(٥)، والألوسي^(٦)، والقاسمي^(٧)، وابن عاشور^(٨) فإنه يشبه ما ذكرت.

تعقيب الباحث:

بعد استعراض أقوال المفسرين في بيان معنى ((فوهب لي ربي حكماً)) يظهر لي
 - والله أعلم - أن الراجح هو ما ذهب إليه الشنقيطي ومن وافقه، وذلك بناء على
 القاعدة المقررة لدى أئمة التفسير إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس
 أولى^(٩)، فإن تفسير الحكم بالعلم النافع والحكمة والفهم يجعل تكملة الآية ((وجعلني من
 المرسلين)) تفيد معنى جديداً لدى السامع زيادة على السابق.
 كذلك - ورداً على من فسر الحكم بالنبوة - فإن سياق الآية يشير إلى المعنى
 الراجح وذلك أن الحكم بما يشتمل عليه من معنى العلم النافع والحكمة والفهم هبة من الله
 ﷻ تتفاوت فيه قدرات البشر بحسب ما وهبوا منه. بخلاف النبوة والرسالة ((وجعلني من
 المرسلين)) فهو تكليف يتساوى فيه من شرفهم الله ﷻ من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام
 بحمل رسالته وتبليغها للبشر. والله أعلم بالصواب.

(١) فتح القدير للشوكاني (٩٤/٤).
 (٢) مختصر البغوي (٦٧٠/٢).
 (٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩٥/١٣).
 (٤) لباب التأويل للخازن (٩٥/٥).
 (٥) البحر المحيط لأبي حيان (١٤٨/٨).
 (٦) روح المعاني للألوسي (٦٩/١٩).
 (٧) محاسن التأويل للقاسمي (٤٦٠٩/١٣).
 (٨) التحرير والتنوير لابن عاشور (١١٥/١٩).
 (٩) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٤٧٣/٢).

دراسة ترجيحات الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه
الله - في تفسيره أضواء البيان



مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿ سَلَكَنَّهُ ﴾

٢٧- قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ سَلَكَنَهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ لَا

يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿ لسورة الشعراء:

[٢٠٠ - ٢٠١].

مجلد الأقوال الواردة في الآية:

١- أن يكون القرآن هو مرجع الضمير في ((سلكناه))^(١).

٢- أن يرجع الضمير إلى الكفر والتكذيب^(٢) المدلول عليه بقوله تعالى: ﴿ مَا كَانُوا

كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾ لسورة الشعراء: [١٩٩].

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - « والضمير في ((سلكناه)) قيل: للقرآن، وهو الأطهر. وقيل: للتكذيب والكفر المذكور في قوله ((ما كانوا به مؤمنين)). وهؤلاء الكفار الذين ذكر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم؛ هم الذين حقت عليهم كلمة العذاب، وسبق في علم الله ﷻ أنهم

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٣٨٢).

(٢) جامع البيان للطبري (١٩/٧٠).

أشقياء كما يدل لذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ﴾^(١)

رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ

﴿١٧﴾ سورة يونس: ٩٦ - ١٩٧. وقوله ((سلكناه)) أي أدخلناه في قلوب المجرمين،

وإيضاحه على أنه القرآن: أن الله ﷻ أنزله على رجل عربي فصيح بلسان عربي مبين، فسمعوه وفهموه لأنه بلغتهم، ودخلت معانيه في قلوبهم، ولكنهم لم يؤمنوا به؛ لأن كلمة العذاب حقت عليهم.

وعلى أن الضمير في ((سلكناه)) للكفر والتكذيب؛ فقوله عنهم ((ما كانوا به مؤمنين)) يدل على إدخال الكفر والتكذيب في قلوبهم^(٢).

فالشنقيطي إذاً يرى رجوع الضمير في ((سلكناه)) إلى القرآن الكريم.

الموافقون:

١ - الإمام أبو حيان: «الظاهر أنه عائد على ما عادت

عليه الضمائر. قيل: وهو القرآن، والمعنى: مثل

ذلك السلك وهو الإدخال والتمكين والتفهم لمعانيه

(١) لفظة "كلمة" في هذه الآية أثبتها شيخنا الشنقيطي على حسب القراءة التي كان يقرأ بها وهي قراءة الإمام نافع. ((كلمات)) نافع وابن عامر وأبو جعفر. ((كلمت)) الباقون. انظر: القراءات العشر المتواترة، محمد كريمة راجع ص (٢١٩).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٣٨١ - ٣٨٢).

((سلكناه)) أدخلناه ومكناه في ((قلوب المجرمين))،
 والمعنى: ما ترتب على ذلك السلك من كونهم
 فهموه وأدركوه، ولم يزداهم ذلك إلا عناداً وجحوداً
 وكفراً به □»^(١).

٢- أبو السعود: « ((كذلك سلكناه) أي مثل ذلك
 السلك البديع المذكور سلكناه أي أدخلنا القرآن ((في
 قلوب المجرمين)) ففهموا معانيه وعرفوا فصاحته وأنه
 خارج عن القوى البشرية من حيث النظم المعجز ومن
 حيث الإخبار عن الغيب، وقد انضم إليه اتفاق علماء
 أهل الكتب المنزلة قبله على تضمّنها البشارة بإنزاله
 وبعثة من أنزل عليه بأوصافه، فقوله تعالى ((لا
 يؤمنون به)) جملة مستأنفة مسوقة لبيان أنهم لا

(١) البحر المحيط لأبي حيان (١٩١/٨).

يتأثرون بأمثال تلك الأمور الداعية إلى الإيمان به بل
يستمرون على ما هم عليه ((حتى يرون العذاب
الأييم))^(١).

٣- الشوكاني: « ((كذلك سلكناه في قلوب
المجرمين)) أي مثل ذلك السلك سلكناه؛ أي أدخلناه
في قلوبهم، يعني القرآن حتى فهموا معانيه وعرفوا
فصاحته وأنه معجز. لثم أورد أقوالاً أخرى منسوبة
لقائلها، إلى أن قال: [والأول أولى؛ لأن السياق في
القرآن]^(٢).

وبنحو ذلك جاء كلام كل من الألويسي^(٣) وسيد قطب^(٤)، وابن عاشور^(٥).

المخالفون:

وهم الذين قالوا برجوع الضمير في ((سلكناه)) إلى الكفر والتكذيب المتضمن

(١) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/٢٣٤)..

(٢) فتح القدير للشوكاني (٤/١١٤).

(٣) روح المعاني للألويسي (١٩/١٢٨).

(٤) في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/٢٦١٨).

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/١٩٤).

في قوله تعالى ((ما كانوا به مؤمنين))؛ ومنهم:

- ١- الإمام الطبري: « كذلك نسلكه التكذيب والكفر في قلوب المجرمين ، ويعني بقوله ((سلكناه)) أدخلنا ، والهاء في قوله ((سلكناه)) كناية من ذكر قوله ((ما كانوا به مؤمنين)) كأنه قال كذلك أدخلنا في قلوب المجرمين ترك الإيمان بهذا القرآن □ »^(١).
 - ٢- ابن كثير: « يقول تعالى كذلك سلكناه التكذيب والكفر والجحود والعناد ، أي أدخلناه في قلوب المجرمين »^(٢).
 - ٣- القاسمي: « ((كذلك سلكناه في قلوب المجرمين)) أي مكّنّا هذا العناد والإباء عن الإيمان به ، في قلوبهم وأنفسهم ، وقررناه فيها »^(٣).
 - ٤- السعدي: « ((كذلك سلكناه في قلوب المجرمين)) أي أدخلنا التكذيب ونظمناه في قلوب أهل الإجماع؛ كما يدخل السلك في الإبرة ، فتشربته وصار وصفاً لها ، وذلك بسبب ظلمهم وجرمهم »^(٤).
- وبنحو ذلك قال كل من الإمام البغوي^(٥) ، والنسفي^(٦) ، والفخر الرازي^(٧) ، الرازي^(٨) ، والقرطبي^(٩) ، والمحلي^(٩).

تعقيب الباحث:

-
- (١) جامع البيان للطبري (٧٠/١٩).
 - (٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٤٨/٣).
 - (٣) محاسن التأويل للقاسمي (٤٦٤٦/١٣).
 - (٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٥٩٨).
 - (٥) مختصر البغوي (٦٨٠/٢).
 - (٦) مدارك التنزيل للنسفي (١٥٠/٣).
 - (٧) التفسير الكبير للفخر الرازي (٥٣٣/٨).
 - (٨) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣٩/١٣).
 - (٩) تفسير الجلالين ص (٣١٤).

على الرغم من تقارب عدد الموافقين والمخالفين للشنقيطي في هذا الموضوع، إلا أنه يظهر - والله أعلم - أن الراجح هو ما ذهب إليه الشنقيطي ومن وافقه من رجوع الضمير في ((سلكناه)) إلى القرآن الكريم، يؤيد ذلك اثنتان من قواعد الترجيح المقررة لدى المفسرين، وهما:

١- قاعدة: توحيد مرجع الضمائر^(١) في السياق الواحد أولى من تفريقها، فإن الضمائر

- قبله وبعده- في الآيات ابتداء من قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ

الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١١٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأُولِينَ ﴿١١٦﴾

أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ

عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١١٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ

مُؤْمِنِينَ ﴿١١٩﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢٠﴾ لَا

يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿١٢١﴾ ﴿ لسورة الشعراء:

١٩٢ - ٢٠١. راجعه إلى القرآن الكريم؛ فالأفضل أن يكون ضمير ((سلكناه)) مع بقية الضمائر في المرجع ولا يختلف عنهم.

بل لقد صرح بعض المفسرين عند هذا الموضوع باتحاد مرجع الضمائر منهم أبوحيان،

(١) الإلتقان للسيوطي (٥٠٩/١)، قواعد التفسير لخالد السبت (٤١٤/١).

والألوسي^(١).

٢- قاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده^(٢).. أو ما يعرف بدلالة السياق، فإن سياق الآيات في الكلام عن القرآن، وأكد ذلك الإمام الشوكاني بقوله: «والأول أولى؛ لأن السياق في القرآن»^(٣). والله أعلم بالصواب.



(١) البحر المحيظ لأبي حيان (١٩١/٨)، روح المعاني للألوسي (١٢٨/١٩).
 (٢) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (١٢٥/١).
 (٣) فتح القدير للشوكاني (١١٤/٤).

معنى قوله تعالى: ﴿وَتَقَلَّبُكَ فِي السَّجْدِينَ﴾

٢٨- قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ الَّذِي يَرْنَكَ حِينَ

تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلَّبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢١٩﴾ لسورة الشعراء: ٢١٧-

.٢١٩

مجمّل الأقوال الواردة في الآية:

- ١- ((وتقلبك في الساجدين)) في صلاتهم معك حين تقوم معهم وتركع وتسجد^(١).
- ٢- ((وتقلبك في الساجدين)) أي تصرفك في ذهابك ومحيثك في أصحابك المؤمنين^(٢).
- ٣- أن المعنى: أي في أصلاب الآباء آدم ونوح وإبراهيم حتى أخرجه نبياً^(٣).
- ٤- أن يكون المعنى: تقلب أعينك وأبصارك في الساجدين حين تراهم من وراء ظهرك^(٤).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - « اعلم أن قوله هنا ((وتقلبك في الساجدين)) قال فيه بعض أهل العلم المعنى: وتقلبك في أصلاب آبائك

(١) جامع البيان للطبري (٧٧/١٩).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٥٤/٦)، ولم يرجحه.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤٤/١٣) حكاه عن ابن عباس.

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (١٥٩/١١) ولم يرجحه.

الساجدين: أي المؤمنين بالله ﷻ، كآدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل؛ واستدل بعضهم لهذا القول فيما بعد إبراهيم من آبائه بقوله تعالى عن إبراهيم ﴿ **وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي**

عَقِبِهِ ﴾ [سورة الزخرف: ٢٨]، وفي الآية قرينة تدل على عدم صحة هذا القول وهي قوله تعالى قبله مقترناً به ((الذي يراك حين تقوم)) فإنه لم يقصد به أنه يقوم في أصلاب الآباء إجماعاً، وأول الآية مرتبط بآخرها، أي الذي يراك حين تقوم من صلاتك وحين تقوم من فراشك ومجلسك، ويرى ((تقلبك في الساجدين)) أي المصلين، على أظهر الأقوال؛ لأنه ﷻ يتقلب في المصلين قائماً وساجداً وراكعاً^(١).

الموافقون:

- ١- الإمام الطبري: « وأولى الأقوال في ذلك بتأويله قول من قال: تأويله ويرى تقلبك مع الساجدين في صلاتهم معك حين تقوم معهم وتركع وتسجد؛ لأن ذلك هو الظاهر من معناه [إلى أن قال رداً على بعض الأقوال الأخرى] وتوجيه معاني كلام الله إلى الأغلب أولى من توجيهه إلى الأندر^(٢) .
- ٢- ابن عطية: « وقوله تعالى: ((الذي يراك حين تقوم)).. وظاهر الآية أنه أراد قيام الصلاة، ويحتمل أنه يريد سائر التصرفات، وقوله ((في الساجدين)) أي: في أهل الصلاة، أي: صلاتك مع المصلين^(٣) .
- ٣- المحلي: « ((الذي يراك حين تقوم)) إلى الصلاة ((وتقلبك)) في أركان الصلاة قائماً

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٣٨٨/٦).

(٢) جامع البيان للطبري (٧٧/١٩).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (١٥٩/١١).

- وقاعداً وراكعاً وساجداً ((في الساجدين)) أي المصلين «^(١)» .
- ٤- الشوكاني: « ((وتقلبك في الساجدين)) أي ويراك إن صليت في الجماعة راکعاً وساجداً وقائماً، كذلك قال أكثر المفسرين «^(٢)» .
- ٥- الألوسي: « ((الذي يراك حين تقوم)) أي إلى الصلاة ((وتقلبك)) أي ويرى سبحانه تغريك من حال كالجُلوس والسجود إلى آخر كالقيام ((في الساجدين)) أي فيما بين المصلين إذا أتمتهم «^(٣)» .
- ٦- السعدي: « ((الذي يراك حين تقوم، وتقلبك في الساجدين)) أي يراك في هذه العبادة العظيمة التي هي الصلاة، وقت قيامك وتقلبك راکعاً وساجداً «^(٤)» .
- ٧- سيد قطب: «... فرُبُّه يراه في قيامه وحده للصلاة، ويراه في صفوف الجماعة الساجدة. يراه في وحدته ويراه في جماعة المصلين يتعهدهم وينظمهم ويؤمهم وينتقل بينهم «^(٥)» .
- ٨- ابن عاشور - تحت تفسيره للآية - قال: «... والقيام: الصلاة في جوف الليل، غلب هذا الاسم عليه في اصطلاح القرآن، والتقلب في الساجدين هو صلاته في جماعات المسلمين في مسجده «^(٦)» .
- وبعد استعراض أقوال الموافقين أقول: لم أجد - فيما وقفت عليه من أقوال المفسرين - أحداً رجَّح قولاً آخر، وإنما ربما وجدت من جمع عدداً من الأقوال معتبراً إياها محتملة لمعنى الآية. أذكر أقوال بعضهم وأشار إلى البقية.

(١) تفسر الجلالين ص (٣١٥)

(٢) فتح القدير للشوكاني (١١٦/٤).

(٣) روح المعاني للألوسي (١٣٧/١٩).

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٥٩٩).

(٥) في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٦٢٠/٥).

(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٠٤/١٩).

- ١- الإمام النسفي: « (الذي يراك حين تقوم) متهجداً ((وتقلبك)) أي ويرى تقلبك ((في الساجدين)) في المصلين، أتبع كونه رحيماً على رسوله ما هو من أسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح أحوال المتجهدين من أصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون وليعلم أنهم كيف يعبدون الله ويعملون لآخرتهم. وقيل: معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلبه في الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده إذا أمهم □»^(١).
- ٢- ابن الجوزي: « قوله تعالى ((وتقلبك)) أي ونرى تقلبك ((في الساجدين)) وفيه ثلاثة أقوال:
- أحدها: وتقلبك في أصلاب الأنبياء حتى أخرجك.
- والثاني: تقلبك في الركوع والسجود والقيام مع المصلين في الجماعة، والمعنى: يراك وحدك ويراك في الجماعة، وهذا قول الأكثرين.
- والثالث: وتصرفك في ذهابك ومجيئك في أصحابك المؤمنين»^(٢).
- ٣- ابن جزى: « (الذي يراك حين تقوم) أي حين تقوم في الصلاة ويحتمل أن يريد سائر التصرفات ((وتقلبك في الساجدين)) معطوف على المضير المفعول في قوله ((يراك))، والمعنى: أنه يراك حين تقوم وحين تسجد. وقيل معناه: يرى صلاتك مع المصلين، ففي ذلك إشارة إلى الصلاة مع الجماعة. وقيل: يرى قلب بصرك في المصلين خلفك؛ لأنه عليه الصلاة والسلام كان يراهم من وراء ظهره»^(٣).
- ٤- القاسمي: « (الذي يراك حين تقوم) أي من النوم إلى التهجد ((وتقلبك في

(١) مدارك التنزيل للنسفي ١٥٢/٠٣.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٥٤/٦).

(٣) التسهيل لابن جزى (١٩٧/٣).

الساجدين)) أي المصلين. أي تصرفك فيما بينهم بالقيام والركوع والسجود إذا أمّتهم، يعني: يراك وحدك ويراك في الجمع؛ والتوصيف بذلك للتذكير بالعناية بالصلاة ليلاً وجمعاً وفرداً. أو معنى الآية: لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين في كفاية أمور الدين^(١).
وكذلك ما قاله كل من الإمام البغوي^(٢)، والفخر الرازي^(٣)، والقرطبي^(٤)،
والخازن^(٥)، وأبي حيان^(٦)، فإنه حول ذلك من الأقوال يدور.

تعقيب الباحث:

الذي يظهر - والله أعلم - أن الراجح هو ما ذهب إليه الشنقيطي ومن وافقه؛ يدل لذلك عدة أمور:

- ١- إجماع عدد من أئمة التفسير على المعنى الراجح، وعدم وجود مرجح لقول مخالف.
- ٢- ما صرح به عدد من أئمة التفسير من أقوال تدل على الترجيح وبعضهم أشار بتضعيف ما سواه وردّه، من ذلك:
أ- قول الإمام الطبري - وقد سبق ذكره عند الموافقين - فإنه بعد القول الراجح قال: «□ ذلك هو الظاهر من معناه [وردّ ما سواه بقوله] وتوجيه معاني كلام الله إلى الأغلب أولى من توجيهه إلى الأنكر»^(٧).
- ب- قال الإمام ابن عطية - في ردّه على من قال إن المراد تقليب أعينك وأبصارك

(١) محاسن التأويل للقاسمي (١٣/٤٦٤٨).

(٢) مختصر البغوي (٢/٦٨١).

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي (٨/٥٣٨).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/١٤٤).

(٥) لباب التأويل للخازن (٥/١٠٧).

(٦) البحر المحيط لأبي حيان (٨/١٩٩).

(٧) جامع البيان للطبري (١٩/٧٧).

في الساجدين حيث تراهم من وراء ظهرك - قال عنه: « إنه أجنبي هنا »^(١)، وكان قد ذكر قبله القول الراجح - وقد ذكرته في الموافقين - .

ج- الإمام القرطبي قال عن القول الراجح إنه: « قول أكثر المفسرين »، وردّ على من قال: ترى بقلبك في صلاتك من خلفك كما ترى بعينك من قدامك، بأنه « في تأويل الآية بعيد »^(٢).

د- وكذلك عزا القول الراجح إلى « أكثر المفسرين » كل من الشوكاني والألوسي^(٣). والألوسي^(٤).

٣- قاعدة من قواعد الترجيح لدى المفسرين استند عليها الشنقيطي في ترجيح ما رجّحه؛ وهي قاعدة: وجود قرينة في الآية تدل على المعنى الراجح^(٤) - وقد سبقت الإشارة إلى الإشارة إليها تحت ترجيح الشنقيطي. والله أعلم بالصواب.



معنى قوله تعالى ﴿ بَلِ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾

٣٩- قوله تعالى: ﴿ بَلِ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ

هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾ [سورة النمل: ٦٦].

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (١١/١٥٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/١٤٤).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٤/١١٦)، وروح المعاني للألوسي (١٩/١٣٧).

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحاربي (١/٢٩٩).

مجمل الأقوال الواردة في الآية :

١ - ((بل أدارك)) أي تكامل علمهم في الآخرة حين يعاينونها، أي يعلمون في الآخرة علماً كاملاً ما كانوا يجهلون في الدنيا. ويشبهه تماماً ولا يخرج عنه قول من قال: ((بل أدارك)) أي بلغ ولحق علمهم في الآخرة ما جهلوه وسقط عنهم علمه حين عاينوها^(١).

٢ - ((بل أدارك علمهم في الآخرة)) أي انتهى علمهم وعجز عن معرفة وقتها. ويشبهه جداً قول من قال: إن المراد أي ضعف وهى ولم يكن يقيناً^(٢).

٣ - أن تكون ((بل)) بمعنى هل، والمعنى: هل أدرك علمهم علم الآخرة، أي هل تتابع وتلاحق علمهم بالآخرة^(٣).

اعلم عزيزي القارئ أن لفظه ((أدرك)) ورد فيها ثلث عشرة قراءة، اثنتان منها فقط سبعيتان عشريتان^(٤)؛ وهما: ((بل أدرك)) بكسر لام بل وبعدها همزة وصل وتشديد الدال مع فتحها وبعدها ألف. ((بل أدرك)) بسكون لام بل وبعدها همزة قطع وسكون الدال^(٥).

وسيكون كلامي - إن شاء الله - في تحديد الموافقين والمخالفين للشنقيطي في ترجيحه في ضوء القراءتين المذكورتين فقط - والله المستعان - .

ترجيح الشنقيطي :

- (١) لباب التأويل للخازن (١٢٨/٥)، أضواء البيان للشنقيطي (٤١٣/٦).
- (٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٧٣/٣)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٦٠٨).
- (٣) حكاة ابن الجوزي عن الفراء في زاد المسير (٧٨/٦).
- (٤) سبعيتان: أعني بهم القراء السبعة، وعشريتان: أعني بهم مع انضمام الثلاث المتممين للعشرة.
- (٥) شرح شعلة على الشاطبية للإمام أبي عبدالله محمد بن أحمد الموصلي ص(٥٣٠)، والقراءات العشر المتواترة للشيخ محمد كرتيم راجع ص(٣٨٣).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « أظهر أقوال أهل العلم عندي في هذه الآية الكريمة أن المعنى : بل أدرك علمهم : أي تكامل علمهم في الآخرة حين يعاينونها ، أي يعلمون في الآخرة علماً كاملاً ما كانوا يجهلون في الدنيا ، وقوله ((بل هم في شك منها بل هم منها عمون)) أي في دار الدنيا ، فهذا الذي كانوا يشكّون فيه في دار الدنيا ويعمون عنه مما جاءتهم به الرسل ، يعلمونه في الآخرة علماً كاملاً لا يخالجه شك عند معاينتهم لما كانوا ينكرونه من البعث والجزاء .

وإنما اخترنا هذا القول دون غيره من أقوال المفسرين في الآية لأن القرآن دل عليه دلالة

واضحة في آيات متعددة ، كقوله تعالى : ﴿ **أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتُنَا لَكِن لَّا**

الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة مريم : ٣٨] . فقوله : أسمع بهم وأبصر

يوم يأتوننا بمعنى : ما أسمعهم وما أبصرهم للحق الذي كانوا ينكرونه يوم يأتوننا : أي يوم القيامة ؛ وهذا يوضح معنى قوله ((بل أدرك علمهم في الآخرة)) أي تكامل علمهم فيها لمبالغتهم في سمع الحق وإبصاره في ذلك الوقت . وقوله ((لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين)) يوضح معنى قوله ((بل هم في شك منها بل هم منها عمون)) لأن ضلالهم المبين اليوم أي في دار الدنيا هو شكهم في

الآخرة وعمالهم عنها . وكقوله تعالى ﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ**

عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ

﴾ [سورة السجدة : ١٢] فقوله : إنا موقنون أي يوم القيامة ، يوضح معنى قوله هنا ((بل

أدرك علمهم في الآخرة)) . وكقوله تعالى : ﴿ **وَعَرِّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًا لَّقَدْ**

جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ لَّجُعَلْ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴾

﴿سورة الكهف: ٤٨﴾ فعرضهم على ربهم صفاً يتدارك به علمهم لما كانوا ينكرونه، وقوله ((بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً)) صريح في أنهم في الدنيا كانوا في شك وعمي عن البعث والجزاء كما ترى، إلى غير ذلك من الآيات»^(١).

الموافقون:

وأعني بهم الذين ذهبوا في بيان معنى ((بل أدارك علمهم في الآخرة)) إلى أن المراد: تكامل علمهم في الآخرة وقوي وبلغ ولحق كل ما جهلوه وسقط عنهم علمه حيث عاينوها ووصلوا إليها، ومنهم:

١- الإمام النيسابوري: «((بل أدارك علمهم في الآخرة)) تدارك، أدغمت التاء في الدال واجتلبت ألف الوصل. والمعنى: إحاطة علمهم في الآخرة بها عند مشاهدتهم، وكانوا في شك منها. أو هو تلاحق علمهم وتساويه بالآخرة في الدنيا، بما في العقل من وجوب جزاء الأعمال»^(٢).

٢- الخازن: ((بل أدارك)) أي بلغ ولحق، وعلمهم ((في الآخرة)) هو ما جهلوه في الدنيا وسقط عنهم علمه، وقيل: بل علموا في الآخرة حين عاينوها ما شكوا فيه وعموا عنه في الدنيا»^(٣).

٣- الشوكاني: «ومعنى الآية: بل تكامل علمهم في الآخرة؛ لأنهم رأوا كل ما وعدوا به وعاينوه. وقيل: معناه: تتابع علمهم في الآخرة، والقراءة الثانية معناها كمل علمهم في الآخرة مع المعاينة وذلك حين لا ينفعهم العلم؛ لأنهم كانوا في الدنيا مكذابين»^(٤).

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٤١٣/٦ - ٤١٤).

(٢) إيجاز البيان للنيسابوري (٩٦/٢).

(٣) لباب التأويل للخازن (١٢٨/٥).

(٤) فتح القدير للشوكاني (١٤٣/٤).

المخالفون:

وأعني بهم مَنْ قال إن المراد بـ ((بل أدارك علمهم في الآخرة)) أي ضعف وانتهى وعجز عن الوصول إلى علمها ومعرفتها، وكذلك مَنْ قال بأن ((بل)) على الاستفهام بمعنى هل تتابع ولحق علمهم بالآخرة، منهم:

- ١- الإمام ابن كثير: « أي انتهى علمهم وعجز عن معرفة وقتها »^(١).
- ٢- المحلّي: « ((بل)) بمعنى هل ((أدرك)) بتشديد الدال وأصله (تدارك) أبدلت التاء دالاً وأدغمت في الدال واجتلبت همزة الوصل، أي: تتابع وتلاحق، وفي قراءة ((أدرك)) بوزن أكرم: أي بلغ ولحق. ((علمهم في الآخرة)) أي بها حتى سألوا عن وقت مجيئها؛ ليس الأمر كذلك ((بل هم في شك منها بل هم منها عمون)) من عمى القلب، وهو أبلغ مما قبله، والأصل عميون استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى الميم بعد حذف كسرتها »^(٢).
- ٣- الألويسي: « والمعنى بل تتابع علمهم في شأن الآخرة التي ما ذكر من البعث حال من أحوالها حتى انقطع وفنى ولم يبق لهم علم بشيء مما سيكون فيها قطعاً مع توفر أسبابه فهو ترقٍ عن وصفهم بجهل فاحش إلى وصفهم بجهل أفحش »^(٣).
- ٤- السعدي: « ((بل أدرك علمهم في الآخرة)) أي بل ضعف ولم يكن يقيناً ولا علماً واصلاً إلى القلب، وهذا أقل وأدنى درجة للعلم؛ ضعفه وهواؤه »^(٤).
- ٥- سيد قطب: « ((وما يشعرون أيان يبعثون)) ينفي عنهم العلم بموعد البعث في أغمض

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٣٧٣).

(٢) تفسير الجلالين ص (٣٢١).

(٣) روح المعاني للألويسي (١٣/٢٠).

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٦٠٨).

صوره وهو الشعور. فهم لا يعلمون بهذا الموعد يقيناً ولا يشعرون به حين يقترب شعوراً. فذلك من الغيب الذي يقرر أن لا أحد يعلمه في السماوات ولا في الأرض.. ثم يضرب عن هذا ليتحدث في موقفهم هم من الآخرة، ومدى علمهم بحقيقتها: ((بل أدارك علمهم في الآخرة))... فانتهى إلى حدوده، وقصر عن الوصول إليها، ووقف دونها لا يبلغها. ((بل هم في شك منها)).. لا يستيقنون بمجيئها؛ بله أن يعرفوا موعدها، وينتظروا وقوعها. ((بل هم منها عمون))... بل هم عنها في عمى، لا يبصرون من أمرها شيئاً، ولا يدركون من طبيعتها شيئاً.. وهذه أشد بعداً عن الثانية وعن الأولى»^(١).

أما الكثرة من المفسرين فلم يرجحوا قولاً محدداً عند بيانهم لمعنى الآية؛ إنما يجمعوا عدداً من الأقوال دون ترجيح على اعتبار أنها كلها محتملة لمعنى الآية، منهم الإمام البغوي^(٢)، والزمخشري^(٣)، وابن عطية^(٤)، وابن الجوزي^(٥)، والقرطبي^(٦)، وغيرهم^(٧).

تعقيب الباحث:

الذي يظهر - والله أعلم - أن الراجح في بيان معنى ((بل أدارك علمهم في الآخرة)) هو ما ذهب إليه الشنقيطي ومن وافقه، حيث لم أجد فيما وقفت عليه من أقوال المفسرين أحداً ذكر ما يؤيد قولاً آخر سواء رجحه أو لم يرجّحه؛ إلا ما ذكره الشيخ

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/٢٦٦٢).

(٢) مختصر البغوي (٢/٦٩٣).

(٣) الكشاف للزمخشري (٣/٣٦٧).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (١١/٢٣٥).

(٥) زاد المسير لابن الجوزي (٦/٧٨).

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/٢٢٧).

(٧) التسهيل لابن جزي (٣/٢١٦)، البحر المحيط لأبي حيان (٨/٢٦٢)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/٢٧٦).

الشنقيطي من استدلاله على ما رجّحه بآيات أخرى من القرآن الكريم - وقد سبق ذكرها في ترجيحه - وهي باختصار: قوله تعالى: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ^ط

لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٧٨﴾ [سورة مريم: ١٣٨]، وقوله

تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا

أَبْصِرْنَا وَاسْمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢١﴾ [سورة

السجدة: ١١٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَعَرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا

خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿١٨١﴾ [سورة

الكهف: ٤٨]، وقد تقرر لدى أئمة التفسير في الترجيح بين الأقوال أن القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على غيره ^(١).

كذلك وقبل الشيخ الشنقيطي فإن الإمام الشوكاني في نهاية تفسيره للآية المقصودة أشار إلى القول الراجح وردّ ما سواه بقريضة موجودة في الآية، فبعد أن ذكر القول الراجح ثم ذكر أقوالاً أخرى؛ قال: « فمن قال إن معنى الآية الأولى أعني ((بل اذارك علمهم في الآخرة)) أنه كمل علمهم وتمّ مع المعاينة فلا بدّ من حمل قوله ((بل هم في شك...)) إلخ على ما كانوا عليه في الدنيا. ومن قال إن معنى الآية الأولى الاستهزاء بهم والتبكيك لهم لم يحتج إلى تقييد قوله ((بل هم في شك)) إلخ بما كانوا عليه في الدنيا. وبهذا يتضح معنى هذه الآيات ويظهر ظهوراً بيئاً ^(١). ووجود قرينة في السياق تدل على المعنى

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٣١٢/١).

(٢) فتح القدير للشوكاني (١٤٤/٤).

الراجح قاعدة مقررة لدى أئمة التفسير^(١).

فهاتان قاعدتان من قواعد الترجيح عند المفسرين يتأيد بهما ما ذهب إليه
الشنقيطي وموافقوه. والله أعلم بالصواب.



ما هو القول الواقع على المكذبين؟

٤٠- قوله تعالى ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾
[سورة النمل: ١٨٥].

مجملة الأقوال الواردة في الآية:

- ١- أن المراد بالقول الواقع على المكذبين: وقوع العذاب عليهم^(١).
- ٢- وقيل المراد: وجب الغضب عليهم^(٢).
- ٣- وقيل: وجب السخط^(٣).
- ٤- وقيل: قامت الحجة^(٤).
- ٥- وقيل: حق عليهم القضاء بسبب ظلمهم في الدنيا^(٥).
- ٦- وقيل: المراد بالقول: ما نطق به القرآن من مجيء الساعة وما فيها من فنون الأهوال التي كانوا يستعجلونها^(٦).
- ٧- وقيل: وقع القول بموت العلماء وذهاب العلم^(٧).
- ٨- وقيل: إذا لم يأمرؤا بالمعروف وينهوا عن المنكر^(٨).

(١) مختصر البغوي (٢/٦٩٥).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٤/١٤٧).

(٣) المرجع السابق.

(٤) التسهيل لابن جزي (٣/٢١٨).

(٥) في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/٢٦٦٨).

(٦) فتح القدير للشوكاني (٤/١٤٧).

(٧) المرجع السابق.

(٨) المرجع السابق.

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « الظاهر أن القول الذي وقع

عليهم هو كلمة العذاب، كما يوضحه قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ

هُدًىهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ

أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة السجدة: ١٣]، ونحو ذلك من الآيات »^(١).

الموافقون:

جمهور من المفسرين قالوا إن المراد بالقول الواقع على المكذبين: هو العذاب،

فمنهم:

- ١- الإمام البغوي: « (وقع القول) وجب العذاب »^(٢).
- ٢- النسفي: « (ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون) أي يغشاهم العذاب الموعود بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله »^(٣).
- ٣- القرطبي: « (ووقع القول عليهم بما ظلموا) أي وجب العذاب عليهم بظلمهم أي بشركهم »^(٤).
- ٤- البيضاوي: « حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم في النار بعد ذلك »^(٥).

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٤٤١/٦).

(٢) مختصر البغوي (٦٩٥/٢).

(٣) مدارك التنزيل للنسفي (١٧٠/٣).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٣٩/١٣).

(٥) أنوار التنزيل للبيضاوي (٩٣/٢).

٥- أبو السعود: « (ووقع القول عليهم) أي حل بهم العذاب الذي هو مدلول القول الناطق بحلوله ونزوله ((بما ظلموا)) بسبب ظلمهم الذي هو تكذيبهم بآيات الله □ »^(١).

٦- القاسمي: « (ووقع القول) أي مدلوله وهو العقاب الموعودون به »^(٢).

٧- السعدي: « أي حقت عليهم كلمة العذاب بسبب ظلمهم »^(٣).

وبألفاظ مقاربة ومشابهة جاء كلام كل من الزمخشري^(٤)، وابن عطية^(٥)، والفخر الرازي^(٦)، والخازن^(٧)، وأبي حيان^(٨)، المحلي^(٩) والألوسي^(١٠).

ولم أجد أحداً اختار قولاً مخالفاً لما ذهب إليه الجمهور؛ إلا ما قد يظن أنه مخالف في الظاهر ما ورد عن الإمام الطبري حيث قال: « يقول تعالى ذكره ووجب السخط والغضب من الله على المكذبين بآياته »^(١١).

وكذلك ما قاله الشيخ سيد قطب: « وحق عليهم القضاء بسبب ظلمهم في الدنيا، وهم واجمون صامتون »^(١٢)، وفي التعقيب سيتضح الأمر إن شاء الله.

تعقيب الباحث:

- (١) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢٨٤/٤).
- (٢) محاسن التأويل للقاسمي (٤٦٨٨/١٣).
- (٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٦١٠).
- (٤) الكشاف للزمخشري (٣٧٣/٣).
- (٥) المحرر الوجيز لابن عطية (٢٤٧/١١).
- (٦) التفسير الكبير للفخر الرازي (٥٧٣/٨).
- (٧) لباب التأويل للخازن (١٣١/٥).
- (٨) البحر المحيط لأبي حيان (٢٧٠/٨).
- (٩) تفسير الجلالين ص (٣٢٢).
- (١٠) روح المعاني للألوسي (٢٩/٢٠).
- (١١) جامع البيان للطبري (١٢/٢٠).
- (١٢) في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٦٦٨/٥).

بعد استعراض أقوال المفسرين في بيان المراد بالقول الواقع على المكذبين ، يظهر لي
- والله أعلم - أن الراجح أن يكون المراد: وقوع العذاب عليهم بسبب ظلمهم. وذلك أنه قد
دلت آيات قرآنية أخرى عليه ، ذكر منها الشيخ الشنقيطي قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا
كُلَّ نَفْسٍ هُدًىٰ وَلَكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ
وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** ﴾ [سورة السجدة: ١١٣].

وأضيف إليها قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ
تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ** ﴾ [سورة الزمر: ١٩] ، وقوله تعالى: ﴿ **قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ
حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ [سورة الزمر: ٧١] ، والقول المؤيد بآيات
قرآنية مقدم على غيره^(١) ، ولإجماع المفسرين عليه ، أما ما ورد عن الإمام الطبري فإنه لا
يخرج عن الجمهور وإن اختلف اللفظ ، فإن سخط الله ﷻ وغضبه على المكذبين بآياته هو
بحد ذاته عذاب ، فكيف وما سيكون بعده هو عذاب جهنم الموعودون به.
وما قاله الشيخ سيد قطب من أن القضاء يحق عليهم ، فإن قضاء الله ﷻ على
المكذبين بآياته هو عذابهم في نار جهنم - أعاذنا الله وإياكم وجميع المسلمين منها -
وعليه فإنه لا خلاف.

وغير ذلك من الأقوال التي أوردتها في مجمل الأقوال (الأقوال ٦ - ٧ - ٨) فلم أجد
من رجح شيئاً منها على أنه هو الراجح في الآية ، إنما أوردتها الإمام الشوكاني^(٢) بصيغة التمرير على

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٣١٢/١).

(٢) فتح القدير للشوكاني (١٤٧/٤).

على أنه قد تحتل معنى الآية، ولكن لم يرجحها أحد. والله أعلم بالصواب.



معنى قوله تعالى ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾

٤١- قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَّيَّنَ لَكُمْ مِّنْ مَّسْكِنِهِمْ^ط

وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا

مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [سورة العنكبوت: ١٣٨].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

- ١- أن المراد بـ ((مستبصرين)) عقلاء ذوو بصائر؛ متمكنين من النظر وتمييز الحق من الباطل ولكن لم يفعلوا^(١).
- ٢- أن المعنى: كانوا عقلاء يعلمون أن الرسل والرسالات حق، ولكن كفروا عناداً^(٢).
- ٣- وقيل: متبينين أن العذاب لاحق بهم بإخبار الرسل عليهم السلام، ولكنهم لجواً في العناد^(٣).
- ٤- أن يكون المراد: مستبصرين في ضلالتهم معجبين بها يحسبون أنهم على هدى وهم على الضلال^(٤).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « والأظهر في قوله في هذه

(١) مدارك التنزيل للنسفي (١٩٧/٣).

(٢) البحر المحيط لأبي حيان (٣٥٧/٨).

(٣) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٣٣٨/٤).

(٤) جامع البيان للطبري (٩٦/٢٠).

الآية: وكانوا مستبصرين، أن استبصارهم المذكور هنا بالنسبة إلى الحياة الدنيا خاصة، كما دل

عليه قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهَمَّ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ

غَافِلُونَ﴾ [سورة الروم: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ

مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [سورة الملك: ١٠] ونحو ذلك من الآيات □»^(١).

يفهم من تفسير الشنقيطي للآية؛ أنهم كانت لهم عقول يستخدمونها في أمور الدنيا خاصة، وكان بإمكانهم استخدامها أيضاً في ما يخص أمر آخرتهم وتمييز الحق من الباطل وقبول ما جاءت به الرسل عليهم السلام، ولكنهم لم يفعلوا إما عناداً أو تشاغلاً بدنياهم، وفي كلتا الحالتين مصيرهم واحد؛ هو ما ينتظرهم من العقاب الدنيوي والأخروي جزاء عدم إيمانهم. وعليه فإن الأقوال الثلاث الأولى (١- ٢- ٣) الواردة في مجمل الأقوال متشابهة جداً ومتداخلة مع بعضها البعض، ومن قال بأحدها أو بعضها أو كلها يعتبر موافقاً للشنقيطي فيما ذهب إليه.

الموافقون:

- ١- الإمام النسفي: «(وكانوا مستبصرين)» عقلاء متمكنين من النظر وتمييز الحق من الباطل ولكنهم لم يفعلوا»^(٢).
- ٢- الزمخشري: «(وكانوا مستبصرين)» عقلاء متمكنين من النظر والافتكار، ولكنهم لم يفعلوا، أو كانوا متبينين أن العذاب نازل بهم لأن الله تعالى قد بين لهم على السنة

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٤٦٧/٦).

(٢) مدارك التنزيل للنسفي (١٩٧/٣).

الرسول عليهم السلام، ولكنهم لجّوا حتى هلكوا»^(١).

٣- القرطبي: « (وكانوا مستبصرين)) فيه قولان: أحدهما: وكانوا مستبصرين في

الضلالة، والثاني: كانوا مستبصرين قد عرفوا الحق من الباطل بظهور البراهين؛ وهذا القول أشبه؛ لأنه إنما يقال فلان مستبصر إذا عرف الشيء على الحقيقة»^(٢).

٤- القاسمي - بعد أن ذكر الآية كاملة - قال: « أي عقلاء متمكنين من النظر

والافتكار بواسطة الرسول عليهم السلام، فإنهم أوضحوا السبل، فلم يكن لهم في ذلك عذر، ولكنهم لم يفعلوا، عناداً أو كبراً»^(٣).

٥- السعدي - بعد ذكر الآية كاملة - قال: « أي وكذلك ما فعلنا بعدا وثمود، وقد علمتم

قصصهم وتبين لكم بشيء تشاهدونه بأبصاركم من مساكنهم وآثارهم التي بانوا عنها، وقد جاءتهم رسالهم بالآيات البينات المفيدة للبصيرة، فكذبوهم وجادلوهم»^(٤).

وغيرهم بألفاظ مقاربة ومشابهة لبعضهم كالبيضاوي^(٥) والمحلي^(٦) وأبي
السعود^(٧).

المخالفون:

وهم من ذكر معنى ((وكانوا مستبصرين)) أي معجبين بكفرهم وضلالهم

ويحسبوا أنهم على الحق والهدى:

١- الإمام الطبري: « (وكانوا مستبصرين)) يقول: وكانوا مستبصرين في ضالتهم

(١) الكشاف للزمخشري (٣/٤٣٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/٣٤٤).

(٣) محاسن التأويل للقاسمي (١٣/٤٧٤٩).

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٦٣١).

(٥) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/١٠٩).

(٦) تفسير الجلالين ص (٣٣٥).

(٧) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/٣٣٨).

معجبين بها يحسبون أنهم على هدى وصواب وهم على الضلال»^(١).

٢- سيد قطب: «(وزين لهم الشيطان أعمالهم فصلهم عن السبيل وكانوا مستبصرين)... فقد كانت لهم عقول، وكانت أمامهم دلائل الهدى؛ ولكن الشيطان استهوهم وزين لهم أعمالهم، وأتاهم من هذه الثغرة المكشوفة، وهي غرورهم بأنفسهم، وإعجابهم بما يأتونه من الأعمال، واتخاذهم بما هم فيه من قوة ومال ومتاع ((فصلهم عن السبيل)) سبيل الهدى الواحد المؤدي إلى الإيمان، وضج عليهم الفرصة»^(٢).

تعقيب الباحث:

الذي يظهر - والله اعلم - أن الراجح حمل الآية على أن المعنى: مستبصرين في ضلالتهم معجبين بما يحسبون أنهم على هدى وصواب، وهم في الحقيقة على الضلال والكفر وذلك لأمر:

١- وجود قرينة في السياق تؤيده وتمنع إرادة المعنى الذي ذهب إليه الشنقيطي؛ وهي قوله تعالى: «(وزين لهم الشيطان أعمالهم...)» فإن تزيين الشيطان لهم أعمالهم يناسبه أن يكونوا معجبين بأعمالهم ويحسبوا أنهم على هدى وهم ضالون. ووجود قرينة في السياق تؤيد القول الراجح؛ قاعدة قررها عدد من أئمة التفسير^(٣)، ومنهم الشيخ الشنقيطي^(٤).

٢- تأييداً للمعنى المذكور في النقطة السابقة؛ فإن من آيات القرآن ما يؤيد ذلك المعنى، منها قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ

(١) جامع البيان للطبري (٩٦/٢٠).

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٧٣٥/٥).

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٢٩٩/١).

(٤) أضواء البيان للشنقيطي (١٣/١).

وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُمْ فَأَخْلَفْتُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ
مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُمْ فَأَسْتَجَبْتُمْ لِي^ط ﴿سورة إبراهيم: ٢٢٢﴾ فَإِن

دعوة الشيطان لهم هي تزيينه أعمالهم السيئة على أنها حسنة في نظرهم. وتفسير القرآن
بالقرآن من أحسن طرق التفسير^(١).

٣- كذلك فإن هذا المعنى قد اختاره وقال به بياناً لمعنى ((مستبصرين)) حبر الأمة
وترجمان القرآن الصحابي الجليل عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما -^(٢) الذي
دعا له النبي ﷺ بقوله: « اللهم فقهه في الدين »^(٣)، وبقوله « اللهم علمه الكتاب »^(٤).
والله أعلم بالصواب.



(١) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(١٢٧)، قواعد التفسير لخالد السبت (١٠٩/١).

(٢) قال: ((وكانوا مستبصرين)) كانوا يرون أنهم على الحق ولم يكونوا على الحق.

تنوير المقباس المطبوع بهامش الدر المنثور (١٧٦/٤).

(٣) البخاري ومسلم. فتح الباري (١/٢٤٤)، صحيح مسلم بشرح النووي (٣٧/١٦).

(٤) البخاري. فتح الباري (١٠٠/٧).

٤٢- قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾
 ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ

يُنظُرُونَ ﴿٢٨﴾ [سورة السجدة: ٢٨ - ٢٩].

مجملة الأقوال الواردة في الآية:

- ١- أن المراد بالفتح القضاء والفصل ، ويوم الفتح هو يوم القيامة^(١).
- ٢- على نفس المعنى السابق للفتح وأنه القضاء والفصل ؛ قيل: إن يوم الفتح هو يوم بدر^(٢).
- ٣- أن يراد بالفتح فتح مكة^(٣).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « أظهر أقوال أهل العلم عندي هو أن الفتح في هذه الآية الكريمة ؛ هو الحكم والقضاء. وقد جاءت آيات تدل على أن الفتح الحكم ، كقوله تعالى عن نبيه شعيب ﴿ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١١/١٤)، فتح القدير للشوكاني (٢٥١/٤).
 (٢) مختصر البغوي (٧٣٨/٢)، الدر المنثور للسيوطي (١٧٩/٥).
 (٣) زاد المسير لابن الجوزي (١٧٨/٦) حكاة واعترض عليه.

وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿ [سورة الأعراف: ٨٩] أي: احكم بيننا

بالحق وأنت خير الحاكمين. وقوله تعالى عن نبيه نوح: ((قال رب إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحاً...)) الآية، أي احكم بيني وبينهم حكماً، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ سَجِّعُ بَيْنَنَا

رَبِّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَاتِحُ الْعَلِيمُ ﴿ [سورة سبأ: ٢٦]،

وقوله تعالى: ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ﴿ [سورة الأنفال: ١٩].

أي: إن تطلبوا الحكم بهلاك الظالم منكم ومن النبي ﷺ فقد جاءكم الفتح؛ أي الحكم بهلاك الظالم وهو هلاكهم يوم بدر، كما قاله غير واحد.

وعلى قول من قال من أهل العلم: إن المراد بالفتح في الآية الحكم والقضاء بينهم يوم القيامة فلا إشكال في قوله تعالى: ((قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم))

وعلى القول بأن المراد بالفتح في الآية الحكم بينهم في الدنيا بهلاك الكفار، كما وقع يوم بدر؛ فالظاهر أن معنى قوله تعالى ((قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم)) أي إذا

عابنوا الموت وشاهدوا القتل؛ بدليل قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا

بِاللَّهِ وَحَدَّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿ [سورة الأعراف: ١٨٥] فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ

إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَيْرَ

هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿ [سورة غافر: ٨٤ - ١٨٥] وقوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَتْ

التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ

قَالَ إِنِّي تَبْتُ الْكُنَّ ﴿سورة النساء: ١٨﴾، وقوله تعالى في فرعون ﴿حَتَّىٰ إِذَا
 أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِم بَنُوآ
 إِسْرَآئِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١﴾ ءَأَلْعَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ
 الْمُفْسِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [سورة يونس: ٩٠ - ٩١].

ولا يخفى أن قول من قال من أهل العلم: إن الفتح في هذه الآية فتح مكة؛ أنه
 غير صواب، بدليل قوله تعالى: ((قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم)) ومعلوم أن
 فتح مكة لا يمنع انتفاع المؤمن في وقته بإيمانه كما لا يخفى ^(١).

الموافقون:

وأعني بهم كل من قال من أئمة التفسير بأن الفتح في الآية يراد به الحكم
 والقضاء والفصل - وهو ما ذهب إليه الشنقيطي - سواء فسروا يوم الفتح بأنه يوم
 القيامة - وهم الأكثر - أو فسروه بأنه يوم بدر، فمن هؤلاء:

١- الإمام الطبري: «والصواب من القول في ذلك قول من قال معناه ويقولون متى يجيء
 هذا الحكم بيننا وبينكم» ^(٢).

٢- ابن عطية: «ثم حكى عن الكفرة أنهم يستفتحون ويستعجلون فصل القضاء بينهم
 وبين الرسول ﷺ على معنى الهزء والتكذيب. و ((الفتح)) الحكم؛ هذا قول جماعة

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٥٠٧ - ٥٠٩).

(٢) جامع البيان للطبري (٢١/٧٣).

من المفسرين ، وهو أقوى الأقوال»^(١).

٣- النيسابوري: « (متى هذا الفتح) فتح الحكم بيننا وبينكم ، ((يوم الفتح)) يوم
القيامة»^(٢).

٤- القرطبي - بعد أن ذكر قول من قال إنه فتح مكة - قال: « وأولى من هذا ما قاله
مجاهد؛ قال: يعني يوم القيامة. ويروى أن المؤمنين قالوا سيحكم الله ﷻ بيننا يوم
القيامة فيثيب المحسن ويعاقب المسيء. فقال الكفار على التهزئ: متى يوم الفتح، أي
هذا الحكم. ويقال للحاكم: فاتح وفتاح؛ لأن الأشياء تنفتح على يديه وتفصل»^(٣).

٥- ابن جزري: « (متى هذا الفتح) أي الحكم بين المسلمين والكفار في الآخرة»^(٤).

٦- أبوحيان: « ثم أخبر تعالى عن الكفرة باستعجال فصل القضاء بينهم وبين الرسول ﷺ
على معنى للهزة والتكذيب، و ((الفتح)) الحكم، قال الجمهور، وهو الذي يترتب
عليه قوله ((قل يوم الفتح...)) إلخ»^(٥).

٧- ابن كثير: « وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل؛ كقوله: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ

بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ ﴾ [سورة سبأ: ٢٦]»^(٦).

٨- الشوكاني: « ((ويقولون متى هذا الفتح إن كنت صادق)) القائلون هم الكفار على
العموم، أو كفار مكة على الخصوص، أي متى الفتح الذي تعدونا به، يعنون بالفتح:

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (١١/٥٥٥).

(٢) إيجاز البيان للنيسابوري (٢/١٢١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/١١١).

(٤) التسهيل لابن جزري (٣/٢٨٥).

(٥) البحر المحيط لأبي حيان (٨/٤٤٢).

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٤٦٤).

القضاء والفصل بين العباد، وهو يوم البعث الذي يقضي الله ﷻ فيه بين عباده»^(١).

٩- الألوسي: «(ويقولون)) على وجه التكذيب والاستهزاء ((متى هذا الفتح)) أي الفصل للخصومة بينكم وبيننا، [إلى أن قال] وتفسير ((يوم الفتح)) بيوم القيامة ظاهر على القول بأن المراد بالفتح الفصل للخصومة؛ فقد قال سبحانه ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ

يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [سورة السجدة: ٢٥]»^(٢).

١٠- القاسمي: «وإنما المراد: الفتح الذي هو القضاء والفصل؛ كقوله تعالى ﴿فَأَفْتَحْ

بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا...﴾ [سورة الشعراء: ١١٨]. وكقوله ﴿قُلْ سَجِّعُ بَيْنَنَا

رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ [سورة سبأ: ٢٦]»^(٣).

١١- السعدي: «يستعجل المجرمون بالعذاب الذي وعدوا به على التكذيب، جهلاً منهم ومعاندة. (ويقولون متى هذا الفتح)) الذي يفتح بيننا وبينكم، بتعدينا على زعمكم ((إن كنتم)) أيها الرسل ((صادقين)) في دعواكم. ((قل يوم الفتح)) الذي يحصل به عقابكم، لا تستفيدون به شيئاً، فلو كان إذا حصل، حصل إمهالكم، لتستدركوا ما فاتكم، حين صار الأمر عندكم يقيناً، لكان لذلك وجه، ولكن إذا جاء يوم الفتح... انقضى الأمر، ولم يبق للمحنة محل ف ((لا ينفع الذين كفروا إيمانهم)) لأنه صار إيمان ضرورة ((ولا هم ينظرون)) أي: يمهلون، فيؤخر عنهم العذاب فيستدركون أمرهم

(١) فتح القدير للشوكاني (٤/٢٥١).

(٢) روح المعاني للألوسي (٢١/١٤٠).

(٣) محاسن التأويل للقاسمي (١٣/٤٨١٩).

١٢ - سيد قطب: « والفتح هو الفصل فيما بين الفريقين من خلاف ؛ وتحقق الوعيد الذي كان يندعهم أنه لا يجيئهم من قريب ؛ وهم غافلون عن حكمة الله في تأخيرته إلى أجله الذي قدره، والذي لا يقدمه استعجالهم ولا يؤخره، وما هم بقادرين على دفعه ولا الإفلات منه. (قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون)) سواء كان هذا اليوم في الدنيا؛ إذ يأخذهم الله وهم كافرون، فلا يمهلهم بعده، ولا ينفعهم إيمانهم فيه. أو كان هذا اليوم في الآخرة إذ يطلبون المهلة فلا يمهلون »^(٢).

ولم أجد مخالفين، بمعنى لم أجد أحداً رجّح أن المراد بيوم الفتح فتح مكة، بل غاية من وجد إن لم يرجّحوا ما اختاره الشنقيطي ومن وافقه؛ أن يجمعوا الأقوال كلها في بيان معنى الآية مبتدئين بذكر القول الذي عليه الجمهور أن الفتح هو الفصل والقضاء والحكم، وربما يذكروا التوجيه المناسب لكل معنى من المعاني الواردة في الآية، فمن هؤلاء: الإمام البغوي^(٣)، والزمخشري^(٤)، والبيضاوي^(٥)، وأبو السعود^(٦) وغيرهم.

تعقيب الباحث:

بعد استعراض ما قاله أئمة التفسير في المراد بيوم الفتح؛ يتضح أن الراجح هو ما ذهب إليه الشيخ الشنقيطي ومن اختار نفس القول، وهو أن المراد بالفتح الحكم والقضاء والفصل وأن هذا يكون يوم القيامة، ويصح أن يكون هذا الحكم والقضاء والفصل في الدنيا

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٦٥٧).

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٨١٦/٥).

(٣) مختصر البغوي (٧٣٨/٢).

(٤) الكشاف للزمخشري (٥٠١/٣).

(٥) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٢٦/٢).

(٦) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٣٩٦/٤).

ويراد به ما يقع للكفار من قتل على المؤمنين الموحدين ؛ مثل ما حدث في يوم بدر. ويترجم ما ذكر لأمر منها :

- ١ - إجماع أئمة التفسير قديماً وحديثاً على المعنى الراجح ، وقد سبق استعراض أقوال عدد منهم عند ذكر الموافقين ، وقد صرح بعضهم بأنه قول الجمهور^(١) ، وأنه أقوى الأقوال^(٢) .
- ٢ - القول الراجح قال به من قال استناداً على مرجحات قوية ، منها :

أ - دلالة آيات أخرى من كتاب الله ﷻ على المعنى الراجح ، وقد سبق استعراض عدد منها تحت فقرة (ترجيح الشنقيطي) وفقرة (الموافقون) ، ومعلوم أن تفسير القرآن بالقرآن أعلى درجات التفسير^(٣) .

ب - دلالة السياق ؛ فالقول بأن يوم الفتح فتح مكة تردّه قرينة ظاهرة في سياق الآية ، وهي قوله تعالى : ((لا يفتح الذين كفروا إيمانهم...)) وكيف وقد آمن الطلقاء يوم فتح مكة وقبيل ذلك منهم النبي ﷺ. ووجود قرينة في السياق تؤيد القول الراجح أو تردّ القول المرجوح من القواعد التي يستخدمها العلماء في الترجيح بين الأقوال^(٤) .

- ٣ - عدد من أئمة التفسير صرّحوا بالردّ على القول المخالف ، من هؤلاء :

أ - الطبري - قال بعد أن ذكر القول الراجح - : « ولو كان معنى قوله ((متى هذا الفتح)) على ما قاله من قال يعني به فتح مكة لكان لا توبة لمن أسلم من المشركين بعد فتح مكة ، ولا شك أن الله قد تاب على بشر كثير من المشركين بعد فتح مكة ونفعهم بالإيمان به وبرسوله ، فمعلوم بذلك صحة ما قلنا من التأويل

(١) الإمام أبو حيان في البحر المحيط (٤٤٢/٨).

(٢) الإمام ابن عطية في المحرر الوجيز (٥٥٥/١١).

(٣) شرح مقلمة التفسير لابن عثيمين ص(١٢٧) ، وقواعد التفسير لخالد السبت (١٠٩/١) ، وقواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحاربي (٣١٢/١).

(٤) أضواء البيان للشنقيطي (١٣/١) ، وقواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحاربي (٢٩٩/١).

وفساد ما خالفه»^(١).

ب- ابن عطية، قال: «وقالت فرقة: الإشارة إلى فتح مكة اثم قال: وهذا ضعيف، يرده الإخبار بأن الكفرة لا ينفعهم الإيمان»^(٢).

ج- ابن كثير، قال: «ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أبعد النجعة، وأخطأ فأحش، فإن يوم الفتح قد قبل رسول الله ﷺ إسلام الطلقاء وقد كانوا قريباً من ألفين، ولو كان المراد فتح مكة لما قبل إسلامهم لقوله تعالى: ((قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون))»^(٣).
وقريباً من ذلك قال ابن جزى^(٤) والقاسمي^(٥).

٤- من فسر ((يوم الفتح)) بأنه يوم بدر أو فتح مكة، وجّهوا قوله تعالى: ((لا ينفع الذين كفروا إيمانهم)) أي لا ينفعهم إيمانهم في حال القتل؛ كما لم ينفع فرعون إيمانه عند إدراك الغرق، أما الأحياء فمن آمن قبل منه. وممن ذكر مثل هذا التوجيه من المفسرين: البغوي^(٦)، والزحشري^(٧)، وأبو السعود^(٨)، وابن الجوزي^(٩)، والنسفي^(١٠). والله أعلم بالصواب.



(١) جامع البيان للطبري (٧٣/٢١).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٥٥٥/١١).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٦٤/٣).

(٤) التسهيل لابن جزى (٢٨٥/٣).

(٥) محاسن التأويل للقاسمي (٤٨١٩/١٣).

(٦) مختصر البغوي (٧٣٨/٢).

(٧) الكشاف للزحشري (٥٠١/٣).

(٨) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٣٩٦/٤).

(٩) زاد المسير لابن الجوزي (١٧٨/٦).

(١٠) مدارك التنزيل للنسفي (٢٢٣/٣).

أهل البيت

٤٣- قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ

وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣].

مجمل الأقوال الواردة في الآية :

اختلف العلماء في المراد بأهل بيت النبي ﷺ على أقوال :

- ١- إن المراد بـ ((أهل البيت)) أزواج النبي ﷺ^(١).
- ٢- إن المراد بـ ((أهل البيت)) : عليّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم جميعاً^(٢).
- ٣- إن الآية تشملهم جميعاً، يعني شاملة لزوجات النبي ﷺ ولعليّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم جميعاً^(٣).
- ٤- إن أهل البيت في الآية هم من تحرم عليهم الصدقة بعده^(٤).

(١) جامع البيان للطبري (٧/٢٢)، فتح القدير للشوكاني (٤/٢٧٠)، أضواء البيان للشنقيطي (٥٧٩/٦).

(٢) جامع البيان للطبري (٥/٢٢)، أحكام القرآن لابن العربي (٣/١٥٣٨)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/١٨٢).

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي (٩/١٦٨)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/١٨٣)، فتح القدير للشوكاني (٤/٢٧٢)، روح المعان للألوسي (٢١/١٩).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٤/٢٧٣)، أضواء البيان للشنقيطي (٦/٥٧٩).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - في بيان الآية التي نحن
بصددها « قد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك ^(١) أن من أنواع البيان التي تضمنها أن
يقول بعض العلماء في الآية قولاً ، ويكون في نفس الآية قرينة تدل على عدم صحة ذلك
القول... ومن أمثله قول بعض أهل العلم: إن أزواجه ﷺ لا يدخلن في أهل بيته في قوله
تعالى: ((إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)). فإن قرينة
السياق صريحة في دخولهن؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ

تُردْنَ ﴾ [سورة الأحزاب: ٢٨]، ثم قال في نفس خطابه لهن: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣] ، ثم قال بعده:

﴿ وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٤] الآية، وقد أجمع

جمهور علماء الأصول على أن صورة سبب النزول قطعية الدخول فلا يصح إخراجها
بمخصص ^(٢)، ثم يتابع قائلاً والتحقيق إن شاء الله: أنهم داخلات في الآية، وإن كانت الآية
تناول غيرهن من أهل البيت، فإن سياق الآية صريح في أنها نازلة فيهم.

والتحقيق: أن صورة سبب النزول قطعية الدخول كما هو مقرر في الأصول ^(٣).

ونظير ذلك من دخول الزوجات في اسم أهل البيت؛ قوله تعالى في زوجة إبراهيم -

(١) يقصد تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.

(٢) انظر: مقدمة أضواء البيان (١٥/١).

(٣) البحر المحیط للزركشي (٢١٦/٣)، شرح مختصر الروضة للطوفي (٥٠٥/٢)، مذكرة أصول الفقه
للشنقيطي ص (٢٥٢).

﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ

الْبَيْتِ ﴾ [سورة هود: ٧٣].

وأما دخول غيرهن في الآية؛ فقد دلت عليه أحاديث عن النبي ﷺ أنه قال في علي وفاطمة والحسن والحسين - ﷺ - : « أنهم من أهل البيت، ودعا لهم الله أن يذهب عنهم الرجس ويبطهرهم تطهيراً » وقد روي ذلك جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ منهم أمهات المؤمنين أم سلمة وعائشة - رضي الله عنهما - وأبوسعيد الخدري وأنس بن مالك، ووائلة بن الأسقع - ﷺ - جميعاً^(١).

وبما ذكرنا من دلالة القرآن والسنة: تعلم أن الصواب شمول الآية الكريمة لأزواج النبي ﷺ، ولعلي وفاطمة والحسن والحسين - ﷺ - كلهم^(٢).

الموافقون:

اختار القول الذي ذهب إليه الشيخ الشنقيطي عدد كبير من المفسرين، منهم:

- ١- الإمام الواحدي، قال: « أهل البيت، يعني نساء النبي ﷺ ورجال أهل بيته »^(٣).
- ٢- الفخر الرازي، قال: « ثم إن الله تعالى ترك خطاب المؤنثات وخاطب بخطاب المذكورين بقوله: ((ليذهب عنكم الرجس)) ليدخل فيه نساء أهل بيته ورجالهم، واختلفت الأقوال في أهل البيت، والأولى أن يقال: هم أولاده وأزواجه والحسن

(١) انظر: الروايات المشار إليها في: جامع البيان للطبري (٥/٢٢)، ومرويات الإمام أحمد في التفسير (٤٠٠/٣)، وتفسير ابن كثير (٤٨٣/٣)، والدر المنثور للسيوطي (١٩٨/٥)، وفتح القدير للشوكاني (٢٧١/٤).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٥٧٨/٦).

(٣) الوجيز للواحدي (٨٦٥/٢).

- والحسين منهم وعليّ منهم لأنه كان من أهل بيته بسبب معاشرته بنت النبي -
ﷺ - وملازمته للنبي ﷺ»^(١).
- ٣- القرطبي، قال: «والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج
وغيرهم. وإنما قال: ((ويظهركم)) لأن رسول الله ﷺ وعلياً وحسناً وحسيناً كان
فيهم، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، فاقتضت الآية أن الزوجات من أهل
البيت؛ لأن الآية فيهن والمخاطبة لهن، يدل عليه سياق الكلام، والله أعلم»^(٢).
- ٤- ابن جزري، قال: «وأهل بيت النبي ﷺ هم أزواجه وذريته وأقاربه كالعباس وعليّ
وكل من حرمت عليه الصدقة»^(٣).
- ٥- ابن كثير، قال: «وقوله تعالى ((إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيراً)) هذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت ههنا لأنهن
سبب نزول هذه الآية، وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً، إما وحده على قول أو
مع غيره على الصحيح»^(٤).
- ٦- الشوكاني، ذكر أقوال العلماء في الآية واستدلال كل طائفة على قولها، ثم قال: «
وقد توسط طائفة فجعلت الآية شاملة للزوجات ولعلي وفاطمة والحسن والحسين.
أما الزوجات فلكونهن المرادات في سياق الآيات؛ ولكونهن الساكنات في بيوته ﷺ
النازلات في منازلهم. وأما دخول عليّ وفاطمة والحسن والحسين فلكونهن قرابته وأهل
بيته في النسب. فمن جعل الآية خاصة بأحد الفريقين فقد أعمل بعض ما يجب إعماله

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي (١٦٨/٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨٣/١٤).

(٣) التسهيل لابن جزري (٢٩٩/٣).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٨٣/٣).

وأهل ما لا يجوز إهماله. وقد رجح هذا القول جماعة من المحققين منهم القرطبي وابن كثير^(١) وغيرهما^(٢).

ومن رجح هذا القول أيضاً غير مَنْ ذكرت من أئمة التفسير، النسفي^(٣)، والزنجشيري^(٤)، وأبي السعود^(٥)، والألوسي^(٦)، والقاسمي^(٧)، وابن عاشور^(٨)، وغيرهم. وغيرهم.

المخالفون:

وأعني بالمخالفين الذي اختاروا قولاً واحداً من الأقوال التي تحتملها الآية كمن يجعلها خاصة بأزواج النبي ﷺ فقط أو من يجعلها خاصة بعلي وفاطمة والحسن والحسين فقط. أو من يجعلها خاصة بمن حرموا الصدقة:

١- روي عن ابن عباس وعطاء^(٩) وعكرمة قالوا: هم زوجاته خاصة، لا رجل معهن؛ كما نقل ذلك عنهم الإمام القرطبي^(١٠). بل إن عكرمة كان ينادي في السوق إن هذه

(١) ذكرت أقوالهما آنفاً.

(٢) فتح القدير للشوكاني (٢٧٢/٤).

(٣) مدارك التنزيل للنسفي (٥٢٢/٣).

(٤) الكشف للزنجشيري (٥٢٢/٣).

(٥) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤١٧/٤).

(٦) روح المعاني للألوسي (١٩/٢١).

(٧) محاسن التأويل للقاسمي (٤٨٥٤/١٣).

(٨) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٦/٢٢).

(٩) عطاء بن أبي رباح، أبو محمد القرشي مولاهم، من كبار التابعين، مفتي الحرم، قال عن نفسه:

أدركت مئين من أصحاب رسول الله ﷺ. توفي سنة (١١٤هـ). نزهة الفضلاء (٤٧٠/١).

(١٠) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨٢/١٤).

الآية نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة؛ كما نقل ذلك عنه الإمام الطبري^(١). وكان يقول عكرمة أيضاً: من شاء باهلتها أنها نزلت في شأن نساء النبي ﷺ؛ ونقل ذلك عنه الإمام ابن كثير^(٢)، وقد ردّ الإمام ابن كثير على هذه الروايات الواردة عن ابن عباس - عباس - وعكرمة - رحمه الله - بكلام جميل يأتي ذكره في التعقيب إن شاء الله.

- ٢- وردت روايات عن بعض الصحابة منهم أمهات المؤمنين أم سلمة وعائشة - رضي الله عنهما - وأبي سعيد الخدري وأنس بن مالك ووائلة بن الأسقع وغيرهم تدل على أن المراد بـ (أهل البيت) عليّ وفاطمة والحسن والحسين - ﷺ - جميعاً، وسأكتفي بذكر ثلاث روايات منها محيلاً للقارئ إلى المصادر التي جمعتها:
- أ- عن أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: « في بيتي نزلت ((إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت)) وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين، فجللهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه، ثم قال: « هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ».
- ب- وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يمر ببيت فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: « الصلاة يا أهل البيت الصلاة ((إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)) ».
- ج- وعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت: « خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط من رجل من شعر اسود، فجاء الحسن والحسين فأدخلهما معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها معه، ثم جاء علي فأدخله معه، ثم قال: ((إنما يريد الله

(١) جامع البيان للطبري (٧/٢٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٨٣/٣).

ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» (١).

٣- وأما مَنْ قال إن أهل البيت هم من تحرم عليهم الصدقة؛ فهناك روايتان عن زيد بن أرقم (٢):

الأولى: أن رسول الله ﷺ قال: «أذكركم الله في أهل بيتي» فقيل لزيد: ومن أهل بيته؟
أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم
الصدقة بعده: آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس.

الثانية: فقيل لزيد: من أهل بيته، نساؤه؟ قال: لا، وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل
العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته: أصله وعصبته
الذين حرموا الصدقة بعده (٣).

قال الإمام ابن كثير عن هاتين الروايتين: «والأولى أولى والأخذ بها أحرى،
والثانية تحتل أنه أراد تفسير الأهل المذكورين في الحديث الذي رواه إنما المراد
بهم آل الذين حرموا الصدقة، أو أنه ليس المراد بالأهل الأزواج فقط، بل هم
مع آلهم؛ وهذا الاحتمال أرجح جمعاً بينها وبين الرواية التي قبلها وجمعاً أيضاً
بين القرآن والأحاديث المتقدمة ليعني الأحاديث التي ذكرت أن أهل البيت هم
علي وفاطمة والحسن والحسين - ﷺ - [إن صحّت فإن في بعض أسانيدنا
نظراً والله أعلم، ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات
في قوله تعالى: ((إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم

(١) فتح القدير للشوكاني بتحقيق عبدالرحمن عميرة حيث خرّج الإحاديث وتكلم عليها (٤/٢٧١)،
وجامع البيان للطبري (٥/٢٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٨٣/٣)، والدر المنثور للسيوطي
(١٩٨/٥).

(٢) زيد بن أرقم بن زيد الخزرجي الأنصاري، أول مشاهده الخندق، واستصغر يوم أحد، غزا مع
النبي ﷺ سبع عشرة غزوة. توفي سنة (٦٦هـ). الإصابة (١/٥٦٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤٨٦/٣)، وفتح القدير للشوكاني (٤/٣٧٣)، وروح المعاني للألوسي (٢١/١٤).

تطهيراً) فإن سياق الكلام معهن»^(١).

تعقيب الباحث:

الذي يظهر لي - والله أعلم - أن ما ذهب إليه الشنقيطي ومن اختار الرأي الموافق لما ذهب إليه من أن الآية شاملة لأزواج النبي ﷺ ولعلي وفاطمة والحسن والحسين - ﷺ - أجمعين، هو الراجح؛ لأمر:

- ١ - كون سياق الآيات في أزواج النبي ﷺ يدل على أن الآيات نازلة فيهن.
- ٢ - وقد أجمع جمهور علماء الأصول على أن صورته سبب النزول قطعية الدخول فلا يصح إخراجها بمخصص^(٢)، وأشار إلى أنهم سبب النزول الإمام ابن كثير^(٣)، بل إن الإمام الشنقيطي وهو من علماء الأصول اتبع هذه القاعدة من الترجيح في عدد من آيات القرآن الكريم^(٤).
- ٣ - عبر في الآية بضمير الذكور في (عنكم - يطهركم) مع أن ما قبلها وما بعدها ضمائر مؤنثة وخطاب لزوجات النبي ﷺ، وفي هذا دليل على شمول الآية لزوجات النبي ﷺ ولعلي ولفاطمة والحسن والحسين من وجوه:
 - أ - أنه أجمع أهل اللسان العربي على تغليب الذكور على الإناث في الجموع^(٥).
 - ب - أن من أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن أن زوجة الرجل يطلق عليها اسم

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٨٦/٣).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٥٧٧/٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٨٣/٣).

(٤) أضواء البيان للشنقيطي (١٢٤/١)، (٥٨٨/٣)، (٢٠٩/٥)، (٧٧/٦).

(٥) أضواء البيان للشنقيطي (٥٧٨/٦).

الأهل، و باعتبار لفظ الأهل مخاطب مخاطبة الجمع المذكور، ومنه قوله تعالى في موسى

﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا ﴾ لسورة طه: ١٠. وقوله ﴿ سَعَاتِكُمْ ﴾ لسورة

النمل: ٧]، وقوله: ﴿ لَعَلَّ ءَاتِيكُمْ ﴾ لسورة القصص: ٢٩ والمخاطب

امرأته^(١).

٤- قال الإمام ابن كثير - بعد أن أورد الرواية الواردة عن عكرمة - رحمه الله - « فإن كان المراد أنهم كن سبب النزول دون غيرهم فصحيح، وإن أريد أنهم المراد فقط دون غيرهم ففي هذا نظر، فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك »^(٢).

٥- الحديث الوارد عن أم سلمة بروايات متعددة

وألفاظ متقاربة، والتي منها على سبيل المثال أن: « أم

سلمة قالت: لما نزلت هذه الآية ((إنما يريد الله

ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً))

دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً

فجعل عليهم كساء خبيرياً، فقال اللهم هؤلاء أهل

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٥٧٩).

(٢) ثم سرد بعد ذلك الروايات بمختلف طرقها الدالة على دخول علي وفاطمة والحسن والحسين - ﷺ - في (أهل البيت)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٤٨٣ - ٤٨٦).

بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً،
قالت أم سلمة أأست منهم، قال أنت إلى خير»^(١).
فهذا الحديث وأمثاله جمع العلماء بينه وبين الآية،
من ذلك :

أ- قال الألويسي: « ما أجاب به النبي ﷺ أم سلمة
وعدم إدخالها في بعض المرات تحت الكساء ليس
لأنها ليست من أهل البيت أصلاً بل لظهور أنها
منهم، حيث كانت من الأزواج اللاتي يقتضي سياق
الآية دخولهن فيهم»^(٢).

ب- ابن عاشور بعد أن أورد الحديث المذكور
بروايتين عن أم سلمة، وعن عائشة

(١) جامع البيان للطبري (٢٢/٥ - ٧).

(٢) روح المعاني للألويسي (٢١/١٥).

- رضي الله عنهما - قال: « فمجمله أن النبي ﷺ ألحق أهل الكساء بحكم هذه الآية وجعلهم أهل بيته كما ألحق المدينة بمكة في حكم الحرمية بقوله: « إن إبراهيم حرّم مكة وإني أحرّم ما بين لابتيها »^(١)، ثم يتابع ابن عاشور كلامه إلى أن يقول: « وبهذا يتضح أن أزواج النبي ﷺ هن آل بيته بصريح الآية، وأن فاطمة وابنيها وزوجها مجعولون أهل بيته بدعائه أو بتأويل الآية على محاملها. ولذلك هم أهل بيته بدليل السنة »^(٢). والله أعلم بالصواب.



(١) أخرجه البخاري، فتح الباري (٤٠٧/٦) الحديث رقم (٣٣٦٧)، ومسلم في صحيحه بشرح النووي (١٣٥/٩) في كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة.
(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٥/٢٢ - ١٦). بتصرف.

ما الذي أخفي

٤٤- قوله تعالى: ﴿ وَتَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٧].

مجمال الأقوال الواردة في الآية :

- ١- أن ما أخفاه الرسول ﷺ هو محبة فراق زيد بن حارثة لزینب بنت جحش ليتزوجها هو ﷺ إن فارقتها زيد^(١).
- ٢- أن ما أخفاه الرسول ﷺ هو ما أعلمه الله ﷻ به من أن زيدا سيطلقها ويتزوجها هو ﷺ بتزويج الله ﷻ إياها له ﷺ^(٢).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - بعد ذكره للآية- : « قد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك^(٣) أن من أنواع البيان التي تضمنها بيان الإجمال الواقع بسبب الإبهام في صلة الموصول، وذكرنا أن من أمثلة ذلك قوله تعالى: ((وتخفي في نفسك ما الله مبديه)) لأن جملة ((الله مبديه)) صلة الموصول الذي هو ما. وقد قلنا في الترجمة المذكورة: فإنه هنا أبهم هذا الذي أخفاه ﷺ في نفسه وأبداه الله، ولكنه أشار إلى أن المراد به زواجه ﷺ زينب بنت جحش - رضي الله عنها- ، حيث أوحى إليه ذلك وهي في ذلك الوقت تحت زيد

(١) جامع البيان للطبري (١٠/٢٢)، الوجيز للواحدي (١٦٦/٢)، الكشاف للزمخشري (٥٢٤/٣).

(٢) أحكام القرآن للجصاص (٤٧٢/٣)، أحكام القرآن لابن العربي (١٥٤١/٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩٠/١٤).

(٣) يقصد تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.

بن حارثة؛ لأن زواجه إياها هو الذي أبداه الله تعالى بقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا

وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٧]، وهذا هو التحقيق في معنى الآية الذي دل

عليه القرآن، وهو اللائق بجنابه ﷺ.

وبه تعلم أن ما يقوله كثير من المفسرين من أن ما أخفاه في نفسه ﷺ وأبداه الله ﷻ وقوع زينب في قلبه ومحبتة لها وهي تحت زيد، وأنها سمعته قال: سبحان مقلب القلوب.. إلى آخر القصة، كله لا صحة له، والدليل عليه أن الله لم يبد من ذلك شيئاً، مع أنه صرح بأنه مبدي ما أخفاه رسول الله ﷺ. انتهى محل الغرض من كلامنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك^(١).

وقال القرطبي - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: واختلف الناس في تأويل هذه الآية؛ فذهب قتادة وابن زيد وجماعة من المفسرين منهم: الطبري وغيره إلى أن النبي ﷺ وقع منه استحسان لزينب بنت جحش وهي في عصمة زيد، وكان حريصاً على أن يطلقها زيد، فيتزوجها هو [إلى أن قال]: وهذا الذي كان يخفي في نفسه، ولكنه لم يبد ما يجب من الأمر بالمعروف^(٢)، يعني قوله: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [سورة الأحزاب:

٣٧]، ونقل القرطبي^(٣) نحوه عن مقاتل^(٤) وابن عباس أيضاً. ولا شك أن هذا القول غير صحيح، وأنه غير لائق به ﷺ.

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٥٨١/٦)، ومقدمة أضواء البيان (١٢/١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨٩/١٤).

(٣) المرجع السابق (١٩٠/١٤).

(٤) مقاتل بن سليمان بن كثير الخراساني، المفسر، قال عنه الشافعي: الناس عيال على مقاتل بن سليمان في التفسير. توفي سنة (١٥٠هـ). طبقات المفسرين (٣٣٠/٢).

وذكر القرطبي: عن علي بن الحسين^(١) أن الله أوحى إلى نبيه ﷺ أن زيدا سيطلق
زينب وأن الله ﷻ يزوجه رسول الله ﷺ وبعد أن علم هذا بالوحي قال لزيد: أمسك عليك
زوجك.

وأن الذي أخفاه في نفسه: هو أن الله ﷻ سيزوجه زينب - رضي الله عنها-
ثم قال القرطبي بعد أن ذكر هذا القول: قال علماؤنا رحمة الله عليهم - : وهذا القول
أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية. وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء
الراسخين، كالزهري^(٢) والقاضي بكر بن العلاء القشيري^(٣)، والقاضي أبي بكر بن العربي
وغيرهم. [إلى أن قال]: فأما ما روي أن النبي ﷺ هوى زينب امرأة زيد، وربما أطلق بعض
الجمان لفظ عشق، فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبي ﷺ عن مثل هذا أو مستخف
بجرمته. قال الترمذي الحكيم^(٤) في نوادر الأصول - وأسند إلى علي بن الحسين قوله^(٥) -

: فعلي بن الحسين جاء بهذا من خزانة العلم جوهرًا من الجواهر ودرًا من الدرر أنه إنما
عتب الله ﷻ عليه في أنه قد أعلمه أن ستكون هذه من أزواجك فكيف قال بعد ذلك لزيد:
(أمسك عليك زوجك))، وأخذت خشية الناس، أن يقولوا: تزوج امرأة ابنه، والله أحق

(١) زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، كان مع أبيه الحسين الشهيد يوم
كائنة كربلاء وله ثلاث وعشرون سنة، وكان يومئذ موعوكا فلم يقاتل ولا تعرضوا له. توفي سنة
٩٤هـ. نزهة الفضلاء (٤٠٤/١).

(٢) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، الإمام العلم، حافظ زمانه، أول من دون الحديث. توفي سنة
١٢٤هـ. نزهة الفضلاء (٤٩٤/١).

(٣) أبو الفضل بكر بن محمد بن العلاء القشيري البصري المالكي، سمع (الموطأ) من أحمد بن موسى
السامي، وصنف التصانيف في المذهب. توفي سنة (٣٤٤هـ). سير أعلام النبلاء (٥٣٧/١٥).

(٤) أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين، الحكيم الترمذي، عالم بالحديث وأصول الدين، من
مصنفاته (نوادر الأصول في أحاديث الرسول). توفي نحو سنة (٣٢٠هـ) الأعلام (٢٧٢/٦).

(٥) سبق ذكره قريباً في كلام القرطبي.

أن تخشاه»^(١). انتهى محل الغرض منه.

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: « ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير هاهنا آثاراً عن بعض السلف - رضي الله عنهم - ، أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها »^(٢) إلى آخر كلامه ، وفيه كلام على بن الحسين الذي ذكرنا آنفاً.

قال مقبده^(٣) عفا الله عنه وغفر له : التحقيق إن شاء الله في هذه المسألة : هو ما ذكرنا أن القرآن دل عليه ؛ وهو أن الله ﷻ أعلم نبيه ﷺ بأن زيدا يطلق زينب ، وأنه يزوجه إياه ﷻ ، وهي في ذلك الوقت تحت زيد ، فلما شكها زيد إليه ﷻ قال له ((أمسك عليك زوجك واتق الله)) فعاتبه الله على قوله أمسك عليك زوجك بعد علمه أنها ستصير زوجته هو ﷻ وخشي مقالة الناس أن يقولوا - لو أظهر ما علم من تزويجه إياها - : أنه يريد تزوج زوجة ابنه في الوقت الذي هي فيه في عصمة زيد.

والدليل على هذا أمران :

الأول : هو ما قدمنا من أن الله - جل وعلا - قال : ﴿ وَتَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ

مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ ۗ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ

مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٧] ولم يبد جل وعلا شيئاً مما

زعموه أنه احبها ، ولو كان ذلك هو المراد لأبداه الله تعالى كما ترى.

الأمر الثاني : أن الله جل وعلا صرح بأنه هو الذي زوجه إياها ، وأن الحكمة الإلهية في ذلك

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/١٩١).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٤٩١).

(٣) الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

التزويج هي قطع تحريم أزواج الأديعاء في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ

مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي

أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٧]. فقوله تعالى: ((لكي لا يكون

على المؤمنين حرج)) تعليل صريح لتزويجه إياها لما ذكرنا، وكون الله ﷻ هو الذي
زوجه إياها ليس هو محبته لها التي كانت سبباً في طلاق زيد لها كما زعموا،
ويوضحه قوله تعالى ((فلما قضى زيد منها وطراً)) لأنه يدل على أن زيد قضى وطره
منها ولم تبق له بها حاجة، فطلقها باختياره. والعلم عند الله تعالى «^(١).

الموافقون:

- ١- الإمام البغوي بعد أن أورد رواية على بن الحسين في بيان معنى الآية، قال:
«□ وهذا هو الأولى والأليق بحال الأنبياء وهو مطابق للتلاوة لأن الله علم أنه يبدي
ويظهر ما أخفاه، ولم يظهر غير تزويجها منه، فقال ((زوجناكها))، فلو كان الذي
أضمره رسول الله ﷺ محبتها أو إرادة طلاقها لأظهر ذلك لأنه لا يجوز أن يخبر أنه
يظهره ثم يكتمه فلا يظهره، فدل على أنه إنما عوتب على إخفاء ما أعلمه الله أنها
ستكون زوجة له «^(٢).
- ٢- ابن العربي، قال في المسألة الثالثة تحت تفسيره للآية: « يعني من نكاحك لها، فقد

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٥٨٠ - ٥٨٣).

(٢) مختصر البغوي (٢/٧٤٨).

كان الله ﷻ أعلمه بأنها تكون من أزواجه»^(١).

- ٣- القاسمي، قال: «(وتخفي) أي تضم (في نفسك ما الله مبدية) أي من الحكم الذي شرعه. أي تقول ذلك وأنت تعلم أن الطلاق لا بد منه، وأن لا منتدح عن امتثال أمر الله ﷻ بنفسك، لتكون أسوة لمن معك ولن يأتي بعدك»^(٢).
- ومن اختار هذا القول أيضاً الإمام الجصاص^(٣)، والشيخ حسنين مخلوف^(٤)، والمراغي^(٥)، ابن عاشور^(٦) وغيرهم، وسبق أن جاء في ثنايا كلام القرطبي نسبة هذا القول إلى عدد من أعلام أئمة التفسير، بل قد عزاه الألويسي^(٧) إلى الجمهور.

المخالفون:

- ١- الطبري - بعد أن أورد الآية - قال: «وتخفي في نفسك محبة فراقه إياها لتزوجها إن هو فارقها»^(٨).
- ٢- الزمخشري، قال: «فإن قلت: ما الذي أخفى في نفسه؟ قلت: تعلق قلبه بها»^(٩).

(١) أحكام القرآن لابن العربي (١٥٤١/٣).

(٢) محاسن التأويل للقاسمي (٤٨٦٥/١٣).

(٣) أحكام القرآن للجصاص (٤٧٢/٣).

(٤) صفوة البيان لمخلوف ص (٥٣٣).

(٥) تفسير المراغي (١٤/٢٢).

وهو: أحمد بن مصطفى المراغي، مفسر من علماء مصر، من كتبه: (تفسير المراغي). توفي سنة (١٣٢٧هـ). الأعلام (١/٢٥٨).

(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣١/٢٢).

(٧) روح المعاني للألويسي (٢٤/١١).

(٨) جامع البيان للطبري (١٠/٢٢).

(٩) الكشف للزمخشري (٥٢٤/٣).

ومن قال به أيضاً من أئمة التفسير الواحدي^(١)، وأبوالسعود^(٢)،
والبيضاوي^(٣)، والسعدي^(٤).

تعقيب الباحث:

الذي يظهر أن الراجح في معنى الآية هو ما ذهب إليه الشيخ الشنقيطي ومن
اختار القول الموافق له، ((وتخفي في نفسك ما الله مبديه)) أن ما أخفاه ﷺ هو ما أعلمه الله
ﷻ أن زيدا سيطلق زينباً ثم تكون إحدى نسائه بتزويج الله - جل وعلا- إياها له ﷻ.
وذلك لوجوه:

- ١- أنه من باب تفسير القرآن بالقرآن، الذي هو أحسن طرق التفسير وأعلها^(٥)، وقد
دل سياق الآية على هذا المعنى، ودلالة السياق على المعنى المراد من ناحيتين وهما:
الأمران اللذان ذكرهما الشيخ الشنقيطي في نهاية استدلاله على ترجيحه وقد ذكرنا
قريباً تحت فقرة: ترجيح الشنقيطي. ثم إن الترجيح بدلالة السياق من القواعد المهمة
في الترجيح عند المفسرين^(٦).
- ٢- أن هذا القول هو اختيار الجمهور، وقد سبقت الإشارة إلى ما نقله القرطبي عن عدد
من أئمة التفسير، وكذلك ما حكاه الألويسي أن هذا هو قول الجمهور.

(١) الوجيز للواحدي (١٦٦/٢).

(٢) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤٢٠/٤).

(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٣٢/٢).

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٦٦٥).

(٥) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(١٢٧).

(٦) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (١٢٥/١): المبحث الثاني قواعد الترجيح المتعلقة
بالسياق القرآني، المطلب الأول: إدخال في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا
بدليل يجب التسليم له. وكذلك قواعد التفسير لخالد السبت (١١٠/١): أقسام البيان من جهة
الاتصال وعدمه، الأول: البيان المتصل.

- ٣- أن اختيار هذا المعنى هو الأولى والأليق بحال النبي ﷺ وحال الأنبياء عموماً عليهم صلوات الله وسلامه^(١)، وذلك لأن القول الذي يعظم مقام النبوة ولا ينسب إليها ما لا يليق بها أولى بتفسير الآية، وهذه قاعدة مهمة قررها وعمل بها عدد من أئمة التفسير؛ منهم: الإمام القرطبي^(٢)، والطبري^(٣)، والشنقيطي^(٤)، وغيرهم^(٥).
- ٤- أن تزويج النبي ﷺ زينب بنت جحش لم يكن لقضاء شهوة النبي ﷺ بل « لبيان الشريعة بفعله، فإن الشرع يستفاد من فعل النبي ﷺ وقوله^(٦) »، « ولقد شاء الله ﷻ أن يحمل نبيه ﷺ - فيما يحمل من أعباء الرسالة - مؤنة إزالة آثار نظام التبني، فيتزوج من مطلقة متبناه زيد بن حارثة، ويواجه المجتمع بهذا العمل، الذي لا يستطيع أحد أن يواجه المجتمع به على الرغم من إبطال عادة التبني في ذاتها، فكان زواج النبي ﷺ بأمر من الله ﷻ هو الذي قرر هذه القاعدة^(٧) »، وبهذا يتبين « أن الذي كان يخفيه

(١) مختصر البغوي (٧٤٨/٢)، أضواء البيان للشنقيطي (٥٨٠/٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٩١/١٤) عند تفسير نفس الآية التي نحن بصددھا (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) وقد سبق ذكر كلام القرطبي في أثناء ترجيح الشنقيطي.

(٣) جامع البيان للطبري (٦٣/١٧) عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ

عَلَيْهِ ﴾ [سورة الأنبياء: ٨٧].

(٤) أضواء البيان للشنقيطي (٥٣٨/٤) عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ

فَعَوَى ﴾ [سورة طه: ١٢١] وكذلك (٢٤/٧) عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ

أَنَّمَا فَتَنَّاهُ ﴾ [سورة ص: ٢٤].

(٥) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٣٢٨/١ - ٣٤٣).

(٦) التفسير الكبير للفخر الرازي (١٧٠/٩) بتصرف.

(٧) في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٨٦٨/٥) بتصرف.

مجمّل الأقوال الواردة في الآية :

اختلف في المراد بالإنسان في قوله تعالى : ((وحملها الإنسان)) على أقوال :

- ١ - أن المراد بالإنسان آدم عليه السلام^(١).
- ٢ - أن المراد الجنس : أي عموم الناس^(٢).
- ٣ - أن الإنسان يراد به الكافر والمنافق^(٣).
- ٤ - أو يراد به قاييل الذي قتل أخاه^(٤).

وتبعاً لذلك اختلف في مرجع الضمير المتصل في قوله تعالى ((إنه كان ظلوماً

جهولاً)):

^١ () مختصر البغوي (٢/٧٥٦).

^٢ () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٦٧٤).

^٣ () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/٢٥٥) ولم يرجحه.

^٤ () التسهيل لابن جزي (٣/٣١٧) ولم يرجحه.

١- أن الضمير يرجع إلى جنس الإنسان سواء أريد بالإنسان في الآية آدم - ~~الكلية~~ - أو

عموم الناس^(١).

٢- أن يرجع على الكافر والمتناق إن حمل لفظ الإنسان عليهما^(٢).

٣- أو يرجع على قاييل^(٣).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « وقوله تعالى في هذه الآية

الكرمية ((وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً)) الظاهر أن المراد بالإنسان آدم عليه وعلى

نبينا الصلاة والسلام. وأن الضمير في قوله ((إنه كان ظلوماً جهولاً)) راجع لفظ الإنسان

مجرداً عن إرادة المذكور منه الذي هو آدم - ~~الكلية~~ - ، والمعنى: أنه أي الإنسان الذي لا

(١) مدارك التنزيل للنسفي (٢٤٢/٣)، أضواء البيان للشنقيطي (٦٠٦/٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٥٥/١٤).

(٣) التسهيل لابن جزي (٣١٧/٣).

يحفظ الأمانة كان ظلوماً جهولاً، أي كثير الظلم والجهل. والدليل على هذا أمران :

أحدهما: قرينة قرآنية دالة على انقسام الإنسان في حمل الأمانة المذكورة إلى معذب

ومرحوم في قوله تعالى بعده متصلاً به ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ

وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾

لسورة الأحزاب: [٧٣]، فدل هذا على أن الظلوم الجهول من الإنسان هو

المعذب والعياذ بالله، وهم المنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات، دون

المؤمنين والمؤمنات. واللام في قوله ((ليعذب)) لام التعليل وهي متعلقة

بقوله ((وحملها الإنسان)).

الأمر الثاني: أن الأسلوب المذكور الذي هو رجوع الضمير إلى مجرد اللفظ دون اعتبار

المعنى التفصيلي؛ أسلوب معروف في اللغة التي نزل بها القرآن. وقد جاء

فعالاً في آية من كتاب الله وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ

وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [سورة فاطر: ١١]؛ لأن

الضمير في قوله ((ولا ينقص من عمره)) راجع إلى لفظ المعمر دون معناه

التفصيلي، كما هو ظاهر. وهذه المسألة هي المعروفة عند علماء العربية

بمسألة عندي درهم ونصفه: أي نصف درهم آخر^(١).

وبعض من قال من أهل العلم إن الضمير في قوله ((إن كان ظلوماً جهولاً))

عائد إلى آدم، قال المعنى: إنه كان ظلوماً لنفسه؛ جهولاً: أي غراً بعواقب الأمور وما يتبع

الأمانة من الصعوبات. والأظهر هو ما ذكرنا والعلم عند الله تعالى^(٢).

يفهم من هذا أن الشيخ الشنقيطي يرى أن المراد بالإنسان آدم - ~~الكليلة~~ - ، في حين أن

الضمير في ((إنه...)) يرجع إلى لفظ الإنسان ويراد به جنس الإنسان بصورة عامة.

الموافقون:

عدد من المفسرين ذكروا أن المراد بالإنسان في الآية آدم - ~~الكليلة~~ - ؛ منهم

الإمام البغوي والخازن وقالوا عنه إنه قول السلف وهو الأولى^(٣)، واختاره أيضاً المحلي^(١).

(١) وهو المعروف عند علماء البلاغة بالاستخدام: أن يراد بلفظ له معنيان؛ أحدهما، ثم بضميره

معناه الآخر، أو يراد بأحد ضميريه أحدهما وبالآخر الآخر. بغية الإيضاح للصعدي (٣٣/٤).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٦٠٦/٦).

(٣) (باب التأويل للخازن وبهامشه تفسير البغوي (٥/٢٣٠ - ٢٣١).

المخالفون :

عدد غير قليل من المفسرين رجّحوا أن الإنسان في قوله تعالى ((وحملها الإنسان)) يراد به الجنس؛ أي عموم الناس، منهم الإمام النسفي^(٢)، والزمخشري^(٣)، وأبو السعود^(٤)، والألوسي^(٥)، والسعدي^(٦)، وسيد قطب^(٧)، وابن عاشور^(٨).

فمثلاً: يقول الألوسي: «(وحملها الإنسان)) أي هذا الجنس نحو ﴿ إِنَّ

^١ () تفسير الجلالين ص (٣٥٨).

^٢ () مدارك التنزيل للنسفي (٢٤٢/٣).

^٣ () الكشاف للزمخشري (٥٤٧/٣).

^٤ () إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤٣٧/٤).

^٥ () روح المعاني للألوسي (٩٦/٢٢).

^٦ () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٦٧٤).

^٧ () في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٨٨٤/٥).

^٨ () التحرير والتنوير لابن عاشور (١٢٥/٢٢).

﴿سورة العاديات: ٦﴾ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ ﴿١﴾

﴿سورة العلق: ٦﴾، وحمله إياها إما باعتبارها بالإضافة إلى استعداده أو بتكليفه إياها يوم الميثاق، أي تكلفها والتزمها مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة القوة، وهو إما عبارة عن قبولها بموجب استعداده الفطري أو عن القبول القولي يوم الميثاق. [ثم قال: وقوله تعالى ((إنه كان ظلوماً جهولاً)) اعتراض وسط بين الحمل وغايته للإيدان من أول الأمر بعدم وفائه بما تحمّل، والتأكيد لمظنة التردد أي إنه كان مفرطاً في الظلم مبالغاً في الجهل؛ أي بحسب غالب أفراد الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة أو قبولهم السابق دون من عداهم من الذين لم يبدلوا فطرة الله تديلاً، ويكفي في صدق الحكم على الجنس بشيء وجوده في بعض أفرادهم فضلاً عن وجوده في غالبها»^(١).

ويقول السعدي: «(فأبين أن يحملنها وأشفقن منها)) أي خوفاً أن لا يقمن بما حمّلن، لا عصياناً لربهن ولا زهداً في ثوابه، وعرضها الله ﷻ على الإنسان على ذلك الشرط المذكور، فقيلها وحملها مع ظلمه وجهله، وحمل هذا الحمل الثقيل. فانقسم الناس

(١) روح المعاني للألوسي (٩٦/٢٢).

- بحسب قيامهم بها وعدمه - إلى ثلاثة أقسام: منافقون أظهروا أنهم قاموا بها ظاهراً لا باطناً، ومشركون تركوها ظاهراً وباطناً، ومؤمنون قائمون بها ظاهراً وباطناً^(١).

تعقيب الباحث:

يظهر - والله أعلم - أن الراجح في الآية هو ما ذهب إليه الشيخ الشنقيطي،

وذلك لأمر:

١ - كون المراد بالإنسان في الآية آدم عليه السلام هو قول السلف كما صرح بذلك الإمام البغوي والخازن^(٢) والنحاس^(٣).

٢ - ما ذكره الشيخ الشنقيطي من قرينة في الآية تدل على رجوع الضمير المتصل في ((إنه كان ظلوماً جهولاً)) على لفظ الإنسان ولكن دون إرادة آدم - ~~الكلية~~ - ؛ وإنما لفظ الإنسان على عمومه، وهذه القرينة هي قوله تعالى: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٦٧٤).

(٢) لباب التأويل للخازن وبهامشه تفسير البغوي (٢٣٠/٥ - ٢٣١).

(٣) معاني القرآن الكريم للنحاس (٣٨٣/٥).

الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبُ

اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ... ﴿سورة الأحزاب: ٧٣﴾ فإن هذا التقسيم

لأنواع الناس يستحيل أن يراد به شخص واحد هو آدم - ~~عليه السلام~~ - ، فدل على

ضرورة رجوع الضمير إلى لفظ الإنسان مراداً به العموم. والاستدلال بقريته في

السياق على القول الراجح قاعدة اتبعها أئمة التفسير^(١).

٣- يؤيد ما سبق أيضاً ما ذكره الشيخ الألوسي^(٢) من استبعاد رجوع الضمير في ((إنه كان

ظلوماً جهولاً)) على آدم - ~~عليه السلام~~ - لعدم مناسبة الظلم والجهل مع الاصطفاء

بنص قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ﴾ [سورة آل عمران: ٣٣].

٤- ما استدل به الشيخ الشنقيطي من جواز رجوع الضمير إلى مجرد اللفظ دون اعتبار

معناه التفصيلي؛ وهو الأسلوب المعروف في اللغة بمسألة عندي درهم ونصفه،

واستدل عليه بأية قرآنية هي قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (١/٢٩٩).

(٢) روح المعاني للألوسي (٢٢/٩٦).

مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴿١١١﴾ [سورة فاطر: ١١١]. يؤيده أيضاً قوله تعالى ﴿﴾ ﴿﴾
هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ
إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ^ط فَلَمَّا أَثْقَلَتْ
دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ
﴿١١٢﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى

اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١١٣﴾ [سورة الأعراف: ١٨٩ - ١٩٠] فإن الضمير في قوله

((يشركون)) لم يرجع إلى الزوجين المرادين في قوله ((جعلنا))، إنما رجع إلى جنس

الأزواج الذين يشركون. أسأل الله ﷻ أن يحفظنا وجميع المسلمين من الشرك والنفاق

وسوء الأخلاق. والله أعلم بالصواب.



المراد بقوله ﴿أُرُونِي﴾

٤٦- قوله تعالى: ﴿قُلْ أُرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ

هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة سبأ: ٢٧].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

- ١- المراد بالرؤية في لفظ ((أروني)) رؤية بصرية^(١).
- ٢- أن يراد بها رؤية علمية^(٢)، وقيل: قلبية^(٣)، وهما بمعنى واحد.

ترجيح الشنقيطي:

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٦٢٢).

(٢) مختصر البغوي (٢/٧٦٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١٢/١٨٧).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٦٢٢).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « أمر الله - جل وعلا -

نبيه ﷺ في هذه الآية الكريمة أن يقول لعبدة الأوثان أروني أوثانكم التي ألحقتموها بالله جل وعلا شركاء له في عبادته ، كفراً منكم وشركاً وافتراء ، لأنهم إن أروه إياها تبين برؤيتها أنها جماد لا ينفع ولا يضُر ، واتضح بعدها عن صفات الألوهية. فظهر لكل عاقل برؤيتها بطلان عبادة ما لا ينفع ولا يضُر ، فإحضارها والكلام فيها ، وهي مشاهدة أبلغ من الكلام فيها غائبة ، مع أنه ﷺ يعرفها.

وكما أنه في هذه الآية الكريمة أمرهم أن يروه إياها ليتبين بذلك بطلان عبادتها ، فقد أمرهم في آيات أخرى أن يسمّوها بأسمائها ؛ لأن تسميتها بأسمائها يظهر بها بعدها عن صفات الألوهية وبطلان عبادتها لأنها أسماء إناث حقيرة كاللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، كما قال تعالى : ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنثًا ﴾ [سورة النساء : ١١٧] وذلك في قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن هُوَ قَابِئُ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۗ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ ۗ أَمْ يَظْهَرُ مِّنَ الْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلذِّينِ كَفْرُؤًا مَّكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضِلِّ

اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ [سورة الرعد: ٣٣].

والأظهر في قوله ((أروني الذين ألحقتهم به)) في هذه الآية هو ما ذكرنا من أن الرؤية بصرية، وعليه فقوله ((شركاء)) حال. وقال بعض أهل العلم: إنها من: رأى؛ العلمية، وعليه (شركاء) مفعول ثالث لأروني^(١).

فيلاحظ اختيار الشيخ الشنقيطي لكون المراد بـ ((أروني)) الرؤية البصرية.

الموافقون:

وهم من يرجح أن المراد بالرؤية، رؤية بصرية، يعني: أن يُحضر المشركون الأصنام والأوثان ليروها جميعاً بأعينهم وتقام عليهم الحجة حاضرة بأنها جماد، لا تنفع ولا تضر، وبالتالي لا تستحق العبادة، فمن من قال بذلك:

١- الإمام الطبري: «(قل أروني الذين ألحقتهم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم)»

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ، قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الآلهة والأصنام أروني

(١) أضواء البيان الشنقيطي (٦/٦٢٢).

أيها القوم الذين ألحقتموهم بالله فصيرتموهم له شركاء في عبادتكم إياها»^(١).

٢- النسفي: « ومعنى قوله ((أروني)) وكان يراهم؛ أن يريهم الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله وأن يطلعهم على حالة الإشراف به »^(٢).

٣- ابن كثير: « ((قل أروني الذين ألحقتهم به شركاء)) أي: أروني هذه الآلهة التي جعلتموها لله أنداداً وصيرتموها له عدلاً ((كلا)) أي ليس له نظير ولا نديد ولا شريك ولا عديل ((بل هو الله)) أي الواحد الأحد الذي لا شريك له »^(٣).

٤- ابن عاشور: « والأمر في قوله ((أروني)) مستعمل في التعجيز، وهو تعجيز للمشركين عن إبداء حجة لإشراكهم... والإراءة هنا من الرؤية البصرية فيتعدى إلى مفعولين: أحدهما بالأصالة والثاني بهمزة التعدية. والمقصود: أروني شخوصهم لنبصر هل عليها ما يناسب صفة الإلهية، أي أن كل من يشاهد الأصنام بادئ مرة

^١ () جامع البيان للطبري (٦٦/٢٢).

^٢ () مدارك التنزيل للنسفي (٢٤٦/٣).

^٣ () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٣٨/٣).

يتبين له أنها خَلِيَّةٌ عن صفات الإلهية إذ يرى حجارة لا تسمع ولا تبصر ولا تفقه ؛

لأن انتفاء الإلهية عن الأصنام بديهى ولا يحتاج إلى أكثر من رؤية حالها «^(١) .

وبنحو عبارة من ذكرت جاء قول كل من الواحدى^(٢) ، والزمخشري^(٣) ومحيى .

المخالفون :

وهم من رجَّح أن الرؤية (عِلْمِيَّةٌ قَلْبِيَّةٌ) ، يعنى : أروني بالحجة والبرهان ماذا

خلقت هذه الأصنام وكيف استحقت عبادتكم لها ، قال بذلك من المفسرين :

١ - الإمام البغوي : « (قل أروني الذين ألحقتهم به شركاء)) أي أعلموني الذين

ألحقتهم به أي بالله ﷻ شركاء في العبادة معه هل يخلقون ويرزقون «^(٤) .

^١ () التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩٦/٢٢) .

^٢ () الوجيز للواحدى (٨٨٤/٢) .

^٣ () الكشاف للزمخشري (٥٦٥/٣) .

^٤ () مختصر البغوي (٧٦٢/٢) .

٢- ابن عطية: « وقوله تعالى ((قل أروني)) يحتمل أن تكون رؤية قلب، فيكون قوله ((شركاء)) مفعولاً ثالثاً، وهذا هو الصحيح، أي أروني بالحجة والدليل كيف وجه الشركة »^(١).

٣- القرطبي: « يكون ((أروني)) هنا من رؤية القلب، فيكون ((شركاء)) المفعول الثالث، أي عرفوني الأصنام والأوثان التي جعلتموها شركاء لله ﷻ، وهل شاركت في خلق شيء، فبينوا ما هو؟ وإلا فلم تعبدونها »^(٢).

٤- أبوحيان: «... الظاهر أن أرى هنا بمعنى أعلم، فيتعدى إلى ثلاثة: الضمير للمتكلم هو الأول، والذين الثاني، وشركاء الثالث، أي أروني بالحجة والدليل كيف وجه الشركة، وهل يملكون مثقال ذرة أو يرزقونكم؟ »^(٣).

^١ (المحرر الوجيز لابن عطية (١٢/١٨٧).

^٢ (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/٣٠٠).

^٣ (البحر المحيط لأبي حيان (٨/٥٤٨).



- ٥ - المحلي: « (قل أروني) (أعلموني) ((الذين ألحقتهم به شركاء)) في العبادة »^(١).
- ٦ - الشوكاني: « (قل أروني الذين ألحقتهم به شركاء) أي أروني الذي ألحقتموهم بالله **عَلَيْكُمْ** شركاء له، وهذه الرؤية هي القلبية، فيكون (شركاء) هو المفعول الثالث؛ لأن الفعل تعدى بالهمزة إلى ثلاثة: الأول: الياء في (أروني)، والثاني: الموصول، والثالث: ((شركاء)) »^(٢).
- وبالفاظ ومعانٍ مقاربة للأقوال المذكورة جاء كلام كل من الإمام ابن الجوزي^(٣)، وابن جزي^(٤)، والبيضاوي^(٥)، والبقاعي^(٦)، والقنوجي^(٧)، والمراغي^(١)، والسعدي^(٢).

^١ () تفسير الجلالين ص (٣٦١).

^٢ () فتح القدير للشوكاني (٤/٣١٦).

^٣ () زاد المسير لابن الجوزي (٦/٢٣٦).

^٤ () التسهيل لابن جزي (٣/٣٢٨).

^٥ () أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/١٤٠٩).

^٦ () نظم الدرر للبقاعي (١٥/٥٠٢).

^٧ () فتح البيان للقنوجي (١١/١٩٣).

تعقيب الباحث:

الذي يظهر - والله أعلم - صحة حمل لفظ ((أروني)) على كلا المعنيين المذكورين عن المفسرين، فإن كل فريق رجّح ما رجّحه في ضوء الحكمة المستنبطة من المعنى الذي ذهب إليه، وتوضيح ذلك:

١ - أن الموافقين للشنقيطي - وهو معهم - لما بنّوا المعنى في ((أروني)) على أنها رؤية بالبصر، ذكروا أن الحكمة من هذه الإراءة أن يريهم الخطأ الشنيع الذين وقعوا فيه بإلحاق الشركاء بالله ﷻ، فإنهم عندما يُحضروا الأصنام ويشاهدها الجمع؛ يفتضح أمر المشركين ويظهر لكل عاقل برؤيتها بطلان عبادة ما لا ينفع ولا يضر، فأحضرها والكلام فيها وهي مشاهدة أبلغ من الكلام فيها وهي غائبة^(٣).

^١ (تفسير المراغي (١٢/٢٢).

^٢ (تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٦٨٠)

^٣ (فتح البيان للقنوجي (١٩٣/١١)، أضواء البيان للشنقيطي (٦/٦٢٢).

٢- أن المرجحين لكون الرؤية يراد بها العلم والمعرفة القلبية؛ ذكروا أنه لا داعي لرؤية الأصنام والأوثان بحاسة البصر؛ لأنها معروفة عند النبي ﷺ وكان يشاهدها، فلا بد أن يراد بـ ((أروني)) - حسب ترجيحهم - أي أعلموني ماذا خلقت هذه الأصنام والأوثان في هذه الحياة، وبأي شيء وصفة استحقت منكم أن تعبدوها، فإن هذه الأصنام نكرة لا تعرف بقلب ولا تدل عليها فطرة وهذا فيه زيادة تبييت لهم، كما ذكر ذلك البقاعي^(١).

٣- الشهاب في حاشيته على البيضاوي ردّ على تضعيف ابن عطية للرؤية البصرية، بأن الرؤية ليست لمجرد الرؤية، إنما من أجل توبيخ المشركين على فعلهم، واعتبر أن الصحيح حمل الرؤية على كلا المعنيين، البصرية والعلمية، وقال بأن « من قصره على أحدهما فقد قصر »^(٢). والله أعلم بالصواب.

(١) نظم الدرر للبقاعي (١٥/٥٠٢).

(٢) حاشية الشهاب (٧/٢٠٢).

هذه فائدة لطيفة أنقلها عن الفخر الرازي، لم أجد من المفسرين ذكر ما ذكره، فإنه عند تفسيره للآية المقصودة بيّن أن البشر في عبادتهم الله ﷻ ثلاثة أقسام؛ فقال: «... قد ذكرنا أن المعبود قد يعبده قوم لدفع الضرر، وجمّع لتوقع المنفعة، وقليل من الأشراف يعبدونه لأنه يستحق العبادة لذاته.

١- فلما بيّن أنه لا يُعبد غير الله ﷻ لدفع الضرر إذ لا دافع للضرر غيره بقوله: ﴿قُلْ

أَدْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة سبأ: ٢٢].

٢- وبيّن أنه لا يُعبد غير الله لتوقع المنفعة بقوله ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة سبأ: ٢٤].

٣- بيّن ههنا أنه لا يُعبد أحدٌ لاستحقاقه العبادة غير الله ﷻ فقال: ﴿قُلْ أَرُونِي

الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

﴿[سورة سبأ: ٢٤] أي هو المعبود لذاته واتصافه بالعزة وهي القدرة الكاملة



والحكمة وهي العلم التام الذي عمله موافق له «^(١) اهـ.



المراد بقوله تعالى ﴿وَأَنى لَهُمُ التَّناوُشُ﴾

٤٧- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ وَأَنى لَهُمُ التَّناوُشُ مِن مَّكانٍ بَعِيدٍ

﴿سورة سبأ: ٥٢﴾.

مجمَل الأقوال الواردة في الآية:

١- ((أنى لهم التناوش)) أي كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الإيمان والتوبة، وقد كان

قريباً في الدنيا فضيعوه^(١).

٢- ((أنى لهم التناوش)) الرجوع إلى الدنيا^(٢).

ترجيج الشنقيطي:

(١) مختصر البغوي (٧٦٥/٢).

(٢) البحر المحيط لأبي حيان (٥٦٦/٨) نقله عن ابن عباس - رضي الله عنهما -

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « وقوله تعالى في هذه الآية
الكريمة ((وأنى لهم التناوش من مكان بعيد)) أنى: تدل على كمال الاستبعاد هنا،
والتناوش: التناول، وقال بعضهم: هو خصوص التناول السهل للشيء القريب.
والمعنى: أنه يستبعد كل الاستبعاد ويبعد كل البعد أن يتناول الكفار الإيمان النافع
في الآخرة بعدما ضيعوا ذلك وقت إمكانه في دار الدنيا. وقيل: الاستبعاد لردهم إلى الدنيا
مرة أخرى ليؤمنوا، والأول أظهر، ويدل عليه قوله قبله ((وقالوا آمنا به)) ومن أراد تناول
شيء من مكان بعيد لا يمكنه ذلك والعلم عند الله تعالى^(١). فالشيخ الشنقيطي إذا يرى أن
المراد بـ ((أنى لهم التناوش)) أن الكفار لا ينفعهم إيمانهم إذا آمنوا عند معاينتهم لأحداث
اليوم الآخر يوم القيامة؛ بعدما ضيعوا فرصة الإيمان بأيديهم وهم في الدنيا.

الموافقون:

كثير من المفسرين ذهبوا في بيان معنى الآية إلى مثل ما ذهب إليه الشنقيطي أذكر

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٦٢٩).

بعضهم وأقوالهم :

١ - الإمام النيسابوري : « (وَأَنى لَهُم التناوُسُ) التناول. ناوشته : أخذته من بعيد، والمراد : الإيمان والتوبة. أي كيف التناول من بعيد لما كان قريباً فلم يتناولوه »^(١).

٢ - القرطبي : « قوله تعالى ((وَأَنى لَهُم التناوُسُ من مكان بعيد)) يقول : أَنى لهم تناول الإيمان في الآخرة وقد كفروا في الدنيا »^(٢).

٣ - الخازن : « (وَأَنى لَهُم التناوُسُ) أي والمعنى كيف لهم تناول ما بُعِد عنهم وهو الإيمان والتوبة وقد كان قريباً منهم في الدنيا فضيعوه »^(٣).

٤ - ابن كثير : « ((وقالوا آمنا به)) أي يوم القيامة يقولون آمنا بالله وملائكته وكتبه

ورسله، كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ

عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا

^١ () إيجاز البيان للنيسابوري (١٣٥/٢).

^٢ () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣١٦/١٤).

^٣ () لباب التأويل للخازن (٢٤٥/٥).

﴿ مَوْقِنُونَ ﴾ ﴿ سورة السجدة: ١٢ ﴾، ولهذا قال تعالى: ((وَأَنى لَهُم

التناوش من مكان بعيد)) أي كيف لهم تعاطي الإيمان وقد بعدوا عن محل قبوله منهم
وصاروا إلى الدار الآخرة وهي دار الجزاء لا دار الابتلاء، فلو كانوا آمنوا في الدنيا
لكان ذلك نافعهم ولكن بعد مصيرهم إلى الدار الآخرة لا سبيل لهم إلى قبول
الإيمان؛ كما لا سبيل إلى حصول الشيء لمن يتناوله من بعيد^(١).

٥- أبو السعود: « ((وَأَنى لَهُم التناوش)) التناوش تناول السهل أي ومن أين لهم أن
يتناولوا الإيمان تناولاً سهلاً ((من مكان بعيد)) فإنه في حيز التكليف وهم منه بمعزل
بعيد، وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالإيمان بعد ما فات عنهم وبعُد بحال من
يريد أن يتناول الشيء من غلوة^(٢) تناوله من ذراع في الاستحالة^(٣) ».

٦- الشوكاني: « والمعنى كيف لهم أن يتناولوا الإيمان من بعد، يعني في الآخرة وقد

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٥٤٤).

(٢) غلوة: يراد بها مرمي السهم، القاموس المحيط ص (١٧٠٠) باب الواو والياء - فصل الغين.

(٣) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/٤٦٧).

تركوه في الدنيا»^(١).

٧- السعدي: « (أنى لهم التناوش) أي: تناول الإيمان ((من مكان بعيد)) قد حيل بينهم وبينه، وصار من الأمور المحالة في هذه الحالة، فلو أنهم آمنوا وقت الإمكان، لكان إيمانهم مقبولاً»^(٢).

٨- سيد قطب: « (وقالوا آمنا به) .. الآن بعد فوات الأوان.. ((وأنى لهم التناوش من مكان بعيد)). وكيف يتناولون الإيمان من مكانهم هذا. ومكان الإيمان بعيد عنهم فقد كان ذلك في الدنيا، فضيَّعوه. ((وقد كفروا به من قبل))... فانتهى الأمر، ولم يعد لهم أن يحاولوه اليوم»^(٣).

وبنحو ذلك قال كل من الإمام ابن الجوزي^(٤) وأبي حيان^(١)، والمحلي^(٢)،

^١ (فتح القدير للشوكاني (٤/٣٢٥).

^٢ (تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٦٨٤).

^٣ (في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/٢٩١٦).

^٤ (زاد المسير لابن الجوزي (٦/٢٤٣).

ولم أجد أحداً رجّح قولاً مخالفاً... إلا أن من المفسرين من جعل القولين مترابطين بشدة، واعتبرهما بمجموعهما بياناً لمعنى الآية؛ كالإمام الطبري... حيث قال: « وقالوا آمنا بالله في حين لا ينفعهم قيلُ ذلك، فقال الله ((وأنى لهم التناوش)) أي وأين لهم التوبة والرجعة أي قد بعدت عنهم فصاروا منها كموضع بعيد أن يتناولوها، وإنما وصف ذلك الموضع بالبعيد لأنهم قالوا ذلك في القيامة، فقال الله أنى لهم بالتوبة المقبولة، والتوبة المقبولة إنما كانت في الدنيا، وقد ذهب الدنيا فصارت بعيداً من الآخرة^(٤) ».

أما النسفي^(٥)، وابن جزى^(٦) فقد جعلوا القولين محتملان للآية على التخيير بلفظ

^١ () البحر المحيط لأبي حيان (٥٦٦/٨).

^٢ () تفسير الجلالين ص (٣٦٣).

^٣ () روح المعاني للألوسي (١٥٨/٢٢).

^٤ () جامع البيان للطبري (٧٤/٢٢).

^٥ () مدارك التنزيل للنسفي (٢٥٣/٣).

^٦ () التسهيل لابن جزى (٣٣٤/٣).

(أو) و (قيل).

تعقيب الباحث:

يظهر من خلال ما سبق - والله أعلم - أن الراجح هو ما ذهب إليه الشيخ

الشنقيطي ومن قال بنحو قوله ، يدل على ذلك ما يأتي :

١ - ما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن الكفار يؤمنون يوم القيامة عند معاينتهم العذاب

وأن هذا الإيمان لا ينفعهم لفوات وقته وقد كان وقته في الدنيا ؛ هذا المعنى قد دلت

عليه آيات أخرى من القرآن الكريم... منها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ

يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ

لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ

قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [سورة الأعراف: ٥٣]، فهذه الآية دلت على أن الكفار

يؤمنون يوم القيامة بأن ما جاءت به الرسل حق ، ولكن هذا لا ينفعهم ((قد خسروا

أنفسهم)).. ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا

رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا
إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ
الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾

﴿سورة السجدة: ١٢ - ١٣﴾، الكفار يوم القيامة يبصروا بأعينهم ويسمعوا

بآذانهم فيعلنوا بأنهم ((موقنون))، ولكن لا فائدة من يقينهم هذا، فلقد ((حق

القول)) وكان بإمكانهم أن يؤمنوا ويوقنوا وهم في الدنيا.. ومنها قوله تعالى: ﴿

قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَلْتُنْتِنَا وَأَلْحَيَّيْتَنَا أَتُنتِنَا فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ

خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ﴿سورة غافر: ١١﴾ يعترف الكفار يوم القيامة بأنهم

كانوا في الدنيا مخطئين مذنبين، ولكن لا ينفعهم هذا الاعتراف.. فهذه الآيات وغيرها

دلت على ما تضمنه قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ؕ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ

مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ ﴿سورة سبأ: ٥٢﴾ وهو من قبيل تفسير القرآن بالقرآن^(١).

٢- سياق الآية يدل على المعنى الراجح، ففي بداية الآية قوله تعالى ((وقالوا آمنا به))

(١) شرح مقلمة التفسير لابن عثيمين ص(١٢٧)، وقواعد التفسير لخالل السبت (١/١٠٩).

فإنهم لما عاينوا العذاب ورأوه بأعينهم وسمعوه بأذانهم؛ آمنوا وأعلنوا استسلامهم وتصديقهم، فناسب أن يكون ختام الآية رداً عليهم بأن إيمانهم هذا لا ينفعهم لأنه جاء في غير وقته، وقد كان وقته في الدنيا فضيَّعوه. والاستدلال بسياق الآية قاعدة متبعة في الترجيح بين الأقوال عند المفسرين^(١).

٣- كون هذا القول قد اختاره جمهور المفسرين، وقد مرَّ ما قاله عدد منهم، مع ندرة بل عدم ودود مخالف لما اختاروه. والله أعلم بالصواب.



معنى قوله تعالى ﴿ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾

٤٨- قوله تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [سورة فاطر:

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (١/١٢٥).

مجمّل الأقوال الواردة في الآية :

- ١ - من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله ﷻ^(١).
- ٢ - من كان يريد أن يعلم لمن العزة فله العزة جميعاً^(٢).
- ٣ - من كان يريد العزة بعبادة الآلهة والأوثان فإن العزة لله جميعاً^(٣).
- ٤ - من كان يريد العزة بمغالبة الإسلام فله العزة جميعاً ؛ فالمغالبة له مغلوب^(٤).

^١ () جامع البيان للطبري (٧٩/٢٢)، وحكاه عن قتادة، مختصر البغوي (٧٦٧/٢)، فتح القدير للشوكاني (٣٣٠/٤).

^٢ () جامع البيان للطبري (٨٠/٢٢)، مختصر البغوي (٧٦٧/٢)، وحكاه عن الفراء، فتح القدير للشوكاني (٣٣٠/٤).

^٣ () جامع البيان للطبري (٧٩/٢٢) وحكاه عن مجاهد.

^٤ () التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٣٣٨/٣) المعنى الثاني الذي ذكره ولم يرجّحه.

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن من كان يريد العزة فإنها جميعها لله وحده، فليطلبها منه وليتسبب لنيلها بطاعته جل وعلا، فإن من أطاعه أعطاه العزة في الدنيا والآخرة، أما الذين يعبدون الأصنام لينالوا العزة بعبادتها، والذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، يبتغون عندهم العزة، فإنهم في ضلال وعمى عن الحق، لأنهم يطلبون العزة من محل الذل.

وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في آيات من كتاب

الله تعالى، كقوله تعالى: ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهًا لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا

﴿ ٨١ ﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿ ٨٢ ﴾ ﴾ [سورة مريم:

٨١ - ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ

الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَتُهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿ ١٣٩ ﴾ ﴾ [سورة

النساء: ١٣٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ ٦٥ ﴾ ﴾ [سورة يونس: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لِنِ رَجَعْنَا

إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّكَ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ^١ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ... ﴿
[سورة المنافقون: ٨]، وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ

﴿سورة الصافات: ١٨٠﴾.

وقول من قال من أهل العلم: أن معنى الآية: من كان يريد العزة أي يريد أن

يعلم لمن العزة، أصوب منه ما ذكرنا. والعلم عند الله ﴿^(١)

الموافقون:

اختار المعنى الموافق لما اختاره الشنقيطي عدد من أئمة التفسير؛ منهم:

١- الإمام الطبري، قال: «والذي هو أولى الأقوال بالصواب عندي قول من قال: من

كان يريد العزة فبالله فليتعزز فله العزة جميعاً دون كل ما دونه من الآلهة والأوثان

﴿^(٢)

٢- ابن جزي؛ ذكر الآية وبعدها قال: «تحتل ثلاثة معانٍ أحدها - وهو الأظهر -

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٦٣٨).

(٢) جامع البيان للطبري (٢٢/٨٠).

من كان يريد نيل العزة فليطلبها من عند الله ؛ فإن العزة كلها لله...»^(١).

٣- ابن كثير - بعد ذكر الآية - قال : « أي من كان يحب أن يكون عزيزاً في الدنيا

والآخرة فليلزم طاعة الله تعالى فإنه يحصل له مقصوده ، لأن الله تعالى مالك الدنيا

والآخرة وله العزة جميعاً »^(٢).

٤- الشوكاني ، قال : « والظاهر في معنى الآية : أن من كان يريد العزة ويطلبها فليطلبها

من الله ﷻ ، فله العزة جميعاً ، ليس لغيره منها شيء ، فتشمل الآية كل من طلب

العزة ، ويكون المقصود بها : التنبيه لذوي الأقدار والهمم من أين تنال العزة ، ومن

أي جهة تطلب »^(٣).

٥- السعدي ، قال : « أي يا من يريد العزة ؛ اطلبها ممن هي بيده ، فإن العزة بيد الله ، ولا

^١ () التسهيل لابن جزي (٣/٣٣٨).

^٢ () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٥٤٩).

^٣ () فتح القدير للشوكاني (٤/٣٣٠).

تنال إلا بطاعته»^(١).

٦- سيد قطب: « هذه حقيقة ؛ إن العزة كلها لله. وليس شيء منها عند أحد سواه. فمن كان يريد العزة فليطلبها من مصدرها الذي ليس لها مصدر غيره ، ليطلبها عند الله. ليأخذ من الأصل الذي يملك وحده كل العزة ، ولا يذهب يطلب قمامة الناس وفضلاتهم.

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [سورة

فاطر : ١٠] ولهذا التعقيب المباشر بعد ذكر الحقيقة الضخمة فعزاه وإيحاؤه. فهو إشارة إلى أسباب العزة ووسائلها لمن يطلبها عند الله. القول الطيب والعمل الصالح. القول الطيب الذي يصعد إلى الله في علاه ؛ والعمل الصالح الذي يرفعه الله إليه ويكرمه بهذا الارتفاع. ومن ثم يكرم صاحبه ويمنحه العزة والاستعلاء»^(٢).

لم أجد فيما وقفت عليه من أقوال المفسرين أحداً رجّح قولاً آخر، غير أن البعض منهم يستعرض الأقوال الواردة في معنى الآية، ثم يرجح القول الذي ذهب إليه

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٦٨٥).

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٩٣١/٥) بتصرف.

الشنقيطي ومن وافقه، ومن جمع الأقوال أو معظمها في تفسيره: الإمام الطبري والبعوي وابن جزري والشوكاني^(١).

تعقيب الباحث:

الذي يظهر - والله أعلم - أن القول الذي اختاره الشنقيطي ومن وافقه هو الراجح باعتبار إجماع المفسرين عليه، ولم أجد أحداً اختار ورجح قولاً آخر غيره.

وقد ذكر الإمام الطبري سبب ترجيحه للقول المختار فقال: « وإنما قلت ذلك أولى بالصواب لأن الآيات التي قبل هذه الآية جرت بتقريع الله ﷻ المشركين على عبادتهم الأوثان وتوبيخه إياهم ووعيده لهم عليها؛ فأولى بهذه أيضاً أن تكون من جنس الحث على فراق ذلك فكانت قصتها شبيهة بقصتها وكانت في سياقها^(٢). » والترجيح بمدلول سياق

(١) جامع البيان للطبري (٧٩/٢٢ - ٨٠)، مختصر البعوي (٧٦٧/٢)، التسهيل لابن جزري (٣٣٨/٣)، فتح

القدير للشوكاني (٣٣٠/٤).

(٢) جامع البيان للطبري (٨٠/٢٢).



الآيات قاعدة مهمة من قواعد الترجيح عند المفسرين^(١).



(١) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (١٢٥/١)، قاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله

وما بعده أولى من الخروج به عنهما. إلا بدليل يجب التسليم له.

هل أنذر آباؤهم؟

٤٩- قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ ﴿٦﴾ لسورة

يس: ٦٦.

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

- ١- أن لفظه (ما) في الآية نافية ؛ وعليه يكون المعنى : لم ينذر آباؤهم^(١).
- ٢- أن تكون موصولة أو موصوفة ؛ وعليه يكون المعنى : لتنذر قوماً الذي أنذره آباؤهم ، أو لتنذرهم عذاباً أنذره آباؤهم^(٢).
- ٣- أن تكون مصدرية ؛ وعليه يكون المعنى : إنذار آباؤهم^(٣).

^١ () أضواء البيان للشنقيطي (٦/٦٤٩).

^٢ () فتح القدير للشوكاني (٤/٣٤٩).

^٣ () أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/١٤٩).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « لفظه (ما) من قوله تعالى

((ما أنذر آباؤهم)) قيل نافية وهو الصحيح ، وقيل موصولة ، وعليه فهو المفعول الثاني

لتنذر ، وقيل مصدرية.

وإن مما يدل على ذلك ترتيبه بالفاء عليه قوله بعده ((فهم غافلون)) لأن كونهم

غافلين يناسب عدم الإنذار لا الإنذار ، وهذا هو الظاهر مع آيات أخر^(١) دالة على ذلك

(١) كقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحِمَةً

مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ... ﴾ [سورة

القصص: ٤٦]، وكقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن

رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ... ﴾ [سورة السجدة: ١٣]

وكقوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَيْنَهُمْ مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ

قَبْلَكَ مِّن نَّذِيرٍ ﴿٥٤﴾ [سورة سبأ: ٥٤].

الموافقون :

وأعني بهم الذين ذكروا أن لفظه (ما) في الآية يراد بها النفي ، ويكون المعنى : لم

ينذر آباؤهم.

١ - الإمام الواحدي : « (لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم) » في الفترة ((فهم غافلون)) عن

الإيمان والرشد «(٢)» .

٢ - ابن جزري : « (لتنذر قوما) » هم قريش ،

ويحتمل أن يدخل معهم سائر العرب وسائر الأمم ،

((ما أنذر آباؤهم)) (ما) نافية ، والمعنى : لم يرسل

إليهم ولا لآبائهم رسول ينذرهم. وقيل : المعنى لتنذر

(١) أعضاء البيان للشنقيطي (٦/٦٤٩ - ٦٥٠).

(٢) الوجيز للواحدى (٢/١٩٦).

قوماً مثل ما أنذر آباؤهم، ف (ما) على هذا موصولة
بمعنى الذي، أو مصدرية. والأول أرجح؛ لقوله
((فهم غافلون))، يعني قوله: ﴿ مَا آتَاهُمْ مِّنْ
نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ [القصص: ٤٦، السجدة:
٢٣]، ولا يعارض هذا بعث الأنبياء المتقدمين فإن
هؤلاء القوم لم يدركوهم ولا آباؤهم الأقربون»^(١).

٣- ابن كثير: « ((لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم
غافلون)) يعني بهم العرب فإنه ما أتاهم من نذير من
قبله، وذكرهم وحدهم لا ينفي من عداهم، كما أن
ذكر بعض الأفراد لا ينفي العموم. وقد تقدم^(٢) ذكر
الآيات والأحاديث المتواترة في عموم بعثته ﷺ عند

(١) التسهيل لابن جزي (٣/٣٥٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٢٥٥).

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٨] ^(١).

٤- المحلي: « (لتنذر) به ((قوما)) متعلق بتنزيل ((ما أنذر أبأؤهم)) أي لم ينذروا في زمن الفترة ((فهم)) أي القوم ((غافلون)) عن الإيمان والرشد » ^(٢).

٥- الشوكاني: « و (ما) في ((ما أنذر أبأؤهم)) هي النافية، أي: لم ينذر أبأؤهم [ثم ذكر بقية الأوجه، إلى أن قال:] وقد ذهب أكثر أهل التفسير إلى أن المعنى على النفي، وهو الظاهر من النظم، لترتيب

^(١) () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٥٦٤).

^(٢) () تفسير الجلالين ص (٣٦٩).

((فهم غافلون)) على ما قبله ^(١).

٦ - القاسمي: « ((لتنذر قوماً ما أنذر آبائهم)) أي برسول ولا كتاب ((فهم غافلون)) أي عن أمر حق الخالق والمخلوق، بالكفر والفساد ونكران البعث والمعاد ^(٢)».

٧ - السعدي: « ((لتنذر قوماً ما أنذر آبائهم فهم غافلون)) وهم العرب الأميون، الذين لم يزالوا خالين من الكتب، عادمين الرسل، قد عمتهم الجهالة وغمرتهم الضلالة، وأضحكوا عليهم وعلى سفههم عقول العالمين، فأرسل الله إليهم رسولاً من أنفسهم، يزيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن

^١ () فتح القدير للشوكاني (٤/٣٤٩).

^٢ () محاسن التأويل للقاسمي (١٤/٤٩٩٢).

كانوا من قبل لفي ضلال مبين، فيندر العرب
 الأميين، ويذكر أهل الكتاب بما عندهم من الكتب،
 فنعمة الله ﷻ به على العرب خصوصاً، وعلى
 غيرهم عموماً»^(١).

وقال بمثل هذا أيضاً من المفسرين: القنوجي^(٢)، والمراغي^(٣)، وسيد قطب^(٤)،

وابن عاشور^(٥).

أما المخالفون، فلم أجد في ما وقفت عليه من أقوال المفسرين أحداً رجح قولاً

مخالفاً لما ذهب إليه الشنقيطي، وإنما غاية من وجدت - غير الموافقين - جمعوا الأقوال

^١ (تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٦٩٣).

^٢ (فتح البيان للقنوجي (١١/٢٧١).

^٣ (تفسير المراغي (٢٢/١٤٦).

^٤ (في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/٢٩٥٩).

^٥ (التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢/٣٧٤).

كلها أو بعضها عند بيانهم لمعنى الآية، أذكر أقوال بعضهم وأشير إلى البقية، فمنهم:

١ - الإمام الماوردي: « (لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم) » فيه وجهان:

أحدهما: أنهم قريش أنذروا بنوثة محمد ﷺ ولم ينذر آباؤهم من قبلهم.

الثاني: أنه عام، ومعناه: لتنذر قوماً كما أنذر آباؤهم^(١).

٢ - البغوي: « (لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم) » قيل: (ما) للنفي أي لم تنذر آباؤهم لأن

قريشاً لم يأتهم نبي قبل محمد ﷺ. وقيل: (ما) بمعنى الذي لتنذر قوماً بالذي أنذر

آباؤهم^(٢).

٣ - النيسابوري: « (ما أنذر آباؤهم) » يجوز (ما) نافية، ويجوز بمعنى الذي، أي

(١) النكت والعيون للماوردي (٦/٥).

وهو: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، كان ثقة من وجوه الفقهاء الشافعيين، وليّ

القضاء، وله مصنفات كثيرة في الفقه وأصوله والتفسير والأدب. توفي سنة (٤٥٠هـ). طبقات المفسرين

(١/٤٢٣).

(٢) مختصر البغوي (٢/٧٧٤).

لتخوفهمم الذي خوف آباؤهم ؛ لأن الأرض لا تخلو من حجة «^(١).

٤- البيضاوي : « ((ما أنذر آباؤهم)) قوماً غير منذر آباؤهم يعني آباءهم الأقربين لتطاول

مدة الفترة ، فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم إلى إرساله ، أو الذي أنذر به أو شيئاً

أنذر به آباؤهم الأبعدون فيكون مفعولاً ثانياً لتنذر ، أو إنذار آباؤهم على المصدر «^(٢).

٥- البقاعي : « ولما ذكر المرسل والمرسل به والمرسل ؛ ذكر المرسل له ، فقال ((لتنذر قوماً)) أي

ذوي بأس وقوة وذكاء وفطنة ((ما أنذر)) أي لم ينذر أصلاً ((آباؤهم)) أي الذين غيروا

دين أعظم آباؤهم إبراهيم - ~~العلي~~ - ومن أتى بعدهم عند فترة الرسل. ولما كان عدم

الإنذار موجباً للاستيلاء الحظوظ والشهوات على العقل فيحصل على ذلك الغفلة عن

طريق النجاة ؛ قال ((فهم)) أي بسبب زمان الفترة ((غافلون)). أو المعنى على أن (ما)

مفعول ثانٍ لتنذر: أي لتنذرهم الذي أنذره آباؤهم الذين كانوا قبل التغيير ، فإن هؤلاء

غافلون عن ذلك لطول الزمان وحدث النسيان «^(٣).

(١) إيجاز البيان للنيسابوري (٢/١٣٩).

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/١٤٩).

(٣) نظم الدرر للبقاعي (١٦/٩٤).



وبكلام يشبه أقوال من ذكرت جاء تفسير كل من: الإمام النحاس^(١)،
والنسفي^(٢)، وابن عطية^(٣)، وابن الجوزي^(٤)، والفخر الرازي^(٥)، والقرطبي^(٦)، وأبي
حيان^(٧)، وأبي السعود^(٨)، والألوسي^(٩).

تعقيب الباحث:

^١ () معاني القرآن الكريم للنحاس (٤٧٤/٥).

^٢ () مدارك التنزيل للنسفي (٣/٤).

^٣ () المحرر الوجيز لابن عطية (٢٧٣/١٢).

^٤ () زاد المسير لابن الجوزي (٢٦٢/٦).

^٥ () التفسير الكبير للفخر الرازي (٢٥٣/٩).

^٦ () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/١٥).

^٧ () البحر المحيظ لأبي حيان (٤٩/٩).

^٨ () إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤٩٣/٤).

^٩ () روح المعاني للألوسي (٢١٣/٢٢).

الذي يظهر - والله أعلم - أن الأرجح في معنى هذه الآية ((لتنذر قوماً ما أنذر آباءهم فهم غافلون)) هو ما ذهب إليه الشنقيطي ومن قال بمثل قوله من أن لفظة ((ما)) في الآية يراد بها النفي، ويكون معنى الآية: لم ينذر آباؤهم، يؤيد ذلك أمور:

١ - كون هذا القول هو قول الجمهور، يدل على ذلك تصريح عدد من المفسرين بذلك كالإمام النسفي^(١)، وابن الجوزي^(٢)، والقرطبي^(٣)، والشوكاني^(٤)، والقنوجي^(٥).
والقنوجي^(٥).

٢ - بالرغم من وجود أقوال أخرى، إلا أنه لم يوجد قديماً ولا حديثاً من رجح قولاً مخالفاً لما ذهب إليه الجمهور.

^١ (مدارك التنزيل للنسفي (٣/٤).

^٢ (زاد المسير لابن الجوزي (٢٦٢/٦).

^٣ (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/١٥).

^٤ (فتح القدير للشوكاني (٣٤٩/٤).

^٥ (فتح البيان للقنوجي (٢٧١/١١).

- ٣- وقبل هذا كله بل هو الأساس في ترجيح هذا القول الراجح؛ دلالة السياق^(١)، فإن سياق الآية يدل عليه، فبداية الآية قوله تعالى ((لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم)) وختامها ((فهم غافلون)) فكونهم غافلون يناسبه عدم الإنذار لا الإنذار^(٢).
- ٤- كذلك دلالة آيات أخرى على المعنى الراجح^(٣) في آية سورة يس هذه، وهو كون آباؤهم لم يأتهم نذير قبل النبي محمد ﷺ - وقد مر معنا عند فقرة ترجيح الشنقيطي ذكر عدد من الآيات في الهامش - ومن الآيات الدالة بوضوح أيضاً على كون آباؤهم ضالين؛ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾ ﴿٣١﴾ سورة الصافات: ٦٩ فكون الآباء ضالين معناه أنهم لم يأتهم نذير يزيح عنهم هذا الضلال وتلك الغفلة. والله أعلم بالصواب.

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (١٢٥/١).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٦٤٩/٦).

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٣١٢/١).



المراد بقوله تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا ۖ ﴾

٥٠ - قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ

فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ۖ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ

سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۖ ﴾ [سورة يس: ٨ - ١٩].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

١ - أن معنى هذه الآية على الاستعارة والتمثيل وذلك عبارة عن تماديهم على الكفر ومنع

الله ﷻ لهم من الإيمان، فشبهم بمن جعل في عنقه غل يمنعه من الالتفات، وغطى

على بصره فصار لا يرى^(١).

٢ - أن المعنى أيضاً على التمثيل ويراد به: أمسكنا أيديهم عن النفقة في سبيل الله ﷻ

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٢٧٥/١٢)، التسهيل لابن جزي (٣٥١/٣).

بموانع كالأغلال^(١). أو يكون المنع شاملاً لمنعهم عن كل خير^(٢).

٣- أن هذه الآية على الحقيقة لا الاستعارة وهي أنه لما أخبر تعالى أنهم لا يؤمنون، أخبر عن

شيء من أحوالهم في الآخرة إذا دخلوا النار من وضع الأغلال في أعناقهم^(٣).

٤- أن هذه الأغلال موانع حسية منعت كما يمنع الغلُّ، ونزلت هذه الآية في أبي جهل

ومن معه حين حاولوا إيذاء رسول الله ﷺ فمنعه الله ﷻ منهم وأعماهم عنه^(٤).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « الأغلال: جمع غل

^١ (الوجيز للواحدى (١٨٩٧/٢).

^٢ (زاد المسير لابن الجوزي (٢٦٣/٦).

^٣ (البحر المحيظ لأبي حيان (٤٩/٩)، فتح القدير للشوكاني (٣٥٠/٤).

^٤ (أسباب النزول للسيوطي مطبوع بذيلى مفردات القرآن للحمصي ص(٤١١)، زاد المسير لابن

الجوزي (٢٦٣/٦)، لباب التأويل للخازن (٣/٦).

وهو الذي يجمع الأيدي إلى الأعناق. والأذقان: جمع ذقن وهو ملتقى اللحين. والمقمح بصيغة اسم المفعول: هو الرافع رأسه. والسد بالفتح والضم: هو الحاجز الذي يسد طريق الوصول إلى ما وراءه. قوله (فأغشيناهم) أي جعلنا على أبصارهم الغشاوة، وهي: الغطاء الذي يكون على العين يمنعها من الإبصار.

والمراد بالآية الكريمة: أن هؤلاء الأشقياء الذين سبقت لهم الشقاوة في علم الله

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

﴿سورة يس: ٧﴾؛ صرفهم الله ﷻ عن الإيمان صرفاً عظيماً مانعاً من وصوله إليهم؛ لأن من جعل في عنقه غل، وصار الغل إلى ذقنه، حتى صار رأسه مرفوعاً لا يقدر أن يطاقئه، وجعل أمامه سد وخلفه سد وجعل على بصره الغشاوة؛ لا حيلة له في التصرف، ولا في جلب نفع لنفسه، ولا في دفع ضرر عنها، فالذين أشقاهم الله بهذه المثابة لا يصل إليهم خير.

وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية من كونه - جل وعلا - يصرف

الأشقياء الذين سبقت لهم الشقاوة في علمه عن الحق ويحول بينهم وبينه؛ جاء موضحاً في

آيات كثيرة: كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ^ط ﴾ [سورة الكهف: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ^ط وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ غِشْوَةً ^ط ﴾ [سورة البقرة: ٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَفْرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشْوَةً ^ط ﴾ [سورة الجاثية: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُمْ ^ط تَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ ^ع ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿ مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ^ع ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ^ع أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ^ع هُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ^ط وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ^ط ﴾ [سورة المائدة: ٤١]، وقوله تعالى: ﴿ وَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ ^ط وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ^ط ﴾ [سورة النحل: ١٠٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ^ع يُضَعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ ^ع مَا كَانُوا

يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿ [سورة هود: ٢٠]، وقوله تعالى:
﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ
سَمْعًا ﴾ [سورة الكهف: ١٠١]، والآيات بمثل ذلك كثيرة.

[إلى أن قال:] واعلم أن قول من قال من أهل العلم: إن معنى قوله تعالى في

هذه الآية الكريمة: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا ﴾ أن المراد بذلك الأغلال التي

يعذبون بها في الآخرة؛ كقوله تعالى: ﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ

يُسْحَبُونَ ﴾ [في الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ] ﴿ [سورة غافر:

٧١ - ٧٢] خلاف التحقيق، بل المراد بجعل الأغلال في أعناقهم وما ذكر معه في الآية هو

صرفهم عن الإيمان والهدى في دار الدنيا كما أوضحنا^(١).

الموافقون:

عدد كثير من المفسرين ذهبوا في بيان معنى الآية إلى مثل مذهب الشنقيطي فيها،

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٦٥١ - ٦٥٣).

منهم:

١- الإمام ابن عطية - بعد أن ذكر الآية وذكر بعدها عدداً من الأقوال الواردة فيها - قال: « وقالت فرقة: الآية مستعارة المعنى من منع الله ﷻ إياهم من الإيمان وحوله بينه وبينهم، وهذا أرجح الأقوال؛ لأنه لما ذكر أنهم لا يؤمنون لما سبق لهم في الأزل عقب ذلك بأن جعل لهم من المنع وإحاطة الشقاوة ما حالهم معه حال المغلوبين »^(١).

٢- ابن جزي: « ((إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً...)) فيها ثلاثة أقوال: الأول: أنها عبارة عن تماديهم على الكفر ومنع الله ﷻ لهم من الإيمان، فشبهم بمن جعل في عنقه غلّ يمنعه من الالتفات، وغطى على بصره فصار لا يرى. والثاني: أنها عبارة عن كفهم عن إذاية النبي ﷺ حين أراد أبوجهل أن يرميه بحجر؛ فرجع عنه فزعاً مرعوباً. والثالث: أن ذلك حقيقة في حالهم في جهنم. والأول أظهر وأرجح لقوله قبلها ﴿ فَهَمَّ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة يس: ١٧]. وقوله بعدها ﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ﴾

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (١٢/٢٧٥).

ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْرًا لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ [سورة يس: ١٠]»^(١).

٣- ابن كثير - بعد ذكر الآيات - قال: « يقول تعالى إنا جعلنا هؤلاء المحتوم عليهم بالشقاء نسبتهم إلى الوصول إلى الهدى كنسبة من جعل في عنقه غل فجمع يديه مع عنقه تحت ذقنه فارتفع رأسه فصار مقمحاً [إلى أن قال:] وقوله تعالى ((فأغشيناهم)) أي أغشينا أبصارهم عن الحق ((فهم لا يبصرون)) أي لا ينتفعون بخير ولا يهتدون إليه »^(٢).

٤- المحلي: « ((إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً)) بأن تضم إليها الأيدي لأن الغل يجمع اليد إلى العنق ((فهى)) أي الأيدي مجموعة ((إلى الأذقان)) جمع ذقن وهى مجتمع اللحين ((فهم مقمحون)) رافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها، وهذا تمثيل والمراد أنهم لا يدعون للإيمان ولا يخفضون رؤوسهم لهم »^(٣).

^١ () التسهيل لابن جزي (٣/٣٥١).

^٢ () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٥٦٤).

^٣ () تفسير الجلالين ص (٣٦٩).

٥- القاسمي قال عن الوجه الذي اختاره - والذي جاء موافقاً لاختيار الشنقيطي - :

«□ وإنما اختير هذا ؛ لأن ما قبله وما بعده في ذكر أحوالهم في الدنيا » ثم وصفه في

آخر كلامه بأنه « أدق ، وبالقبول أحق »^(١).

٦- السعدي : « (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً) وهي جمع (غل) والغل : ما يُغل به

العنق ، فهو للعنق بمنزلة القيد للرجل ، وهذه الأغلال التي في الأعناق ؛ عظيمة قد

وصلت إلى أذقانهم ورفعت رؤوسهم إلى فوق ((فهم مقمحون)) أي : رافعوا

رؤوسهم من شدة الغل الذي في أعناقهم فلا يستطيعون أن يخفضوها. ((وجعلنا بين

أيديهم سداً ومن خلفهم سداً)) أي حاجزاً يحجزهم عن الإيمان ((فهم لا يبصرون))

قد غمرهم الجهل والشقاء من جميع جوانبهم ، فلم تغد فيهم النذارة »^(٢).

(١) محاسن التأويل للقاسمي (١٤/٤٩٩٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٦٩٣).



وبعبارات متقاربة جاء تفسير كل من: الفخر الرازي^(١)، والبيضاوي^(٢)،

والثعالبي^(٣)، وأبي السعود^(٤)، والمراغي^(٥)، وسيد قطب^(٦).

المخالفون:

لقد وجدتُ قلةً من المفسرين رجّحوا غير ما رجّحه الشنقيطي، وهم:

١ - الإمام الطبري - بعد ذكر الآية - قال: « يقول تعالى ذكره إنا جعلنا أيمان هؤلاء

^١ (التفسير الكبير للفخر الرازي (٢٥٤/٩).

^٢ (أنوار التنزيل للبيضاوي (١٤٩/٢).

^٣ (جواهر الحسان للثعالبي (٣/٤).

وهو: أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مفسر، من أعيان الجزائر، توفي سنة

(٨٧٥هـ). الأعلام (٣٣١/٣).

^٤ (إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤٩٤/٤).

^٥ (تفسير المراغي (١٤٦/٢٢).

^٦ (في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٩٦٠/٥).

الكفار مغلولة إلى أعناقهم بالأغلال فلا تبسط بشيء من الخيرات.. ثم استدل برواية عن

ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: [قوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ

أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴾] قال هو كقول الله ﷻ:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ [سورة الإسراء: ٢٩] يعني بذلك

أن أيديهم موثقة إلى أعناقهم لا يستطيعون أن يبسطوها بخير^(١).

٢- الواحدي: « ((إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا)) أراد: في أعناقهم وأيديهم؛ لأن الغلّ

لا يكون في العنق دون اليد ((فهى إلى الأذقان)) أي: فأيديهم مجموعة إلى أذقانهم؛

لأن الغل يجعل في اليد مما يلي الذقن ((فهم مقمحون)) رافعوا رؤوسهم لا يستطيعون

الإطراق؛ لأن من غلّت يده إلى ذقنه ارتفع رأسه، وهذا مثل؛ معناه: أمسكنا

أيديهم عن النفقة في سبيل الله بموانع كالأغلال^(٢).

٣- أبوحيان: « والظاهر أن قوله ((إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً..)) هو حقيقة لا استعارة.

(١) جامع البيان للطبري (٩٨/٢٢).

(٢) الوجيز للواحدى (١٩٧/٢).

لما أخبر تعالى أنهم لا يؤمنون، أخبر عن شيء من أحوالهم في الآخرة إذا دخلوا النار

«^(١)» .

أما غير الموافقين والمخالفين فقد جمعوا الأقوال أو معظمها أو بعضها تحت تفسير

كل واحد منهم للآية، وإليك أمثلة منهم:

١ - الإمام البغوي: « (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً) » قال أهل المعاني: هذا على طريق المثل،

ولم يكن هناك غل، أراد: منعاهم عن الإيمان بموانع، فجعل الأغلال مثلاً لذلك. قال

الفراء: معناه إنا حبسناهم عن الإنفاق في سبيل الله، كقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ [سورة الإسراء: ٢٩] معناه لا تمسكها

عن النفقة... ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا

فَأَغْشَيْنَاهُمْ ﴾ فأعميناهم من التغطية وهي التغطية ﴿ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ سبيل

الهدى «^(٢)» .

^١ () البحر المحيط لأبي حيان (٤٩/٩).

^٢ () مختصر البغوي (٧٧٤/٢).

ولقد اعتمدت البغوي من غير الموافقين والمخالفين حيث نقل عن الفراء ما ذكره في معنى الآية دون تعقيب أو ترجيح.

٢- ابن الجوزي: «(إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا)) فيه ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنها مثل، وليس هناك

غُلٌّ على حقيقة، قاله أكثر المحققين. ثم

لهم فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها مثل لمنعهم عن كل خير.

والثاني: لحبسهم عن الإنفاق في سبيل الله بموانع كالأغلال.

والثالث: لمنعهم من الإيمان بالله ﷻ.

والقول الثاني: أنها موانع حسية منعت كما يمنع الغلّ؛ قال مقاتل بن سليمان:

حلف أبو جهل لئن رأى النبي ﷺ يصلي ليَدْمَغَنَّهُ، فجاءه وهو
يصلي، فرفع حجراً فبيست يده والتصق الحجر بيده، فرجع
إلى أصحابه فأخبرهم الخبر، فقام رجل منهم فأخذ الحجر،
فلما دنا من رسول الله ﷺ طمس الله ﷻ على بصره فلم يره،
فرجع إلى أصحابه فلم يبصرهم حتى نادوه، فنزل في أبي
جهل: ((إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً...)).

والقول الثالث: أنه على حقيقته، إلا أنه وصف لما سينزله الله تعالى بهم في النار □»^(١).

٣- الخازن: ذكر قصة أبي جهل ومن معه وأن الآية نزلت فيهم - وقد مرّت القصة
أنفأ - ثم قال: «... قيل: هذا على وجه التمثيل ولم يكن هناك غل، أراد منعناهم
عن الإيمان بموانع، فجعل الأغلال مثل لذلك. وقيل: حبسناهم عن الإنفاق في سبيل
الله ﷻ بموانع كالأغلال. وقيل: إنها موانع حسية منعت كما يمنع الغل. وقيل: إنها

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٦/٢٦٣).

وصف في الحقيقة وهي ما سينزله الله ﷻ بهم في النار»^(١).

وبنحو ذلك وقريب منه جاء تفسير الآية لدى كل من: الإمام النحاس^(٢)،

والماوردي^(٣)، والنسفي^(٤)، والنيسابوري^(٥)، والقرطبي^(٦)، والشوكاني^(٧)،

والقنوجي^(٨)، وابن عاشور^(٩)، وغيرهم.

تعقيب الباحث:

^١ () لباب التأويل للخازن (٣/٦).

^٢ () معاني القرآن للنحاس (٤٧٥/٥ - ٤٧٩).

^٣ () النكت والعيون للماوردي (٧/٥).

^٤ () مدارك التنزيل للنسفي (٣/٤).

^٥ () إيجاز البيان للنيسابوري (١٣٩/٢).

^٦ () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/١٥).

^٧ () فتح القدير للشوكاني (٣٤٩/٤).

^٨ () فتح البيان للقنوجي (٢٧٢/١١).

^٩ () التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٤٩/٢٢).



الذي يظهر رجحانه - والله أعلم - أن معنى الآية على الاستعارة والتمثيل ،
وهو أن الأشقياء الذي سبقت لهم الشقاوة في علم الله ﷻ صرفهم الله ﷻ عن الإيمان
صرفاً عظيماً مانعاً من وصوله إليه ، وشبههم بمن جعل في عنقه غل يمنعه من الالتفات ،
وغطى على بصره فصار لا يرى ، وهذا ما ذهب إليه الشنقيطي ومن قال بمثل ذلك ، يؤيد
هذا الترجيح عدة أمور :

- ١ - دلالة سياق الآيات عليه ، فإنه « لما ذكر أنهم لا يؤمنون لما سبق لهم في الأزل ، عقب ذلك
بأن جعل لهم من المنع وإحاطة الشقاوة ما حالهم معه حال المغلوبين »^(١) ، فالآية التي « قبلها
قبلها ﴿ فَهَمَّ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة يس: ٧] وأما التي بعدها ﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة يس: ١٠] »^(٢) .

وبناء على القاعدة الترجيحية عند المفسرين : إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده

^١ (المحرر الوجيز لابن عطية (٢٧٥/١٢) .

^٢ (التسهيل لابن جزي (٣٥١/٣) .

أولى من الخروج عنهما^(١)، فإن هذا المعنى الراجح يعتبر هو «الأشد مناسبة□»^(٢).
وهو «الأدق، وبالقبول أحق»^(٣).

٢- كون هذا المعنى الراجح قد دلت عليه آيات أخرى كثيرة في القرآن الكريم، وقد مرَّ

ذكر عدد منها تحت فقرة: ترجيح الشنقيطي، بما أغنى عن إعادته هنا.

ومن المعلوم أن تفسير القرآن بالقرآن هو أفضل وأقوى وأحسن أنواع التفسير، وهي قاعدة راسخة متبعة لدى أئمة التفسير^(٤).

٣- من المرجحات لهذا المعنى أيضاً: إجماع جمهور المفسرين عليه، يدل على ذلك كثرة

المختارين له، وتصريح بعض المفسرين كابن الجوزي^(٥)، وأبي حيان^(٦) بأنه اختيار

^١ () قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (١٢٥/١)، قواعد التفسير لخالد السبت (٢٤٩/١).

^٢ () التفسير الكبير للفخر الرازي (٢٥٤/٩).

^٣ () محاسن التأويل للقاسمي (٤٩٩٤/١٤).

^٤ () شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(١٢٧)، قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي

(٣١٢/١)، قواعد التفسير لخالد السبت (١٠٩/١).

^٥ () زاد المسير لابن الجوزي (٢٦٣/٦).

الجمهور، ووصفه ابن جزى^(٢)، والثعالبي^(٣) بأنه « أرجح الأقوال»، وقال عنه
الفخر الرازي: إنه « الأقوى »^(٤).

٤ - لقد استدل ابن عطية بقريئة في السياق ردَّ بها قول من قال إن الآية يراد بها بيان حال

الذين لا يؤمنون في يوم القيامة، وهي قوله تعالى: ((فَأَغْشَيْنَاهُمْ)) وقد قال الله ﷻ:

﴿فَبَصُرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [سورة ق: ٢٢] وعليه رجَّح أن الآية تمثل لحالهم

في الدنيا^(٥).

أبوحيان ردَّ على ابن عطية بأن قوله تعالى ((فَأَغْشَيْنَاهُمْ))، ليس غريباً في الآخرة، بل

يؤيده آيات أخرى تؤكد عمى الكفار يوم القيامة؛ كقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ

١ () البحر المحيط لأبي حيان (٤٩/٩).

٢ () التسهيل لابن جزى (٣٥١/٣).

٣ () جواهر الحسان للثعالبي (٣/٤).

٤ () التفسير الكبير للفخر الرازي (٢٥٤/٩).

٥ () المحرر الوجيز لابن عطية (٢٧٥/١٢).

الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا ﴿ [سورة الإسراء: ٩٧]، وقوله تعالى عن الكفار ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى ﴾ [سورة طه: ١٢٥]. واعتبر قوله تعالى: ﴿ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [سورة ق: ٢٢] بأنه كناية عن إدراكه ما يؤول إليه حتى كأنه يبصره^(١).

القاسمي ردَّ على كلام أبي حيان؛ بأن حَمَلَ الآية على أنه لبيان أحوالهم في الآخرة « يكون أجنبيًّا في البين » وذلك « لأن ما قبله وما بعده في ذكر أحوالهم في الدنيا »^(٢).
والخلاصة أن اختيار أبي حيان لم يؤيده فيه أحد، بل أنه هو نفسه حكى اختيار الجمهور لحمل الآية على الاستعارة^(٣)، وهو ما دل عليه السياق كما مرَّ آنفًا، فإن « مراعاة السياق هو المقصود »^(٤)، وقال الزركشي: « ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظر

^١ () البحر المحيط لأبي حيان (٤٩/٩).

^٢ () محاسن التأويل للقاسمي (٤٩٩٤/١٤).

^٣ () البحر المحيط لأبي حيان (٤٩/٩).

^٤ () قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٦٨/١).

الكلام الذي سبق له ^(١).

٥- وأختم بفائدة عن البقاعي وفقّ فيها بين المعنيين - من قال إن الآية على الاستعارة ويراد بها منع الذين لا يؤمنون من الإيمان في الدنيا، ومن قال إنها على الحقيقة ويراد بها الأغلال في الآخرة - بأن هذه الأغلال المذكورة في الآية هي في الدنيا تمثيل واستعارة لمنعهم عن الإيمان، وفي الآخرة أغلال حقيقية في أعناقهم؛ قال: « ((لا يؤمنون)) أي بما يلقي إليهم من الإنذار بل يزيدهم عمى استكباراً في الأرض ومكر السيء. ولما كان المعنى أنه لا يتجدد منهم إيمان بعد البيان الواضح والحكمة الباهرة، وكان ذلك أمراً عجباً، علله بما يوجب من تمثيل حالهم تصويراً لعزته سبحانه وباهر عظمته الذي لفت الكلام إليه لإفهامه، وهذا الذي ذكر هو اليوم معنى ومثال وفي الآخرة ذات ظاهر، أنه ما انفك عنهم أصلاً وما زال، فقال: ((إنا جعلنا)) أي بالنا من العظمة، وأكدّه لما لهم من التكذيب ((في أعناقهم أغلالاً)) أي من ظلمات الضلالات لكل عنق غل، وأشار بالظرف إلى أنها من ضيقها لزت اللحم حتى تشنى

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/٣١٧).

على الحديد فكاد يغطيه فصار - والعنق فيه - كأنه فيها وهي محيطة به. ولما كان من المعلوم أن الحديد إذا وضع في العنق أنزله ثقله إلى المتكبر، لم يذكر جهة السفلى وذكر جهة العلوى، فقال ((فهى)) أي الأغلال بعرضها واصلة بسبب هذا الجعل ((إلى الأذقان)) جمع ذقن وهو مجتمع اللحيين، فهى لذلك مانعة من مطأطأة الرأس. ولما كان هذا من رفع الرأس فعل المتكبر، وكان تكبرهم في غير موضعه، بين تعالى أنهم ملجأون إليه فهو ذلٌّ في الباطن وإن كان كبيراً في الظاهر فقال ((فهم)) أي بسبب هذا الوصول ((مقمحون)) من أقمح الرجل إذا أقمحه غيره أي جعله قائماً أي رافعاً رأسه غاضاً بصره لا ينظر إلا ببعض بصره هيئة المتكبر، وأصله من قولهم: قمح البعير إذا رفع رأسه عند الشرب ولم يشرب الماء»^(١) والله أعلم بالصواب.



المراد بقوله تعالى ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾

٥١ - قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثِرَهُمْ ۚ

وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة يس : ١٢].

مجمل الأقوال الواردة في الآية :

١ - أن المراد بالإمام المبين : اللوح المحفوظ.

٢ - أو يراد به : صحف الأعمال^(١).

ترجيح الشنقيطي :

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « ذكر جل وعلا في هذه

(١) ذكرهما ابن عطية في المحرر الوجيز (١٢/٢٨٠).

الآية الكريمة أربعة أشياء :

الأول: أنه يُحيي الموتى مؤكداً ذلك متكلماً عن نفسه بصيغة التعظيم.

الثاني: أنه يكتب ما قدموه في دار الدنيا.

الثالث: أنه يكتب آثارهم.

الرابع: أنه أحصى كل شيء في إمام مبین، أي في كتاب بيّن واضح. وهذه

الأشياء الأربعة جاءت موضحة في غير هذا الموضوع... [ثم

تناول بالتفصيل ذكر الآيات الدالة على كل واحد منها، إلى أن

قال:]

وأما الرابع: وهو قوله تعالى: ((وكل شيء أحصيناه في إمام مبین)) فقد تدل

عليه الآيات الدالة على الأمر الثاني، وهو كتابه جميع الأعمال التي قدموها^(١)، بناء على

(١) عندما ذكر الأمر الثاني قال: وأما الثاني: هو كونه يكتب ما قدموه في دار الدنيا؛ فقد جاء في آيات

كثيرة، كقوله تعالى: ﴿أَمْ مَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ

وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٨٠]، وقوله تعالى: ﴿هَذَا

أن المراد بذلك خصوص الأعمال.

وأما على فرض كونه عاماً فقد دلت عليه آيات أخر؛ كقوله تعالى: ﴿

وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾ لسورة الجن: ٢٨، وقوله

تعالى: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴿٣٨﴾ لسورة الأنعام: ٣٨ بناء على أن المراد

بالكتاب اللوح المحفوظ، وهو أصح القولين - والعلم عند الله - ﴿^(١)

كِتَابَنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ﴿١٣﴾ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ لسورة الجاثية: ١٣، ١٤، وقوله تعالى: ﴿ وَكُلٌّ إِنْسَانٌ أَلْزَمْنَاهُ
طَبِيرَهُ فِي عُنُقِهِ وَخُجِرُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ
مَنْشُورًا ﴿١٥﴾ أَقْرَأَ كِتَابِكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا
﴿١٦﴾ لسورة الإسراء: ١٣ - ١٤، وقوله تعالى: ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى
الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا
الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴿١٧﴾ لسورة
الكهف: ٤٩، وقوله تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ

﴿١٨﴾ لسورة ق: ١٨. انظر: أضواء البيان (٦/٦٥٥).

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٦٥٤ - ٦٥٦).

إذاً الشيخ الشنقيطي يرى أن المراد بالإمام المبين: اللوح المحفوظ.

الموافقون:

كثير من المفسرين ذهبوا إلى تفسير الإمام المبين بأنه اللوح المحفوظ، منهم:

١- الواحدي^(١) . ٢- البغوي^(٢) . ٣-

السنفي^(٣) .

٤- ابن الجوزي^(٤) . ٥- الفخر الرازي^(٥) . ٦- الخازن^(٦) .

(١) الوجيز للواحدى (٢/٨٩٧).

(٢) مختصر البغوى (٢/٧٧٥).

(٣) مدارك التنزيل للسنفى (٤/٣).

(٤) زاد المسير لابن الجوزى (٦/٢٦٥).

(٥) التفسير الكبير للفخر الرازى (٨/٢٥٩).

(٦) لباب التأويل للخازن (٦/٤).



-٩

٨- المحلي^(٢).

٧- البيضاوي^(١).

أبوالسعود^(٣).

١٠- الألوسي^(٤).

١١- ١٢- أما ابن القيم^(٥) والسعدي^(٦) فاعتبرا عند تفسيرهما للآية أن « اللوح المحفوظ

المحفوظ وأم الكتاب » لفظان مترادفان يفسر بهما الإمام المبين.

ولم أجد مَنْ رجَّح القول الآخر، إلا أن عدداً من المفسرين عند بيانهم لمعنى

الإمام المبين يذكرون القولين معاً؛ فيقولون « قيل: هو اللوح المحفوظ، وقيل: صحائف

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٤٩/٢).

(٢) تفسير الجلالين ص(٣٦٩).

(٣) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤٩٥/٤).

(٤) روح المعاني للألوسي (٢١٩/٢٢).

(٥) بدائع التفسير (٤٧٧/٣).

(٦) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٦٩٣).

الأعمال»، منهم:

- ١ - ابن عطية^(١).
 ٢ - القرطبي^(٢).
 ٣ - ابن جزى^(٣).
 ٤ - أبو حيان^(٤).
 ٥ - الثعالبي^(٥).
 ٦ - الشوكاني^(٦).
 ٧ - القنوجي^(٧).

تعقيب الباحث:

يظهر - والله أعلم - أن الراجح في معنى ((إمام مبین)) أن يراد به اللوح

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (١٢/٢٨٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥/١٣).

(٣) التسهيل لابن جزى (٣/٣٥٢).

(٤) البحر المحيطة لأبي حيان (٩/٥٢).

(٥) جواهر الحسان للثعالبي (٤/٤).

(٦) فتح القدير للشوكاني (٤/٣٥١).

(٧) فتح البيان للقنوجي (١١/٢٧٦).

المحفوظ، والذي هو اختيار الشنقيطي وموافقه، وذلك لأمر:

- ١ - استناداً إلى قاعدة: إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحملة على التأسيس أولى^(١)، فإذا فسّر الإمام المبين بصحف الأعمال كان فيه تكرار لما ذكره في قوله ((ونكتب ما قدموا))، وأما إذا فسّر بأنه اللوح المحفوظ أفاد معنى جديداً في الآية، وحملة عليه أولى.
- ٢ - كثرة القائلين بهذا القول يشبه إجماعهم عليه، وإن لم يصرح أحد من المفسرين بهذا.
- ٣ - عدم وجود مخالف بحيث إنه لم يوجد أحد من المفسرين لا قديماً ولا حديثاً رجّح القول الآخر الوارد في معنى الآية.
- ٤ - وإن كان كلا القولين قد دلت عليه آيات فتساويا من هذه الناحية، إلا أن حمل المعنى على أنه اللوح المحفوظ أرجح لما ذكرته في النقاط الثلاث السابقة. والله أعلم بالصواب.

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٢/٤٧٣).



المراد بالصافات والزاجرات والتاليات

٥٢- قوله تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾﴾ [سورة الصافات: ١ - ٥].

مجمل الأقوال الواردة في الآية :

اختلف العلماء في المراد بالصافات والزاجرات والتاليات المذكورة في هذه الآيات

من سورة الصافات ؛ على أقوال :

- ١- أن المراد بها جميعاً الملائكة التي تصف في السماء صفوفاً لعبادة الله ﷻ^(١).
- ٢- أن المراد بالصافات الطير تصف أجنتها في الهواء.
- ٣- أن المراد بالصافات جماعات المسلمين يصفون في مساجدهم للصلاة، ويصفون في

(١) التسهيل لابن جزي (٣/٣٦٦).

غزوهم عند لقاء العدو.

- ٤- ويراد بالزاجرات زجراً، والتاليات ذكراً: جماعات العلماء العاملين يلقون آيات الله على الناس، ويزجرون عن معاص الله ﷻ بآياته ومواعظه التي أنزلها على رسله.
- ٥- أو يراد بالزاجرات زجراً: جماعات الغزاة يزجرون الخيل، لتسرع إلى الأعداء^(١).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « أكثر أهل العلم على أن

المراد بالصفات هنا، والزاجرات والتاليات: جماعات الملائكة، وقد جاء وصف الملائكة

بأنهم صافون، وذلك في قوله تعالى عنهم: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴾ وَإِنَّا

لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿ سورة الصفات: ١٦٥ - ١٦٦]، ومعنى كونهم صافين:

أن يكونوا صفوفاً متراصين بعضهم جنب بعض في طاعة الله تعالى، من صلاة وغيرها.

وقيل: لأنهم يصفون أجنتهم في السماء، ينتظرون أمر الله ﷻ... وقد جاء في بعض

(١) الأتوال من (٢) إلى (٥) ذكرها بالترتيب المذكور الشنقيطي في أضواء البيان (٦/٦٧٢).

الآيات ما يدل على أنهم يلقون الذكر على الأنبياء ؛ لأجل الإعذار والإنذار به ، كقوله

تعالى: ﴿ فَأَلْمَقِيتَ ذِكْرًا ﴿٦٦﴾ عَذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [سورة المرسلات: ٥ -

٦٦]، فقوله: ((فالملقىات ذكراً)) كقوله هنا ((فالتاليات ذكراً))، لأن الذكر الذي تتلوه تلقية

إلى الأنبياء كما كان جبريل - عليه السلام - ينزل بالوحي على نبينا وغيره من الأنبياء صلوات

الله وسلامه على الجميع... وقوله في هذه الآية (فالزاجرات زجراً) الملائكة تزجر

السحاب، وقيل: تزجر الخلائق عن معاصي الله ﷻ بالذكر الذي تتلوه وتلقيه إلى الأنبياء.

ومن قال بأن الصافات والزاجرات والتاليات في أول هذه السورة الكريمة هي

جماعات الملائكة: ابن عباس، وابن مسعود، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد،

وقتادة؛ كما قاله القرطبي وابن كثير وغيرهما، وقدمنا أنه قول أكثر أهل العلم.

وقال بعض أهل العلم: الصافات في الآية الطير تصف أجنتها في الهواء، واستأنس لذلك

بقوله تعالى: ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا

الرَّحْمَنُ ﴾ [سورة الملك: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتْ كُلُّ قَدِّ عِلْمَ صَلَاتِهِمْ وَتَسْبِيحِهِمْ ﴾ [سورة

وقال بعض العلماء: المراد بالصافات جماعات المسلمين يصفون في مساجدهم

للصلاة، ويصفون في غزوهم عند لقاء العدو، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ

يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَيْنَ مَرْصُومٍ﴾ [سورة الصف: ٤].

وقال بعض العلماء أيضاً المراد بالزاجرات زجراً، والتاليات ذكراً: جماعات

العلماء العاملين يلقون آيات الله ﷻ على الناس، ويزجرون عن معاص الله ﷻ بآياته

ومواعظه التي أنزلها على رسله.

وقال بعضهم: المراد بالزاجرات زجراً: جماعات الغزاة يزجرون الخيل لتسرع

إلى الأعداء. والقول الأول أظهر وأكثر قائلًا^(١).

إذاً الشيخ الشنقيطي يرى أن المراد بالصافات والزاجرات والتاليات هنا في سورة

الصافات؛ جماعات الملائكة.

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٦٧١ - ٦٧٣).

جمهور من أئمة التفسير من السلف والخلف فسروا الصفات والزاجرات

والتاليات بأنه يراد بها الملائكة عليهم السلام، أذكر كلام البعض وأشار إلى البقية، فمنهم :

١- الإمام الطبري: «... والذي هو أولى بتأويل الآية عندنا ما قال مجاهد ومن قال هم

الملائكة، لأن الله تعالى ذكره ابتدأ القسم بنوع من الملائكة وهم الصافون بإجماع من

أهل التأويل، فلأن يكون الذي بعده قسماً بسائر أصنافهم أشبه»^(١).

٢- ابن جزي: «(والصفات صفاء) تقديره والجماعات الصفات، ثم اختلف فيها؛

ف قيل: هي الملائكة التي تصفّ في السماء صفوفاً لعبادة الله. وقيل: هو من يصفّ من

بني آدم في الصلوات والجهاد. والأول أرجح؛ لقوله - حكاية عن الملائكة - ﴿

وَأَنَا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ [سورة الصفات: ١٦٥]. (فالزاجرات زجراً)

هي الملائكة تزجر السحاب وغيرها... (فالتاليات ذكراً) هي الملائكة تتلو القرآن

(١) جامع البيان للطبري (٢٣/٢٣).

والذكر...»^(١).

٣- المحلي: « (والصافات صفاءً) الملائكة تصفّ نفوسها في العبادة، أو أجنحتها في الهواء تنتظر ما تؤمر به: ((فالزاجرات زجراً)) الملائكة تزجر السحاب أي تسوقه. ((فالتاليات)) أي قراءة القرآن يتلونه ((ذكراً)) مصدر من معنى التاليات »^(٢).

٤- البقاعي: « لما كان الانفراد بالملكوت لا يكون إلا مع الوحدانية بالذات، وفي ذلك استحقاق الاختصاص بالإلهية، وكان ذلك - مع أنه بحيث لا يخفى على ذي لب - عندهم في غاية البعد، ولذلك لا يسلمون ما يتعلق بالملكوت وينكرونه غاية الإنكار، ناسب أن يقسم عليه، ولما كان من البلاغة أن يناسب بين القسم والمقسم عليه، وكان الاصطفاً دالاً على اتحاد القصد كما في صفوف القتال والصلاة، وكان الملائكة لا قصد لهم إلا الله ﷻ من غير عائق عن ذلك فكانوا أحق الخلق بالاصطفاً، تارة للصلاة، وتارة للتسبيح والتقديس، وتارة لتدبير الأرزاق، وتارة لتعذيب أهل الشقاق، إلى غير ذلك من الأمور التي لا تسعها الصدور، وكانوا بعد زجرة الإماتة ثم زجرة الإحياء المصرح بهما في السورة الماضية^(٣)، ثم زجرتي الصعق

(١) التسهيل لابن جزي (٣/٣٦٦).

(٢) تفسير الجلالين ص (٣٧٤).

(٣) المذكورة في قوله تعالى: ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ تَخِصِّمُونَ ﴿٥١﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٢﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ

والإفاقة الآتيتين في الزمر^(١) حين تشقق السماء بالغمام وتكون ورده كالدهان،
وتنفطر بسطوة المليك الديان، ويتكرر ما فيها من أجرام ومعان؛ تنزل ملائكة كل سماء
فتصير صفاً مستديراً، ملائكة الأولى حول الأرض، وملائكة الثانية حول ملائكة الأولى
وهكذا.. ثم يصيرون إذا قيل ﴿يَمَعَّشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ

تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾ [سورة الرحمن: ١٣٣]

فماج العباد بعضهم في بعض من شدة الزحام، وطول القيام، كلما مالوا على جهة من
جهااتهم زجروهم زجراً ردهم به عن النفوذ، وصدوهم عن النفور، تالين من كلام
الملك العلام ما يليق بذلك الوقت في ذلك المقام...»^(٢).

٥- الشوكاني: « والمراد بـ ((الصفات)) التي تصفّ في السماء من الملائكة كصفوف

الخلق في الدنيا... وقيل: المراد بالصفات هنا الطير؛ كما في قوله: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا

إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفْتٍ﴾ [سورة الملك: ١٩]. والأول أولى.. والمراد بـ

رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ [سورة يس: ٤٩ - ٥١].

(١) المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ

قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ [سورة الزمر: ٦٨].

(٢) نظم الدرر للبقاعي (١٦/١٨٦).

(الزاجرات) فاعلات للزجر من الملائكة.. وقال قتادة: المراد بالزاجرات الزواجر من

القرآن... والأول أولى... والمراد بـ (التاليات ذكراً) الملائكة التي تتلو القرآن □»^(١).

٦- المراغي: «الصفات: هم الملائكة يقفون صفوفاً لكل واحد منهم مرتبة معينة في

الشرف والفضيلة. والزاجرات زجراً: أصل الزجر الدفع عن الشيء بتسلط وصياح

ثم استعمل في السؤق والحث على الشيء، وفي المنع والنهي، والمراد بها هنا الملائكة

لأن لهم تأثيراً في قلوب بني آدم بزجرهم عن المعاصي وإلهامهم فعل الخير. والتاليات

ذكراً: هم الملائكة يجيئون بالكتب من عند الله ﷻ إلى أنبيائه □»^(٢).

٧- السعدي - بعد ذكر الآيات - قال: «هذا قسم منه تعالى بالملائكة الكرام، في حال

عبادتهم وتديبها ما تدبره بإذن ربها، على ألوهيته تعالى وربوبيته، فقال

((والصفات صفناً)) أي: صفوفاً في خدمة ربهم، وهم الملائكة. ((الزاجرات زجراً))

وهم الملائكة، يزجرون السحاب وغيره بأمر الله ﷻ. ((التاليات ذكراً)) وهم

(١) فتح القدير للشوكاني (٤/٣٧٣ - ٣٧٤).

(٢) تفسير المراغي (٢٣/٤٢).

الملائكة الذي يتلون كلام الله تعالى»^(١).

وكذلك فسرها بأن المراد الملائكة كل من: الإمام النيسابوري^(٢)، وابن كثير^(٣)،

والألوسي^(٤)، وسيد قطب^(٥).

ولا يوجد من المفسرين قديماً ولا حديثاً من رجّح قولاً مخالفاً لما ذهب إليه

الموافقون، أمّا من لم يرجح بأن المراد الملائكة؛ ربما جمع الأقوال كلها أو بعضها عند

تفسيره للآية - وقد سبق ذكر جميع الأقوال الواردة في الآية تحت مجمل الأقوال، وكذلك

وردت في أثناء (ترجيح الشنقيطي) - فمن هؤلاء المفسرين:

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٧٠٠).

(٢) إيجاز البيان للنيسابوري (١٤٧/٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٤).

(٤) روح المعاني للألوسي (٦٥/٢٣).

(٥) في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٩٨٢/٥).

- ١- الماوردي^(١) . ٢- البغوي^(٢) . ٣-
 النسفي^(٣) .
 ٤- الزمخشري^(٤) . ٥- ابن عطية^(٥) . ٦- ابن الجوزي^(٦) .
 ٧- القرطبي^(٧) . ٨- الخازن^(٨) . ٩-
 أبو حيان^(٩) .

(١) النكت والعيون للماوردي (٣٦/٥).

(٢) مختصر البغوي (٧٨٣/٢).

(٣) مدارك التنزيل للنسفي (١٣/٤).

(٤) الكشاف للزمخشري (٣٢/٤).

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية (٣٣٣/١٢).

(٦) زاد المسير لابن الجوزي (٢٨٦/٦).

(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦٢/١٥).

(٨) لباب التأويل للخازن (١٥/٦).

(٩) البحر المحيط لأبي حيان (٩٠/٩).

١٠- البيضاوي^(١) . ١١- القاسمي^(٢) .

تعقيب الباحث:

بالنظر في ما قاله المفسرون في بيان المراد بالصافات والزاجرات والتاليات؛ يظهر

- والله أعلم - أن الراجح هو أن يراد بها جميعاً الملائكة عليهم السلام، وذلك لأمر:
- ١ - إجماع الجمهور على أن المراد بالصافات والزاجرات والتاليات الملائكة عليهم السلام، وقد ذكرتُ تحت فقرة (الموافقون) عدداً من أئمة التفسير رجّحوا هذا القول. وقد
- حكى الإمام ابن الجوزي إجماع الجمهور عليه^(٣)، كما أن الشيخ الشنقيطي ذكر
- عدداً غير قليل من الصحابة والتابعين وأئمة التفسير قالوا به^(٤).

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٥٥/٢).

(٢) محاسن التأويل للقاسمي (٥٠٢٥/١٤).

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٢٨٦/٦).

(٤) أضواء البيان للشنقيطي (٦٧٢/٦).

٢- عدم وجود مخالف إطلاقاً، فإنه لم يوجد أحد من المفسرين رجح قولاً مخالفاً لما ذهب إليه الجمهور، وإنما من لم يرجح جمع الأقوال كلها أو بعضها عند تفسير الآيات - وقد مر معنا قريباً ذكر عدد منهم - .

٣- استناداً على قاعدة توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد^(١)، فإن الأولى والأفضل والأحسن في سياق الآيات أن يراد بها جميعها الملائكة وهذا أولى من جعل كل صفة تكون لموصوف معين وقد صرح الإمام الطبري بهذا حيث قال: «... والذي هو أولى بتأويل الآية عندنا ما قاله مجاهد ومن قال هم الملائكة، لأن الله تعالى ذكره ابتداء القسم بنوع من الملائكة وهم الصافون بإجماع من أهل التأويل، فلأن يكون الذي بعده قسماً بسائر أصنافهم أشبه»^(٢). والله أعلم بالصواب.

(١) الإتيان للسيوطي (٥٠٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحري (٦١٣/٢).

(٢) جامع البيان للطبري (٢٣/٢٣).

دراسة ترجيحات الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه
الله - في تفسيره أضواء البيان



المراد بالأزواج في قوله تعالى ﴿ أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ... ﴾

٥٣- قوله تعالى: ﴿ أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ

﴿ ٢٢ ﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ ﴿ سورة

الصفات: ٢٢ - ٢٣.]

مجمل الأقوال الواردة في الآية :

اختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى ((وأزواجهم)) على أقوال :

١- أشباههم ونظراءهم وأمثالهم، فعابد الوثن مع عابد الوثن، والزاني مع الزاني،

وصاحب الخمر مع صاحب الخمر، واليهودي مع اليهود وهكذا...^(١).

٢- نساؤهم اللاتي على دينهم^(٢).

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٢٩١/٦)، أضواء البيان للشنقيطي (٦٨١/٦).

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٥٦/٢).

٣- قرناؤهم من الشياطين^(١).

٤- أشياعهم وأتباعهم^(٢). وهذا القول يدخل بصورة كبيرة تحت القول الأول؛ لأن

الأشباع والأتباع يماثلون متبوعيههم.

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « وقوله تعالى: ((وأزواجهم)) جمهور أهل العلم منهم عمر وابن عباس؛ على أن المراد به أشباههم ونظراءهم، فعابد الوثن مع عابد الوثن، والسارق مع السارق، والزاني مع الزاني، واليهودي مع اليهودي، والنصراني مع النصراني، وهكذا... وإطلاق الأزواج على الأصناف مشهور في القرآن وفي كلام العرب؛ كقوله

تعالى: ﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا ﴾ [سورة الزخرف: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿

سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ

وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة يس: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِنَّ أَزْوَاجًا

مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ﴾ [سورة طه: ٥٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا

(١) تفسير الجلالين ص (٤٧٥).

(٢) النكت والعيون للماوردي (٤٣/٥)، نظم الدرر للبقاعي (٢٠٨/١٦).

مَتَّعْنَا بِهِمْ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ﴿ [سورة طه: ١٣١] إلى غير ذلك من الآيات.

فقوله تعالى: ((احشروا الذين ظلموا وأزواجهم)) أي اجمعوا الظالمين وأشباههم ونظراءهم، فاهدوهم إلى النار ليدخلها جميعهم. وبذلك تعلم أن قول من قال: المراد بأزواجهم نساؤهم اللاتي على دينهم خلاف الصواب^(١).

الموافقون:

ذهب إلى مثل ما ذهب إليه الشنقيطي من أن المراد بـ
 ((أزواجهم)): أشباههم ونظراءهم وأمثالهم، عدد من
 المفسرين، منهم:

١- الإمام الطبري: « ((احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله

فاهدوهم إلى صراط الجحيم)) وفي هذا الكلام متروك استغنى عنه بدلالة ما ذكر عمّا

ترك؛ وهو فيقال احشروا الذين ظلموا، ومعنى ذلك اجمعوا الذين كفروا بالله في

الدنيا وعصوه، و ((أزواجهم)) وأشياعهم على ما كانوا عليه من الكفر بالله وما

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٦٨١).

كان يعبدون من دون الله من الآلهة»^(١).

٢- النيسابوري: « ((وأزواجهم)) أشباههم، يحشر الزاني مع الزاني »^(٢).

٣- السعدي: « ((وأزواجهم)) الذين من جنس عملهم، كل يُضم إلى من يجانسه في

العمل»^(٣).

وينحو ذلك قال كل من الإمام ابن كثير^(٤)، والمراغي^(٥)، وسيد قطب^(٦).

المخالفون:

(١) جامع البيان للطبري (٣١/٢٣).

(٢) إيجاز القرآن للنيسابوري (١٤٨/٢).

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٧٠١).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٤).

(٥) تفسير المراغي (٥٠/٢٣).

(٦) في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٩٨٦/٥).

لم أجد من رجّح قولاً مخالفاً صراحةً بحيث يقول إنه هو الراجح أو أن ما عداه ليس صواباً؛ إنما ذكر الإمام الواحدي^(١)، والمحلي^(٢)، عند بيان المراد بـ ((أزواجهم)) أي: قرناءهم من الشياطين.

أما الكثرة الكاثرة من المفسرين فيوردون جميع الأقوال أو معظمها في التفسير على اعتبار جميعها معنىً للآية، أذكر أقوال بعضهم وأشير إلى البقية:

١ - الإمام النسفي: « ((وأزواجهم)) أي وأشباههم وقرناءهم من الشياطين أو نساءهم الكافرات »^(٣).

٢ - الخازن: « ((وأزواجهم)) أي أشباههم وأمثالهم فكل طائفة مع مثلها فأهل الخمر مع أهل الخمر، وأهل الزنا مع أهل الزنا. وقيل: أزواجهم أي قرناءهم من الشياطين

(١) الوجيز للواحدى (٢/٩٠٨).

(٢) تفسير الجلالين ص (٣٧٥).

(٣) مدارك التنزيل للنسفي (٤/٥١).



يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة. وقيل: أزواجهم المشركات»^(١).

٣- ابن تيمية: «(احشروا الذين ظلموا وأزواجهم)) أي عشراءهم وقرناءهم وأشباههم ونظراءهم»^(٢).

٤- البيضاوي: «(وأزواجهم)) وأشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم، وعابد الكوكب مع عبده، كقوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [سورة الواقعة: ١٧]. أو نساءهم اللاتي على دينهم. أو قرناءهم^(٣) من الشياطين»^(٤).

٥- البقاعي: «(وأزواجهم)) أي أتباعهم الذين استنوا بهم في ذلك الضرب من الظلم وأشباههم فيه من الجن وغيرهم ومن أعانهم ولو بشر كلمة أو رضي فعلهم لتصير كل

(١) لباب التأويل للخازن (١٧/٦).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣١٥/١٥).

(٣) في الأصل (قرأنهم) ولعله خطأ مطبعي.

(٤) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٥٦/٢).

طائفة على حدة فيصير بعضهم ييكت بعضاً، وبعضهم يشتم بعضاً»^(١).

٦- ابن عاشور: « والأزواج ظاهره أن المراد به حلالهم، وتأويله أنهن الأزواج

الموافقات لهم في الإشراف، أما من آمن فهن ناجيات من تبعات أزواجهن، وهذا

كذكر أزواج المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّهِ ﴾ لسورة

يس: ٥٦، فإن المراد أزواجهم المؤمنات، فأطلق حملاً على المقيد في قوله: ﴿

وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ ﴾ للزمر: ٢٣، غافر:

٢٨، وذكر الأزواج إبلاغ في الوعيد والإنذار لئلا يحسبوا أن النساء المشركات لا تبعة

عليهم. وذلك مثل تخصيصهن بالذكر في قوله تعالى: ﴿ الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدِ

بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى ﴾ لسورة البقرة: ١٧٨. وقيل: الأزواج الأصناف،

أي أشياعهم في الشرك وفروعه؛ وعن الضحاك: الأزواج؛ المقارنون لهم من

الشياطين»^(٢).

(١) نظم الدرر للبقاعي (٢٠٨/١٦).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٠١/٢٣).

وبأقوال مقارنة ومشابهة لأقوال مَنْ ذكرتُ جاء كلام كل من الإمام

الماوردي^(١)، والبغوي^(٢)، وابن عطية^(٣)، وابن الجوزي^(٤)، والفخر الرازي^(٥)،
والقرطبي^(٦)، وابن جزى^(٧)، وأبي حيان^(٨)، وأبي السعود^(٩)، والشوكاني^(١٠)،

(١) النكت والعيون للماوردي (٤٣/٥).

(٢) مختصر البغوي (٧٨٥/٢).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٣٤٤/١٢).

(٤) زاد المسير لابن الجوزي (٢٩١/٦).

(٥) التفسير الكبير للفخر الرازي (٣٢٨/٩).

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧٣/١٥).

(٧) التسهيل لابن جزى (٣٧٠/٣).

(٨) البحر المحيط لأبي حيان (٩٧/٩).

(٩) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٥٣١/٤).

(١٠) فتح القدير للشوكاني (٣٧٨/٤).

والألوسي^(١)، وغيرهم.

تعقيب الباحث:

من خلال استعراض أقوال المفسرين في بيان المراد بلفظ (أزواجهم) في قوله تعالى: ((احشروا الذين ظلموا وأزواجهم...)) يظهر لي - والله أعلم - صحة حمل الآية على جميع المعاني الواردة، وذلك أن كل قول قد دلت عليه آيات في كتاب الله ﷻ، ومعلوم أن تفسير القرآن بالقرآن في أعلى درجات أنواع التفسير^(٢)، وإذا كان ذلك كذلك فلا مانع من حمل الآية على الجميع^(٣). وسأعرض لك عزيزي القارئ الأدلة المرجحة لكل لكل قول من الأقوال الواردة في بيان معنى الآية.

١ - أما القول الأول وهو أن المراد بلفظ (أزواجهم) أشباههم وأمثالهم وأشياعهم؛ يدل

(١) روح المعاني للألوسي (٧٩/٢٣).

(٢) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص (١٢٧)، قواعد التفسير لخالل السبب (١/١٠٩).

(٣) فتح البيان للقنوجي (٣٧٨/١١).

عليه عدد من الآيات في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً

﴿سورة الواقعة: ٧﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾

[سورة التكوير: ٧] فدللت هاتان الآيتان صراحة أن الناس يحشرون في يوم القيامة

أصنافاً، فكل واحد مع صنفه ونوعه، وعبر عن الأصناف بعبارة التزاوج^(١).

يضاف إلى ذلك عدد من الآيات ورد فيها لفظ الأزواج بمعنى الأصناف والأنواع،

كقوله تعالى: ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ

الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ [سورة يس: ٣٦]،

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ [سورة الزخرف: ١٢] وغيرها

من الآيات.

٢- القول الثاني وهو أن يراد بأزواجهم نساؤهم الكافرات؛ فقد وردت آيات تؤيد إرادة

هذا المعنى، من ذلك قوله تعالى: ﴿هُمُ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظُلُلٍ﴾ [سورة يس: ١٢]

[٥٦]، وقوله: ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٨٣٢، ٩١٢).

[سورة الرعد: ٢٣ ، غافر: ٤٨]. فإن كانت الصالحات من الأزواج يلحقن بأزواجهن المؤمنين في الجنة ، فإن الأزواج الكافرات يحشرن مع أزواجهن الكفار في النار.

وإذا كان من المعلوم في اللغة أن لفظه زوج يراد بها الذكر والأنثى في مقابلة بعضهما فيطلق على الرجل زوج وعلى المرأة زوج ، إلا أن إرادة النساء خصوصاً بلفظ الزوج في القرآن الكريم قد وردت بها آيات تزيد على الثلاثين آية في مواضع مختلفة ، منها

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ... ﴾

[سورة البقرة: ٢٣٤] ، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتَبْدَالَ زَوْجٍ

مَكَانَ زَوْجٍ وَعَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنطَارًا ﴾ [سورة النساء: ٢٠] ،

وقوله تعالى: ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ

لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [سورة

الشعراء: ١٦٥ - ١٦٦]. وغيرها من الآيات.

وعليه فلا مانع أن يراد بلفظ (أزواجهم) في آية الصافات التي نحن بصدددها ، النساء

الكافرات الموافقات لأزواجهن على الكفر.

٣- والقول الثالث وهو أن يكون المعنى: قرناؤهم من الشياطين، فقد دلت الآيات على

عدم تقصير الشياطين في إغواء إخوانهم الكفرة، وذلك في قوله تعالى:

﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ [سورة

الأعراف: ٢٠٢] ودلت على اشتراك هؤلاء الشياطين القرناء مع الكفرة في العذاب،

في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ

الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴾ [سورة

أنكم في العذاب مُشْتَرِكُونَ ﴾ [سورة الزخرف: ٣٨ - ٣٩]،

فاشتراكهم في العذاب يعني حشرهم معاً.

وخلاصةً أعيد ما ذكرته بدايةً من صحة حمل الآية على جميع المعاني الواردة

فيها. والله أعلم بالصواب.



المراد بالعزة في قوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ...﴾

٥٤ - قوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [سورة ص: ٢٢].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

وردت عن المفسرين أقوال عدة في بيان المراد بالعزة في هذه الآية، منها:

١ - العزة: الحمية والاستكبار عن قبول الحق^(١).

٢ - العزة: التكبر^(٢).

٣ - عزة: منعة^(٣).

٤ - عزة: المعازة والمغالبة^(١).

(١) أضواء البيان للشنقيطي (١٣/٧).

(٢) التسهيل لابن جزي (٣٨٩/٣).

(٣) إيجاز البيان للنيسابوري (١٥٦/٢).

٥ - عزة: امتناع من الدين^(٢).

٦ - عزة: التعظيم وما يعتقدُه الإنسان في نفسه من الأحوال التي تمنعه من متابعة الغير^(٣).

٧ - عزة: إباء من الحق وإعجاب بالنفس^(٤).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « وقوله تعالى هنا ((في

عزة)) أي في حمية واستكبار عن^(٥) قبول الحق، وقد بين جل وعلا في سورة البقرة أن من

أسباب أخذ العزة المذكورة بالإثم للكفار أمرهم بتقوى الله ﷻ، وبين أن تلك العزة التي

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٤١٦/١٢).

(٢) الوجيز للواحدي (٩١٨/٢).

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي (٣٦٦/٩).

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٠٥/٢٣).

(٥) في الأصل (عند) ولعله خطأ مطبعي ويظهر أن الصحيح ما أثبتته بدليل ما سيذكره بعد قليل.

هي الحمية والاستكبار عن قبول الحق من أسباب دخولهم جهنم، وذلك في قوله عن بعض

الكفار الذين يظهرون غير ما يبطنون ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ

فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ [سورة البقرة: ٢٠٦].

والظاهر أن وجه إطلاق العزة على الحمية والاستكبار: أن من اتصف بذلك

كأنه ينزل نفسه منزلة الغالب القاهر، وإن كان الأمر ليس كذلك، لأن أصل العزة في لغة

العرب الغلبة والقهر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة المنافقون: ٨]. والعرب يقولون: من عزَّ بَرٌّ، يعنون من غلب استلب، ومنه قول

الخنساء:

كأن لم يكونوا حمى يحتشى
إذ الناس إذ ذاك من عز براً^(١)

(١) البيت في ديوان الخنساء في قصيدة لها مطلعها:

تعرقني الدهر نهساً وحزاً وأوجعني الدهر قرعاً

وغمزا

وهناك اختلاف في البيت المذكور (يتقى) بدل (يحتشى). والخنساء: هي تناصر بنت عمرو

وقوله تعالى عن الخصم الذين تسوروا على داود - **الطَّلَاة** - ﴿وَعَزَّنِي فِي

الْحِطَابِ﴾ [سورة ص: ٢٣] أي غلبني وقهرني في الخصومة.

والدليل من القرآن الكريم على أن العزة التي أثبتها الله ﷻ للكفار في قوله (بل الذين كفروا في عزة) وقوله ((أخذته العزة بالإثم)) ليست هي العزة التي يراد بها القهر والغلبة بالفعل؛ أن الله ﷻ خص بهذه العزة المؤمنين دون الكافرين والمنافقين، وذلك في

قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا

الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة المنافقون: ٨].

ولذلك فسرها علماء التفسير بأنها هي: الحمية والاستكبار عن قبول الحق □^(١).

فالشيخ الشنقيطي إذا يرى أن العزة في آية سورة ص هنا يراد بها: الحمية والاستكبار عن قبول الحق.

الموافقون:

وهم الذين فسروا العزة بنفس الألفاظ التي ذكرها الشنقيطي أو ما يقرب منها جداً، منهم:

١ - الإمام الطبري: «وقوله ((بل الذين كفروا في عزة وشقاق)) يقول تعالى ذكره بل الذين كفروا بالله

السلمية، الشاعرة التي غلبت الفحول في الجاهلية، أسلمت وحسن إسلامها توفيت عام ٢٤هـ.

(١) أضواء البيان للشنقيطي (١٣/٧).

﴿﴾ من مشركي قريش في حمية ومشافة ورفاق لمحمد ﴿﴾ وعداوة»^(١).

٢- ابن الجوزي: « العزة: الحمية والتكبر عن الحق. والشقاق: الخلاف والعداوة لرسول الله ﴿﴾ »^(٢).

٣- القرطبي: « قوله تعالى: ((بل الذين كفروا في عزة)) أي في تكبر وامتناع من قبول الحق؛ كما قال جل وعز ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٦] »^(٣).

٤- ابن كثير: « وقوله تبارك وتعالى ((بل الذين كفروا في عزة وشقاق)) أي إن هذا القرآن لذكر لمن يتذكر وعبرة لمن يعتبر، وإنما لم ينتفع به الكافرون لأنهم ((في عزة)) أي استكبار عنه وحمية ((وشقاق)) أي ومخالفة له ومعاندة ومفارقة»^(٤).

٥- البقاعي: «... والذين كفروا وإن أظهروا الشك في ذلك وانتقصوه قولاً، فإنهم لا ينتقصونه علماً ((بل الذين كفروا)) بما يظهرون من تكذيبه ((في عزة)) أي عسر وصعوبة ومغالبة بحمية الجاهلية مظروفون لها، فهي معمية لهم عن الحق لإحاطتها بهم، وأنتها إشارة إلى ضعفها وبشارة بسرعة زوالها وانقلابها إلى ذل ((وشقاق)) أي إعراض وامتناع واستكبار عن قبول الصدق من لساني الحال الذي أفصح به الوجود؛ والقال الذي صرح به الذكر، فهداهم إلى ما هو في فطرهم وجبلاتهم

(١) جامع البيان للطبري (٧٦/٢٣).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٣١٨/٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤٥/١٥).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٦/٤).

بأرشق عبارة وأوضح لو كانوا يعقلون، فأعرضوا عن تدبره عناداً منهم لا اعتقاداً،
فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون»^(١).

٦- الشوكاني: «(بل الذين كفروا في عزة وشقاق)) فاضرب عن ذلك وكأنه قال: لا ريب

فيه قطعاً ليعني القرآن، ولم يكن عدم قبول المشركين له لريب فيه. بل هم في عزة عن

قبول الحق، أي تكبر وتجبر. وشقاق: أي وامتناع عن قبول الحق»^(٢).

٧- السعدي: «(عزة وشقاق)) عزة وامتناع عن الإيمان به، واستكبار وشقاق له، أي

مشاققة ومخاصمة في ردّه وإبطاله، وفي القدح بمن جاء به»^(٣).

وبنحو ذلك وقريب منه جاءت عبارات كل من: الإمام النسفي^(٤)،

والزمخشري^(٥)، والحازن^(٦)، ونظام الدين النيسابوري^(١)، والبيضاوي^(٢)، والمحلي^(٣)،

(١) نظم الدرر للبقاعي (٣٢٤/١٦).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٤٠٥/٤).

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٧٠٩).

(٤) مدارك التنزيل للنسفي (٢٦/٤).

(٥) الكشاف للزمخشري (٦٨/٤).

(٦) لباب التأويل للحازن (٣٤/٦).

والمحلي^(٣)، وأبي السعود^(٤)، والشهاب في حاشيته^(٥) على البيضاوي، والألوسي^(٦)،
والقنوجي^(٧)، والمراعي^(٨).

المخالفون:

وهم الذين فسروا العزة بأي قول آخر من الأقوال التي ذكرتها في مجمل

(١) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (٧٦/٢٣).

وهو: نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين النيسابوري، مفسر، له اشتغال بالحكمة والرياضيات،

من مصنفاته (غرائب القرآن ودرغائب الفرقان). توفي سنة (٨٥٠هـ). الأعلام (٢١٦/٢).

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٦٢/٢).

(٣) تفسير الجلالين ص (٣٨٠).

(٤) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٥٥٩/٤).

(٥) حاشية الشهاب على البيضاوي (٢٩٥/٧).

(٦) روح المعاني للألوسي (١٦٣/٢٣).

(٧) فتح البيان للقنوجي (١١/١٢).

(٨) تفسير المراعي (٩٦/٢٣).

الأقوال، منهم:

١ - الإمام الواحدي: « (بل الذين كفروا في عزة) امتناع من الدين ((وشقاق)) خلاف
وعداوة »^(١).

٢ - ابن عطية: « و ((العزة)) هنا: المعازة والمغالبة، والشقاق نحوه، أي هم في شقّ والحق
في شقّ »^(٢).

٣ - الفخر الرازي: «... والعزة ههنا التعظيم وما يعتقده الإنسان في نفسه من الأحوال التي

تمنعه من متابعة الغير؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ

بِالْإِثْمِ ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٦]. والشقاق هو إظهار المخالفة على جهة المساواة

للمخالف أو على جهة الفضيلة عليه، وهو مأخوذ من الشق كأنه يرتفع عن أن يلزمه

الانقياد له بل يجعل نفسه في شق وخصمه في شق، فيريد أن يكون في شقة نفسه ولا يجري

(١) الوجيز للواحدي (٢/٩١٨).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (١٢/٤١٦).

عليه حكم خصمه»^(١).

٤- ابن جزري: «... والعزة: التكبر، والشقاق: العداوة وقصد المخالفة»^(٢).

٥- ابن عاشور: «العزة تخوم إطلاقاتها في الكلام حول معاني المنعة والغلبة والتكبر،

فإن كان ذلك جارياً على أسباب واقعة فهي العزة الحقيقية، وإن كان من غرور

وإعجاب بالنفس فهي عزة مزورة، وهي هنا باطلة أيضاً لأنها إباء من الحق

وإعجاب بالنفس»^(٣).

وكلام النيسابوري^(٤) والثعالبي^(٥)، والقاسمي^(٦) يشبه كلام بعض من ذكرت.

تعقيب الباحث:

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي (٣٦٦/٩).

(٢) التسهيل لابن جزري (٣٨٩/٣).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٠٥/٢٣).

(٤) إيجاز البيان للنيسابوري (١٥٦/٢).

(٥) جواهر الحسان للثعالبي (٣٠/٤).

(٦) محاسن التأويل للقاسمي (٥٠٧٦/١٤).

بمقارنة أقوال المفسرين في بيان المراد بالعزة هنا في سورة ص؛ يظهر - والله

أعلم - أنه لا خلاف جوهري بينهم، حيث إن الخلاف فقط في الألفاظ التي عبّروا بها،

وإلا فإن كلامهم كله يصب في معنى واحد، وهو أن الكفار أخذتهم حمية الجاهلية واستكبروا

عن قبول الحق الذي جاء به النبي ﷺ متمثلاً في هذا القرآن الكريم، وبالطبع تكبرهم هذا ليس

عن دوافع حقيقية تدعوهم إلى هذا التعزز والتكبر وإنما عن دوافع باطلة؛ لأن العزة الحقيقية لا

تكون للكفار أبداً بدليل قوله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾

[سورة المنافقون: ٨]. فلذلك أقول: إن جميع الأقوال الواردة عن المفسرين في بيان قوله

تعالى ((بل الذين كفروا في عزة وشقاق)) يصح حمل الآية عليها جميعها؛ لأن الخلاف

بينهم في الألفاظ وكلهم يقصد نفس المعنى. والله أعلم بالصواب.



نوع النداء في قوله تعالى ﴿فَنَادُوا...﴾

٥٥- قوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينٍ

مَنَاصٍ﴾ [سورة ص: ٤٣].

مجملة الأقوال الواردة في الآية:

المفسرون ذكروا عدة أقوال عند تفسير النداء في قوله تعالى ((فنادوا ولات حين

مناص))، هي:

- ١- أن يراد بالنداء استغاثتهم ودعاؤهم ليرفع عنهم العذاب^(١).
- ٢- أن يراد بالنداء توبتهم وإيمانهم بالله ﷻ^(٢).
- ٣- أو يراد بالنداء مجرد رفع الصوت، يقال فلان أندى صوتاً من فلان أي أرفع صوتاً^(١).

(١) الوجيز للواحدى (٩١٨/٢).

(٢) نظم الدرر للبقاعي (٣٢٥/١٦).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - في المسألة الثانية من المسائل

التي ذكرها عند تفسيره للآية المذكورة: « وأما المسألة الثانية: وهي نداؤهم إذا أحسوا بأوائل العذاب، فقد ذكر تعالى في آيات من كتابه نوعين من أنواع ذلك النداء.

أحدهما: نداؤهم باعترافهم أنهم كانوا ظالمين، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا

مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾

فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا

وَأَرْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ﴿١٣﴾

قَالُوا يَبْوِئَلْنَا إِنََّّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ

حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَلْمِيذِينَ ﴿١٥﴾ [سورة الأنبياء: ١١ -

١٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي (٣٦٦/٩)، ولم يرجحه.

بَيْنَنَا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤٥﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ

بِأَسْنَاءِ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ [سورة الأعراف: ٤ - ١٥].

الثاني: من نوعي النداء المذكور نداؤهم بالإيمان بالله ﷻ مستغيثين من ذلك العذاب الذي

أحسوا أوائله، كقوله تعالى^(١) ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بِأَسْنَاءَ قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ

وَحَدَّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾ ﴿٤٦﴾ فَلَمْ يَكُ

يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بِأَسْنَاءَ سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ حَلَّتْ فِي

عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ [سورة غافر: ٨٤ -

١٨٥]، وهذا النوع الأخير هو الأنسب والأليق بالمقام، لدلالة قوله ((ولات

حين مناص)) عليه^(٢).

(١) وكذلك قوله تعالى - عن فرعون- ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ

ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا

مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة يونس: ١٩٠].

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (١٦/٧).

ويلاحظ أن الشيخ الشنقيطي ربط بين استغاثتهم لكشف ما نزل بهم من العذاب وبين إيمانهم بالله ﷻ، فكأن الكفار لما نزل بهم العذاب أعلنوا إيمانهم بالله ﷻ وتوبتهم إليه، واستغاثوه أن يكشف عنهم العذاب لأنهم آمنوا، ولا ينفعهم ذلك. فمن جمع المعنيين فقد وافق.

الموافقون:

وهم من جمع المعنيين (الاستغاثة أو الدعاء مع الإيمان أو التوبة) موافقون بذلك ما ذهب إليه الشنقيطي:

١ - الإمام الطبري: « ((فنادوا)) يقول فعجوا إلى ربهم وضجوا واستغاثوا بالتوبة إليه حين نزل بهم بأس الله ﷻ وعانوا عذابه فراراً من عقابه وهرباً من أليم عذابه. ((ولات حين مناص)) يقول وليس ذلك حين فرار ولا هرب من العذاب بالتوبة وقد حقت كلمة العذاب عليهم وتابوا حين لا تنفعهم التوبة واستقالوا في غير وقت

- ٢- القرطبي: « (فنادوا) أي: بالاستغاثة والتوبة »^(٢).
 ٣- ٤- ويمثل ذلك قال أبو حيان^(٣) وأبو السعود^(٤).

المخالفون:

- وهم الذين فسروا النداء بواحد من المعاني فقط، وهم على فئتين:
 أ- من فسّره بأن يراد بالنداء الدعاء والاستغاثة، أي أن الكفار يدعون الله ﷻ ويستغيثونه
 أن يكشف عنهم العذاب، وقد ذكر هذا المعنى جمع غفير من المفسرين، منهم:
 ١- الإمام الواحدي^(٥). ٢- البغوي^(٦). ٣-
 النسفي^(٧).

(١) جامع البيان للطبري (٧٦/٢٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤٥/١٥).

(٣) البحر المحيط لأبي حيان (١٣٦/٩).

(٤) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٥٥٩/٤).

(٥) الوجيز للواحدي (٩١٨/٢).

(٦) مختصر البغوي (٧٩٧/٢).

(٧) مدارك التنزيل للنسفي (٢٦/٤).

- ٤- الزمخشري^(١).
الرازي^(٣).
٥- ابن عطية^(٢).
٦- الفخر الرازي^(٣).
٧- الخازن^(٤).
٨- نظام الدين النيسابوري^(٥).
٩- ابن جزى^(٦).
١٠- الثعالبي^(٧).
١١- الشوكاني^(٨).
١٢- الألوسي^(٩).
١٣- القنوجي^(١٠).
١٤- القاسمي^(١١).
١٥- المراغي^(١٢).
١٦- السعدي^(١).
١٧- سيد قطب^(٢).

(١) الكشاف للزمخشري (٦٨/٤).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٤١٦/١٢).

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي (٣٦٦/٩).

(٤) لباب التأويل للخازن (٣٤/٦).

(٥) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (٧٧/٢٣).

(٦) التسهيل لابن جزى (٣٩٠/٣).

(٧) جواهر الحسان للثعالبي (٣٠/٤).

(٨) فتح القدير للشوكاني (٤٠٥/٤).

(٩) روح المعاني للألوسي (١٦٣/٢٣).

(١٠) فتح البيان للقنوجي (١١/١٢).

(١١) محاسن التأويل للقاسمي (٥٠٧٧/١٤).

(١٢) تفسير المراغي (٩٦/٢٣).

١٨ - ابن عاشور^(٣).

ب- الفئة الثانية: من ذكر أن النداء يراد به نداؤهم بالإيمان والتوبة، ويمثل هذه الفئة الإمام البقاعي^(٤).

تعقيب الباحث:

يظهر - والله أعلم - أن هذا الموضع لا يكون فيه موافقون ومخالفون، فإن النداء المذكور في الآية يصح حمله على المعنيين الرئيسين (الأول والثاني في مجمل الأقوال)، وعليه يترجح ما ذهب إليه الشنقيطي وموافقوه، فإن نزول العذاب بالكفار يجعلهم يؤمنون بصدق ما جاءتهم به الرسل عليهم السلام، فيعلنوا إيمانهم بالله ﷻ في تلك اللحظات العصبية، ويرد فوه استغاثته لكشف ما حل بهم فإنهم - في نظرهم - لا يستحقون العذاب وقد آمنوا. ولا ينفعهم ذلك؛ لأن وقت نزول العذاب سواء الدنيوي أو الآخروي لا يقبل

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٧٠٩).

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب (٣٠٠٧/٥).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٠٧/٢٣).

(٤) نظم الدرر للبقاعي (٣٢٥/١٦).

منهم فيه الإيمان، ووقت قبول الإيمان قد فات عليهم، فبالتالي لن ينظر في طلب كشف العذاب عنهم.. فالنداء في هذه الآية يصح أن يراد به الإيمان والتوبة، ويصح أن يراد به الاستغاثة والدعاء ويضاف إلى ذلك ما حصل من فرعون حين أدركه الغرق قال وهو يعلن

إسلامه وإيمانه: ﴿ **ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ**

﴿ فرد الله تعالى عليه مبيناً فوات أوان الإيمان والتوبة ﴾ ﴿ **ءَأَلَّكْنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ**

وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾، وأما القول الثالث في مجمل الأقوال؛ وهو أن النداء

معناه رفع الصوت فهذا هو معناه اللغوي، والمستغيث يرفع صوته ويصيح ليذهب صوته

بعيدا^(١)، ولا مانع أن يراد هنا فإنه يزيد المعنى وضوحاً. والله أعلم بالصواب.



(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص(١٧٢٤) باب الواو والياء، فصل النون، مختار الصحاح ص(٦٥٣).

معنى قوله تعالى ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً﴾

٥٦- قوله تعالى: ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً﴾ [سورة الزمر: ١٠].

مجمل الأقوال الواردة في الآية :

١- أن المراد بالآية حث على الهجرة إذا كان المسلم في مكانه لا يتمكن من إقامة شرائع

الدين^(١).

٢- أن المراد بالأرض الواسعة: الجنة^(٢).

٣- أو يراد بسعة الأرض سعة الأرزاق^(٣).

(١) فتح القدير للشوكاني (٤/٤٣٧).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٧/٨).

(٣) النكت والعيون للماوردي (٥/١١٨).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « الظاهر أن معنى الآية،

أن الإنسان إذا كان في محل لا يتمكن فيه من إقامة دينه على الوجه المطلوب، فعليه أن
يهاجر منه في مناكب أرض الله الواسعة حتى يجد محلاً يمكنه فيه إقامة دينه.

وقد أوضح تعالى هذا المعنى في غير هذا الموضع، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

تَوَفَّيْنَاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ^ط قَالُوا كُنَّا

مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُجْرُوا فِيهَا^ع

﴿ [سورة النسا: ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي

وَأَسِعَةٌ فَايْبِي فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ [سورة العنكبوت: ٥٦]. ولا يخفى أن الترتيب بالفاء

في قوله ((فايبي فاعبدون)) على قوله (إن أرضي واسعة) دليل واضح على ذلك «^(١).

الموافقون:

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٤٧/٧).

جمهور المفسرين ذهبوا إلى أن هذه الآية يراد بها الحث على الهجرة من المكان الذي لا يتمكن فيه المسلم من إقامة شرائع الدين إلى حيث يمكنه ذلك، وهو ما ذهب إليه الشيخ الشنقيطي، أذكر كلام البعض وأشير إلى البقية، فمنهم:

١- الإمام الطبري: « وقوله ((وأرض الله واسعة)) يقول تعالى ذكره وأرض الله فسيحة واسعة فهاجروا من أرض الشرك إلى دار السلام »^(١).

٢- الواحدي: « ((وأرض الله واسعة)) فهاجروا فيها، واخرجوا من بين الكفار »^(٢).

٣- النسفي: « ((وأرض الله واسعة)) أي لا عذر للمفرطين في الإحسان ألبتة حتى إن اعتلوا بأنهم لا يتمكنون في أوطانهم من التوفر على الإحسان، قيل لهم: فإن أرض الله واسعة وبلاده كثيرة فتحولوا إلى بلاد آخر، واقتدوا بالأنبياء والصالحين في مهاجرتهم إلى غير بلادهم ليزدادوا إحساناً إلى إحسانهم وطاعة إلى طاعتهم »^(٣).

(١) جامع البيان للطبري (١٣٠/٢٣).

(٢) الوجيز للواحدي (٩٣٠/٢).

(٣) مدارك التنزيل للنسفي (٤١/٤).

٤- ابن عطية: « (وأرض الله) يريد بها البلاد المجاورة التي تقتضيها القصة التي الكلام فيها،

وهذا حضٌ على الهجرة، ولذلك وصف الله **بِكَلِمَاتٍ** الأرض بالسعة^(١).

٥- البقاعي: «... ولما كان ربما عرض للإنسان في أرض من يمنعه الإحسان، ويحمله على

العصيان، حث سبحانه على الهجرة إلى حيث يزول عنه ذلك المانع، تنبيهاً على أن

مثل هذا ليس عذراً في التقصير...»^(٢).

٦- السعدي: « (وأرض الله واسعة) إذا منعت من عبادته في أرض فهاجروا إلى

غيرها، تعبدون فيها ربكم وتتمكنون من إقامة دينكم»^(٣).

٧- سيد قطب: « (وأرض الله واسعة) فلا يقعد بكم حب الأرض، وإلف المكان،

وأواصر النسب والقربي والصحبة في دارٍ عن الهجرة منها إذا ضاقت بكم في دينكم،

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (١٢/٥١٥). وكان قد ذكر قبل قليل من كلامه المذكور أن هذه الآية نزلت

في جعفر بن أبي طالب وأصحابه حين عزموا على الهجرة إلى أرض الحبشة.

(٢) نظم الدرر للبقاعي (١٦/٤٧٢).

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٧٢٠).

وأعجزكم فيها الإحسان. فإن الالتصاق بالأرض في هذه الحالة مدخل من مداخل
الشیطان، ولون من اتخاذ الأنداد لله في قلب الإنسان. وهذه لفظة قرآنية لطيفة إلى
مداخل الشرك الخفية في القلب البشري..»^(١).

وبنحو ألفاظ من ذكرتُ جاء كلام كل من: الإمام البغوي^(٢)، والزمخشري^(٣)،
والفخر الرازي^(٤)، والقرطبي^(٥)، والحازن^(٦)، وابن جزي^(٧)، وأبي حيان^(٨)، وابن
كثير^(٩)، والبيضاوي^(١)، والمحلي^(٢)، والثعالبي^(٣)، وغيرهم^(٤).

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٣٠٤٣/٥).

(٢) مختصر البغوي (٨٠٨/٢).

(٣) الكشاف للزمخشري (١١٣/٤).

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي (٤٣١/٩).

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٤٠/١٥).

(٦) لباب التأويل للحازن (٥٨/٦).

(٧) التسهيل لابن جزي (٤١٩/٣).

(٨) البحر المحيط لأبي حيان (١٩٠/٩).

(٩) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٨/٤).

ولا يوجد مخالف للموافقين في هذا الترجيح ، وعليه أقول :

تعقيب الباحث :

يظهر - والله أعلم - أن الآية يراد بها الحث على الهجرة إذا كان المسلم بمكان

لا يتمكن فيه من إقامة شرائع الدين ، وهو ما رجحه جمهور المفسرين ومنهم الشيخ

الشنقيطي ، يدل على ذلك أمور :

١ - أن سياق الآيات يدل على إرادة هذا المعنى الراجح ، وقد صرح بدلالة السياق عليه

الإمام ابن عطية بقوله : « (وأرض الله) يريد بها البلاد المجاورة التي تقتضيها القصة

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٦٨/٢).

(٢) تفسير الجلالين ص (٣٨٦).

(٣) جواهر الحسان للثعالبي (٥١/٤).

(٤) كآبي السعود في إرشاد العقل السليم (٦٠٣/٤) ، والشوكاني في فتح القدير (٤٣٧/٤) ، والألوسي

في روح المعاني (٢٤٨/٢٣) ، والقنوجي في فتح البيان (٩١/١٢) ، والقاسمي في محاسن التأويل

(٥١٣٢/١٤) ، والمرآني في تفسيره (١٥٣/٢٣) ، وابن عاشور في التحرير والتنوير (٣٥٤/٢٣).

التي الكلام فيها»^(١).

٢- كذلك دلالة آيات أخرى من القرآن الكريم عليه تؤيد المعنى الراجح المراد من هذه الآية، منها قوله

تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّوهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا

مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُجْرُوا فِيهَا ۗ

سورة النساء: ١٩٧. وقوله تعالى: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَيَأْتِي

فَاعْبُدُونِ ﴿١﴾ [سورة العنكبوت: ٥٦]، وقد أشار إلى هذا الزمخشري^(٢) ونظام الدين

النيسابوري^(٣)، وأبو حيان^(٤)، وابن كثير^(٥)، والشوكاني^(٦)،

(١) المحرر الوجيز لابن عطية ٥١٥/١٢.

(٢) الكشاف للزمخشري (١١٣/٤).

(٣) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (١١٩/٢٣).

(٤) البحر المحيط لأبي حيان (١٩٠/٩).

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٨/٤).

(٦) فتح القدير للشوكاني (٤٣٧/٤).

والقنوجي^(١)، والشنقيطي^(٢).

٣- كونه اختيار جمهور المفسرين، بدلالة كثرة القائلين به قديماً وحديثاً. وإجماع الجمهور على تفسير يقدمه على غيره^(٣).

٤- عدم وجود من رجّح قولاً آخر غيره، فإنه مع ورود أقوال أخرى إلا أنه لم يجزم أحد باعتبارها معنى للآية، بل إن بعض من يذكر القول الراجح ومعه القول المرجوح، يصرحون بترجيحهم للراجح بقوله: « والأول أولى » ونحو ذلك، كالفخر الرازي^(٤)، والقرطبي^(٥)، والشوكاني^(٦)، والقنوجي^(٧).

(١) فتح البيان للقنوجي (٩١/١٢).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٤٦/٧).

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحري (٢٨٨/١).

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي (٤٣١/٩).

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٤٠/١٥).

(٦) فتح القدير للشوكاني (٤٣٧/٤).

(٧) فتح البيان للقنوجي (٩١/١٢).

٥- القول بأن الأرض الواسعة يراد بها الجنة، لم يرجحه أحد، بل ردّ عليه الإمام ابن عطية بقوله: «... وقال قوم: أراد بالأرض هنا الجنة، وفي هذا القول تحكم لا دليل عليه»^(١).

٦- أما القول بأنه يراد بسعة الأرض سعة الرزق؛ فقد ذكره الماوردي^(٢) وتبعه القرطبي^(٣) وقالوا عنه (يحتمل) ولم يرجحه أحد. والله أعلم بالصواب.



القول المتَّبَع

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٥١٥/١٢).

(٢) النكت والعيون للماوردي (١١٨/٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٤٠/١٥).

٥٧- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ لسورة الزمر:

.١١٨

مجمال الأقوال الواردة في الآية :

- ١- أن المراد بالقول ما جاء به النبي ﷺ من وحي الكتاب والسنة ، فيفهمونه ويعملون بما فيه ، فيؤثرون الأفضل والأكمل ؛ كالواجب مع الندب، والعفو مع القصاص، والإخفاء مع الإبداء في الصدقة وهكذا^(١) ..
- ٢- المراد بالقول: جنس القول، بمعنى يستمعون كل قول ليميزوا بين ما ينبغي اتباعه وما ينبغي اجتنابه^(٢) .

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٤٨)، محاسن التأويل للقاسمي (١٤/٥١٣٤)، أضواء البيان

للشنقيطي (٧/٤٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٧٢٢).

- ٣- أن المراد يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن^(١).
- ٤- أن المراد بالآية: هو الذي يستمع حديثاً فيه حسن وقبيح فيتحدث بالحسن ويكف عما سواه^(٢).
- ٥- وقيل إن المراد بأحسن القول (لا إله إلا الله)، فروي في سبب نزول الآية أنها نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر الغفاريّ وسلمان الفارسيّ، اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها في جاهليتهم، واتبعوا أحسن ما صار من القول إليهم^(٣).
- ٦- وروي أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - آمن بالنبي ﷺ وصدّقه، فجاء عثمان وعبدالرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعيد بن زيد وسعد بن أبي وقاص، فسألوه

(١) الوجيز للواحدى (٩٣١/٢).

(٢) التسهيل لابن جزي (٤٢٠/٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٤٤/١٥)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٨/٤)، وقال:

والصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الأوثان وأتاب إلى عبادة الرحمن فهؤلاء هم الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة. وذكرها السيوطي في لباب النقول المطبوع بذيّل مفردات القرآن لمحمد حسن الحمصي ص (٤١٧).

فأخبرهم بإيمانه فأمنوا، ونزلت فيهم ((فبشر عباد، الذين يسمعون القول)) قال:
يريد من أبي بكر ((فيتبعون أحسنه))^(١).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « أظهر الأقوال في الآية

الكريمة ، أن المراد بالقول ما جاء به النبي ﷺ من وحي الكتاب والسنة ، ومن إطلاق القول على

القرآن قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾ [سورة المؤمنون: ٦٨] ، وقوله تعالى: ﴿

إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿٣﴾ وَمَا هُوَ بِأَهْزَلٍ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة الطارق، آية ١٣ - ١٤]. وقوله

تعالى في هذه الآية الكريمة ((فيتبعون أحسنه)) أي يقدمون الأحسن الذي هو أشد حسنا،

على الأحسن الذي هو دونه في الحسن ، ويقدمون الأحسن مطلقاً على الحسن ، ويدل لهذا

آيات من كتاب الله ﷻ.

(١) ذكره الواحدي النيسابوري في أسباب النزول والمطبوع بذيل مختصر الطبري للتجزي المطبوع

أما الدليل على أن القول الأحسن المتبع ما أنزل عليه ﷺ من الوحي فهو في آيات

من كتاب الله ﷻ كقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ

﴾ [سورة الزمر: ٥٥]، وقوله تعالى لموسى يأمره بالأخذ بأحسن ما في التوراة ﴿فَخُذْهَا

بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [سورة الأعراف: ١٤٥].

وأما كون القرآن فيه الأحسن والحسن، فقد دلت عليه آيات من كتابه. واعلم

أولاً أنه لا شك في أن الواجب أحسن من المندوب، وأن المندوب أحسن من مطلق الحسن،

فإذا سمعوا مثلاً قوله تعالى: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة

الحج: ٧٧] قدموا فعل الخير الواجب على فعل الخير المندوب، وقدموا هذا الأخير على

مطلق الحسن الذي هو الجائز.

ومن أمثلة الترغيب في الأخذ بالأحسن وأفضليته مع جواز الأخذ بالحسن قوله

تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ^ط وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ

خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٦]، فالأمر في قوله ﴿فَعَاقِبُوا

بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ^ط﴾ للجواز، والله ﷻ لا يأمر إلا بحسن، فدل ذلك على أن

الانتقام حسن، ولكن الله جل وعلا بيّن أن العفو والصبر خير منه وأحسن في قوله ﴿

وَلِينَ صَبْرٌ مُّمْلِكُهُمْ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٧٦﴾ وأمثال ذلك كثيرة في القرآن.

وكقوله تعالى في إباحة الانتقام ﴿وَلَمَن آتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ

مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ [سورة الشورى: ٤١] مع أنه بين أن الصبر والغفران خير

منه في قوله بعده ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنَ عَظْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٢﴾

[سورة الشورى: ٤٣].

وكقوله في جواز الانتقام ﴿لَا تُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوِّءِ مِنَ الْقَوْلِ

إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴿٤٨﴾ [سورة النساء: ٤٨] مع أنه أشار إلى أن العفو خير منه، وأنه من صفاته

- جل وعلا - مع كمال قدرته وذلك في قوله بعده ﴿إِن تَبَدُّواْ خَيْرًا أَوْ لَخِفُوهُ أَوْ

تَعَفَّوْاْ عَن سُوِّءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿٤٩﴾ [سورة النساء: ٤٩].

وكقوله جل وعلا مثنياً على من تصدق، فأبدي صدقته ﴿إِن تَبَدُّواْ

الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴿٢٧١﴾ [سورة البقرة: ٢٧١] ثم بيّن أن إخفاءها وإيتاءها الفقراء

خير من إبدائها، الذي مدحه بالفعل الجامد الذي هو لإنشاء المدح الذي هو نعم، في قوله:

﴿ إِن تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ^ط وَإِن تَحْفَوْهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ^ج ﴾ [سورة البقرة: ٢٧١].

وكقوله في نصف الصداق اللازم للزوجة بالطلاق قبل الدخول ﴿ فَنِصْفُ مَا

فَرَضْتُمْ ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٧]. ولا شك أن أخذ كل واحد من الزوجين النصف حسن؛

لأن الله ﷻ شرعه في كتابه بقوله ((نصف ما فرضتم)) مع أنه رغب كل واحد منهما أن يعفو

للآخر عن نصفه، وبين أن ذلك أقرب للتقوى وذلك في قوله بعده ﴿ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ

لِلتَّقْوَى ^أ وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ^ج ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٧].

وقد قال تعالى: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ^ط ﴾ [سورة الشورى: ٤٠] ثم

أرشد إلى الأحسن بقوله ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ^ج ﴾ [سورة الشورى:

[٤٠].

وقال تعالى: ﴿ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ^ج ﴾ [سورة المائدة: ٤٥]، ثم أرشد إلى

الأحسن في قوله ﴿ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ^ج ﴾ [سورة المائدة:

[٤٥].

واعلم أن في هذه الآية الكريمة أقوالاً غير الذي اخترنا. منها ما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في معنى ((فيتبعون أحسنه)) قال: هو الرجل يسمع الحسن والقيح فيتحدث بالحسن، وينكف عن القبيح فلا يتحدث به.

وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن.

وقيل إن المراد بأحسن القول لا إله إلا الله، وبعض من يقول بهذا يقول: إن الآية نزلت فيمن كان يؤمن بالله ﷻ قبل بعث الرسول ﷺ، كزيد بن عمرو بن نفيل العدوي، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي. إلى غير ذلك من الأقوال^(١).

خلاصةً إن الشيخ الشنقيطي يرى أن المراد بالقول هو ما جاء به النبي ﷺ من وحي الكتاب والسنة، واتباع أحسنه يعني أنهم يؤثرون الأفضل والأكمل؛ كالواجب مع الندب، والعفو مع القصاص، والإخفاء مع الإبداء في الصدقة وهكذا.

الموافقون:

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٤٧/٧ - ٥٠) بتصرف.

وافق الشيخ الشنقيطي فيما ذهب إليه في معنى القول واتباع أحسنه عدد قليل من

المفسرين، منهم:

١- الإمام ابن كثير: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۖ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ

أَحْسَنَهُ ۗ ﴾ أي يفهمونه ويعملون بما فيه، كقوله تبارك وتعالى لموسى عليه الصلاة

والسلام حين أتاه التوراة ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا خُذُوا بِأَحْسَنَهَا

﴿ [سورة الأعراف: ١٤٥] ﴾^(١).

٢- القاسمي: « ((فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)) أي إثارة للأفضل

واهتماماً بالأكمل... ويدخل تحته إثارة الأفضل من كل نوعين اعتراضاً؛ كالواجب

مع الندب، والعفو مع القصاص، والإخفاء مع الإبداء في الصدقة وهكذا... »^(٢).

٣- المراغي: « ... ثم مدحهم بأنهم نقاد في الدين يميزون بين الحسن والأحسن، والفاضل

والأفضل؛ فقال: ((فبشر عباد، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)) أي: فبشر

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٤٨).

(٢) محاسن التأويل للقاسمي (١٤/٥١٣٤).

هؤلاء الذين اجتنبوا عبادة الطاغوت ، وأنابوا إلى ربهم وسمعوا القول فاتبعوا أولاه
بالقبول ؛ بالنعيم المقيم في جنات النعيم»^(١).

المخالفون:

وهم كل من رجع قولاً واحداً من الأقوال المذكورة في مجمل الأقوال ويمكن
تصنيفهم - حسب الأقوال - إلى فئات:

أ- الذين قالوا إن القول المستمع يراد به جنس القول ، واتباعهم لأحسنه يعني: أهده إلى
الحق وأرشده إلى توحيد الله ﷻ وطاعته...، فمنهم:

١- الإمام الطبري: « فبشر عبادي الذين يستمعون القول يقول جل ثناؤه لنيّه محمد ﷺ

فبشر يا محمد عبادي الذين يستمعون القول من القائلين فيتبعون أرشده وأهداه إلى

الحق وأدله على توحيد الله ﷻ والعمل بطاعته، و يتركون ما سوى ذلك من القول

(١) تفسير المراغي (٢٣/١٥٦).

الذي لا يدل على رشاد ولا يهدي إلى سداد»^(١).

٢- ابن عطية: « وقوله تعالى ((الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه)) كلام عام في جميع الأقوال، وإنما القصد الثناء على هؤلاء ببصائر هي لهم وقوام في نظرهم، حتى أنهم إذا سمعوا قولاً مَيَّزوه واتبعوا أحسنه. واختلف المفسرون في العبارة عن هذا؛ فقالت: فرقة: أحسن القول كتاب الله تعالى، أي إذا سمعوا الأقاويل وسمعوا القرآن اتبعوا القرآن. وقالت فرقة: ((القول)) هو القرآن، وأحسُّه ما فيه من عفو وصفح واحتمال على صبر ونحو ذلك وقال قتادة: أحسن القول طاعة الله تعالى. وهذه أمثلة وما قلناه أولاً يعمِّها »^(٢).

٣- المحلي: « ((فبشر عباد، الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه)) وهو ما فيه صلاحهم »^(٣).

(١) جامع البيان للطبري (١٣٢/٢٣).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٥٢٠/١٢).

(٣) تفسير الجلالين ص (٣٨٧).

٤ - الثعالبي: « وقوله سبحانه ((الذي يستمعون القول فيتبعون أحسنه)) كلام عام في

جميع الأقوال والمقصد الثناء على هؤلاء في نفوذ بصائرهم وقوام نظرهم حتى
إنهم إذا سمعوا قولاً ميزوه واتبعوا أحسنه »^(١).

٥ - البقاعي: « ((فبشر عباد)) أي الذين أهلوا أنفسهم بقصر هممهم عليّ للإضافة

إليّ ((الذين يستمعون)) أي بجميع قلوبهم ((القول)) أي هذا الجنس من كل

قائل، ليسوا جفاة عساة إذا أقبلوا على شيء أعرضوا عن غيره بغير دليل

((فيتبعون)) أي بكل عزائمهم بعد انتقاده ((أحسنه)) بما دلّتهم عليه عقولهم من

غير عدول إلى أدنى هوى »^(٢).

٦ - السعدي: « ((فبشر عباد، الذين يستمعون القول)) وهذا جنس يشمل كل قول،

فهم يستمعون جنس القول ليميزوا بين ما ينبغي إيثاره مما ينبغي اجتنابه، فلهذا من

حزمهم وعقلهم أنهم يتبعون أحسنه، وأحسنه على الإطلاق كلام الله ﷻ وكلام

(١) جواهر الحسان للثعالبي (٤/٥٢).

(٢) نظم الدرر للبقاعي (١٦/٤٨٠).

رسوله ﷺ ، كما قال في هذه السورة ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا

مُتَشَبِّهًا﴾ [سورة الزمر: ٢٣] «^(١).

٧- سيد قطب: «..هؤلاء من صفاتهم أنهم يستمعون ما يستمعون من القول، فلتلتقط قلوبهم

أحسنه وتطرد ما عداه، فلا يلحق بها ولا يلصق إلا الكلم الطيب، الذي تزكوه النفوس

والقلوب..والنفس الطيبة تفتح للقول الطيب فتلقاه وتستجيب له...والنفس الخبيثة لا

تفتح إلا للخبيث من القول ولا تستجيب إلا له»^(٢).

ب- من قال إن المراد بالآية: يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن، منهم:

١- الواحدي: «(الذين يستمعون القول)) القرآن وغيره ((فيتبعون أحسنه))

وهو القرآن»^(٣).

٢- ابن عاشور: « والتعريف في ((القول)) تعريف الجنس، أي يستمعون الأقوال

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٧٢٢).

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/٣٠٤٥).

(٣) الوجيز للواحدي (٢/٩٣٩).

مما يدعو إلى الهدى مثل القرآن وإرشاد الرسول ﷺ، ويستمعون الأقوال التي يريد أهلها صرفهم عن الإيمان من ترهات أئمة الكفر، فإذا استمعوا ذلك اتبعوا أحسنه وهو ما يدعو إلى الحق»^(١).

ج- من رجح إن المراد بالآية: هو الذي يستمع حديثاً فيه حسن وقبيح، فيتحدث بالحسن ويكف عن القبيح، منهم:

١- ابن جزي: «(الذي يستمعون القول فيتبعون أحسنه)) قيل: يستمعون القول على العموم فيتبعون القرآن لأنه أحسن الكلام. وقيل: يستمعون القرآن فيتبعون بأعمالهم أحسنه من العفو الذي هو أحسن الانتصار وشبه ذلك. وقيل: هو الذي يستمع حديثاً فيه حسن وقبيح فيتحدث بالحسن ويكف عما سواه؛ وهذا قول ابن عباس وهو الأظهر»^(٢).

أما العدد الأكثر من المفسرين فقد جمعوا كل الأقوال أو معظمها عند تفسيرهم

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣/٣٦٥).

(٢) التسهيل لابن جزي (٣/٤٢٠).

للآية، فمثلاً:

١- الإمام النسفي قال: « (فبشر عباد، الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه) » هم الذين اجتنبوا وأتابوا وإنما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والإنابة على هذه الصفة، فوضع الظاهر موضع الضمير أراد أن يكونوا نقاداً في الدين يميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل، فإذا اعترضهم أمران؛ واجب وندب اختاروا الواجب، وكذا المباح والندب، حرصاً على ما هو أقرب عند الله ﷻ وأكثر ثواباً. أو يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن. أو يستمعون أوامر الله ﷻ فيتبعون أحسنها؛ نحو القصاص والعفو ونحو ذلك. أو يستمعون الحديث مع القوم فيه محاسن ومساو فيحدث بأحسن ما سمع ويكف عما سواه»^(١).

٢- والقرطبي قال: « (فبشر عباد، الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه) » قال ابن عباس: هو الرجل يسمع الحسن والقبيح فيتحدث بالحسن وينكف عن القبيح فلا يتحدث به. وقيل: يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن. وقيل: يستمعون القرآن

(١) مدارك التنزيل للنسفي (٤/٤٢).

وأقوال الرسول ﷺ فيتبعون أحسنه أي محكمة فيعملون به. وقيل: يستمعون عزمًا
وترخيصاً فيأخذون بالعزم دون الترخيص. وقيل: يستمعون العقوبة الواجبة لهم
والعفو فيأخذون بالعفو. وقيل: إن أحسن القول على من جعل الآية فيمن وحّد الله
ﷻ قبل الإسلام (لا إله إلا الله) «^(١).

٣- الخازن: « (فبشر عباد، الذين يستمعون القول) يعني القرآن ((فيتبعون أحسنه))
أي أحسن ما يؤمرون به. فيعملون به، وهو أن الله تعالى ذكر في القرآن الانتصار من
الظالم وذكر العفو عنه؛ والعفو أحسن الأمرين. وقيل: ذكر العزائم والرخص
فيتبعون الأحسن وهو العزائم. وقيل: يستمعون القرآن وغيره من الكلام فيتبعون
القرآن لأنه كله حسن. وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - لما أسلم أبو بكر
الصديق - ﷺ -؛ جاءه عثمان وعبدالرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن
أبي وقاص وسعيد بن زيد فسألوه فأخبرهم بإيمانه فأمّنوا فنزلت فيهم ((فبشر عباد،
الذي يستمعون القول فيتبعون أحسنه)). وقيل: نزلت هذه الآية في ثلاثة نفر كانوا في

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥/٢٤٤).

الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله؛ وهم زيد بن عمرو وأبوذر، وسلمان الفارسي»^(١).

٤- أبوحيان: «(الذي يستمعون القول)) وهو عام في جميع الأقوال ((فيتبعون

أحسنه)) ثناء عليهم بنفوذ بصائرهم وتمييزهم الأحسن، فإذا سمعوا قولاً تبصروه.

قيل: وأحسن القول: القرآن وما يرجع إليه. وقيل: القول القرآن، وأحسنه: ما فيه

من صفح وغفو واحتمال ونحو ذلك. وقال قتادة: أحسن القول طاعة الله ﷻ. وعن

ابن عباس: هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساو، فيحدث

بأحسن ما سمع، ويكف عن ما سواه»^(٢).

وبنحو ذلك جاءت عبارات: الإمام الماوردي^(٣)، والبغوي^(٤)، والزنجشيري^(٥)،

وابن الجوزي^(٦)، ونظام الدين النيسابوري^(١)، والشوكاني^(٢)، والألوسي^(٣)،

(١) لباب التأويل للخازن (٥٩/٦).

(٢) البحر المحيط لأبي حيان (١٩٢/٩).

(٣) النكت والعيون للماوردي (١٢٠/٥).

(٤) مختصر البغوي (٨٠٩/٢).

(٥) الكشاف للزنجشيري (١١٦/٤).

(٦) زاد المسير لابن الجوزي (١٠/٧).

والقنوجي^(٤).

تعقيب الباحث:

لقد كفاني مؤنة التعقيب على هذا الموضوع الإمام ابن القيم - رحمه الله - في كلامه حول هذه الآية، فإنه يرجح أن المراد بالقول القرآن الكريم. ولقد تكلمت تحت هذه الآية رداً على من قال من أصحاب الغناء إن الألف واللام في (القول) تقتضي العموم والاستغراق وقد مُدح في الآية المتبعون لأحسن القول، فيدخل تحت لفظ القول قول السماع من الغناء وغيره.

فشمّر الإمام ابن القيم - رحمه الله - عن ساعد الجد وذبّ كلام أصحاب الغناء، وردّ عليهم بوجوه تدحض كلامهم، وتبريء ساحة القرآن الكريم من خبيث

(١) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (١٢٢/٢٣).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٤/٤٤٠).

(٣) روح المعاني للألوسي (٢٥٢/٢٣).

(٤) فتح البيان للقنوجي (٩٧/١٢).

افترائهم وقبيح فهمهم، فقال:

«الوجه الأول: أن الله - ﷻ - لا يأمر بل لا يأذن في استماع كل قول حتى يقال

اللام للاستغراق والعموم بل من القول ما يحرم استماعه ومنه ما يكره، قال تعالى: ﴿وَإِذَا

رَأَيْتَ الَّذِينَ تَخُضُّونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى تَخُضُّوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ^٤ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ

الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ [سورة الأنعام: ٦٨].

فأمر - ﷻ - بالإعراض عن سماع هذا القول، ونهى عن القعود مع قائله

قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ

بِهَا وَدُسَّتْزُ أَرْبَابُهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى تَخُضُّوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ^٥ إِنَّكُمْ

إِذَا مَثَلُهُمْ^٦ ﴿[سورة النساء: ١٤٠]. فجعل سبحانه المستمع لهذا الحديث مثل قائله

فكيف سبحانه يمدح مستمع كل قول، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾

الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ

﴿٣﴾ [سورة المؤمنون: ١ - ٣]. وقال تعالى في وصف عباده: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا

كِرَامًا ﴿سورة الفرقان: ١٧٢﴾. أي أكرموا أنفسهم عن استماعه، فإذا كان الله - ﷻ -

قد أثنى على من أعرض عن اللغو ومر به كريماً، فأكرم نفسه عن استماعه، فكيف يجوز أن
يقال: إن الألف واللام للاستغراق، وينسب إلى الله سبحانه، أنه مدح مستمع كل قول، وقد

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ

كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ﴿سورة الإسراء: ٣٦﴾. فقد أخبر سبحانه أنه

يسأل العبد عن سمعه وبصره وفؤاده ونهاه أن يقفو أي يتبع ما ليس به علم.

وإذا كان السمع والبصر والكلام والفؤاد منقسماً إلى ما يؤمر به وينهى عنه

والعبد مسؤول عن ذلك كله فكيف يجوز أن يقال: كل قول في العالم فالعبد ممدوح على

استماعه ونظيره هذا أن يقال: كل مرئي في العالم فالعبد ممدوح على النظر إليه لقوله: ﴿

قُلِ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿سورة يونس: ١٠١﴾ وقوله: ﴿

أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾

[سورة الأعراف: ١٨٥].

ولهذا دخل الشيطان عليكم وعلى كثير من النساك من هذين المدخلين إذ

توسعت في النظر إلى الصور المنهي عن النظر إليها وفي استماع الأقوال والأصوات التي نهيتهم عن استماعها.

الوجه الثاني: أن المراد بالقول في هذه الآية التي احتججتم بها القرآن كما جاء

ذلك في قوله: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [سورة المؤمنون: ٦٨] وقوله: ﴿وَلَقَدْ

وَصَلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ [سورة القصص: ٥١] فالقول الذي بشر مستمعيه ومتبعي

أحسنه هو القول الذي وصله وحض على تدبره. وكلام الله يفسر بعضه بعضاً ويحمل بعضه على بعض^(١).

الوجه الثالث: أن الألف واللام هنا لتعريف العهد وهو القول الذي دعي إليه

المخاطب وأمر بتدبره، وأخبر بتوصيله له وهو كالكتاب والقرآن، والألف واللام فيه

كالألف واللام في الكتاب سواء، وكذلك الألف واللام في الرسول في قوله: ﴿وَقَالَ

الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّا قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [سورة الفرقان:

(١) استدلال بتفسير القرآن بالقرآن، أقوى وأحسن أنواع التفسير. شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين

١٣٠، وفي قوله: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا

﴾ [سورة النور: ٦٣] وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [سورة المائدة: ١٩٢].

فهل يجوز أن يقال: إن اللام في الكتاب والرسول للاستغراق فتحمل على كل كتاب وعلى كل

رسول؟

الوجه الرابع: أنها وإن كانت للعموم في قوله: ((الذين يستمعون القول)) فهي

إنما تعم القول الذي أنزل الله ﷻ ومدحه وأثنى عليه وأمر باتباعه واستماعه وتدبره وفهمه،

فهي تقتضي العموم والاستغراق في جميع هذا القول، فإنها تقتضي عموم ما عرفته وقصد

بمصحوبها.

الوجه الخامس: أن السياق كله من أول السورة إلى هذه الآية إنما هو في

القرآن^(١) قال تعالى ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ

إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ

(١) دلالة السياق قاعدة في الترجيح عند المفسرين، قواعد الترجيح عند المفسرين لحسن الحربي

الْخَالِصُ ﴿ [سورة الزمر: ١ - ٣] فذكر في أول السورة كتابه ودينه والكلم الطيب والعمل

الصالح فخير الكلام كتابه وخير العمل إخلاص الدين له، ثم أعاد ذكر الأصليين في قوله ﴿

وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى ﴿

[سورة الزمر: ١٧] فهذا إخلاص الدين له، ثم قال: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ

يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴿ فهذا كتابه فتضمنت ذكر كتابه ودينه كما

تضمنت (ذلك) أول السورة فما لأقوال المغنين والمغنيات هاهنا، ثم قال: ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ

اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن

ذِكْرِ اللَّهِ ﴿ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿ [سورة الزمر: ٢٢]. ﴿ اللَّهُ نَزَلَ

أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ

يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴿ [سورة الزمر:

٢٣]، فأنتى على أهل السماع والوجد للقول والحديث الذي أنزله ولم يشن سبحانه على

مطلق الحديث ومستمعيه، ثم أعاد سبحانه ذكر القرآن في قوله: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ

بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿ [سورة الزمر: ٣٣].

قال البخاري في صحيحه: عن مجاهد قال: ((والذي جاء بالصدق)) القرآن ((وصدق به)) المؤمن يجيء يوم القيامة بقول: « هذا الذي أعطيتني عملت بما فيه »^(١) فذكر سبحانه الصدق، والمصدق به مثنياً عليه، وقد ذكر ضدّهما وهما الكاذب والمكذب بالحق وهما نوعان ملعونان من القول، أعني الكذب والتكذيب بالحق، فكيف يكون من استمعهما ممدوحاً مستحقاً للثناء، ولا ريب أن البدع القولية والسماعية المخالفة لما بعث الله ﷺ به رسوله ﷺ من الهدى ودين الحق تتضمن أصليين: الكذب على الله والتكذيب بالحق، بل الانتصار لما خالف ذلك سواء كان سماعاً أو غيره، يتضمن الأصليين الباطلين.

الوجه السادس: أنه سبحانه قال بعد ذلك: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۗ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٥٤٧/٨)، كتاب التفسير، سورة الزمر.

تَشْعُرُونَ ﴿٢٤﴾ [سورة الزمر: ٥٣ - ٥٥]. فهذا الأحسن الذي أمر باتباعه هنا هو

الأحسن الذي بشر من اتبعه في أول السورة وهو أحسن المنزل في الموضوعين ونظير هذا

قوله تعالى لموسى في التوراة: ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا خُذُوا بِأَحْسَنِهَا ۚ

﴾ [سورة الأعراف: ١٤٥].

فهذا كله إذا تدبره المؤمن الناصح لنفسه ؛ علم علماً يقينياً أن الكتاب والقول

والحديث الذي أمر الله ﷻ باستماعه وتدبره وفهمه واتباع أحسنه هو كلامه المجيد الذي لا

يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وأما مدح الاستماع لكل

قول فهذا لا يليق نسبته إلى العقلاء فضلاً عن رب الأرض والسماء يوضحه :

الوجه السابع: وهو أن الله سبحانه في كتابه إنما أثنى على المستمعين للقرآن

وحمد هذا السماع وذم المعرضين عنه، وجعلهم أهل الكفر والجهل، الصم البكم الذي لا

يعقلون قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ

تُزَكَّمُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾ [سورة الأعراف: ٢٠٤]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ

الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا

وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢١﴾ [سورة الأنفال: ٢٢].

وقال تعالى في حق المنعم عليهم: ﴿ إِذَا تَتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُ الرَّحْمَنِ

خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [سورة مريم: ٥٨]. وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ

إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾

[سورة المائدة: ٨٣]. وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ

يَخْرُوتُ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ [سورة الإسراء: ١٠٧]. وقال في ذم المعرضين عن هذا

السماع: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾

وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ۗ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ

﴿٢٣﴾ [سورة الأنفال: ٢٢، ٢٣]. وقال: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي

يَنعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۗ صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

﴿ [سورة البقرة: ١٧١]. وقال: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ

يَخْرُوتُ عَلَيْهَا صُغًا وَعُمَيَانًا ﴾ [سورة الفرقان: ١٧٣].

وهذا كثير في القرآن وكتاب الله يبين بعضه بعضاً.

الوجه الثامن: أنه سبحانه قال: ((فبشر عباد، الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه)) فمدحهم باستماع القول واتباع أحسنه، ومن المعلوم أن كثيراً من القول بل أكثره ليس فيه حسن فضلاً عن أن يكون أحسن بل غالب القول يكب قائله في النار على منخره.

والأقوال التي ذمها الله في كتابه أكثر من أن تعد، كالقول الخبيث، والقول الباطل، والقول عليه بما لا يعلم القائل، والكذب والافتراء والغيبة والتنازع بالألقاب والتناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتبیت ما لا يرضى من القول وقول العبد بلسانه ما ليس في قلبه، وقوله ما لا يفعله، وقول اللغو وقول ما لم ينزل به سلطاناً، والقول المتضمن للشفاعة السيئة والقول المتضمن للمعاونة على الإثم والعدوان وأمثال ذلك من الأقوال المسخوطة والمبغوضة للرب تعالى التي كلها قبيحة لا حسن فيها ولا أحسن فادعاء العموم في الآية في غير القول الذي أنزله الله ﷻ على رسوله ﷺ من الكتاب والسنة من أبطل الباطل.

الوجه التاسع: أنه سبحانه علق الهداية على اتباع أحسن هذا القول فقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ ومن المعلوم بالاضطرار أن الهداية إنما حصلت

لمن اتبع القرآن، فهو الذي هداه الله فأين الهدى في أقوال المغنين والمغنيات؟^(١) انتهى كلام
ابن القيم.

وإضافة لما ذكره الإمام ابن القيم؛ أقول:

١ - إن كلام الوعظ والإرشاد الذي يهدي إلى الحق
والصواب لا بد أن يكون مستمداً من وحي القرآن
والسنة الذي هو أحسن القول، وإن لم يكن كله قرآن
وسنة فقط.

٢ - مع تأكيده على أن أقوال الغناء وغيرها من الأقوال السيئة لا يمكن أن تدخل في
العموم المستفاد من الألف واللام في (القول)، إلا أنه لا يمنع أن يدخل تحت عموم
القول كلام الوعظ والإرشاد والدعوة إلى الدين الحق وما إلى ذلك.

٣ - ختاماً يظهر لي - والله أعلم - أن الراجح في بيان المراد بالقول أنه على العموم
المخصوص، بمعنى: أنهم يستمعون الأقوال ولكن هناك أقوال لا يستمعونها أصلاً

(١) بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم (٤/٥٢ - ٥٨).

- وهي ما ذكره ابن القيم في الوجه الثامن ونحوها - فهؤلاء المدوحون في الآية يستمعون القول « ليميزوا بين ما ينبغي إثارة مما ينبغي اجتنابه، فلهذا من حزمهم وعقلهم أنهم يتبعون أحسنه، وأحسنه على الإطلاق كلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ، كما قال في هذه السورة ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [سورة الزمر: ٢٣]»^(١).

٤- فإذا اتبعوا القرآن والسنة. وجدوا ما هو حسن وما هو أحسن، وهو المعبر عنه بالفاضل والأفضل، والواجب والندب، والعفو والقصاص، والرخصة والعزيمة... ونحوها، فيتبعون الأفضل والأحسن إيثارة للأجر الأعلى. والله أعلم بالصواب.



المراد بالشهداء

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٧٢٢).

٥٨ - قوله تعالى: ﴿ وَجِئْنَا بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [سورة الزمر: ٦٩].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

اختلف المفسرون في المراد بالشهداء في الآية على أقوال:

- ١ - أن الشهداء هم الرسل من البشر، الذين أرسلوا إلى الأمم، فلا يُقضى بين أمة حتى يأتي رسولها^(١).
- ٢ - أن المراد بالشهداء: أمة محمد ﷺ، يشهدون للرسل أنهم بلغوا رسالة الله ﷻ^(٢).
- ٣ - أن الشهداء هم الحفظة من الملائكة^(٣).

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦٢/٧).

(٢) جامع البيان للطبري (٢٢/٢٤).

(٣) مدارك التنزيل للنسفي (٥٢/٤).

٤- أو يراد بالشهداء كل من يشهد على الإنسان يوم القيامة من الملائكة والأعضاء والأرض وغيرها^(١).

وهذه الأقوال الأربعة مبنية على أن الشهداء جمع شاهد^(٢).

٥- أن الشهداء هم الذين استشهدوا في طاعة الله ﷻ^(٣). وهذا القول مبني على أن الشهداء جمع شهيد^(٤).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « اختلف العلماء في المراد بالشهداء في هذه الآية الكريمة، فقال بعضهم: هم الحفظة من الملائكة الذين كانوا يحصون أعمالهم في الدنيا، واستدل من قال هذا بقوله تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا

سَاقٍ وَسَّهِيْدٌ ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣].

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٧٣٠).

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوي (٣٥٣/٧).

(٣) النكت والعيون للماوردي (١٣٧/٥).

(٤) حاشية الشهاب على البيضاوي (٣٥٣/٧).

وقال بعض العلماء: الشهداء أمة محمد ﷺ، يشهدون على الأمم، كما قال تعالى ﴿

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ

الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [سورة البقرة: 143].

وقيل: الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله ﷻ.

وأظهر الأقوال في الآية عندي؛ أن الشهداء هم الرسل من البشر، الذين أرسلوا إلى
الأمم؛ لأنه لا يُقضى بين الأمة حتى يأتي رسولها، كما صرح تعالى بذلك في سورة

يونس في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ

قَضَىٰ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة يونس: 47].

فصرح جل وعلا بأنه يسأل الرسل عما أجابتهم به أمهم، كما قال تعالى: ﴿

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ [سورة المائدة: 109].

وقال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ

الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الأعراف: 6]، وقد يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ

شَهِيدًا﴾ [سورة النساء: 41]. لأن كونه ﷺ هو الشهيد على هؤلاء

الذين هم أمته، يدل على أن الشهيد على كل أمة هو رسولها.

وقد بين تعالى أن الشهيد على كل أمة من أنفس الأمة، فدل على أنه ليس من

الملائكة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ

أَنْفُسِهِمْ ۗ ﴾ [سورة النحل: ١٨٩]، والرسول من أنفس الأمم كما قال تعالى في نبينا محمد ﷺ ﴿

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ۗ ﴾ [سورة التوبة: ١٢٨] وقال تعالى: ﴿

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ ۗ ﴾ [سورة

آل عمران: ١٦٤] ^(١).

ولم أجد أحداً من المفسرين وافق الشيخ الشنقيطي فيما ذهب إليه.

المخالفون:

وأعني بهم الذين رجّحوا قولاً واحداً من الأقوال المذكورة في مجمل الأقوال،

وهم - بحسب بيانهم لمعنى الآية - فئات:

أ- الذين قالوا إن المراد بالشهداء أمة محمد ﷺ، يشهدون للرسول أنهم بلغوا رسالة الله

ﷺ، منهم:

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦٢/٧).

١- الإمام الطبري: « وقوله ((وجيء بالنبيين والشهداء)) يقول وجيء بالنبيين ليسألهم ربهم عما أجابتهم به أمهم وردت عليهم في الدنيا حين أتتهم رسالة الله ﷺ، والشهداء يعني بالشهداء أمة محمد ﷺ يستشهدهم ربهم على الرسل فيما ذكرت من تبليغها رسالة الله ﷻ التي أرسلهم بها ربهم إلى أممها إذ جحدت أمهم أن يكونوا أبلغوهم رسالة الله ﷻ، والشهداء جمع شهيد وهذا نظير قول الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ لسورة البقرة:

٢١٤٣. وقيل: عنى بقوله ((الشهداء)) الذين قتلوا في سبيل الله ﷻ، وليس لما قالوا من ذلك في هذا الموضوع كبير معنى؛ لأن عقيب قوله: ((وجيء بالنبيين والشهداء)) ((وقضى بينهم بالحق)) وفي ذلك دليل واضح على صحة ما قلنا من أنه دعى بالنبيين والشهداء للقضاء بين الأنبياء وأممها»^(١).

٢- ابن جزى: « ((وجيء بالنبيين)) ليشهدوا على قومهم ((والشهداء)) يحتتمل أن يكون جمع شاهد أو جمع شهيد في سبيل الله ﷻ، والأول أرجح لأن فيه الوعيد معنى ولأنه أليق بذكر الأنبياء الشاهدين، والمراد على هذا أمة محمد ﷻ

لأنهم يشهدون على الناس»^(١).

وبعبارات مقاربة قال كل من الواحدي^(٢)، والمحلي^(٣)، والجمل^(٤).

ب- الذين قالوا إن الشهداء هم الحفظة من الملائكة، منهم:

١- الإمام ابن كثير: «(والشهداء)) أي الشهداء من الملائكة الحفظة على أعمال

العباد من خير وشر»^(٥).

٢- البقاعي: «(وجيء بالنبيين)) للشهادة على أهمهم بالبلاغ، ولما كان أقل ما

يكون الشهود ضعف المكلفين؛ عبّر بجمع الكثرة قال ((والشهداء)) أي الذين

(١) التسهيل لابن جزي (٤٣٢/٣).

(٢) الوجيز للواحدى (٩٣٩/٢).

(٣) تفسير الجلالين ص (٣٩١).

(٤) الفتوحات الإلهية للجمل (٦١٢/٣).

وهو: سليمان بن عمر بن منصور العجيلي، المعروف بالجمل، فقيه مفسر، صاحب الحاشية

المعروفة بـ (الفتوحات الإلهية على تفسير الجلالين). توفي سنة (١٢٠٤هـ). الأعلام (١٣١/٣).

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦٤/٤).

وكلوا بالمكلفين فشاهدوا أعمالهم فشهدوا بها وضبطوها؛ فأصلت الأصول
وصورت الدعاوى وأقيمت البيئات على حسنها من طاعة أو معصية، ووقع
الجزاء على حسب ذلك، فظهر العدل رحمة للكفار، وبان الفضل رحمة
للمسلمين»^(١).

والمراغي^(٢)، وابن عاشور^(٣)، عبارتهما تشبه جداً ما ذكره ابن كثير قبل قليل.

ج - الذين فسروا الشهداء على العموم، بأنهم كل من يشهد على الإنسان يوم
القيامة، منهم:

١ - نظام الدين النيسابوري: «(وجيء بالنبيين)) ليسألهم ربهم عن تبليغ الرسالة
ويجيب قومهم بما يجيبون، والمراد بالشهداء الذين يشهدون للأمم وعليهم من

(١) نظم الدرر للبقاعي (١٦/٥٦٣).

(٢) تفسير المراغي (٢٤/٣٤).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٤/٦٧).

الحفظة والأخبار ومن الجوارح والمكان والزمان أيضاً...»^(١).

٢- السعدي: « (وجيء بالنبيين) يُسألوا عن التبليغ، وعن أمهم، ويشهدوا

عليهم ((والشهداء)) من الملائكة، والأعضاء، والأرض»^(٢).

وأما من جمع الأقوال أو بعضها دون ترجيح، فمنهم: الإمام الماوردي^(٣)،

والبغوي^(٤)، والزمخشري^(٥)، وابن عطية^(٦)، وابن الجوزي^(٧)، والفخر الرازي^(٨)،

(١) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (١٩/٢٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٧٣٠).

(٣) النكت والعيون للماوردي (١٣٧/٥).

(٤) مختصر البغوي (٨١٥/٢).

(٥) الكشاف للزمخشري (١٤١/٤).

(٦) المحرر الوجيز لابن عطية (٥٦٨/١٢).

(٧) زاد المسير لابن الجوزي (٢٧/٧).

(٨) التفسير الكبير للفخر الرازي (٤٧٨/٩).

والقرطبي^(١)، والخبازن^(٢)، وأبي حيان^(٣)، والبيضاوي^(٤)، والشعالبي^(٥)، وأبي السعود^(٦)،
السعود^(٦)، والشوكاني^(٧)، والألوسي^(٨)، والقنوجي^(٩)، والقاسمي^(١٠).

تعقيب الباحث:

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٨٣/١٥).

(٢) لباب التأويل للخبازن (٧١/٦).

(٣) البحر المحيط لأبي حيان (٢٢٣/٩).

(٤) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٧٥/٢).

(٥) جواهر الحسان للشعالبي (٦٣/٤).

(٦) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٦٢٥/٤).

(٧) فتح القدير للشوكاني (٤٥٨/٤).

(٨) روح المعاني للألوسي (٣١/٢٤).

(٩) فتح البيان للقنوجي (١٤٩/١٢).

(١٠) محاسن التأويل للقاسمي (٥١٥١/١٤).

يظهر - والله أعلم - أن حمل الآية على جميع ما سبق ذكره من بيان لمعنى الشهداء هو الراجح هنا، سواء ما ذكره الشيخ الشنقيطي أو ما ذكره المخالفون - مع ملاحظة أن القول الخامس في مجمل الأقوال لم يرجحه أحد، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله ﷻ - والأدلة على ما قلته من الترجيح ما يلي:

- ١ - حكى ابن الجوزي إجماع الجمهور^(١) على أن الشهداء يراد بهم الذين يشهدون على الناس بأعمالهم، وعليه فقد اجتمع الشنقيطي ومخالفوه، فكل أحد منهم قد ذكر نوعاً من أنواع مَنْ يشهد.
- ٢ - واتفق الشنقيطي والمخالفون في أن لفظ (الشهداء) جمع شاهد؛ الذي يشهد لغيره وعلى غيره، وليس جمع شهيد الذي قتل في سبيل الله ﷻ.
- ٣ - ما رجّحه الشنقيطي، أن الشهداء هم الرسل من البشر يشهدون على أممهم قد استدلل له بعدد من آيات القرآن الكريم، وهذا تفسير للقرآن بالقرآن أقوى أنواع التفسير^(٢).

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٢٧/٧).

(٢) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(١٢٧)، قواعد التفسير لخالد السبت (١٠٩/١).

٤ - إن عطف الشهداء على الأنبياء مراداً بهم نفس الأنبياء - ما ذهب إليه الشنقيطي - من

باب عطف الصفة على الصفة بالواو، كما تقول: جاءني زيد الكريم والعاقل^(١).

٥ - كذلك فإن كل قول رجحه المخالفون له ما يؤيده من آيات القرآن الكريم:

فمن قال بأنهم أمة محمد ﷺ يشهدون للرسول بأنهم بلغوا رسالة الله ﷻ، استدل

بقوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى

النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣].

ومن قال بأنهم الحفظة من الملائكة استدل بقوله تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ

نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [سورة ق: ٢١].

ومن ذكر من ضمن الشهود الجوارح والأرض وغيرها يؤيده قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ

تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة

النور: ٢٤]، وقوله تعالى عن الأرض: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ [سورة

الزلزلة: ٤] ونحوها.

٦- القول بأن الشهداء يراد بهم الذين قتلوا في سبيل الله ﷺ لم يرجحه أحد من المفسرين إطلاقاً، مما يدل أنه وإن ورد في بعض كتب التفسير إلا أنه لا يصح أن يكون مراداً في هذه الآية.

٧- إلحاقاً للنقطة السابقة... بل إن عدداً من المفسرين صرّحوا بأن هذا المعنى لا يصح أن يراد هنا سواء بترجيحهم لغيره أو ردّهم عليه بأنه لا يناسب المقام؛ بعبارات متنوعة، منهم: الطبري^(١)، وابن عطية^(٢)، وابن الجوزي^(٣)، ونظام الدين النيسابوري^(٤)، وابن جزي^(٥)، وأبي حيان^(٦)، والشعالبي^(٧)، والألوسي^(٨).

(١) جامع البيان للطبري (٢٢/٢٤).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٥٦٨/١٢).

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٢٧/٧).

(٤) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (١٩/٢٤).

(٥) التسهيل لابن جزي (٤٣٢/٣).

(٦) البحر المحيط لأبي حيان (٢٢٣/٩).

(٧) جواهر الحسان للشعالبي (٦٣/٤).

- ٨- الذين جمعوا الأقوال فقط دون ترجيح أحدها على البقية ، اتفقوا عند إيرادهم لقول (المستشهدون في سبيل الله ﷺ) على عدم إيراد دليل يقويه ، بل ربما يوردوه بصيغة التمريض (قيل)^(٢). والله أعلم بالصواب.



(١) روح المعاني للألوسي (٣١/٢٤).

(٢) الكشف للزمخشري (١٤١/٤) ، التفسير الكبير للفخر الرازي (٤٧٨/٩) ، الجامع لأحكام القرآن

للقرطبي (٢٨٣/١٥) ، أنوار التنزيل للبيضاوي (١٧٥/٢) ، إرشاد العقل السليم لأبي السعود

(٤/٦٢٥).

معنى الإمامتين والإحياءتين

٥٩- قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [سورة غافر:

.١١١

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

			القول الثاني
١- في دار الدنيا	الإحياء	١- كونهم نطفاً وعلقاً ومضغاً قبل نفخ الروح	الإمامة
٢- البعث من القبور من أجل		٢- انقضاء الأجل	

١- في دار الدنيا	الإحياء		الإمامة	القول الثاني
٢- في القبور		١- عند انقضاء الأجل		
٣- البعث من		٢- في القبر إلى وقت البعث		

١ - حين أخذ	الإمامة	القول الثالث
٢ - أحياءهم -		
٣ - البعث من		
	١ - أماتهم بعد أخذ الميثاق	
	٢ - عند انقضاء آجالهم	

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « التحقيق الذي لا ينبغي العدول عنه ؛ أن المراد بالإماتتين في هذه الآية الكريمة: الإمامة الأولى التي هي كونهم في بطون أمهاتهم نطفاً وعلقاً ومضغاً، قبل نفخ الروح فيهم، فهم قبل نفخ الروح فيهم لا حياة لهم، فأطلق عليهم بذلك الاعتبار اسم الموت. والإمامة الثانية هي إمامتهم وصيرورتهم إلى قبورهم عند انقضاء آجالهم في دار الدنيا.

وأن المراد بالإحياءتين: الإحياءة الأولى في دار الدنيا، والإحياء الثانية التي هي البعث من القبور إلى الحساب والجزاء والخلود الأبدي الذي لا موت، إما في الجنة وإما في النار.

والدليل من القرآن على أن هذا القول في الآية هو التحقيق ؛ أن الله ﷻ صرح به

واضحاً في قوله جل وعلا: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا

فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة

البقرة: ٢٢٨. وبذلك تعلم أن ما سواه من الأقوال في الآية لا معول عليه ^(١).

فبخلاصة بسيطة يمكننا القول إن القول الراجح عند الشيخ

الشنقيطي هو القول الأول الوارد في مجمل الأقوال، فانظره.

الموافقون :

لقد ذهب إلى مثل ما ذهب إليه الشنقيطي في بيان المراد بالإماتتين والإحياءتين

جمهور من المفسرين معتبرين الإمامتين؛ الأولى: كونهم نطقاً وعلقاً ومضغاً قبل نفخ

الروح، والثانية: الموت بعد انقضاء الأجل. وأما الإحياءتين؛ فالأولى: حياتهم في دار

الدنيا، والثانية: حياتهم في الآخرة بعد البعث، وترجيح من رجّح هذا القول جاء على

أشكال متنوعة:

أ- التصريح بأنه هو الراجح في الآية أو الصواب ونحو ذلك.

ب- الردّ على القولين الآخرين بأنهما ضعيفان أو خلاف ظاهر القرآن ونحو ذلك.

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٧٢/٧).

ج- أو بذكر الراجح وحده فقط دون التطرق لغيره من الأقوال.

وهاكم نماذج من أقوال الموافقين :

١- الإمام الواحدي: « (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنين) » وذلك أنهم كانوا

أمواتاً نطفاً فأحيوا ثم أميتوا في الدنيا ثم أحيوا للبعث ^(١).

٢- الزمخشري: « ((اثنتين)) إمامتين وإحياءتين، أو موتتين وحياتين. وأراد بالإمامتين:

خلقهم أمواتاً أولاً، وإمامتهم عند انقضاء آجالهم، وبالإحياءة الإحياءة الأولى

وإحياءة البعث. وناهيك تفسيراً لذلك قوله تعالى: ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا

فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ [سورة البقرة: ٢٨] [وذكر

بعد ذلك أحد الأقوال الأخرى وعلق بأنه: [خلاف ما في القرآن] ^(٢).

٣- ابن كثير: « وقوله ((قالوا ربنا أمتنا اثنتين)) : هذه الآية كقوله تعالى:

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ

(١) الوجيز للواحدى (٢/٩٤٢).

(٢) الكشاف للزمخشري (٤/٥٠١).

يُمِيتُكُمْ ثُمَّ مُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿ [سورة البقرة: ٢٨]. وهذا

هو الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية. اثم ذكر القولين الآخرين وقال عنهما
إنهما: [ضعيفان] ^(١).

٤ - الثعالبي: « واختلف في معنى قولهم أمتنا اثنتين... فقال ابن عباس وغيره:

أرادوا مودة كونهم في الأصلاب ثم إحياءهم في الدنيا ثم إماتتهم الموت

المعروف، ثم إحياءهم يوم القيامة، وهي كالتي في سورة البقرة: ﴿ كَيْفَ

تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَانًا ﴾ [سورة البقرة: ٢٨] لوذكر

قولاً آخر ثم قال بعده: [والأول أثبت] ^(٢).

٥ - القاسمي: « (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) أي أنشأنا أمواتاً مرتين،

وأحييتنا في النشأتين كما قال تعالى: ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَانًا فَأَحْيَاكُمْ ط

ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ مُحْيِيكُمْ ﴾ [سورة البقرة: ٢٨] قال قتادة: كانوا أمواتاً

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧٤/٤). بتصرف يسير.

(٢) جواهر الحسان للثعالبي (٦٨/٤).

في أصلاب آبائهم، فأحياهم الله ﷻ في الدنيا، ثم أماتهم الموتة التي لا بد

منها، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة. فهما حياتان وموتتان»^(١).

ونحو ذلك جاء كلام الإمام ابن الجوزي^(٢)، وابن جزري^(٣)، وأبي حيان^(٤)،

والمحلي^(٥)، والبقاعي^(٦)، والمراغي^(٧)، وابن عاشور^(٨).

ولم يخالف أحد هنا، فالقولان الآخران لم يجزم لهما أحد بالترجيح، بل هناك

من ردّ عليهما وضعفهما، وسيأتي في التعقيب إن شاء الله.

(١) محاسن التأويل للقاسمي (٥١٥٨/١٤).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٣٥/٧).

(٣) التسهيل لابن جزري (٥/٤).

(٤) البحر المحيط لأبي حيان (٢٤١/٩).

(٥) تفسير الجلالين ص (٣٩٣).

(٦) نظم الدرر للبقاعي (١٩/١٧).

(٧) تفسير المراغي (٥١/٢٤).

(٨) التحرير والتنوير لابن عاشور (٩٧/٢٤).

تعقيب الباحث:

يظهر - والله أعلم - أن الراجح في تحديد الإمامتين والإحياءتين هو ما ذهب

إليه الجمهور ومنهم شيخنا الشنقيطي، يدل لذلك أمور:

١ - إن أقوى وأحسن وأفضل أنواع التفسير تفسير القرآن بالقرآن^(١)، وإن آية سورة غافر

التي نحن بصددنا قد أجمع المفسرون على تفسيرها بآية سورة البقرة: ﴿كَيْفَ

تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمَوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ

ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ [سورة البقرة: ٢٨] ففي سورة غافر ذكر الإمامتين

والإحياءتين بإجمال، وفي آية سورة البقرة ذكرت بتفصيل وترتيب.

فممن ذكر آية سورة البقرة تفسيراً لآية سورة غافر؛ الإمام البغوي^(٢)، والنسفي^(٣)،

(١) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(١٢٧)، قواعد التفسير لخالد السبت (١٠٩/١).

(٢) مختصر البغوي (٨١٨/٢).

(٣) مدارك التنزيل للنسفي (٥٦/٤).

والزّمخشري^(١)، وابن الجوزي^(٢)، والقرطبي^(٣)، ونظام الدين النيسابوري^(٤)، وابن جزري^(٥)،
 وأبوحيان^(٦)، وابن كثير^(٧)، والثعالبي^(٨)، والبقاعي^(٩)، والشوكاني^(١٠)، والقنوجي^(١١)،
 والقاسمي^(١٢)، والمراغي^(١).

(١) الكشاف للزّمخشري (١٥٠/٤).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٣٥/٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٩٧/١٥).

(٤) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (٣٠/٢٤).

(٥) التسهيل لابن جزري (٥/٤).

(٦) البحر المحيط لأبي حيان (٢٤١/٩).

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧٣/٤).

(٨) جواهر الحسان للثعالبي (٦٨/٤).

(٩) نظم الدرر للبقاعي (١٩/١٧).

(١٠) فتح القدير للشوكاني (٤٦٦/٤).

(١١) فتح البيان للقنوجي (١٦٧/١٢).

(١٢) محاسن التأويل للقاسمي (٥١٥٨/١٤).

٢- إجماع جمهور السلف على اختيار هذا المعنى الراجح ، وقد حكى إجماع الجمهور

كل من الإمام الشوكاني^(٢) والقنوجي^(٣).

٣- كذلك عدم وجود مخالف على الإطلاق يدل على قوة ترجيح المعنى المختار.

٤- وليس فقط عدم وجود مخالف ، بل هناك من المفسرين من ردّ على الأقوال الأخرى ؛

من ذلك :

أ- الزمخشري ، بعد القول الراجح ذكر القول المرجوح وقال عنه بأنه « خلاف ما في

القرآن »^(٤).

ب- ابن جزى ، قال بعد القول المرجوح إنه « قول فاسد »^(٥).

(١) تفسير المراغي (٥١/٢٤).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٤٦٦/٤).

(٣) فتح البيان للقنوجي (١٦٧/١٢).

(٤) الكشاف للزمخشري (١٥٠/٤).

(٥) التسهيل لابن جزى (٥/٤).

ج - أبوحيان، قال عن المرجوح إنه « خلاف القرآن »^(١).

د - ابن كثير، بعد القولين المرجوحين قال: « إنهما ضعيفان »^(٢).

٥ - مما يؤيد القول الراجح أيضاً - استناداً على آية سورة البقرة - أنه بدأ بذكر الإمامة

أولاً^(٣) ثم الحياة الدنيا ثم الموت بعد انقضاء الأجل ثم البعث في الآخرة، في حين أن

كلا القولين المرجوحين يُبدأ فيها بالحياة - أوضحتها في مجمل الأقوال - وهذا

خلاف ما ورد في القرآن الكريم.

٦ - لقد قال المفسرون عن الاختيار الراجح إنه هو الأصح^(٤)، وهو الصواب^(٥)، وهو

الأثبت^(٦). والله أعلم بالصواب.

(١) البحر المحيط لأبي حيان (٢٤١/٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧٣/٤).

(٣) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (٣٠/٢٤).

(٤) زاد المسير لابن الجوزي (٣٥/٧).

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧٣/٤).

(٦) جواهر الحسان للثعالبي (٦٨/٤).



من الرجل؟

٦٠ - قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ [سورة غافر: ٢٨].

مجمال الأقوال الواردة في الآية:

اختلف المفسرون في هذا الرجل المؤمن على أقوال:

- ١ - أنه كان ابن عم فرعون بمنزلة وليّ العهد وكان يخفي إيمانه من فرعون وقومه خوفاً على نفسه^(١).

(١) جامع البيان للطبري (٣٨/٢٤)، النكت والعيون للماوردي (١٥٢/٥)، إيجاز البيان للنيسابوري

٢- أنه كان قبطياً من جنسه ولم يكن من أهله^(١).

٣- أنه كان إسرائيلياً ولكنه كان يكتنم إيمانه من آل فرعون^(٢).

والقولان الأول والثاني متداخلان ومتشابهان جداً بل يكادان يكونان قولاً

واحداً في ثنايا كلام المفسرين.

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « ذكر جل وعلا في هذه

الآية الكريمة أن رجلاً مؤمناً من آل فرعون يكتنم إيمانه، أي يخفي عنهم أنه مؤمن، أنكر

على فرعون وقومه إرادتهم قتل نبي الله موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: حين قال

فرعون: ذروني أقتل موسى وليدع ربه. مع أنه لا ذنب له يستحق به القتل، إلا أنه يقول:

قال (١٧٣/٢).

(١) النكت والعيون للماوردي (١٥٢/٥).

(٢) جامع البيان للطبري (٣٨/٢٤).

ربي الله...

والتحقيق أن الرجل المؤمن المذكور في هذه الآية من جماعة فرعون كما هو
ظاهر قوله تعالى ((من آل فرعون)).

فدعوى أنه إسرائيلي، وأن في الكلام تقدماً وتأخيراً، وأن من آل فرعون متعلق
بيكتم، أي وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون أي يخفي إيمانه عن فرعون وقومه؛
خلاف التحقيق، كما لا يخفى^(١).

الموافقون:

جمع غفير من المفسرين متفقون على أن الرجل المؤمن كان من آل فرعون، وهو
هو ما رجحه الشيخ الشنقيطي - رحمة الله عليهم جميعاً - فمنهم:

- ١- الإمام الطبري، بعد أن ذكر القول الأول بأن الرجل من آل فرعون، ثم ذكر القول
الثاني وأن الرجل إسرائيلي، قال: « وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي أن

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٧/٨٥).

الرجل المؤمن كان من آل فرعون قد أصغى لكلامه واستمع منه ما قاله وتوقف عن قتل موسى عند نهيه عن قتله وقيله ما قاله ، وقال له ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ، ولو كان إسرائيلياً لكان حرياً أن يعاجل هذا القاتل له وملئه ما قال بالعقوبة على قوله لأنه لم يكن يستنصح بني إسرائيل لاعتداده إياهم أعداء له فيكف بقوله عن قتل موسى لو وجد إليه سبيلاً ، ولكنه لما كان من ملأ قومه استمع قوله وكف عما كان هم به في موسى - ~~الطبري~~ - «^(١) .

٢- ابن جزري : « (وقال رجل مؤمن من آل فرعون) ... روي أن هذا الرجل المؤمن كان ابن عم فرعون ، فقوله من آل فرعون صفة للمؤمن . وقيل : كان من بني إسرائيل ، فقوله من آل فرعون على هذا يتعلق بقوله يكتنم إيمانه . والأول أرجح ؛ لأنه لا يحتاج فيه إلى تقديم وتأخير ، ولقوله : ﴿ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ ﴾ لسورة غافر : ٢٩ ؛ لأن هذا كلام قريب شفيق ، ولأن بني إسرائيل حينئذ كانوا أذلاء بحيث

لا يتكلم أحد منهم بمثل هذا الكلام»^(١).

٣- ابن كثير: « المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان قبطياً »^(٢). ثم تكلم عن ترجيح الطبري الطبري لهذا القول وردّه للقول الآخر. وقد مرّ معنا كلام الطبري قريباً.

٤- البقاعي: « ((وقال رجل)) أي كامل في رجوليته ((مؤمن)) أي راسخ الإيمان فيما جاء به موسى - ~~عليه السلام~~ - . ولما كان للإنسان، إذا عم الطغيان، أن يسكن بين أهل العدوان، إذا نصح بحسب الإمكان، أفاد ذلك بقوله ((من آل فرعون)) أي وجوههم ورؤسائهم ((يكنتم إيمانهم)) أي يخفيه إخفاء شديداً خوفاً على نفسه؛ لأن الواحد إذا شد عن قبيلة يطمع فيه ما لا يطمع إذا كان واحداً من جماعة مختلفة، مخيلاً لهم بما يوقفهم عن الإقدام على قتله من غير تصريح بالإيمان »^(٣).

٥- المراغي: « الرجل المؤمن هو ابن عم فرعون ووليّ عهده وصاحب شرطته، وهو

(١) التسهيل لابن جزي (٨/٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧٧/٤).

(٣) نظم الدرر للبقاعي (٥٣/١٧).

الذي نجا مع موسى، وهو المراد بقوله ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ

يَسْعَى ﴾ [سورة القصص: ٢٠]»^(١).

٦- السعدي: « هذا الرجل المؤمن، الذي من آل فرعون، من بيت المملكة، لا بد أن

يكون له كلمة مسموعة، وخصوصاً إذا كان يظهر موافقتهم ويكتم إيمانه، فإنهم

يراعونه في الغالب ما لا يراعونه لو خالفهم في الظاهر... قال ذلك الرجل المؤمن

الموفق العاقل الحازم، مقبحاً فعل قومه، وشناعة ما عزموا عليه (أتقتلون رجلاً أن

يقول ربي الله)»^(٢).

٧- سيد قطب « ... هنا انتدب رجل من آل فرعون، وقع الحق في قلبه، ولكنه كتم إيمانه

انتدب يدفع عن موسى - ~~عليه السلام~~ - ، ويحتال لدفع القوم عنه، ويسلك في خطابه

لفرعون وملئه مسالك شتى، ويتدسس إلى قلوبهم بالنصيحة، ويثير حساسيتها

(١) تفسير المراغي (٥٨/٢٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن لسعدي ص (٧٣٦).

بالتخويف والإقناع»^(١).

وبمثل ذلك وبعبارات مقاربة رجح كل من: الإمام النسفي^(٢)، والزمخشري^(٣)،
والنيسابوري^(٤)، والفخر الرازي^(٥)، ونظام الدين النيسابوري^(٦)، والمحلي^(٧)،
والألوسي^(٨)، وابن عاشور^(٩).

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٣٠٧٨/٥).

(٢) مدارك التنزيل للنسفي (٥٨/٤).

(٣) الكشاف للزمخشري (١٥٨/٤).

(٤) إيجاز البيان للنيسابوري (١٧٣/٢).

(٥) التفسير الكبير للفخر الرازي (٥٠٩/٩).

(٦) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (٤٠/٢٤).

(٧) تفسير الجلالين ص (٢٩٥).

(٨) روح المعاني للألوسي (٦٣/٢٤).

(٩) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٢٨/٢٤).

ولا يوجد هنا مخالف.

تعقيب الباحث:

الراجح في هذه الآية حسب ما يظهر - والله أعلم - أن الرجل المؤمن من أشد

قربة فرعون وخاصته وجلسائه، يؤيد هذا الترجيح أمور عدة، منها:

١ - من قواعد الترجيح المؤيدة لهذا القول، قاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن

الكريم إلا بدليل يجب الرجوع إليه^(١)، فإن ما يدل عليه ظاهر ألفاظ الآية أن الرجل

من (آل فرعون) يعني من قرابته وعشيرته، فلا يصح أن يقال إن الرجل من بني

إسرائيل وقد صرح القرآن الكريم أن الرجل من آل فرعون.

٢ - كذلك قاعدة أخرى في الترجيح تؤيده هي قاعدة: القول بالترتيب مقدم على القول

بالتقديم والتأخير، « إذا اختلف المفسرون في تفسير آية من كتاب الله ﷻ وكان

خلافهم دائراً بين مدعٍ للتقديم والتأخير في الآية ومبقي لها على ترتيبها، فأولى القولين

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (١٣٧/١).

بالصواب قول من قال بالترتيب ؛ لأنه الأصل في الكلام ، ولا ينتقل عن الأصل إلا
بدليل واضح ، وقرينة بيّنة ، لاسيما إذا استقام المعنى بدونهُ ، فإذا احتتم الأمر وعدم
الدليل والقرينة فالقول الحق أن يبقى الكلام على ترتيبه ^(١) وهذا ينطبق على
الترجيح في هذه الآية ، فإن من يقول إن الرجل كان إسرائيلياً بينونه على اعتبار أن في
الآية تقدماً وتأخيراً ، كأنها : وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون ، بتقديم
(يكنتم إيمانه) وتأخير (من آل فرعون) ، وأما المرجحون لكونه من آل فرعون ؛ فالمعنى
عندهم مبني على بقاء ألفاظ الآية على ترتيبها ، وقولهم هو الراجح بناء على القاعدة
المذكورة.

٣- إن المتأمل في الآيات يجد أن طريقة مخاطبة هذا الرجل المؤمن لفرعون تشمل على ما يدل أنه فعلاً
من قرابة فرعون ، فهو يستخدم لفظة (يا قوم) عدة مرات ، فلن يكون الرجل من بني إسرائيل
ويخاطب فرعون ومن معه بلفظ (يا قوم) ، من ذلك ﴿ يَنْقُومُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ
ظَهْرَيْنَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ﴾ [سورة غافر :

﴿ يَنْقُومِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴾ [سورة

غافر: ٢٣٠، ﴿ يَنْقُومِ آتِبِعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [سورة

غافر: ٢٣٨] وغيرها^(١).

٤- يلاحظ أن فرعون « أصغى لكلام هذا الرجل واستمع منه ما قاله وتوقف عن قتل

موسى - ~~الطير~~ - عند نهيه عن قتله^(٢)، مما يدل على أن الرجل ذو مكانة

اجتماعية ومنصب رفيع عند فرعون، ولو كان هذا الرجل إسرائيلياً لكان أسرع ما

يكون إليه هو نفسه القتل، هذا لمجرد كونه إسرائيلياً، فكيف لو تكلم بمثل هذا

الكلام، وقد جاء على لسان فرعون - فيما حكاه القرآن عنه - ﴿ أَقْتُلُوا أَبْنَاءَ

الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ﴾ [سورة غافر: ٢٥] ففي هذا أيضاً دليل على أن

الرجل من قوم فرعون وليس من بني إسرائيل.

٥- إن الدلالة اللغوية للفظ (آل) ترجح كون الرجل من قرابة فرعون « لأن لفظ الآل يقع

(١) انظر الآيات (٢٨ - ٤٥) من سورة غافر.

(٢) جامع البيان للطبري (٣٨/٢٤).

على القرابة والعشيرة، قال تعالى ﴿إِلَّا ءَالَ لُوطٍ عَلَيْهِمْ سِحْرٌ﴾ [سورة

القمر: ٣٤] ^(١).

٦- « وقد ردّ على من علّق (من آل فرعون) بـ (يكنتم)؛ فإنه لا يقال: كتمت من فلان

كذا، إنما يقال: كتمت فلاناً كذا، قال تعالى ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾

[سورة النساء: ٤٢] ^(٢).

٧- صرح بعض المفسرين بالرد على القول إن الرجل كان إسرائيلياً؛ بأنه « فيه

بُعد□ ^(٣) » وهو خلاف ما في الآية ^(٤). والله أعلم بالصواب.

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي (٥٠٩/٩).

(٢) البحر المحيط لأبي حيان (٢٥١/٩).

(٣) المرجع السابق (٢٥١/٩).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٤٧٠/٤)، فتح البيان للقنوجي (١٨١/١٢).



معنى قوله تعالى ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾

٦١ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ

مَمْنُونٍ﴾ [سورة فصلت : ٨].

مجمّل الأقوال الواردة في الآية :

اختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ((غير ممنون)) على

أقوال :

١ - (غير ممنون) يعني غير مقطوع.

ثم إن عدم الانقطاع قد يراد به :

أ - عدم انقطاع نعيم الجنة عن المؤمنين الذين أكرمهم الله ﷻ بدخول الجنة^(١).

ب - أو يراد به عدم انقطاع كتابة الأجر للمرضى والزمى والهرمى إذا عجزوا عن

(١) هذا المعنى من عدم الانقطاع هو الذي رجحه الشنقيطي في أضواء البيان (١١٥/٧).

الطاعة يكتب لهم كأصح ما كانوا يعملون فيه^(١).

٢- ((غير ممنون)) يعني غير ممنون عليهم به.

٣- ((غير ممنون)) يعني غير منقوص.

٤- ((غير ممنون)) يعني غير محسوب^(٢).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « قوله تعالى ﴿ **إِنَّ**

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾^(٨)، الأجر جزاء

العمل، وجزاء عمل الذين آمنوا وعملوا الصالحات هو نعيم الجنة، وذلك الجزاء غير ممنون، أي

غير مقطوع.

(١) قاله السدي وحكاه عنه البغوي، مختصر البغوي (١٢٦/٢).

(٢) ذكر الأقوال الأربعة مجتمعة الماوردي في النكت والعيون (١٦٩/٥)، ما عدا التفصيل المذكور تحت

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن أجرهم غير ممنون؛ نص الله تعالى عليه في

آيات أخر من كتابه، كقوله تعالى في آخر سورة الانشقاق ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ هُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿١٥﴾ [سورة الانشقاق: ٢٥]، وقوله تعالى في

سورة التين ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾

﴿[سورة التين: ٦]، وقوله تعالى في سورة هود ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ

خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ

مَجْدُودٍ ﴿١٨﴾ [سورة هود: ١٠٨]، فقوله غير مجذوذ أي غير مقطوع، وبه تعلم أن غير

مجذوذ وغير ممنون معناهما واحد. وقوله تعالى في سورة ص ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ

مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ [سورة ص: ٥٤] أي ما له من انتهاء وانقطاع. وقوله في النحل ﴿مَا

عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴿١٩٦﴾ [سورة النحل: ١٩٦].

وهذا الذي ذكرنا هو الذي عليه الجمهور؛ خلافاً لمن قال إن معنى غير ممنون:

غير ممنون عليهم به، وعليه فالمن في الآية من جنس المن المذكور في قوله تعالى ﴿لَا

تَبْطُلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴿٢٦٤﴾ [سورة البقرة: ٢٦٤].

ومن قال إن معنى غير ممنون: غير منقوص، محتجاً بأن العرب تطلق الممنون

على المنقوص، قالوا ومنه قوله زهير:

فضل الجياد على الخيل البطاء فلا يعطى بذلك ممنونا ولا نزقا^(١)

فقوله ممنوناً أي منقوصاً. وهذا وإن صح لغةً؛ فالأظهر أنه ليس معنى الآية. بل

معناها هو ما قدمنا. والعلم عند الله تعالى»^(٢).

الموافقون:

وأعني بهم الذين رجحوا أن ((غير ممنون)) تعني غير مقطوع، وأن نعيم الجنة

(١) لم أجد البيت في ديوان بن زهير.

زهير هو: بن أبي سلمى بن ربيعة بن رباح المزني، أحد فحول شعراء الجاهلية. انظر: شرح

ديوان زهير بن أبي سلمى ص(٥).

و (نزقا): قال في القاموس المحيط: نزق الإناء والغدير: امتلأ إلى رأسه. القاموس المحيط

ص(١١٩٤) باب القاف فصل النون. بتصرف.

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (١١٥/٧).

وهو الأجر الذي أعده الله ﷻ لعباده المؤمنين غير مقطوع عنهم، بل يُعطوه بلا حساب أبد الآبدين، متوافقين في ذلك مع ما ذهب إليه الشيخ الشنقيطي، فمنهم:

١ - الإمام ابن كثير: « إن الذين آمنوا الصالحات لهم أجر غير ممنون » قال مجاهد وغيره:

غير مقطوع ولا محبوب، كقوله تعالى ﴿ مَكْتَبِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾ [سورة

الكهف: ٣] وكقوله ﷻ ﴿ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ ﴾ [سورة هود: ١٠٨] ^(١).

٢ - المحلي: « ((لهم أجر غير ممنون)) ممنون مقطوع » ^(٢).

٣ - البقاعي: « ((لهم أجر)) أي عظيم ((غير ممنون)) أي مقطوع، جزاء على سماحهم

بالفاني اليسير من أموالهم في الزكاة وغيرها وما أمر الله ﷻ من أقوالهم وأفعالهم في

الآخرة والدنيا، والممنون: المقطوع؛ من مننت الحبل أي قطعت، يقطع منه، ومنه

قولهم: قد منَّه السفر أي قطعه وأذهب منته ^(٣).

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٩٢/٤).

(٢) تفسير الجلالين ص (٤٠١).

(٣) نظم الدرر للبقاعي (١٤٨/١٧).

٤- السعدي: « ((غير ممنون)) أي غير مقطوع ولا نافذ، بل هو مستمر مدى الأوقات،

متزايد على الساعات، مشتمل على جميع اللذات والمشتبهات »^(١).

المخالفون:

وهم كل من رجح قولاً واحداً خلاف ما اختاره الشنقيطي، منهم:

١- الإمام النسفي: « ((إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون)) مقطوع،

قيل: نزلت في المرضى والزمنى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر

كأصح ما كانوا يعملون »^(٢).

٢- النيسابوري: « ((ممنون)) منقوص »^(٣).

٣- ابن عاشور: « والأجر: الجزاء النافع عن العمل الصالح، أو هو ما يُعطونه من نعيم

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٧٤٥).

(٢) مدارك التنزيل للنسفي (٦٧/٤).

(٣) إيجاز البيان للنيسابوري (١٧٥/٢).

الجنة. والممنون: مفعول من المن، وهو ذكر النعمة للمنعّم عليه بها، والتقدير غير

ممنون به عليهم، وذلك كناية عن كونهم أعطوه شكراً لهم على ما أسلفوه من عمل

صالح فإن الله غفور شكور، يعني: أن الإنعام عليهم في الجنة ترافقه الكرامة والثناء

فلا يُحسون بنجل العطاء، وهو من قبيل قوله تعالى ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ

بِالْمَنِّ وَالْأَدْنَى﴾ [سورة البقرة: ٢٦٤] فأجرهم بمنزلة الشيء المملوك لهم الذي

لهم يعطه إياهم أحد وذلك تفضل من الله ﷻ»^(١).

أما الغالبية العظمى من المفسرين فإنهم جمعوا الأقوال كلها أو بعضها دون

ترجيح، ولقد حكى الشنقيطي إجماع الجمهور على ما اختاره، فبهذا الاعتبار وجدت أن

كل الذين لم يرجحوا قولاً واحداً، وإنما جمعوا الأقوال عند تفسيرهم للآية قد اتفقوا على

ذكر أن ((غير ممنون)) تعني: غير مقطوع، ثم قد يذكرون معه كل الأقوال الباقية أو

بعضها، وهاك أمثلة:

١ - الإمام البغوي: «(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون)) قال ابن

عباس : غير مقطوع. وقال مقاتل : غير منقوص ، ومنه المنون لأنه ينقص منه الإنسان وقوته. وقيل : غير ممنون عليهم به. وقال مجاهد: غير محسوب. وقال السدي: نزلت هذه الآية في المرضى والزمنى والهرمى ، إذا عجزوا عن الطاعة يكتب لهم كأصح ما كانوا يعملون فيه»^(١).

٢- ابن الجوزي: « قوله تعالى ((غير ممنون)) أي غير مقطوع ولا منقوص »^(٢).

٣- الفخر الرازي: « ((إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون)) أي غير مقطوع ، من قولك مننت الحبل أي قطعته ومنه قولهم قد منته السفر أي قطعه. وقيل: لا يمن عليهم ؛ لأنه تعالى لما سماه أجراً ، فإذا الأجر لا يوجب المنة. وقيل: نزلت في المرضى والزمنى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كأحسن ما كانوا يعملون »^(٣).

٤- ابن جزى: « ((أجر غير ممنون)) أي غير مقطوع ، من قولك: مننت الحبل إذا قطعته.

(١) مختصر البغوي (٢/٨٢٦).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٧/٥٤).

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي (٩/٥٤٣).

وقيل : غير منقوص . وقيل : غير محصور . وقيل : لا يمين عليهم به ؛ لأن المن يكدر

الإحسان»^(١) .

٥ - البيضاوي : « ((لهم أجر)) عظيم ((غير ممنون)) لا يمين به عليهم ، من المن وأصله

الثقل . أو لا يقطع ، من ممنت الحبل إذا قطعته . وقيل : نزلت في المرضى والهرمى إذا

عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كأصلح ما كانوا يعملون»^(٢) .

٦ - القاسمي : « ((لهم أجر غير ممنون)) أي عليهم ، أو غير منقوص ، أو غير منقطع ،

أو غير محسوب»^(٣) .

وينحو عبارات من سبق فسرهما كل من الإمام الماوردي^(٤) ، والقرطبي^(٥) ،

(١) التسهيل لابن جزي (١٩/٤) .

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٨٦/٢) .

(٣) محاسن التأويل للقاسمي (٩٨٨/١٤) .

(٤) النكت والعيون للماوردي (١٦٩/٥) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٤١/١٥) .

والخازن^(١)، وأبي حيان^(٢)، والثعالبي^(٣)، والشوكاني^(٤)، والألوسي^(٥)، والقنوجي^(٦).

تعقيب الباحث:

يظهر - والله أعلم - أن الراجح هنا حمل الآية على جميع المعاني الواردة عن المفسرين، يدل على ذلك أمور:

١ - الدلالة اللغوية للفظة ((ممنون)) تحتمل جميع المعاني الواردة، وقد سبق في ثنايا كلام المفسرين بيان هذه المعاني سواء أريد بها: مقطوع أو ممنون عليهم به أو منقوص أو محسوب.

(١) لباب التأويل للخازن (٦/٨٨).

(٢) البحر المحيط لأبي حيان (٩/٢٨٧).

(٣) جواهر الحسان للثعالبي (٤/٨٢).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٤/٤٨٧).

(٥) روح المعاني للألوسي (٢٤/٩٨).

(٦) فتح البيان للقنوجي (١٢/٢٢٧).

٢- إن حُمِلت على أن المعنى غير مقطوع، فقد لت آيات من كتاب الله ﷻ أن ما يعطاه

المؤمنون في الجنة لا ينقطع عنهم أبداً، منها قوله تعالى ﴿ ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا

فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ

رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٍ مَجْدُودٍ ﴿ ﴿ ﴾ ﴾ [سورة هود: ١٠٨]، وقوله تعالى ﴿ ﴿ مَا

عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴿ ﴿ ﴾ [سورة النحل: ٩٦]، وقوله تعالى ﴿ ﴿

إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿ ﴿ ﴾ ﴾ [سورة ص: ٥٤].

٣- وإن حُمِلت على أن المعنى غير محسوب، فقد دلت عليه أيضاً آيات، كقوله تعالى ﴿ ﴿

لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ﴿ ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ

يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿ ﴿ ﴾ [سورة النور: ٣٨]، وقوله تعالى ﴿ ﴿ إِنَّمَا يُوفِّي

الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿ ﴿ ﴾ [سورة الزمر: ١٠]، وقوله تعالى ﴿ ﴿ مَنْ

عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ

أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴿ ﴿ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ

حِسَابٍ ﴿ ﴿ ﴾ [سورة غافر: ٤٠].

٤- وإن أُريد أن المعنى غير منقوص، فهناك من الآيات ما يدل على توفية أجر العامل،

منها قوله تعالى ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ

أَجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ [سورة آل عمران: ٥٧]، وقوله

تعالى ﴿وَأِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [سورة آل عمران:

١٨٥]، وقوله تعالى ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ [سورة النجم: ٤١].

٥- وأما إرادة أن يكون المعنى غير ممنون عليهم به، فإنه وإن ردَّ الإمام ابن كثير عليه

بقوله «وقد ردَّ هذا التفسير بعضُ الأئمة، فإن المنَّة لله تعالى على أهل الجنة، قال الله

تبارك وتعالى ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [سورة

الحجرات: ١٧]، وقال [على لسان] أهل الجنة ﴿فَمَنْ بَلَغَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا

عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ [سورة الطور: ٢٧]»^(١). فإن هذا لا يخالف هذا،

بمعنى أن المنَّة والفضل لله ﷻ، ومن كرمه وفضله ومنته ﷻ أن جعل الأجر الذي

يعطيه للمؤمنين كأنه واجب وحق لهم يأخذونه، فإنعامه «عليهم في الجنة ترافقه

الكرامة والثناء فلا يحسون بنجس العطاء.. فأجرهم بمنزلة الشيء المملوك لهم الذي لم

يعطه إياهم أحد، وذلك تفضل من الله ﷻ»^(١). «لأن أعطيات الله ﷻ تشریف،

والمنّ إنما يدخل أعطيات البشر»^(٢). والله أعلم بالصواب.



(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٤١/٢٤).

(٢) البحر المحیط لأبي حيان (٢٨٧/٩).

المراد بالظن

٦٢- قوله تعالى ﴿ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنَّوْا مَا هُمْ

مِّنْ مُحِيطٍ ﴾ [سورة فصلت : ٤٨].

مجمل الأقوال الواردة في الآية

- ١- أن الظن هنا بمعنى العلم واليقين، أي أيقنوا حيثئذٍ أنه لا مهرب لهم من العذاب^(١).
- ٢- أن يكون الظن على معناه الحقيقي، وليس ببعيد أن يكون لهم ظن ورجاء^(٢).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - « الظن هنا بمعنى اليقين؛

(١) جامع البيان للطبري (٣/٢٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٧٢/١٥)، فتح القدير للشوكاني (٥٠١/٤).

لأن الكفار يوم القيامة إذا عاينوا العذاب، وشاهدوا الحقائق، علموا في ذلك الوقت أنهم ليس لهم من محيص، أي ليس لهم مفر ولا ملجأ.

وما ذكرنا من أن الظن في هذه الآية الكريمة بمعنى اليقين والعلم، هو التحقيق إن شاء الله؛ لأن يوم القيامة تنكشف فيه الحقائق، فيحصل للكفار العلم بها لا يخالجهم في ذلك شك، كما قال تعالى عنهم - إنهم يقولون يوم القيامة - ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا

وَسَمِعْنَا فَأَرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [سورة السجدة: ١٢]، وقال

تعالى ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [سورة مريم: ٣٨]، وقال تعالى ﴿فَكَشَفْنَا

عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [سورة ق: ٢٢]، وقال تعالى ﴿وَلَوْ

تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾

[سورة الأنعام: ٣٠].

ومعلوم أن الظن يطلق في لغة العرب، التي نزل بها القرآن على معنيين:

أحدهما: الشك، كقوله تعالى ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [سورة

النجم: ٢٨]، وقوله تعالى عن الكفار ﴿إِنَّ نَظْنُكُمْ إِلَّا ظَنُّنَا وَمَا نَحْنُ

بِمُسْتَقِينٍ ﴿ لسورة الجاثية : ٣٢.﴾

والثاني: هو إطلاق الظن مراداً به العلم واليقين، ومنه قوله تعالى هنا ((وظنوا ما لهم من

محيص)) أي أيقنوا أنهم ليس لهم يوم القيامة محيص، أي لا مفر ولا مهرب لهم من

عذاب ربهم، ومنه بهذا المعنى قوله تعالى ﴿ وَرَأَى الْمَجْرُمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا

أَنَّهُمْ مُّوَاعِعُوهَا ﴾ [سورة الكهف: ٥٣] أي أيقنوا ذلك وعلموه، وقوله تعالى ﴿

قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلْكُوا اللَّهَ كَمِ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ

غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٩]، وقوله تعالى ﴿ فَأَمَّا

مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ ﴿ إِنِّي

ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِيَةَ ﴿ ﴾ [سورة الحاقة: ١٩ - ٢٠] فالظن في الآيات

المذكورة كلها بمعنى اليقين»^(١).

الشيخ الشنقيطي إذا يرى أن المراد بالظن هنا في

(١) أضواء البيان للشنقيطي (١٤٣/٧ - ١٤٤).

قوله تعالى ((وظنوا ما لهم من محيص)) هو العلم

واليقين، بمعنى أن الكفار يوم القيامة إذا شاهدوا الحقائق

علموا وأيقنوا أنه لا مفر لهم ولا مهرب.

الموافقون:

- جمهور من المفسرين - واتفق معهم الشيخ الشنقيطي - ذهبوا إلى أن المراد بالظن هنا: العلم واليقين، منهم:
- الإمام الطبري: « وقوله ((وظنوا ما لهم من محيص)) يقول وأيقنوا حينئذٍ ما لهم من ملجأ أي ليس لهم ملجأ يلجئون إليه من عذاب الله ﷻ^(١).
 - الواحدي: « ((وظنوا)) علموا ((ما لهم من محيص)) مهرب^(٢) ». ويمثل هذا ونحوه قال.

(١) جامع البيان للطبري (٣/٢٥).

(٢) الوجيز للواحدي (٩٥٨/٢).

- ٣- البغوي^(١).
 ٤- النسفي^(٢).
 ٥- الزمخشري^(٣).
 ٦- ابن الجوزي^(٤).
 ٧- نظام الدين النيسابوري^(٥).
 ٨- ابن جزى^(٦).
 ٩- أبوحيان^(٧).
 ١٠- البيضاوي^(٨).
 ١١- المحلي^(٩).
 ١٢- الثعالبي^(١٠).
 ١٣- الشوكاني^(١١).
 ١٤- القنوجي^(١).

(١) مختصر البغوي (٨٣٢/٢).

(٢) مدارك التنزيل للنسفي (٧٥/٤).

(٣) الكشاف للزمخشري (١٩٩/٤).

(٤) زاد المسير لابن الجوزي (٦٧/٧).

(٥) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (١٣/٢٥).

(٦) التسهيل لابن جزى (٢٧/٤).

(٧) البحر المحيط لأبي حيان (٣١٥/٩).

(٨) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٩١/٢).

(٩) تفسير الجلالين ص (٤٠٥).

(١٠) جواهر الحسان للثعالبي (٩٨/٤).

(١١) فتح القدير للشوكاني (٥٠١/٤).

١٥ - القاسمي^(٢) .
١٦ - السعدي^(٣) .

المخالفون:

١ - الإمام البقاعي فقط اعتبر أن الظن هنا على معناه المعروف من الشك والتخمين ، فعند بيانه لمعنى الآية قال : « ... وكأنهم لما هم عريقون فيه من الجهل وسوء الطبع يتوقعون أن يظفروا بهم فيشفعوا لهم ، فلذلك عبر بالظن في قوله ((ظنوا)) أي في ذلك الحال... »^(٤) .

تعقيب الباحث:

الظاهر - والله أعلم - أن الراجح تفسير الظن هنا في سورة فصلت بأنه العلم

(١) فتح البيان للفتنوجي (١٢/٢٦٤).

(٢) محاسن التأويل للقاسمي (١٤/٥٢١٥).

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٧٥٢).

(٤) نظم الدرر للبقاعي (١٧/٢١٦).

واليقين، وأن الكفار يوم القيامة يعلموا ويتيقنوا أنه لا مفر لهم ولا ملجأ من عذاب الله ﷻ وقد شاهدوا الحقائق أمام أعينهم، وهو ما رجحه الشيخ الشنقيطي، يؤيد ذلك أمور:

١- إجماع الجمهور من السلف والخلف على أنه هو الراجح في بيان معنى الآية، وقد ذكرت أن عدداً كبيراً من المفسرين رجّحوا هذا المعنى تحت (الموافقون)، فإنه « إذا انفرد مفسر في تفسير آية من كتاب الله تعالى بقول خالف عامة المفسرين، ولم يكن لقوله هذا دلالة واضحة قوية فهو قول شاذ، وقول الجماعة أولى بالصواب، وهم إلى الحق أقرب، ومن الخطأ أبعد »^(١).

٢- إن حمل الظن في الآية على معناه الحقيقي من الشك والتخمين، بمعنى أنهم « ظنوا أن هذه المقالة ﴿ مَا مِنَّا مِنْ شَيْءٍ ﴾ [سورة فصلت: ٤٧]، منجاة لهم أو أمر يموهون به »^(٢)، قد صرح بعض المفسرين بالرد عليه بأنه « ضعيف »^(٣)، وأنه « بعيد جداً »^(٤). والله أعلم بالصواب.



(١) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٢٨٨/١).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (١٢٩/١٣).

(٣) التسهيل لابن جزي (٢٧/٤).

(٤) جواهر الحسان للثعالبي (٩٨/٤).

مرجع الضمير المتصل في قوله ﴿ فِيهِ ﴾

٦٣- قوله تعالى: ﴿ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ ﴾ [سورة الشورى: ١١].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

- ١- أن ضمير (فيه) راجع إلى ما ذكر من الذكور والإناث من بني آدم والأنعام في قوله تعالى: ((جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً)) سواء أريد بالأزواج الإناث من آدميين والأنعام، أو أريد بالأزواج الذكور والإناث منهما معاً^(١).
- ٢- أن ضمير (فيه) راجع إلى الجعل المدلول عليه بالفعل (جَعَلَ)^(٢).
- ٣- أن يكون ضمير (فيه) راجع إلى ما ذكر من التدبير^(٣).
- ٤- وقيل (فيه) أي في الرحم.
- ٥- وقيل (فيه) أي في البطن^(٤).
- ٦- وقيل (فيه) أي في الزوج^(٥).

ترجيح الشنقيطي:

(١) أضواء البيان للشنقيطي (١٤٧/٧).

(٢) ذكره القرطبي في الجامع القرآن (٨/١٦).

(٣) مدارك التنزيل للنسفي (٧٧/٤).

(٤) القولان (٥+٤) ذكرهما البغوي، مختصر البغوي (٨٣٤/٢).

(٥) ذكره الشوكاني في فتح لقدير (٥٠٧/٤).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « التحقيق إن شاء الله أن الضمير في قوله (فيه) راجع إلى ما ذكر من الذكور والإناث من بني آدم والأنعام في قوله تعالى: ((جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً)) سواء قلنا إن المعنى: أنه جعل للآدميين إناثاً من أنفسهم أي من جنسهم وجعل للأنعام أيضاً إناثاً كذلك، أو قلنا إن المراد بالأزواج الذكور والإناث منهما معاً.

وإذا كان ذلك كذلك؛ فمعنى الآية الكريمة يذروكم أي يخلقكم ويبتكم ويشركم فيه، أي فيما ذكر من الذكور والإناث، أي في ضمنه، عن طريق التناسل كما هو معروف.

ويوضح ذلك في قوله تعالى: ﴿ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ

وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ [سورة النساء:

١١] فقوله تعالى ((وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً)) يوضح معنى قوله (يذروكم فيه)...

وقول من قال إن الضمير في قوله (فيه) راجع إلى الرحم، وقول من قال راجع إلى البطن، ومن قال راجع إلى الجعل المفهوم من (جعل)، وقول من قال راجع إلى التدبير، ونحو ذلك من الأقوال خلاف الصواب.

والتحقيق إن شاء الله هو ما ذكرنا. والعلم عند الله تعالى»^(١).

ولا يوجد موافق للشنقيطي في هذا الترجيح.

المخالفون:

لقد رجح عدد كبير من المفسرين خلاف ما رجحه الشنقيطي في تحديد مرجع

الضمير المتصل في (فيه) في قوله تعالى: ﴿ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ

(١) أضواء البيان للشنقيطي (١٧٥/٧)؟

مَنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ ۖ ﴿١﴾، ويمكن

تقسيمهم إلى أكثر من فئة:

- أ- الذين رجّحوا رجوع الضمير إلى الجعل المدلول عليه بالفعل ((جعل))، منهم:
- ١- الإمام الواحدي « ((يذُرُّكُمْ فِيهِ)) أي يكثركم يجعله لكم حلائل، لأنهن سبب النسل »^(١).
 - ٢- ابن عطية: « وقوله ((فيه)) الضمير على الجعل الذي تضمنه قوله تعالى ((جعل لكم))، وهذا كما تقول: كلمت زيدا كلاماً أكرمه فيه »^(٢).
 - ٣- ابن القيم: « والضمير في قوله ((فيه)) يرجع إلى الجعل. ومعنى (الذرة) الخلق وهو هنا الخلق الكثير فهو خلق وتكثير »^(٣).
 - ٤- السعدي: « ((يذُرُّكُمْ فِيهِ)) أي ييثكم ويكثركم ويكثر مواشيكم، بسبب أن جعل لكم من أنفسكم وجعل لكم من الأنعام أزواجاً »^(٤).
ونحواً من هذا قد قال كل من الإمام المحلي^(٥)، والثعالبي^(٦)، وابن عاشور^(٧).
- ب- الذين رجّحوا رجوع الضمير إلى التدبير، منهم:
- ١- الإمام النسفي: « ((فيه)) في هذا التدبير وهو أن جعل الناس والأنعام أزواجاً حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل. واختير (فيه) على (به) لأنه جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبت والتكثير »^(٨).

(١) الوجيز للواحدي (٩٦١/٢).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (١٤٦/١٣).

(٣) بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم (١٠٩/٤).

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٧٥٤).

(٥) تفسير الجلالين ص (٤٠٦).

(٦) جواهر الحسان للثعالبي (١٠٣/٤).

(٧) التحرير والتنوير لابن عاشور (٤٥/٢٥).

(٨) مدارك التنزيل للنسفي (٧٧/٤).

٢- البيضاوي: « ((فيه)) في هذا التدبير وهو جعل الناس والأنعام أزواجاً يكون بينهم توالد فإنه كالمنبع للث والتكثير»^(١).

٣- البقاعي: « ((يدرؤكم)) أي يخلقكم ويكثركم، ولما كان الأزواج في غاية المحبة للزوج بحيث أنه مستول على القلوب كان كأنه محيط بهم فقال ((فيه)) أي في ذلك التزاوج بحيث يجعلكم مولعين به، من قوله ذراه: خلقه وكثره وأولعه بالشيء، فيكون لكم في الأزواج من البشر نطفاً وجمالاً وولادة، وفي الأنعام غذاء وشراباً وأكلاً، وغير ذلك مما لكم فيه من المنافع، ولا تزالون في هذا الوجه من الخلق والتزاوج نسلاً بعد نسل وجيلاً بعد جيل»^(٢).

وبنحو هذا قد جاء كلام الزمخشري^(٣)، والنيسابوري^(٤)، والفخر الرازي^(٥).

أما الذين لم يرجحوا أحد الأقوال لا يمكن تصنيفهم موافقين أو مخالفين، إنما سأذكر أقوال بعضهم للإطلاع على معظم ما قيل في تفسير الآية، منهم:

١- الإمام البغوي: « ((يدرؤكم)) يخلقكم ((فيه)) أي في الرحم. وقيل: في البطن. وقيل: على هذا الوجه من الخلقة. قال مجاهد: نسلاً بعد نسل من الناس والأنعام»^(٦).

٢- القرطبي: « ((يدرؤكم فيه)) أي يخلقكم وينشئكم ((فيه)) أي في الرحم. وقيل: في البطن... وقيل: إن الهاء في ((فيه)) للجعل، ودل عليه ((جَعَلَ)) فكأنه قال: يخلقكم ويكثركم في الجعل. ابن قتبية: (يدرؤكم فيه) أي في الزوج؛ أي يخلقكم في بطون الإناث»^(٧).

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٩٣/٢).

(٢) نظم الدرر للبقاعي (٢٥٧/١٧).

(٣) الكشف للزمخشري (٢٠٦/٤).

(٤) إيجاز البيان للنيسابوري (١٨٠/٢).

(٥) التفسير الكبير للفخر الرازي (٥٨٢/٩).

(٦) مختصر البغوي (٨٣٤/٢).

(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/١٦) باختصار.

٣- ابن جزى: «... والضمير المجرور يعود على الجعل الذي يتضمنه قوله ((جعل لكم))، وهذا كما تقول كلمت زيدا كلاماً أكرمه فيه. وقيل: الضمير للتزويج الذي دل عليه قوله أزواجاً»^(١).
ونحواً من ذلك جاء كلام كل من الإمام ابن الجوزي^(٢)، والخازن^(٣)،
والشوكاني^(٤)، والقنوجي^(٥)، والقاسمي^(٦).

تقيب الباحث:

الذي يظهر - والله أعلم - صحة ما قاله جميع المفسرين، فيصح رجوع الضمير إلى ما ذكره الشيخ الشنقيطي؛ أنه راجع إلى ما ذكر في الآية من الذكور والإناث من بني آدم والأنعام، سواء أريد بالأزواج الإناث من الآدميين والأنعام، أو أريد بالأزواج الذكور والإناث منهما معاً، وكذلك يصح رجوعه إلى الجعل المدلول عليه بالفعل ((جعل))، وكذلك يصح رجوعه إلى التدبير، أو إلى الرحم أو البطن أو الزوج. والسبب في صحة إرجاعه إلى كل ما ذكر؛ أن كل مراجع الضمير التي ذكرها المفسرون ليس فيها أي مرجع ظاهر مذكور، إنما كلها مراجع مقدرة يستدل عليها بكلمات أو عبارات مذكورة تدل عليها، ولهذا فلا مانع من إرجاع الضمير إلى كل ما ذكر من الأقوال. والله أعلم بالصواب.



(١) التسهيل لابن جزى (٤/٣١).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٧/٧٤).

(٣) لباب التأويل للخازن (٦/٩٩).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٤/٥٠٧).

(٥) فتح البيان للقنوجي (١٢/٢٨١).

(٦) محاسن التأويل للقاسمي (١٤/٥٢٢٥).

المراد بالميزان

٦٤ - قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [سورة الشورى:

.١٧].

مجمال الأقوال الواردة في الآية :

- ١ - أن المراد بالميزان: العدل والإنصاف.
- ٢ - أنه ما بيّن في الكتب المنزلة مما يجب على كل إنسان أن يعمل به.
- ٣ - أن الميزان هو: العدل فيما أمر به ونُهي عنه، قال القرطبي: وهذه الأقوال [الثلاثة] متقاربة المعنى.
- ٤ - الجزء على الطاعة بالثواب، وعلى المعصية بالعقاب.
- ٥ - أن الميزان يراد به: آلة الوزن المعروفة.
- ٦ - قيل: هو محمد ﷺ^(١).
- ٧ - قيل: هو العقل^(٢).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ((والميزان)) يعني أن الله جل وعلا هو الذي أنزل الميزان، والمراد به العدل والإنصاف.

وقال بعض أهل العلم: الميزان في الآية هو آلة الوزن المعروفة، ومما يؤيد ذلك أن الميزان مفعال، والمفعال قياسي في اسم الآلة.

وعلى التفسير الأول وهو أن الميزان العدل والإنصاف، فالميزان الذي هو آلة

(١) الأقوال من رقم (١) إلى رقم (٦) ذكرها القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٥/١٦).

(٢) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (٢٤/٢٥).

الوزن المعروفة داخل فيه ؛ لأن إقامة الوزن بالقسط من العدل والإنصاف.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن الله تعالى هو الذي أنزل الكتاب والميزان
أوضحه في غير هذا الموضع كقوله تعالى في سورة الحديد ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا

بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ

﴿ [سورة الحديد: ٢٥]، فصرح تعالى بأنه أنزل مع رسله الكتاب والميزان لأجل أن يقوم

الناس بالقسط، وهو العدل والإنصاف. وكقوله تعالى في سورة الرحمن ﴿ وَالسَّمَاءَ

رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا

الْوِزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ [سورة الرحمن: ٧ - ٩].

قال مقيد^(١) عفا الله عنه وغفر له : الذي يظهر لي والله تعالى أعلم : أن الميزان

في سورة الشورى وسورة الحديد هو العدل والإنصاف ، كما قاله غير واحد من المفسرين.

وأن الميزان في سورة الرحمن هو الميزان المعروف ؛ أعني آلة الوزن التي يوزن بها

بعض المبيعات.

ومما يدل على ذلك : أنه في سورة الشورى وسورة الحديد عبر بإنزال الميزان لا

بوضعه ، وقال في سورة الشورى ((الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان)) ، وقال في سورة

الحديد: ((وأنزلنا معهم الكتاب والميزان)) ، وأما في سورة الرحمن فقد عبر بالوضع لا

الإنزال ؛ قال : ((والسمااء رفعها ووضع الميزان)) ثم اتبع ذلك بما يدل على أن المراد به آلة

الوزن المعروفة ، وذلك في قوله : ((وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان))^(٢).

فالشيخ الشنقيطي يرجح أن المراد بالميزان هنا في سورة الشورى: العدل

والإنصاف.

(١) يعني الشيخ محمد الأمين الشنقيطي نفسه.

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٧/١٨٣).

الموافقون :

عدد كبير من المفسرين فسروا الميزان هنا في سورة الشورى في قوله تعالى ((الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان)) بأنه يراد به العدل والإنصاف ، متوافقين في ذلك مع ما ذهب إليه الشنقيطي ، منهم :

- ١- الإمام الطبري : « ((الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان)) يقول تعالى ذكره الله الذي أنزل هذا الكتاب يعني القرآن بالحق ، والميزان يقول وأنزل الميزان وهو العدل ليقضي بين الناس بالإنصاف ويحكم فيهم بحكم الله الذي أمر به في كتابه »^(١).
- ٢- الواحدي : « الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان)) أي العدل ، والمعنى : أن الله تعالى أمر أن يقتدى بكتابه في أوامره ونواهيه ، وأن يعامل بالتصفة والسوية ، وآلة ذلك الميزان »^(٢).
- ٣- البغوي : « ((الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان)) قال قتادة ومجاهد ومقاتل : العدل ، وسمي العدل ميزاناً لأن الميزان آلة الإنصاف والتسوية »^(٣).
- ٤- ابن عطية : « والميزان هنا : العدل ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والناس . وحكى الثعلبي عن مجاهد أنه قال : هو هنا الميزان الذي بأيدي الناس .
[ثم قال :] ولا شك أنه داخل في القول وجزء منه ، وكل شيء من الأمور فالعدل فيه إنما هو بتقدير ووزن مستقيم ، فيحتاج في الأجرام إلى آلة وهي العمود والكفتان التي بأيدي البشر ، ويحتاج في المعاني إلى هيئات في النفوس وفهوم توازن بين الأشياء »^(٤).
- ٥- ابن كثير : « ((الله الذي أنزل الكتاب بالحق)) يعني الكتب المنزلة من عنده على أنبيائه (والميزان)) هو العدل والإنصاف ؛ قاله مجاهد وقتادة . وهذه كقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ

(١) جامع البيان للطبري (١٣/٢٥).

(٢) الوجيز للواحدي (٩٦٣/٢).

(٣) مختصر البغوي (٨٣٦/٢).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (١٥٦/١٣).

أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ
النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴿٥٦﴾ [سورة الحديد: ٢٥]، وقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا
وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا
الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾ [سورة الرحمن: ٧ - ٩]

- ٦- القاسمي: « (الله الذي أنزل الكتاب بالحق) أي متلبساً به في أحكامه وأخباره ((والميزان)) أي وأنزل الميزان وهو العدل الذي يوزن به الحقوق ويسوى به الخلاف □»^(١).
- ٧- السعدي: «... وأما الميزان فهو العدل والاعتبار بالقياس الصحيح والعقل الرجيح، فكل الدلائل العقلية من الآيات الأفاقية والنفسية، والاعتبارات الشرعية، والمناسبات والعلل، والأحكام والحكم، داخلة في الميزان الذي أنزله الله تعالى ووضعه بين عباده، ليزنوا به ما أشتبه من الأمور، ويعرفوا به صدق ما أخبر به وأخبرت رسله، فما خرج عن هذين الأمرين؛ عن الكتاب والميزان مما قيل إنه حجة أو برهان أو دليل أو نحو ذلك من العبارات، فإنه باطل متناقض، قد فسدت أصوله، وانهدمت مبانيه وفروعه، يعرف ذلك من خبر المسائل ومآخذها، وعرف التمييز بين راجح الأدلة من مرجوحها، والفرق بين الحجج والشبه، وأما من اغتر بالعبارات المزخرفة، والألفاظ المموهة، ولم تنفذ بصيرته إلى المعنى المراد، فإنه ليس من أهل هذا الشأن، ولا من فرسان هذا الميدان، فوفاقه وخلافه سيان»^(٢).

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/١١٠).

(٢) محاسن التأويل للقاسمي (١٤/٥٢٣٥).

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٧٥٦).

وبنحو ذلك أيضاً قال: الفخر الرازي^(١)، والخازن^(٢)، وأبوحيان^(٣)، والمحلي^(٤) والمحلي^(٤) والثعالبي^(٥)، والبقاعي^(٦)، وسيد قطب^(٧)، وابن عاشور^(٨).

ولا يوجد من رجّح قولاً آخر هنا.

أما الذين لم يرجحوا واكتفوا بجمع الأقوال كلها أو بعضها عند شرح الآية، فقد لاحظت اتفاقهم جميعاً على تفسير الميزان بأنه العدل أو آلة الوزن المعروفة، وقد يزيد بعضهم على هذين أقوالاً أخرى، فمن أمثلتهم:

١ - الإمام الماوردي: « (والميزان) فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الجزاء على الطاعة بالثواب، وعلى المعصية بالعقاب.

الثاني: أنه العدل فيما أمر به ونهى عنه.

الثالث: أنه الميزان الذي يوزن به، أنزله الله ﷻ من السماء، وعلم عباده الوزن به لئلا يكون بينهم تظالم وتباخس^(٩) ».

٢ - النسفي: « ((والميزان)) والعدل والتسوية، ومعنى إنزال العدل أنه أنزله في كتبه المنزلة، وقيل: هو عين الميزان أنزلة في زمن نوح - ﷺ - »^(١٠).

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي (٥٩٠/٩).

(٢) لباب التأويل للخازن (١٠٠/٦).

(٣) البحر المحيط لأبي حيان (٣٣٠/٩).

(٤) تفسير الجلالين ص (٤٠٧).

(٥) جواهر الحسان للثعالبي (١٠٥/٤).

(٦) نظم الدرر للبقاعي (٢٨١/١٧).

(٧) في ظلال القرآن لسيد قطب (٣١٥٠/٥).

(٨) التحرير والتنوير لابن عاشور (٦٨/٢٥).

(٩) النكت والعيون للماوردي (٢٠٠/٥).

(١٠) مدارك التنزيل للنسفي (٧٩/٤).

- ٣- القرطبي: « (والميزان) أي العدل، قاله ابن عباس وأكثر المفسرين. والعدل يسمى ميزاناً؛ لأن الميزان آلة الإنصاف والعدل: وقيل: الميزان ما بين الكتب مما يجب على الإنسان أن يعمل به. وقال قتادة: الميزان العدل فيما أمر به ونهي عنه. وهذه الأقوال متقاربة المعنى. وقيل: هو الجزاء على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب. وقيل: إنه الميزان نفسه الذي يوزن به، أنزله من السماء وعلم العباد الوزن به، لثلا يكون بينهم تظالم وتباخس، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [سورة الحديد: ٢٥]. قال مجاهد: هو الذي يوزن به. ومعنى أنزل الميزان هو إلهامه للخلق أن يعملوه ويعملوا به. وقيل: الميزان محمد ﷺ، يقضي بينكم بكتاب الله »^(١).
- ٤- نظام الدين النيسابوري: « (والميزان) أي أنزل العدل والسوية في كتبه، أو ألهم اتخاذ الميزان. وقيل: هو العقل. وقيل: الميزان نفسه وذلك في زمن نوح - التَّائِيَّةِ - . وقيل: هو محمد ﷺ يقضي بينهم بالكتاب »^(٢).
- ولا تخرج الأقوال في بيان معنى ((الميزان)) عن ما ذكره، فبنحو ذلك جاء كلام الإمام ابن الجوزي^(٣)، وابن جزى^(٤)، والبيضاوي^(٥)، والشوكاني^(٦)، والقنوجي^(٧).

تعقيب الباحث:

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/١٥).

(٢) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (٢٥/٢٤).

(٣) زاد المسير بن الجوزي (٧/٧٧).

(٤) التسهيل لابن جزى (٤/٣٣).

(٥) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/١٩٤).

(٦) فتح القدير للشوكاني (٤/٥١٠).

(٧) فتح البيان للقنوجي (١٢/٢٩٠).

يظهر - والله أعلم - أن الراجح في بيان ((الميزان)) أن يراد به العدل والإنصاف، وهو ما رجحه جمهور المفسرين ومنهم الشيخ الشنقيطي، يدل لذلك أمور:

١- أنه اختيار الجمهور، ولقد حكى إجماع الجمهور عليه عدد من أئمة التفسير بعبارات متقاربة، منهم من قال أنه قول «الجمهور»^(١)، ومن قال إنه: «قول أكثر المفسرين»^(٢)، وإن قول «الناس»^(٣).

٢- لم يخالف أحد، فعلى الرغم من وجود أقوال أخرى ذكرت تحت تفسير الميزان، إلا أنه لم يجزم أحد بترجيح قول منها خلاف ما ذهب إليه الجمهور.

٣- إن إجماع الجمهور على ما رجحوه مبني على تفسير القرآن بالقرآن أفضل أنواع التفسير^(٤)، فأية سورة الشورى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ

بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [سورة الشورى: ١٧] تفسرها آية سورة الحديد قوله تعالى: ﴿

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [سورة الحديد: ٢٥] وآية سورة الرحمن قوله

تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي

الْمِيزَانَ﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٧٧/٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥/١٦)، فتح القدير للشوكاني (٤/٥١٠)، فتح البيان للقنوجي (٢٩٠/١٢).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/١٥٦)، جواهر الحسان للثعالبي (٤/١٠٥).

(٤) شرح مقدمات التفسير لابن عثيمين ص (١٢٧)، قواعد التفسير لخالد السبت (١/١٠٩).

﴿سورة الرحمن: ٧- ١٩﴾ كما ذكر ذلك الإمام ابن كثير^(١) وغيره.

٤- الشيخ الشنقيطي أورد اعتراضاً قد يرد على تفسير الميزان بالعدل والإنصاف، بأن هذا «يشكل الفرق بين الكتاب والميزان؛ لأن الكتب السماوية كلها عدل وإنصاف». ولكنه أيضاً ردّ هذا الإشكال بوجهين يقوّي بهما ما رجحه؛ فلا إشكال أن الكتب السماوية كلها عدل وإنصاف، ولا مانع أن يفسّر الميزان بأنه العدل والإنصاف...، قال: «الجواب من وجهين:

الأول: أن الشيء الواحد إذا عبّر عنه بصفتين مختلفتين جاز عطفه على نفسه تنزيلاً للتغاير بين الصفات منزلة التغاير في الذوات، ومن أمثلة ذلك في القرآن

الكريم قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ ﴿١﴾ الَّذِي

خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ

الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾﴾ [سورة الأعلى: ١- ٤] فالموصوف واحد والصفات

مختلفة، وقد ساغ العطف لتغاير الصفات^(٢).

وأما الوجه الثاني: فهو ما أشار إليه العلامة ابن القيم - رحمه الله - في أعلام الموقعين^(٣)، من المغايرة في الجملة بين الكتاب والميزان.

وإيضاح ذلك: أن المراد بالكتاب هو العدل والإنصاف المصرح به في الكتب السماوية.

وأما الميزان فيصدق بالعدل والإنصاف الذي لم يصرح به في الكتاب السماوية،

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/١١٠).

(٢) والبلاغيون يشترطون في العطف التناسب بمجهة عامة، والمجهة الجامعة... وللتفصيل في ذلك انظر: مختصر التفتازاني على تخلص المفتاح للقرظيني في علم المعاني والبيان والبدیع (٢/٤٠)، و عقود الجمان في المعاني والبيان للسيوطي (١/٢٠٠).

(٣) في موضوع طويل عن القياس. أعلام الموقعين لابن القيم، الجزء الأول، من ص (١٠١) إلى ص (٢٥٠).

ولكنه معلوم مما صرح به فيها.

فالتأنيف في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ هُمَا أَفِي﴾ [سورة الإسراء: ٢٣] من الكتاب لأنه مصرح به في الكتاب، ومنع ضرب الوالدين مثلاً المدلول عليه بالنهي على التأنيف من الميزان، أي من العدل والإنصاف الذي أنزله الله ﷻ مع رسله.

وقبول شهادة العدلين في الرجعة والطلاق المنصوص في قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [سورة الطلاق: ٢] من الكتاب الذي أنزله الله ﷻ لأنه مصرح به فيه. وقبول شهادة أربعة عدول في ذلك من الميزان الذي أنزله الله ﷻ مع رسله.

وتحريم أكل مال اليتيم المذكور في قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتِيمِ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [سورة النساء: ١٠] من الكتاب. وتحريم إغراق مال اليتيم وإحراقه، المعروف من ذلك الميزان الذي أنزله الله ﷻ مع رسله.

وجلد القاذف الذكر للمحصنة الأنتى ثمانين جلدة ورد شهادته والحكم بفسقه المنصوص في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة النور: ٤ - ٥] من الكتاب الذي أنزله الله ﷻ. وعقوبة القاذف الذكر لذكر مثله، والأنتى القاذفة للذكر أو لأنتى بمثل تلك العقوبة المنصوصة في القرآن من الميزان المذكور.

وحلية المرأة التي كانت مبتونة بسبب نكاح زوج ثان وطلاقه لها بعد الدخول المنصوص في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾

[سورة البقرة: ٢٣٠] أي فإن طلقها الزوج الثاني بعد الدخول وذوق العسيلة، فلا جناح عليهما أي لا جناح على المرأة التي كانت مبتوتة والزوج الذي كانت حراماً عليه؛ أن يتراجعا بعد نكاح الثاني وطلاقها لها، من الكتاب الذي أنزله الله ﷻ. وأما إن مات الزوج الثاني بعد أن دخل بها وكان موته قبل أن يطلقها، فحليتها للأول الذي كانت حراماً عليه، من الميزان الذي أنزله الله ﷻ مع رسله عليهم السلام^(١). اهـ. والله أعلم بالصواب.



٦٥- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ [سورة الزخرف: ١٥].

مجملة الأقوال الواردة في الآية:

- ١- أن المراد بالجزء: الولد عموماً.
- ٢- أن المراد بالجزء: البنات خصوصاً.
- وهذان القولان (٢+١) متداخلان جداً، فيدخل القول الثاني تحت القول الأول، وذلك أن لفظ الولد في اللغة العربية شامل للأبناء والبنات^(٢)، ومن ناحية أخرى أن البنات أحد النوعين اللذان يولدان.
- ٣- أن (جزءاً) تعني نصيباً، أي جعلوا له من عباده نصيباً.
- مع العلم أن المفسرين الذين فسروا الجزء أنه النصيب، فسروا النصيب بأنه قول المشركين: الملائكة بنات الله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.
- ٤- أن (جزءاً) تعني عدلاً ونظيراً، يعني الأصنام وغيرها من المعبودات من دون الله

(١) أضواء البيان للشنقيطي (١٨٥/٧ - ١٨٧).

(٢) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص (٤١٧)، باب الدال، فصل الواو.

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « قوله تعالى: ((وجعلوا له من عباده جزءاً))، قال بعض العلماء (جزءاً) أي عدلاً ونظيراً، يعني الأصنام وغيرها من المعبودات من دون الله. وقال بعض العلماء: (جزءاً) أي ولداً. وقال بعض العلماء: (جزءاً) يعني البنات.

وذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية: أن الجزء النصيب، واستشهد على ذلك بآية الأنعام، أعني قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا ﴾ [سورة الأنعام: ١٣٦].

قال مقيدته (٢) عفا الله عنه وغفر له: الذي يظهر أن قول ابن كثير - رحمه الله - غير صواب في الآية؛ لأن المجمعول لله في آية الأنعام هو النصيب مما ذرأ من الحرث والأنعام، والمجمعول له في آية الزخرف هذه جزء من عباده لا مما ذرأ من الحرث والأنعام. وبين الأمرين فرق واضح كما ترى (٣).

(١) الأقوال الأربعة كلها ذكرها الماوردى في النكت والعيون (٢١٩/٥) بتصرف في ترتيبها.

(٢) الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - .

(٣) نعم الفرق واضح، ويظهر لي أنه أشكل على الشيخ الشنقيطي المراد من كلام ابن كثير فإنه لم يقصد التطابق التام بين الآيتين، فأية سورة الأنعام متعلقة بالحرث والأنعام، وآية سورة الزخرف متعلقة بالأبناء والبنات، وأن

النصيب (الجزء) الذي جعلوه لله ﷻ منهما هو البنات. وسيأتي معنا - إن شاء الله - في ذكر الموافقين عدد من المفسرين فسروا الجزء بأنه النصيب مصرّحين بأن هذا النصيب هو قول المشركين: الملائكة بنات الله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - والله أعلم بالصواب.

= قال ابن كثير - رحمه الله - : « يقول تعالى مخبراً عن المشركين فيما افتروه وكذبوه في جعلهم

بعض الأنعام لطواغيتهم وبعضها لله تعالى كما ذكر الله ﷻ عنهم في سورة الأنعام في قوله تبارك

وتعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا
فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا^ط فَمَا كَانَ
لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ^ط وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى
شُرَكَائِهِمْ^ط سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ [سورة الأنعام: ١٣٦]،

وكذلك جعلوا له من قسمي البنات والبنين أحسهما وأردأهما وهو
البنات كما قال تعالى: ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٦﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ

ضَيَّرَ ﴿٦﴾ [سورة النجم: ٢١ - ٢٢]، وقال جل وعلا هنا: ﴿

وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنْ الْإِنْسَانُ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴿

ثم قال جل وعلا: ﴿ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا تَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ

﴿٦﴾ [سورة الزخرف: ١٦]، وهذا إنكار عليهم غاية الإنكار. ثم ذكر

تمام الإنكار فقال جلت عظمته: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ

وأن قول من قال: إن المراد بالجزء العدل والنظر الذي هو الشريك غير صواب أيضاً؛ لأن إطلاق الجزء على النظر ليس بمعروف في كلام العرب. أما كون المراد بالجزء في الآية الولد، وكون المراد بالولد خصوص الإناث؛ فهذا هو التحقيق في الآية. وإطلاق الجزء على الولد يوجه بأمرين:

أحدهما: ما ذكره بعض علماء العربية من أن العرب تطلق الجزء مراداً به البنات، ويقولون: أجزأت المرأة إذا ولدت البنات، وامرأة مجزئة أي تلد البنات^(١)، قالوا ومنه قول الشاعر:

قد تجزئ الحرة
إن أجزأت حرة يوماً فلا عجب
المذكر أحياناً

وقول الآخر:

زوجتها من بنات الأوس مجزئة
للعوسج اللدن في
أبياتها زجل

الثاني: وهو التحقيق إن شاء الله أن المراد بالجزء في الآية الولد، وأنه أطلق عليه اسم الجزء؛ لأن الفرع كأنه جزء من أصله والولد كأنه بضعة من الوالد كما لا يخفى.

لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهَهُ مُسَوِّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ سورة

الزخرف: [١٧] أي إذا بشر أحد هؤلاء بما جعلوه لله من البنات يأنف من ذلك غاية الأنفة وتعلوه كآبة من سوء ما بشر به ويتوارى من القوم من خجله من ذلك... فكيف تأنفون أنتم من ذلك وتنسبونه إلى الله ﷻ.

تفسير القرآن العظيم (٤/١٢٥).

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص(٤٥)، باب الهمزة، فصل الجيم. والبيتان ذكرهما ابن منظور في لسان العرب تحت مادة (جزأ) ولم ينسبها. انظر: لسان العرب لابن منظور (طبعة ملونة) (٢/٢٦٨) باب الجيم، مادة: جزأ.

وأما كون المراد بالولد المعبر عنه بالجزء في الآية خصوص الإناث فقريئة السياق دالة عليه دلالة واضحة ؛ لأن جعل المذكور لله من عباده هو بعينه الذي أنكره الله ﷻ إنكاراً شديداً وقرع مرتكبه تقريباً شديداً في قوله تعالى: ﴿ أَمْ أُتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ﴾ [١١] وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مَنْ يُنشِئُوا فِي الْحَلِيِّهِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ [سورة الزخرف: ١٦ - ١٨] ^(١).

الموافقون :

وأعني بهم كل الذين فسروا الآية أنه يراد بها ما ادّعاه المشركون: أن الملائكة بنات الله، سواء فسّر الجزء بالولد أو البنت أو النصيب، فإن كل من ذكر أن الآية تشير إلى ادعاء المشركين أن الملائكة بنات الله، فهو قد وافق الشنقيطي في تحديد المراد بالآية. وعليه يلاحظ اجتماع الأقوال الثلاثة الأولى في مجمل الأقوال واعتبار من قال ولو بواحد منها موافقاً للشنقيطي، فمنهم:

١- الإمام الطبري - بعد ذكر الآيات - قال: « يقول تعالى ذكره وجعل هؤلاء المشركون لله ﷻ من خلقه نصيباً وذلك قولهم للملائكة بنات الله. لثم ذكر القول الآخر وأن المراد بـ (جزءاً) عدلاً، وقال: [وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله ((أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين)) توبيخاً لهم على قولهم ذلك، فكان معلوماً أن توبيخه إياهم بذلك إنما هو عما أخبر عنهم من قيلهم ما قالوا في إضافة البنات إلى الله جل ثناؤه ^(٢). »

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٧/ ٢١٤ - ٢١٧).

(٢) جامع البيان للطبري (٢٥/ ٣٤).

- ٢- الواحدي: « (وجعلوا له من عباده جزءاً) أي الذين جعلوا الملائكة بنات الله □ »^(١).
- ٣- النسفي: « (وجعلوا له من عباده جزءاً) متصل بقوله: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ﴾ [سورة الزخرف: ١٩] أي: ولئن سألتهم عن خالق السماوات والأرض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزءاً، أي قالوا الملائكة بنات الله، فجعلوهم جزءاً له وبعضاً منه، كما يكون الولد جزءاً لوالده »^(٢).
- ٤- ابن الجوزي: « قوله تعالى ((وجعلوا له من عباده جزءاً)) أما الجعل هاهنا فمعناه: الحكم بالشيء، وهم الذين زعموا أن الملائكة بنات الله، والمعنى جعلوا له نصيباً من الولد »^(٣).
- ٥- البقاعي: «... ((من عباده)) الذين أبدعهم كما أبدع غيرهم ((جزءاً)) أي ولداً هو لحصرهم إياه في الأنثى أحد قسيمي الأولاد، وكل ولد فهو جزء من والده. ومن كان له جزء كان محتاجاً فلم يكن إليها. وذلك لقولهم: الملائكة بنات الله. فثبت بذلك طيش عقولهم، وسخافة آرائهم »^(٤).
- ٦- السعدي: « يخبر تعالى عن شناعة قول المشركين، الذين جعلوا لله تعالى ولداً، وهو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له كفواً أحد، وإن ذلك باطل من عدة أوجه:
- منها: أن الخلق كلهم عباده، والعبودية تنافي الولادة.
- ومنها: أن الولد جزء من والده، والله تعالى بائن من خلقه، مباين لهم في صفاته ونعوت جلاله، والولد جزء من الوالد، فمحال أن يكون لله تعالى ولداً.
- ومنها: أنهم يزعمون أن الملائكة بنات الله، ومن المعلوم أن البنات أدون الصنفين، فكيف يكون لله البنات، ويصطفيهن بالبنين، ويفضلهم بها؟! فإذا يكونون أفضل من الله،

(١) الوجيز للواحدى (٩٧١/٢).

(٢) مدارك التنزيل للنسفي (٨٧/٤).

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٩٢/٧).

(٤) نظم الدرر للبقاعي (٣٩٩/١٧).

تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ومنها: الصنف الذي نسبوه لله، وهو البنات، أدون الصنفين، وأكرههما لهم، حتى إنهم من كراهتهم لذلك ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ [سورة الزخرف: ١٧] من كراهته وشدة بغضه، فكيف يجعلون لله ما يكرهون؟

ومنها: أن الأنثى ناقصة في وصفها، وفي منطقتها وبيانها، ولهذا قال تعالى: ﴿أَوْ مَن يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾ أي: يجمل فيها، لنقص جماله، فيجمل بأمر خارج عنه؟ ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ﴾ أي: عند الخصاص الموجب لإظهار ما عند الشخص من الكلام، ﴿عَبْرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: غير مبين لحجته، ولا مفصح عما احتوى عليه ضميره، فكيف ينسبونهن لله تعالى؟

ومنها: أنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الله إناثاً، فتجرؤوا على الملائكة، العباد المقربين، ورفوهم عن مرتبة العبادة والذل، إلى مرتبة المشاركة لله، في شيء من خواصه، ثم نزلوا بهم عن مرتبة الذكورية إلى مرتبة الأنثوية، فسبحان من أظهر تناقض من كذب عليه وعاند رسله ^(١).

٧- سيد قطب: «(وجعلوا له من عباده جزءاً، إن الإنسان لكفور مبين)) فالملائكة عباد الله، ونسبة بنوتهم له معناها عزلهم من صفة العبودية، وتخصيصهم بقراءة خاصة بالله؛ وهم عباد كسائر العباد، لا مقتضى لتخصيصهم بصفة غير صفة العبودية في علاقتهم بربهم وخالقهم. وكل خلق الله ﷻ عباد له خالصو العبودية. وادعاء الإنسان هذا الادعاء يدمغه بالكفر الذي لا شبه فيه: ((إن الإنسان لكفور مبين)). ثم يحاجهم بمنطقهم وعرفهم، ويسخر من سخف دعواهم أن الملائكة إناث ثم

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٧٦٣).

نسبتهم إلى الله ﷻ : ((أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين؟)).
 فإذا كان - سبحانه - متخذاً أبناء، فما له يتخذ البنات ويصفيهم هم بالبنين ؛
 وهل يليق أن يزعموا هذا الزعم بينما هم يستكفون من ولادة البنات لهم
 ويستأون: ((وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو
 كظيم)).

أما كان من اللياقة والأدب ألا ينسبوا إلى الله من يستأون هم إذا بشروا به، حتى
 ليسود وجه أحدهم من سوء الذي يبلغ حداً يجلب عن التصريح به، فيكظمه ويكتمه
 وهو يكاد يتميز من سوء؟! أما كان من اللياقة والأدب ألا يخصوا الله ﷻ بمن ينشأ
 في الخلية والدعة والنعومة، فلا يقدر على جدال ولا قتال؛ بينما هم - في
 بيئتهم - يحتفلون بالفرسان والمقاويل من الرجال؟!.

إنه يأخذهم في هذا بمنطقهم، ويخجلهم من اتقاء ما يكرهون ونسبته إلى الله ﷻ. فهلا اختاروا
 ما يستحسنونه وما يسرون له ففسبوه إلى ربهم، إن كانوا لا بد فاعلين؟!.
 ثم يحاصرهم هم وأسطورتهم من ناحية أخرى. فهم يدعون أن الملائكة إناث. فعلام
 يقيمون هذا الادعاء؟

((وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً. أشهدوا خلقهم؟ ستكتب شهادتهم
 ويسألون)). أشهدوا خلقهم؟ فعلموا أنهم إناث؟ فالرؤية حجة ودليل يليق بصاحب
 الدعوى أن يرتكن إليه. وما يملكون أن يزعموا أنهم شهدوا خلقهم. ولكنهم
 يشهدون بهذه ويدعون، فليحتملوا تبعة هذه الشهادة بغير ما كانوا حاضريه:
 ((ستكتب شهادتهم ويسألون))..^(١).

وهكذا أيضاً قال كل من: الإمام البغوي^(٢)، والنيسابوري^(٣)، والقرطبي^(٤)، والخازن^(٥)،

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/٣١٨١).

(٢) مختصر البغوي (٢/٨٤٣).

(٣) إيجاز البيان للنيسابوري (٢/١٨٣).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/٦٩).

(٥) لباب التأويل للخازن (٦/١١٠).

ونظام الدين النيسابوري^(١)، وابن جزى^(٢)، وابن كثير^(٣)، والبيضاوي^(٤)، والمحلي^(٥)،
والثعالبي^(٦)، والقاسمي^(٧)، وابن عاشور^(٨).

أما القول بأن الجزء يراد به العدل والنظير فلم يجزم أحد بترجيحه معنى للآية،
فبالتالي لا يوجد مخالف للموافقين في هذا الموضوع.

تعقيب الباحث:

من النظر في أقوال المفسرين، يظهر - والله أعلم - أن الراجح هو ما ذهب
إليه الشنقيطي ومن قال بمثل ما قاله، وأن الآية فيها حكاية ما ادّعاه المشركون من جعل
(جزء) نصيب من عباد الله ﷻ الذين خلقهم، جعلوهم أولاداً لله، بل خصوصاً هم من
البنات، على أن كلمة (جزء) تحمل على المعاني الثلاثة (ولد - بنت - نصيب)، يؤيد
هذا الترجيح أمور؛ منها:

١ - ما صرح به عدد من المفسرين من دلالة السياق على هذا المعنى^(٩)، وأن ترجيح أن
يراد ب (الجزء) خصوص البنات قد دل عليه سياق الآيات، فلقد أنكر الله ﷻ على
المشركين قسمتهم الجائرة هذه، وأنه لو - جدلاً - أرادوا أن يجعلوا ولداً لله ﷻ،

(١) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (٤٤/٢٥).

(٢) التسهيل لابن جزى (٤٦/٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٢٥/٤).

(٤) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٩٩/٢).

(٥) تفسير الجلالين ص (٤١٢).

(٦) جواهر الحسان للثعالبي (١٢٣/٤).

(٧) محاسن التأويل للقاسمي (٥٢٦١/١٤).

(٨) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٧٧/٢٥).

(٩) جامع البيان للطبري (٣٤/٢٥)، التسهيل لابن جزى (٤٦/٤)، أنوار التنزيل للبيضاوي

(١٩٩/٢)، جواهر الحسان للثعالبي (١٢٣/٤).

والنظير يعني جميع المعبودات من دون الله ﷻ، وذلك « أنا إذا حملنا هذه الآية^(١) على إنكار الشريك لله، وحملنا الآية التي بعدها^(٢) على إنكار الولد لله، كانت الآيات جامعة للرد على جميع المبطلين^(٣) ». والله أعلم بالصواب.



(١) يعني قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴾ [سورة الزخرف: ١٦].

(٢) يعني قوله تعالى: ﴿ أَمْ آتَّخَذَ مِمَّا تَخْلُقُ بَنَاتٍ ﴾ [سورة الزخرف: ١٦].

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي (٦٢٣/٩).

٦٦- قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [١٦٦] أَمْ هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴿١٦٦﴾ [سورة الزخرف: ٣١ - ٣٢].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

- ١- أن المراد بالرحمة: النبوة وإنزال الوحي^(١).
- ٢- أن الرحمة اسم يعم كل خير من عند الله ﷻ^(٢).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - « قوله تعالى: ((أهم يقسمون رحمة ربك)) الظاهر المتبادر أن المراد برحمة ربك النبوة وإنزال الوحي. وإطلاق الرحمة على ذلك متعدد في القرآن الكريم، كقوله تعالى في الدخان ﴿ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ [١٦٦] رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴿١٦٦﴾ [سورة الدخان: ٥ - ٦]، وقوله في آخر القصص: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ [سورة القصص: ٨٦]، وقوله في آخر الأنبياء: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٧] »^(٣).

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٢٤٢/٧).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٢١٧/١٣).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٢٤٢/٧).

الموافقون :

إن الرحمة المذكورة في قوله تعالى ((أهم يقسمون رحمة ربك)) يراد بها النبوة والرسالة. هذا ما اتفق على اختياره جمهور المفسرين ومعهم

الشيخ الشنقيطي، فمنهم:

- ١- الإمام الطبري^(١).
- ٢- الماوردي^(٢).
- ٣- الواحدي^(٣).
- ٤- البغوي^(٤).
- ٥- النسفي^(٥).
- ٦- الزمخشري^(٦).
- ٧- النيسابوري^(٧).
- ٨- ابن الجوزي^(٨).
- ٩- الفخر الرازي^(٩).
- ١٠- القرطبي^(١٠).
- ١١- الحازن^(١١).
- ١٢- نظام الدين

- (١) جامع البيان للطبري (٤٠/٢٥).
- (٢) النكت والعيون للماوردي (٢٢٣/٥).
- (٣) الوجيز للواحدى (٩٧٣/٢).
- (٤) مختصر البغوي (١٤٤/٢).
- (٥) مدارك التنزيل للنسفي (٨٩/٤).
- (٦) الكشف للزمخشري (٢٤١/٤).
- (٧) إيجاز البيان للنيسابوري (١٨٣/٢).
- (٨) زاد المسير لابن الجوزي (٩٦/٧).
- (٩) التفسير الكبير للفخر الرازي (٦٣٠/٩).
- (١٠) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨٣/١٦).
- (١١) لباب التأويل للحازن (١١١/٦).

- النيسابوري^(١).
- ١٣ - ابن جزى^(٢).
 ١٤ - أبو حيان^(٣).
 ١٥ - ابن كثير^(٤).
 ١٦ - البيضاوي^(٥).
 ١٧ - المحلي^(٦).
 ١٨ - البقاعي^(٧).
 ١٩ - القاسمي^(٨).
 ٢٠ - السعدي^(٩).
 ٢١ - سيد قطب^(١٠).
 ٢٢ - ابن عاشور^(١١).

المخالفون:

وهم من رجّحوا أن الرحمة المذكورة في الآية شاملة لكل الفضائل والمكرّمات والخيرات من عند الله ﷻ، والنبوة من ضمنها، وقد قال بهذا من المفسرين:

١ - ابن عطية^(١٢).
 ٢ - الثعالبي^(١٣).

-
- (١) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (٤٩/٢٥).
 (٢) التسهيل لابن جزى (٥٠/٤).
 (٣) البحر المحيط لأبي حيان (٣٧٠/٩).
 (٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٢٧/٤).
 (٥) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢٠٠/٢).
 (٦) تفسير الجلالين ص (٤١٣).
 (٧) نظم الدرر للبقاعي (٤٢١/١٧).
 (٨) محاسن التأويل للقاسمي (٥٢٦٩/١٤).
 (٩) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٧٦٥).
 (١٠) في ظلال القرآن لسيد قطب (٣١٨٦/٥).
 (١١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٠١/٢٥).
 (١٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٢١٧/١٣).
 (١٣) جواهر الحسان للثعالبي (١٢٦/٤).

تعقيب الباحث:

- الظاهر - والله أعلم - أن يراد بالرحمة في قوله تعالى ((أهم يقسمون رحمة ربك)) النبوة والرسالة، وهو ما ذهب إليه جمهور المفسرين قديماً وحديثاً، يدل لذلك:
- ١ - دلالة السياق على هذا المعنى^(١)، فإن ما قبلها من الآيات حديث عن إرسال الرسول بالدين الحق وتكذيب الكفار له ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ [سورة الزخرف: ١٣٠]، ثم اقتراحهم الاقتراح السخيف الجاهل بأن ينزل القرآن الكريم على أحد زعمائهم المعروفين - حكي القرآن الكريم عنهم- ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَاتِ عَظِيمٍ﴾ [سورة الزخرف: ٢٣١] فجاءهم الرد مع الإنكار أن يكون لهم تحكم ورأي في إنزال الوحي ((أهم يقسمون رحمة ربك))، فيترجح أن يراد بـ ((رحمة ربك)) النبوة والرسالة «لأنه المناسب لما قبله»^(٢).
- ٢ - يؤيد هذا الترجيح أيضاً ما دلت عليه آيات أخرى من كتاب الله ﷻ عبّر فيها عن النبوة والرسالة بالرحمة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [سورة القصص: ٨٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥٦﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [سورة الدخان: ٥ - ٦]، فتحمل الرحمة هنا في سورة الزخرف على ما حملت

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (١٢٥/١).

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوي (٤٤٠/٧).

عليه في تلك الآيات ، وهذا من نوع تفسير القرآن بالقرآن^(١) .
٣- كثرة المرجحين لهذا القول دليل قوته ، مع قلة المخالفين له . والله أعلم بالصواب .



(١) شرح مقلمة التفسير لابن عثيمين ص(١٢٧) ، قواعد التفسير لخالد السبت (١/١٠٩) .

معنى ﴿سُخْرِيًّا﴾

٦٧- قوله تعالى: ﴿لَنْ نَقْسِمَآ بَيْنَهُمْ مَّعِيَشَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا^١
وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا
سُخْرِيًّا﴾ [سورة الزخرف: ٣٢].

مجمّل الأقوال الواردة في الآية:

- ١- أن معنى ((سخرياً)) أي ليسخر بعضهم بعضاً في الأعمال^(١)، فجعل البعض محتاجاً إلى البعض لتحصل المواسة بينهم في متاع الدنيا، ويحتاج هذا إلى هذا، ويصنع هذا لهذا، ويعطي هذا هذا^(٢).
- ٢- أو يكون معنى ((سخرياً)) أي ليملك بعضهم بعضاً بالأموال فيتخذوهم عبيداً^(٣). قال ابن كثير عن القول الثاني: « هو راجع إلى الأول »^(٤).
- ٣- وقيل: هو من السخرية التي بمعنى الاستهزاء، أي ليستهزيء الغني بالفقير^(٥).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « وقوله تعالى ((ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً)) التحقيق إن شاء الله أنه من التسخير.
ومعنى تسخير بعضهم لبعض، خدمة بعضهم البعض، وعمل بعضهم لبعض ؛

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/١٢٧).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٤/٥٣٢).

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٧/٩٦).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/١٢٧).

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/٨٣) ولم يرحه.

لأن نظام العالم في الدنيا يتوقف قيامه على ذلك، فمن حكمته جل وعلا أن يجعل هذا فقيراً مع كونه قوياً قادراً على العمل، ويجعل هذا ضعيفاً لا يقدر على العمل بنفسه، ولكنه تعالى يهيئ له دراهم يؤجر بها ذلك الفقير القوي فينتفع القوي بدارهم الضعيف، والضعيف بعمل القوي، فتتظم المعيشة لكل منهما وهكذا...»^(١).

إذاً الشيخ الشنقيطي يرجح في بيان معنى ((سخرياً)) القول الأول من مجمل

الأقوال الواردة.

الموافقون :

ويمكن تقسيمهم إلى فئتين :

أ- الذين وافقوا الشنقيطي تماماً، يعني تدور عباراتهم في بيان معنى ((سخرياً)) حول تسخير الناس بعضهم بعضاً في الأعمال، يجعل البعض محتاجاً إلى البعض لتحصل المواساة بينهم في متاع الدنيا، ويحتاج هذا إلى هذا، ويصنع هذا لهذا، ويعطي هذا هذا، يدخل تحت هذه الفئة :

١- الإمام الطبري: « وقوله ((ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً)) يقول ليستسخر هذا هذا في خدمته إياه وفي عود هذا على هذا بما في يديه من فضل، يقول جعل تعالى ذكره بعضاً لبعض سبباً في المعاش في الدنيا »^(١).

٢- الواحدي: « ((ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً)) ليسخر الأغنياء بأموالهم الفقراء ويستخدموهم، فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش في الدنيا، هذا بماله وهذا بأعماله... »^(٢).

٣- النسفي: « ((ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً)) ليصرف بعضهم بعضاً في حوائجهم ويستخدموهم في مهنتهم ويتسخرؤهم في أشغالهم حتى يتعايشوا ويصلوا إلى

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٧/٢٤٣).

(٢) جامع البيان للطبري (٢٥/٤١).

(٣) الوجيز للواحدي (٢/٩٧٣).

منافعهم، هذا بماله وهذا بأعماله»^(١).

وبمثل هذا القول قال كل من:

- ٤ - الزمخشري^(٢).
٥ - ابن عطية^(٣).
٦ -
٧ - ابن جزى^(٥).
٨ - أبوحيان^(٦).
٩ -
١٠ - المحلي^(٨).
١١ - الثعالبي^(٩).
١٢ - البقاعي^(١٠).
١٣ - القاسمي^(١١).
١٤ - السعدي^(١٢).
١٥ -
سيد قطب^(١٣).

ولم أذكر كلام البقية اختصاراً ولأنه يشبه كلام من ذكرت.

ب- وهم الذين ذكروا القولين الأول والثاني من مجمل الأقوال عند بيانهم لمعنى ((سخرياً))، وذلك لأن القول الثاني راجع إلى القول الأول ويدخل تحته دخولاً

(١) مدارك التنزيل للنسفي (٩٠/٤).

(٢) الكشاف للزمخشري (٢٤٢/٤).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٢١٨/١٣).

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي (٦٣٠/٩).

(٥) التسهيل لابن جزى (٥٠/٤).

(٦) البحر المحيط لأبي حيان (٣٧٠/٩).

(٧) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢٠٠/٢).

(٨) تفسير الجلالين ص (٤١٣).

(٩) جواهر الحسان للثعالبي (١٢٦/٤).

(١٠) نظم الدرر للبقاعي (٤٢٣/١٧).

(١١) محاسن التأويل للقاسمي (٥٢٦٩/١٤).

(١٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٧٦٥).

(١٣) في ظلال القرآن لسيد قطب (٣١٨٧/٥).

كاملاً فإن من أنواع تسخير الناس بعضهم بعضاً أن يشتري الأغنياء بأموالهم عبيداً يخدمونهم. ومن فئة الذين ذكروا القولين :

١- الماوردي^(١).
٢- البغوي^(٢).

٣- ابن الجوزي: « ((سخرياً)).. فيه قولان: أحدهما: يستخدم الأغنياء الفقراء بأموالهم، فيلتم قوام العالم. الثاني: ليملك بعضهم بعضاً بالأموال فيخذوهم عبيداً□»^(٣).

٤- الحازن^(٤).

٥- ابن كثير: « وقوله جلت عظمته ((ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً)) قيل: معناه ليسخر بعضهم بعضاً في الأعمال لاحتياج هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، قاله السدي وغيره. وقال قتادة والضحاك: ليملك بعضهم بعضاً. وهو راجع إلى الأول^(٥). ذكرت عبارات ابن الجوزي وابن كثير لوضوح كلامهما، وكلام وكلام البقية يشبهه.

أما القول الثالث في مجمل الأقوال وهو أن يكون من السخرية والاستهزاء لم يرجحه أحد من المفسرين معنى للآية، وعليه فلا يوجد مخالف في هذا الموضوع.

تعقيب الباحث:

الظاهر - والله أعلم - حمل ((سخرياً)) على المعنيين (القول الأول والثاني من مجمل الأقوال) واعتبارهما معنى واحداً، وهذا ما اتضح من تقسيم الموافقين والمخالفين، فإن من رجح القول الأول فقط فهو موافق تماماً للشنقيطي، ومن ذكر القولين

(١) النكت والعيوب للماوردي (٢٢٤/٥).

(٢) مختصر البغوي (٨٤٥/٢).

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٩٦/٧).

(٤) لباب التأويل للحازن (١١٢/٦).

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٢٧/٤).

فإنه موافق أيضاً لأن القول الثاني: « راجع إلى الأول »^(١) تماماً، ف شراء الأغنياء بأموالهم عبداً يُخدمونهم هو نوع من أنواع أن يسخر الله ﷻ الناس بعضهم لبعض، وإذا كان ذلك كذلك فإن الراجع هو ما ذكرته من أن (سخرياً) تعني خدمة الناس بعضهم بعضاً لتحصل المواساة بينهم في متاع الدنيا، ويحتاج هذا إلى هذا، ويصنع هذا لهذا، ويعطي هذا هذا. أما القول بأن (سخرياً) تعني الاستهزاء؛ فلم يقل به أحد من المفسرين بأنه يصح معنى للآية، بل لقد اتفق عدد غير قليل منهم على التصريح برده وإبعاد أن يكون له طريق إلى الآية، فقال ابن عطية: « ولا مدخل لمعنى الهزاء في هذه الآية □ »^(٢)، ومثله قال الثعالبي^(٣). وقال أبوحيان « ويبعد أن يكون ((سخرياً)) هنا من الهزاء »^(٤). وقال البقاعي عن الهزاء بأنه « لا يليق التعليل به »^(٥). وقال الشوكاني رداً على القول بأن ((سخرياً)) يراد يراد به الاستهزاء: « وهذا وإن كان مطابقاً للمعنى اللغوي، ولكنه بعيد من معنى القرآن ومنافٍ لما هو مقصود السياق »^(٦)، ومثله قال القنوجي^(٧). أما سيد قطب فقد ردّ معنى الاستهزاء بعبارة أشمل وأوسع، وذلك أن من بواعث الاستهزاء؛ استعلاء طبقة على طبقة، أو فرد على فرد، فقال رداً على المعنى المرجوح ومرجحاً ما رجحه الجمهور: « وليس التسخير هو الاستعلاء.. استعلاء طبقة على طبقة، أو استعلاء فرد على فرد.. كلا! إن هذا معنى قريب ساذج، لا يرتفع إلى مستوى القول الإلهي الخالد. كلا! إن مدلول هذا القول أبقى من كل تغير أو تطور في أوضاع الجماعة البشرية، وأبعد مدى من ظرف يذهب وظرف يجيء.. إن كل البشر مسخر بعضهم لبعض. ودولاب الحياة يدور بالجميع، ويسخر بعضهم لبعض في كل وضع وفي كل ظرف. المقدر عليه في الرزق مسخر للمبسوط له في

(١) المرجع السابق.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (١٣/٢١٨).

(٣) جواهر الحسان للثعالبي (٤/١٢٦).

(٤) البحر المحيط لأبي حيان (٩/٣٧٠).

(٥) نظم الدرر للبقاعي (١٧/٤٢٣).

(٦) فتح القدير للشوكاني (٤/٥٣٢).

(٧) فتح البيان للقنوجي (١٢/٣٥٠).

الرزق. والعكس كذلك صحيح. فهذا مسخر ليجمع المال، فيأكل منه ويرتزق ذاك. وكلاهما مسخر للأخر سواء بسواء. والتفاوت في الرزق هو الذي يسخر هذا لذاك، ويسخر ذاك لهذا في دورة الحياة.. العامل مسخر للمهندس ومسخر لصاحب العمل. والمهندس مسخر للعامل ولصاحب العمل. وصاحب العمل مسخر للمهندس وللعامل على السواء.. وكلهم مسخرون للخلافة في الأرض بهذا التفاوت في المواهب والاستعدادات، والتفاوت في الأعمال والأرزاق..»^(١). والله أعلم بالصواب.



مرجع الضمير المنفصل ﴿هُوَ﴾

٦٨ - قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ
يَصُدُّونَ﴾ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا يَا أَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا
جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ [سورة الزخرف: ٥٧ - ٥٨].

مجملة الأقوال الواردة في الآية:

- ١ - أن المراد بـ (هو): محمد ﷺ وعليه يكون المعنى - على حد زعم المشركين - أي
آلهتنا خير أم محمد ﷺ فنعبده وندع آلهتنا^(١).
- ٢ - أن المراد بـ (هو): عيسى - عليه السلام - وعليه فالعنى - على حد زعم المشركين - يحتمل وجهين:
أ - أي آلهتنا الملائكة خير أم عيسى - عليه السلام - ، فإذا جاز أن يُعبد ويكون ابن الله
ﷺ؛ كانت آلهتنا أولى بذلك^(٢).
- ب - أو آلهتنا - الأصنام - خير أم عيسى - عليه السلام - ، ويحتمل معنيين:
الأول: إن يكن عيسى - عليه السلام - في النار؛ فنحن نرضى أن تكون آلهتنا معه^(٣).
الثاني: أو إن ما تذكره - يا محمد ﷺ - من أن كل ما عُبد من دون الله ﷻ في النار
ومن ضمنهم عيسى - عليه السلام - مع اعترافك بخلاف ذلك، يدل على أن
ما تقوله من أنه نحن وآلهتنا في النار؛ ليس بحق أيضاً^(٤).

(١) النكت والعيون للماوردي (٥/٢٣٤).

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/٢٠٢).

(٣) مختصر البغوي (٢/٨٤٨).

(٤) أضواء البيان للشنقيطي (٧/٢٦١).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ((آلهتنا خير أم هو)) التحقيق أن الضمير في قوله ((هو)) راجع إلى عيسى، لا إلى محمد عليهما الصلاة والسلام.

قال بعض العلماء: ومرادهم بالاستفهام تفضيل معبوداتهم على عيسى - ﷺ - . قيل: لأنهم يتخذون الملائكة آلهة، والملائكة أفضل عندهم من عيسى - ﷺ - . وعلى هذا فمرادهم أن عيسى - ﷺ - عُبد من دون الله ﷻ، ولم يكن ذلك سبباً لكونه في النار، ومعبوداتنا خير من عيسى، فكيف تزعم أنهم في النار.

وقال بعض العلماء: أرادوا تفضيل عيسى على آلهتهم. والمعنى على هذا أنهم يقولون: عيسى خير من آلهتنا، أي في زعمك وأنت تزعم أنه في النار، بمقتضى عموم ما تتلوه من قوله ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [سورة الأنبياء: ٩٨]، وعيسى عبده النصارى من دون الله ﷻ، فدلالة قولك على أن عيسى في النار مع اعترافك بخلاف ذلك؛ يدل على أن ما تقوله من أنا وآلهتنا في النار ليس بحق أيضاً»^(١).

فالشيخ الشنقيطي يرى رجوع الضمير ((هو)) إلى عيسى - ﷺ - .

الموافقون:

- لقد رجّح رجوع الضمير إلى عيسى - ﷺ - عدد كبير من المفسرين، منهم:
- | | | |
|--------------------------------|-----------------------------|------------------------------|
| ١- الواحدي ^(٢) . | ٢- النسفي ^(٣) . | ٣- ابن عطية ^(٤) . |
| ٤- ابن الجوزي ^(١) . | ٥- ابن جزى ^(٢) . | ٦- أبوحيان ^(٣) . |

(١) المرجع السابق.

(٢) الوجيز للواحدي (٩٧٧/٢).

(٣) مدارك التنزيل للنسفي (٩٣/٤).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (٢٤٢/١٣).

- ٧- ابن كثير^(٤) .
٨- المحلي^(٥) .
٩-
الثعالبي^(٦) .
١٠- البقاعي^(٧) .
١١- القاسمي^(٨) .
١٢- السعدي^(٩) .
١٣- سيد قطب^(١٠) .

ولم يجزم أحد بترجيح رجوع الضمير إلى غير عيسى - ﷺ - ، وعليه لا يوجد مخالف في هذا الموضوع.

تعقيب الباحث:

- الذي يظهر - والله أعلم - أن الراجح رجوع الضمير (هو) إلى عيسى - ﷺ - ، وهو ما ذهب إليه الجمهور من المفسرين ، يدل لذلك:
- ١- أنه هو المذكور في الآيات ، واستناداً إلى قاعدة: إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره ؛ لأنه هو المقصود بالكلام^(١١) . يترجح رجوع الضمير إلى عيسى - ﷺ - .

-
- (١) زاد المسير لابن الجوزي (١٠٣/٧).
 - (٢) التسهيل لابن جزي (٥٦/٤).
 - (٣) البحر المحیط لأبي حيان (٣٨٥/٩).
 - (٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٣١/٤).
 - (٥) تفسير الجلالين ص (٤١٥).
 - (٦) جواهر الحسان للثعالبي (١٣٠/٤).
 - (٧) نظم الدرر للبقاعي (٤٥٦/١٧).
 - (٨) محاسن التأويل للقاسمي (٥٢٧٩/١٤).
 - (٩) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٧٦٨).
 - (١٠) في ظلال القرآن لسيد قطب (٣١٩٦/٥).
 - (١١) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٦٠٣/٢).

- ٢- أن رجوع الضمير (هو) إلى عيسى - ﷺ - ، اختيار الجمهور؛ كما صرح بذلك ابن جزري^(١).
- ٣- صرح عدد من المفسرين بأن هذا القول هو « المترجح »^(٢)، وهو « الأظهر »^(٣)، وهو وهو « الراجح »^(٤).
- ٤- لم يخالف أحد فيرجح رجوع الضمير إلى غير عيسى - ﷺ - . والله أعلم بالصواب.



المراد بالأزواج في قوله تعالى ﴿ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ ﴾

- ٦٩- قوله تعالى: ﴿ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ مُحْبَرُونَ ﴾ ﴿٧٠﴾
- سورة الزخرف: ١٧٠.

مجملة الأقوال الواردة في الآية:

- ١- أن الأزواج هن نساؤهم المؤمنات في الدنيا، يكنّ معهم في الجنة.
- ٢- أن الأزواج يراد بهم زوجاتهم من الحور العين.

(١) التسهيل لابن جزري (٥٦/٤).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٢٤٢/١٣).

(٣) التسهيل لابن جزري (٥٦/٤).

(٤) جواهر الحسان للثعالبي (١٣٠/٤).

٣- أو يراد بالأزواج قرناؤهم ونظراؤهم وأشباههم في الطاعة^(١).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « قوله تعالى في هذه الآية ((وأزواجكم)) فيه لعلماء التفسير وجهان: أحدهما: أن المراد بأزواجهم نظراؤهم وأشباههم في الطاعة وتقوى الله ﷻ. واقتصر على هذا القول ابن كثير^(٢). والثاني: أن المراد بأزواجهم نساؤهم في الجنة؛ لأن هذا الأخير أبلغ في التنعم والتلذذ من الأول.

ولذا يكثر في القرآن الكريم ذكر إكرام أهل الجنة بكونهم مع نساءهم، دون الامتنان عليهم بكونهم مع نظرائهم وأشباههم في الطاعة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ ﴿٥٥﴾ هُمُ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَلٍ عَلَى الْأَرَآئِكِ مُتَكُونُونَ ﴿٥٦﴾ [سورة يس: ٥٥ - ٥٦] وقال كثير من أهل العلم: إن المراد بالشغل المذكور في الآية هو افتضاض الأبيكار، وقال تعالى: ﴿ وَزَوْجَنَّهُمْ نَحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ [سورة الدخان: ٥٤، الطور: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ [سورة الواقعة: ٢٢ - ٢٣]، وقال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧﴾ فَبِأَيِّ آءِآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٨﴾ حُورٌ

(١) الأقوال الثلاثة ذكرها الماوردي في النكت والعيون (٥/٢٣٨)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١١١/١٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/١٣٤).

مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ لسورة الرحمن: ٧٠ - ٧٢، وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَنْصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ﴾ ﴿٤٨﴾ لسورة الصافات: ٤٨، وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَنْصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ ﴿٥٢﴾ لسورة ص: ٥٢ إلى غير ذلك من الآيات»^(١).

إذاً الشيخ الشنقيطي يرجح أن المراد بالأزواج هنا في قوله تعالى: ((ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون)) هن الزوجات، شاملاً نساءهم المؤمنات في الدنيا يكنّ معهم في الجنة، وكذلك نساءهم من الحور العين. يعني جمع الشيخ الشنقيطي في بيان المراد بالأزواج بين القولين الأول والثاني من مجمل الأقوال، يتضح ذلك من الآيات التي استشهد بها تأييداً لترجيحه.

الموافقون:

هم كل من ذكر أن المراد بالأزواج النساء المؤمنات زوجات المؤمنين في الجنة:

- ١ - الإمام الطبري: « وقوله: ((ادخلوا الجنة أنتم وأزواجهم تحبرون)) يقول جل ثناؤه ادخلوا الجنة أنتم أيها المؤمنون وأزواجكم مغبوطين بكرامة الله ﷻ مسرورين بما أعطاكم اليوم ربكم»^(٢).
- ٢ - البقاعي: «... ((ادخلوا الجنة)) وما كانت الدار لا تكمل إلا بالرفيق السار، قال تعالى ((أنتم وأزواجكم)) أي نساؤكم اللاتي كن مشاكلات لكم في الصفات. وأما قرناؤهم من الرجال فدخلوا في قوله ﴿وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ لسورة الزخرف: ٦٩، . (تحبرون) أي تكرمون وتزينون فتسرون سروراً يظهر أثره عليكم مستمراً يتجدد أبداً»^(٣).

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٧/٢٨٠).

(٢) جامع البيان للطبري (٢٥/٥٧).

(٣) نظم الدرر للبقاعي (١٧/٤٧٨).

٣- ابن عاشور: «... وعطف أزواجهم عليهم في الإذن بدخول الجنة من تمام نعمة التمتع بالخلة التي كانت بينهم وبين أزواجهم في الدنيا»^(١).
وينحو كلام من ذكرتُ جاءت عبارات كل من الإمام النسفي^(٢)، وابن عطية^(٣)،
والبيضاوي^(٤)، والمحلي^(٥).

المخالفون:

لقد اختار الإمام ابن كثير فقط القول الآخر في بيان المراد بالأزواج، فقال:
«(وأزواجكم)) نظراًؤكم»^(٦).

تعقيب الباحث:

الظاهر - والله أعلم - أن يراد بالأزواج هنا في قوله تعالى ((ادخلوا الجنة أتتم
وأزواجكم تحبرون)) زوجات المؤمنين، بشمول اللفظ لزوجاتهم اللاتي كنّ معهم في
الدنيا، وزوجاتهم من الحور العين، يدل لذلك أمور:
١- سياق الآيات يدل على شمول النعيم للمؤمنين وأزواجهم دون تحديد لنسائهم
المؤمنات في الدنيا أو زوجاتهم من الحور العين، قال تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ

١ () التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٥٤/٢٥).

٢ () مدارك التنزيل للنسفي (٩٤/٤).

٣ () المحرر الوجيز لابن عطية (٢٤٩/١٣).

٤ () أنوار التنزيل للبيضاوي (٢٠٣/٢).

٥ () تفسير الجلالين ص (٤١٥).

٦ () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٣٤/٤).

أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ
وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴿٧١﴾ سورة

الزخرف: ٧٠ - ٧١].

- ٢- مما يرجح إرادة الزوجات دون النظراء والأشباه؛ قاعدة: إذا دار الكلام بين التأسيس والتوكيد فحمله على التأسيس أولى^(١)، وذلك أن حمل لفظ الأزواج على النظراء والأشباه يكون نوعاً من التوكيد، فإنهم يعتبروا داخلين في الآية التي قبلها وهي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِغَايَتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿١١﴾ سورة الزخرف: ٦٩، فالأولى والأبلغ أن تحمل على أن يراد بها الزوجات. قال البقاعي: «... وأما قرناؤهم من الرجال فدخلوا في قوله ((كانوا مسلمين))»^(٢).
- ٣- إضافة إلى ما ذكره الشيخ الشنقيطي من آيات تؤيد اختياره، أقول: هناك آيات أخرى أيضاً تذكر صراحة كون الزوجات مع أزواجهن في الجنة، كقوله تعالى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ ﴿١١﴾ سورة الرعد: ٢٣، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّتِ عَدْنِ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ ﴿١٢﴾ سورة غافر: ٨. وبالطبع هذا من تفسير القرآن بالقرآن^(٣).
- ٤- استناداً إلى قاعدة: حمل معاني كلام الله ﷻ على الغالب من أسلوب القرآن الكريم

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٤٧٣/٢).

(٢) نظم الدرر للبقاعي (٤٧٨/١٧).

(٣) شرح مقلمة التفسير لابن عثيمين ص (١٢٦)، قواعد التفسير لخالد السبت (١٠٩/١).

ومعهود استعماله أولى^(١)، فإن لفظ الزوج في القرآن الكريم غالباً ما يطلق في أكثر
المواضع مراداً به المرأة ((الزوجة)) خصوصاً، فيما يزيد على خمسة وعشرين
موضعاً، منها قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ
وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ [سورة البقرة: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿
يَتَّيِبُهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِّلْأَزْوَاجِ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ
عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ ﴾ [سورة الأحزاب: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ
لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾
[سورة المعارج: ٢٩ - ٣٠].

أسأل الله ﷻ أن يغفر لي ولجميع المسلمين، وأن يجعلني والمؤمنين وزوجاتنا
وذرياتنا في الجنة، إنه سميع مجيب.



(١) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (١٧٢/١)، قواعد التفسير لخالد السبت (٧٩٨/٢).

معنى كلمة ﴿وَيْلٌ﴾

٧٠- قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتُ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾﴾ [سورة الجاثية: ٦ - ٨].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

- ١- أن كلمة ((ويل)) تعني دعاء بالعذاب والهلاك.
- ٢- أن ((ويل)) اسم وادٍ في جهنم^(١).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « وقوله في هذه الآية الكريمة ((ويل لكل أفاك أثيم))، قال بعض العلماء: (ويل) وادٍ في جهنم. والأظهر أن لفظه (ويل) كلمة عذاب وهلاك، وأنها مصدر لا لفظ له من فعله، وأن المسوِّغ للابتداء بها مع أنها نكرة كونها في معرض الدعاء عليهم بالهلاك^(٢) ».

الموافقون:

رجَّح أن المراد بكلمة (ويل) دعاء بالعذاب والهلاك؛ كل من:

^١ (ذكر القولين ابن عطية في المحرر الوجيز (٢٩٩/١٣).)

^٢ (أضواء البيان للشنقيطي (٣٤٢/٧).)

- ١- الفخر الرازي: « اعلم أنه تعالى لما بين الآيات للكفار، وبين أنهم بأي حديث يؤمنون إذا لم يؤمنوا بها مع ظهورها، اتبعه بوعيد عظيم لهم فقال: ((ويل لكل أفاك أثيم))^(١)».
- ٢- المحلي: « (ويل) كلمة عذاب »^(٢).
- ٣- سيد قطب: « والويل الهلاك، والأفاك الكذاب المارد على الكذب والأثيم الكثير المقارفة للإثم. والتهديد شامل لكل من هذه صفته »^(٣).
- ٤- ابن عاشور: «... وافتتح ذكره بالويل له تعجيلاً لإنذاره وتهديد قبل ذكر حاله. و (ويل) كلمة دعاء بالشر^(٤)، وأصل الويل الشر وحلوله »^(٥).

المخالفون:

- وهم من رجّح أن كلمة (ويل) تعني اسم وادٍ في جهنم:
- ١- الطبري: « ((ويل لكل أفاك أثيم)) يقول تعالى ذكره الوادي السائل من صديد أهل جهنم لكل كذاب ذي إثم بربه مفتر عليه يسمع آيات الله تتلى عليه يقول يسمع آيات كتاب الله تقرأ عليه ثم يصر على كفره وإثمه فيقيم عليه غير تائب منه ولا راجع عنه مستكبراً على ربه أن يذعن لأمره ونهييه... »^(٦).
 - ٢- القرطبي: « ((ويل)) وادٍ في جهنم. توعد من ترك الاستدلال بآياته. والأفاك:

^١ (التفسير الكبير للفخر الرازي (٦٧٢/٩).

^٢ (تفسير الجلالين ص (٤٢٠).

^٣ (في ظلال القرآن لسيد قطب (٣٢٢٥/٥).

^٤ (في الأصل قال: دعاء بالشكر، ولعل الكاف زائدة خطأ مطبعي، والصحيح ما أثبتته بدلالة بقية الكلام.

^٥ (التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٣١/٢٥).

^٦ (جامع البيان للطبري (٨٥/٢٥).

الكذاب. والإفك الكذب. ((أثيم)) أي مرتكب للإثم ^(١).

- ٣- البقاعي: «... ولما كان لا يبقى على الكفر نوع بقاء فضلاً عن الإصرار بعد هذا البيان إلا من يستحق النكال لمجاهرتة بالعناد، قال على وجه الاستنتاج مهدياً: ((ويل)) أي مكان معروف في جهنم ((لكل أفاك)) أي مبالغ في صرف الحق عن وجهه ((أثيم)) أي مبالغ في اكتساب الإثم وهو الذنب، وعمل ما لا يحل مما يوجب العقاب ^(٢)».
- ٤- الشوكاني: «((ويل لكل أفاك أثيم)) أي لكل كذاب كثير الإثم، مرتكب لما يوجبه، والويل: وادٍ في جهنم ^(٣)».
- ومن جمع القولين معاً تحت تفسيره لكلمة (ويل) فلم ينجح بعيداً، وأذكرهم ليعرف قولهم:

- ١- ابن عطية: «(الويل) في كلام العرب: المصائب والحزن والهمّ والشدة من هذه المعاني، وهي لفظة تستعمل في الدعاء على الإنسان. ورؤي في بعض الآثار أن في جهنم وادياً اسمه: ويل ^(٤)».
- ٢- القنوجي: «(ويل) وادٍ في جهنم أو كلمة عذاب ^(٥)».

تعقيب الباحث:

يظهر - والله أعلم صحة حمل لفظة (ويل) على المعنيين المذكورة عن المفسرين، فمن فسرها بأنها اسم وادٍ في جهنم استدل بما ورد عن النبي ﷺ من حديث، فقد روى الصحابي أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ويل وادٍ في جهنم، يهوي فيه

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/١٥٨).

(٢) نظم الدرر للبقاعي (١٨/٦٩).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٥/٦).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (١٣/٢٩٩).

(٥) فتح البيان للقنوجي (١٢/٤١٩).

الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره»^(١).

ومن فسرهما بأنها تعني دعاء بالهلاك والعذاب بنى تفسيره على ما هو معروف
من معناها في لغة العرب^(٢).

فلا مانع من حمل اللفظ في الآية على المعنيين. الله أعلم بالصواب.



^١ (الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٧٥/٣)، وفي نسخة المسند المحققة بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط توسعوا في تخريجه والحكم عليه، ثم نقلوا قول الحاكم « هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه »، وذكروا موافقة الذهبي له. انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، التحقيق بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط (٢٤٠/١٨ - ٢٤١).

^٢ (القاموس المحيط للفيروز آبادي ص(١٣٨٢) باب اللام فصل الواو.

المراد بقوله ﴿ وَمَا أَدْرَى مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا بَكُمْ ﴾

٧١- قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَى مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا بَكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة الأحقاف: ٢٩].

مجملة الأقوال الواردة في الآية:

- ١- أن المراد بالآية ما يكون في الدنيا ، ثم فيه ثلاثة أوجه :
 - أ- يعني لا أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا ، فلا أدري ما يفعل بي أخرج كما أخرجت الأنبياء قبلي ، أو أقتل كما قتل الأنبياء من قبلي ، ولا أدري ما يفعل بكم ، إنكم مصدقون أو مكذبون ، أو معذبون أو مؤخرون^(١) .
 - ب- أنه لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله ﷺ ، رأى في المنام أنه هاجر إلى أرض ذات نخل وشجر وماء ، فقصها على أصحابه ، فاستبشروا بذلك لما يلقون من أذى المشركين. ثم إنهم مكنوا برهة لا يرون ذلك ، فقالوا: يا رسول الله متى تهاجر إلى الأرض التي رأيت؟ فسكت رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى: ((وما أدري ما يفعل بي ولا بكم)) يعني لا أدري ، أخرج إلى الموضع الذي رأيت في منامي أم لا؟ ثم قال: « إنما هو شيء رأيت في منامي ، وما (أتبع إلا ما يوحى إلي) »^(٢) .
 - ج- أن المعنى: لا أدري ما أوامر به ولا ما تؤمرون به^(٣) .
- ٢- أن المراد بالآية ما يكون في الآخرة ، « لما نزلت فرح المشركون واليهود والمنافقون وقالوا: كيف نتبع نبياً لا يدري ما يفعل به ولا بنا ، وأنه لا فضل له علينا ، ولولا أنه ابتدع الذي

(١) حكاية الماوردي في النكت والعيون (٢٧٢/٥) عن الحسن البصري.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (١٣٣/٧).

(٣) النكت والعيون للماوردي (٢٧٢/٥).

يقوله من تلقاء نفسه لأخبره الذي بعثه بما يفعل به، فنزلت ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [سورة الفتح: ٢] فنسخت هذه الآية، وأرغم الله أنف الكفار، وقالت الصحابة: هنيئاً لك يا رسول الله، لقد بين الله لك ما يفعل بك يا رسول الله، فليت شعرنا ما هو فاعل بنا؟ فنزلت: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [سورة الفتح: ٥]، ونزلت ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾ [سورة الأحزاب: ٤٧] ﴿١﴾.

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « قوله تعالى: ((وما أدري ما يفعل بي ولا بكم)) التحقيق إن شاء الله أن معنى الآية الكريمة: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في دار الدنيا، فما أدري أأخرج من مسقط رأسي أو أقتل كما فعل ببعض الأنبياء. وما أدري ما ينالني من الحوادث والأمور في تحمل أعباء الرسالة. وما أدري ما يفعل بكم أيخسف بكم، أو تنزل عليكم حجارة من السماء، ونحو ذلك. وهذا هو اختيار ابن جرير وغير واحد من المحققين.

وهذا المعنى في هذه الآية دلت عليه آيات من كتاب الله ﷻ كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٨]، وقوله تعالى أمراً له ﷻ ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/١٨٥).

اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴿سورة الأنعام: ٥٠﴾.

وبهذا تعلم أن ما يروى عن ابن عباس وأنس وغيرهما^(١) من أن المراد (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) أي في الآخرة فهو خلاف التحقيق^(٢).
الشيخ الشنقيطي إذا يرجح أن الآية يراد بها ما يكون في دار الدنيا.

الموافقون:

- أعني بهم كل من رجح أن الآية يراد بها ما يكون في الدنيا، بأي واحد من التفصيلات الثلاثة المذكورة تحت القول الأول، ومنهم:
- ١- الإمام الطبري: «... ذلك أمر من الله جل ثناؤه نبيه - ﷺ - أن يقوله للمشركين من قومه ويعلم أنه لا يدري إلام يصير أمره وأمرهم في الدنيا أبصير أمره معهم أن يقتلوه أو يخرجوه من بينهم أو يؤمنوا به فيتبعوه، وأمرهم إلى الهلاك كما أهلكت الأمم المكذبة رسلها من قبلهم أو إلى التصديق له فيما جاءهم به من عند الله ﷻ»^(٣).
 - ٢- الواحدي: «(وما أدري ما يفعل بي)» إلى إيش يصير أمري معكم، أتقتلونني أم تخرجونني، ((ولا بكم)) أتعدّبون بالحسف أم بالحجارة، والمعنى: ما أدري إلى ماذا يصير أمري وأمركم في الدنيا»^(٤).
 - ٣- ابن جزري: «(وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) فيها أربعة أقوال:
الأول: أنها في أمر الآخرة، وكان ذلك قبل أن يعلم أنه في الجنة، وقبل أن يعلم أن المؤمنين في الجنة وأن الكفار في النار، وهذا بعيد؛ لأنه لم يزل يعلم ذلك من أول ما بعثه الله ﷻ.

(١) هو القول رقم (٢) في مجمل الأقوال.

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٣٧٧/٧).

(٣) جامع البيان للطبري (٦/٢٦).

(٤) الوجيز للواحدي (٩٩٤/٢).

الثاني: أنها في أمر الدنيا، أي لا أدري بما يقضى الله ﷻ عليّ وعليكم، فإن مقادير الله
مغيبية، وهذا هو الأظهر.

الثالث: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم من الأوامر والنواهي وما تلزمه الشريعة.

الرابع: أن هذا كان في الهجرة إذ كان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض بها
نخل، فقلق المسلمون لتأخير ذلك فنزلت هذه الآية ^(١).

القولان الثالث والرابع من كلام ابن جزري داخلان تحت القول الثاني مما ذكره.

٤- ابن كثير - بعد أن ذكر أن المراد بالآية هو ما يكون في الدنيا - قال: «... ولا شك
أن هذا هو اللائق به ﷺ، فإنه بالنسبة إلى الآخرة جازم أنه يصير إلى الجنة هو ومن
اتبعه، وأما في الدنيا فلم يدر ما كان يؤول إليه أمره وأمر مشركي قريش إلى ماذا؟
أيؤمنون أم يكفرون فيعذبون فيستأصلون بكفرهم...» ^(٢).

٥- المحلي: «((وما أدري ما يفعل بي ولا بكم)) في الدنيا أخرج من بلدي أم أقتل كما فعل
بالأنبياء قبلي، أو ترموني بالحجارة أم يخسف بكم كالمكذبين قبلكم» ^(٣).

٦- الشوكاني: «((وما أدري ما يفعل بي ولا بكم)) أي ما يفعل بي فيما يستقبل من
الزمان، هل أبقى في مكة أو أخرج منها؟ وهل أموت أو أقتل؟ وهل تعجل لكم
العقوبة أم تمهلون؟ وهذا إنما هو في الدنيا. وأما في الآخرة فقد علم أنه وأمته في الجنة،
وأن الكافرين في النار. وقيل: إن المعنى ما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة،
وأنها لما نزلت فرح المشركون وقالوا: كيف نتبع نبياً لا يدري ما يفعل به ولا بنا، وإنه
لا فضل له علينا؟ فنزل قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ

^١ () التسهيل لابن جزري (٤/٧٤).

^٢ () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/١٥٥).

^٣ () تفسير الجلالين ص (٣٢٤).

ذُنُوبِكُمْ وَمَا تَأَخَّرَ ﴿١﴾ لسورة الفتح: ٤٢. والأول أولى»^(١).

٧- السعدي: « ((وما أدري ما يفعل بي ولا بكم)) أي لستُ إلا بشراً، ليس بيدي من الأمر شيء، والله تعالى هو المتصرف بي وبكم، الحاكم عليّ وعليكم، ولست الآتي بالشيء من عندي»^(٢).

ونحواً من عبارات من ذكرت جاء كلام الإمام النسفي^(٣)، والفخر الرازي^(٤)، والقرطبي^(٥)، والبقاعي^(٦)، والقنوجي^(٧)، والقاسمي^(٨)، وابن عاشور^(٩).

أما القول بأنه يراد بالآية ما يكون في الآخرة فلم يرجحه أحد. وعليه فلا يوجد مخالف هنا.

تعقيب الباحث:

الذي يظهر رجحانه هنا - والله أعلم - أن الآية يراد بها ما يكون في دار

^١ () فتح القدير للشوكاني (١٦/٥).

^٢ () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٧٨٠).

^٣ () مدارك التنزيل للنسفي (١٠٧/٤).

^٤ () التفسير الكبير للفخر الرازي (٩/١٠).

^٥ () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/١٨٦).

^٦ () نظم الدرر للبقاعي (١٨/١٣٥).

^٧ () فتح البيان للقنوجي (١٣/١٥).

^٨ () محاسن التأويل للقاسمي (١٥/٥٣٤٢).

^٩ () التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٦/١٧).

الدنيا، وهو ما رجحه الشنقيطي ومن قال بمثل قوله، يدل لذلك أمور:

١- أن هذا القول دلت عليه آيات أخرى من كتاب الله ﷻ، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَّا

أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ [سورة الأنعام: ٥٠]،

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا

مَسْنِي السُّوءِ ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ

عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ [سورة هود: ٣١]، وتفسير القرآن

بالقرآن أقوى أنواع التفسير^(١).

٢- سياق الآيات يستدل به المفسرون^(٢) على ترجيح أن يراد بالآية ما يكون في دار الدنيا،

الدنيا، قال الإمام الطبري: « وإنما قلنا ذلك أولها بالصواب لأن الخطاب من مبتدأ

هذه السورة إلى هذه الآية والخبر خرج من الله ﷻ خطأً للمشركين وخبراً عنهم

وتوبيخاً لهم واحتجاجاً من الله تعالى ذكره لنبيه ﷺ عليهم، فإذا كان ذلك كذلك

فمعلوم أن هذه الآية أيضاً سبيلها سبيل ما قبلها وما بعدها في أنها احتجاج عليهم

وتوبيخ لهم أو خبر عنهم، وإذا كان ذلك كذلك فمحال أن يقال للنبي ﷺ قل

للمشركين ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وآيات كتاب الله ﷻ في تنزيهه

ووحيه إليه متتابعة بأن المشركين في النار مخلدون، والمؤمنون به في الجنان منعمون،

وبذلك يرهبهم مرة ويرغبهم أخرى^(٣).

٣- إلحاقاً للنقطة السابقة، فقد ردّ الإمام النحاس على دعوى النسخ في آية الأحقاف،

مرجحاً قول الجمهور، مستدلاً على صحة كلامه بسياق الآيات، قال: « محال أن

(١) شرح مقلمة التفسير لابن عثيمين ص(١٢٧)، قواعد التفسير لخالل السبب (١/١٠٩).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (١/١٢٥).

(٣) جامع البيان للطبري (٦/٢٦).

يكون في هذا ناسخ ولا منسوخ من جهتين :

أحدهما : أنه خبر.

والآخر : أنه من أول السورة إلى هذا الموضع خطاب للمشركين واحتجاج عليهم وتوبيخ لهم ، فوجب أن يكون هذا أيضاً خطاباً للمشركين كما كان قبله وما بعده ، ومحال أن يقول النبي ﷺ للمشركين ((وما أدري ما يفعل بي ولا بكم)) في الآخرة ، ولم يزل ﷺ من أول مبعثه إلى مماته يخبر أن من مات على الكفر مخلد في النار ، ومن مات على الإيمان واتبعه وأطاعه فهو في الجنة ، فقد رأى ﷺ ما يفعل به وبهم في الآخرة. وليس يجوز أن يقول لهم ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة ، فيقولون كيف نتبعك وأنت لا تدري أتصير إلى خفض ودعة أم إلى عذاب وعقاب . انتهى كلام النحاس بواسطة نقل القرطبي^(١) له.

- ٤ - مما يدل على قوة القول الراجح إجماع جمهور المفسرين عليه ، مع عدم وجود مخالف رجح القول الآخر.
- ٥ - ترادفت عبارات المفسرين في ترجيح قول الجمهور ، فقالوا إنه هو « الأظهر »^(٢) ، وهو « اللائق به ﷺ »^(٣) ، وهو « الأولى »^(٤) ونحوها.
- ٦ - بل لقد صرّحوا بردّ القول المرجوح فقالوا عنه إنه « ضعيف »^(٥) ، وإنه « بعيد »^(٦) ،

^(١) (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/١٨٦).

^(٢) (التسهيل لابن جزي (٤/٧٤).

^(٣) (تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/١٥٥).

^(٤) (فتح القدير للشوكاني (٥/١٦) ، فتح البيان للفتنوجي (١٣/١٥).

^(٥) (التفسير الكبير للفخر الرازي (١٠/١٠).

^(٦) (التسهيل لابن جزي (٤/٧٤).

وإنه « ليس بظاهر »^(١).

٧- إلحاقاً للنقطة السابقة فيمن ردّ القول المرجوح، قال الفخر الرازي: «... وأكثر المحققين استبعدوا هذا القول واحتجوا عليه بوجوه:

الأول: أن النبي ﷺ لا بد وأن يعلم من نفسه كونه نبياً ومتى علم كونه نبياً علم أنه لا تصدر عنه الكبائر وأنه مغفور له، وإذا كان كذلك امتنع كونه شاكاً في أنه هل هو مغفور له أم لا.

الثاني: لا شك أن الأنبياء أرفع حالا من الأولياء، فلما قال في هذا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا

رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

﴿سورة الأحقاف: ١٣﴾، فكيف يعقل أن يبقى الرسول الذي هو رئيس

الأتقياء وقدوة الأنبياء والأولياء شاكاً في أنه هل هو من المغفورين أو من المعذنين؟

الثالث: أنه تعالى قال: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ تَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ ﴿سورة الأنعام:

١٢٤﴾ والمراد منه كمال حاله ونهاية قربه من الله تعالى، ومن هذا حاله كيف يليق به أن يبقى شاكاً في أنه من المعذنين أو من المغفورين؟ فثبت أن هذا القول ضعيف □^(٢).

٨- من الأدلة التي قد تؤيد القول المرجوح؛ حديث أم العلاء^(٣) - امرأة من الأنصار

^(١) (البحر المحيط لأبي حيان (٩/٤٣٥).

^(٢) (التفسير الكبير للفخر الرازي (١٠/١٠).

^(٣) (أم العلاء بنت الحارث بن ثابت بن حارثة، صحابية أنصارية، يقال إنها زوجة زيد بن ثابت وأم ابنه خارجة. الإصابة (٤/٤٧٨)، تهذيب التهذيب (١٢/٤٧٥).

بايعت النبي ﷺ - قالت: اقتسم المهاجرون قُرعة، فطار لنا عثمان بن مظعون^(١) فأنزلناه في أبياتنا، فوجع وجعه الذي توفي فيه، فلما توفي وغسل وكفن في أثوابه دخل رسول الله ﷺ، فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله - فقال النبي ﷺ: « وما يدريك أن الله أكرمه » فقلت: بأبي أنت يا رسول الله، فمن يكرمه الله؟ فقال: « أما هو فقد جاءه اليقين - والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدري - وأنا رسول الله - ما يفعل بي » قالت: فوالله لا أزكي أحداً بعده أبداً.

وفي رواية أخرى قال: « ما يفعل به »^(٢). وفي رواية أخرى، بعد قولها: فوالله لا أزكي أحداً بعده، قالت: فأحزنتني ذلك، فنمت، فرأيت لعثمان عيناً تجري، فجئت رسول الله ﷺ وأخبرته، فقال: « ذلك عمله »^(٣).

ولكن هذا الحديث لا يقوى دليلاً فيما استدل به عليه، قال الإمام القرطبي: « حديث أم العلاء خرجته البخاري، وروايتي فيه ((وما أدري ما يفعل به)) ليس فيه (بي ولا بكم)، وهو الصحيح إن شاء الله تعالى »^(٤).

والإمام ابن كثير - بعد أن ذكر الحديث ولفظ « ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به »

(١) عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحي، صحابي أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، هاجر إلى الحبشة، توفي بعد شهوده بدرًا في السنة الثانية من الهجرة، وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين، وأول من دفن بالبقع منهم. الإصابة (٤٦٤/٢).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه. فتح الباري (١١٤/٣)، الحديث رقم (١٢٤٣).

(٣) البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، فتح الباري (٢٦٤/٧) الحديث رقم (٣٩٢٩).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/١٨٦).

- قال: « وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ بدليل قولها فأحزني ذلك »^(١)، وهذا الذي قاله ابن كثير نقله عن القاسمي^(٢)، والشنقيطي^(٣) مؤيدين له. والله أعلم بالصواب.



المراد بـ ﴿الَّذِي﴾

٧٢- قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِيَوْلَدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعَدَانِي أَنْ أُخْرَجَ
وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيَلْتَكِءُ آمِنِينَ
وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ
الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ [سورة الأحقاف: ١٧ - ١٨].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

- ١- أن لفظ (الذي) يراد به الجنس، فالآية عامة في كل عاقٍ لوالديه مكذب بالبعث.
- ٢- أن المراد شخص بعينه، وقيل: هو عبدالرحمن بن أبي بكر - رضي الله عنهما -^(٤).

ترجيح الشنقيطي:

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/١٥٥).

(٢) محاسن التأويل للقاسمي (١٥/٥٣٤٢).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٧/٣٧٩).

(٤) ذكر القولين الإمام التسفي في مدارك التنزيل (٤/١٠٩).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « التحقيق إن شاء الله أن (الذي) في قوله ((والذي قال لوالديه)) بمعنى الذين ، وأن الآية عامة في كل عاق لوالديه مكذب بالبعث.

والدليل من القرآن على أن (الذي) بمعنى الذين وأن المراد به العموم، أن (الذي) في قوله ((والذي قوله لوالديه)) مبتدأ خبره قوله تعالى ((وأولئك الذين حق عليهم القول)). والإخبار عن لفظة (الذي) في قوله ((وأولئك الذين حق عليهم القول)) بصيغة الجمع، صريح في أن المراد بالذي العموم لا الأفراد. وخير ما يفسر به القرآن القرآن. وبهذا الدليل القرآني تعلم أن قول من قال في هذه الآية الكريمة إنها نازلة في عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما - ليس بصحيح، كما جازمت عائشة - رضي الله عنهما - ببطلانه.

وفي نفس آية الأحقاف هذه دليل آخر واضح على بطلانه، وهو أن الله ﷻ صرح بأن الذين قالوا تلك المقالة حق عليهم القول، وهو قوله ﴿وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة السجدة: ١٣] ومعلوم أن عبدالرحمن^(١) بن أبي بكر - رضي الله عنهما - أسلم وحسن إسلامه، وهو من خيار المسلمين وأفاضل الصحابة - ﷺ - ﴿^(٢)﴾.

الشيخ الشنقيطي يرى أن الآية عامة في كل عاق لوالديه مكذب بالبعث.

الموافقون :

(١) عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق القرشي، وأمّه أم رومان والدة عائشة... كان اسمه عبد الكعبة فغيره النبي ﷺ. وتأخر إسلامه إلى أيام الهدنة فأسلم وحسن إسلامه، مات سنة ثلاث وخمسين من الهجرة. الإصابة (٤٠٧/٢).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٣٨٧/٧).

- الجمع الغفير من المفسرين ذهبوا إلى مثل ما ذهب إليه الشنقيطي ، منهم :
- ١- الإمام الطبري: «... وهذا نعت من الله تعالى ذكره نعت ضالّ به كافر وبوالديه عاق ، وهما مجتهدان في نصيحته ودعائه إلى الله ﷻ ، فلا يزيده دعاؤهما إياه إلى الحق ونصيحتهما له إلا عتواً وتمرداً على الله ﷻ وتمادياً في جهله ، يقول جل ثناؤه ((والذي قال لوالديه)) أن دعواه إلى الإيمان بالله ﷻ والإقرار ببعث الله ﷻ خلقه من قبورهم ومجازاته إياهم بأعمالهم ((أف لكما)) يقول قديراً لكما وتنتأأعدانني أن أخرج...»^(١).
 - ٢- النسفي: « ((والذي قال لوالديه)) مبتدأ ، خبره ((أولئك الذين حق عليهم القول)) والمراد بـ ((الذي قال)) الجنس القائل ذلك القول ، ولذلك وقوع الخبر مجموعاً»^(٢).
 - ٣- الخازن: «... والقول الصحيح أنه ليس المراد من الآية شخص معين ، بل المراد كل شخص كان موصوفاً بهذه الصفة وهو كل من دعاه أبواه إلى الدين الصحيح والإيمان بالبعث فأبى وأنكر»^(٣).
 - ٤- ابن كثير: «... لما ذكر تعالى حال الداعين للوالدين البارين بهما وما لهم عنده من الفوز والنجاة ، عطف بحال الأشقياء العاقين للوالدين ؛ فقال: ((والذي قال لوالديه أف لكما)) وهذا عام في كل من قال هذا. ومن زعم أنها نزلت في عبدالرحمن بن أبي بكر - رضي الله عنهم- ؛ فقوله ضعيف ؛ لأن عبدالرحمن بن أبي بكر - رضي الله عنهما- أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكان من خيار أهل زمانه [إلى أن قال:] وقوله ((أولئك)) بعد قوله ((والذي قال)) دليل على ما ذكرنا من أنه جنس يعم كل من كان كذلك»^(٤).
 - ٥- البقاعي: «... ولما ذكر سبحانه هذا المحسن بادئاً به لكون المقام للإحسان ، اتبعه المسميء

(١) جامع البيان للطبري (١٣/٢٦).

(٢) مدارك التنزيل للنسفي (١٠٩/٤).

(٣) لباب التأويل للخازن (١٣٥/٦).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٥٩/٤).

المناسب لمقصود السورة المذكور صريحاً في مطلعها فقال تعالى ((والذي قال لوالديه)) مع اجتماعهما كافراً لنعمهما نابذاً لوصيتنا بهما، فكان كافراً بنعمة أعظم منعم محسوس بعد الكفر بنعمة أعظم منعم مطلقاً، والثنية مشيرة إلى أنه أغلظ الناس كبداً؛ لأن العادة جرت بقبول الإنسان كلام أصله ولو كان واحداً، وأن الاجتماع مطلقاً له تأثير، فكيف إذا كان والدًا...»^(١).

٦- الشوكاني: « لما ذكر سبحانه من شكر نعمة الله سبحانه عليه وعلى والديه، ذكر من قال لهما قولاً يدل على التضجر منهما عند دعوتهما له إلى الإيمان، فقال: ((والذي قال لوالديه أف لكما))، الموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول، ولهذا أخبر عنه بالجمع »^(٢).

٧- السعدي: « لما ذكر تعالى حال الصالح البار لوالديه، ذكر حال العاق، وأنها شر الحالات، فقال ((والذي قال لوالديه)) إذ دعواه إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، وخوفاه الجزاء. وهذا أعظم إحسان يصدر من الوالدين لولدهما، أن يدعواه إلى ما فيه سعادته الأبدية، وفلاحه السرمدي، فقابلهما بأقبح مقابلة، فقال (أف لكما) أي تباً لكما ولما جئتما به »^(٣).

ويُشبهه كلام من ذكرت كلاماً كل من الواحدي^(٤)، والزمخشري^(٥)، وابن عطية^(٦)، والفخر الرازي^(٧)، ونظام الدين النيسابوري^(١)، وابن جزري^(٢)، وأبي حيان^(٣)، والبيضاوي^(٤)،

^١ () نظم الدرر للبقاعي (١٨/١٥٢).

^٢ () فتح القدير للشوكاني (٥/٢١).

^٣ () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٧٨١).

^٤ () الوجيز للواحدى (٢/٩٩٦).

^٥ () الكشف للزمخشري (٤/٢٩٥).

^٦ () المحرر الوجيز لابن عطية (١٣/٣٥١).

^٧ () التفسير الكبير للفخر الرازي (١٠/٢١).

والبيضاوي^(٤)، والقنوجي^(٥)، والقاسمي^(٦)، وسيد قطب^(٧)، وابن عاشور^(٨).

ولا يوجد مخالف هنا، فإن أحداً من المفسرين على مرّ العصور لم يرجح أن يكون المراد بالآية الصحابي عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما - .

تعقيب الباحث:

الظاهر - والله أعلم - أن الراجح كون لفظ (الذي) في الآية يراد به الجنس، يعني جنس القائلين ذلك القول، وأن الآية عامة في كل عاق لوالديه مكذب بالبعث، يدل على ذلك:

١ - سباق الآية ولحاقها^(٩) يدل على إرادة هذا المعنى، فإنه - ﷺ - « وصف الولد البار بأبويه في الآية المتقدمة، ووصف الولد العاق لأبويه في هذه الآية، وذكر من صفات ذلك الولد أنه بلغ في العقوق إلى حيث لما دعاه أبواه إلى الدين الحق، وهو الإقرار بالبعث والقيامة أصر على الإنكار وأبى واستكبر، وعول في ذلك الإنكار على شبهات خسيسة وكلمات واهية، وإذا

(١) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (١١/٢٦).

(٢) التسهيل لابن جزي (٧٧/٤).

(٣) البحر المحيط لأبي حيان (٤٤١/٩).

(٤) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢١٣/٢).

(٥) فتح البيان للقنوجي (٢٦/١٣).

(٦) محاسن التأويل للقاسمي (٥٣٤٩/١٥).

(٧) في ظلال القرآن لسيد قطب (٣٢٦٣/٦).

(٨) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٧/٢٦).

(٩) قاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعد أولى.. قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحري

(١٢٥/١)، قواعد التفسير لخالد السبت (٢٤٩/١).

كان كذلك ، كان المراد كل ولد اتصف بالصفات المذكورة ، ولا حاجة ألبتة إلى تخصيص اللفظ المطلق بشخص معين ^(١) .

ودلالة سياق الآيات على هذا المعنى الراجح أشار إليها أيضاً من المفسرين : ابن كثير ^(٢) ، والبقاعي ^(٣) ، والشوكاني ^(٤) ، والسعدي ^(٥) ، وغيرهم ^(٦) .

٢- وجود قرينة في الآيات تؤيد القول الراجح ، قاعدة مهمة في الترجيح بين الأقوال عند المفسرين ^(٧) ، فإن هذه الآية فيها « ما يدل على أنها عامة ؛ قوله تعالى : ((أنتك الذين الذين حق عليهم القول)) بصيغة الجمع ، ولو أراد واحداً بعينه لقال ذلك الذي حق عليه القول » ^(٨) .

أشار إلى هذه الناحية الترجيحية من المفسرين : النسفي ^(٩) ، والزمخشري ^(١٠) ، وأبوحيان ^(١١) ،

^١ () التفسير الكبير للفخر الرازي (٢٢/١٠).

^٢ () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٥٩/٤).

^٣ () نظم الدرر للبقاعي (١٥٢/١٨).

^٤ () فتح القدير للشوكاني (٢١/٥).

^٥ () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٧٨١).

^٦ () المحرر الوجيز لابن عطية (٣٥٢/١٣) ، البحر المحيط لأبي حيان (٤٤١٩) ، التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٧/٢٦).

^٧ () قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٢٩٩/١).

^٨ () التسهيل لابن جزي (٧٧/٤).

^٩ () مدارك التنزيل للنسفي (١٠٩/٤).

^{١٠} () الكشف للزمخشري (٢٩٥/٤).

^{١١} () البحر المحيط لأبي حيان (٤٤١/٩).

والشنقيطي^(١)، وغيرهم^(٢).

٣- قرينة أخرى أيضاً في الآيات يترجح بها كون الآية عامة ولا يراد بها شخص بعينه، وهي « أن الله ﷻ صرح بأن الذين قالوا تلك المقالة حق عليهم القول، وهو قوله:

﴿ وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ

أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة السجدة: ١١٣] ^(٣). وعليه فإن « الأصبوح أن تكون عامة في

في أهل هذه الصفات، ولم يقصد بها عبدالرحمن ولا غيره من المؤمنين، والدليل القاطع على ذلك قوله تعالى: ((أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم))، وكان عبدالرحمن - ﷺ - من أفضل الصحابة، ومن الأبطال، وممن له في الإسلام غناء ^(٤).

٤- القول بأن المراد بالآية عبدالرحمن بن أبي بكر - رضي الله عنهما - ؛ بُني على ما قاله مروان بن الحكم^(٥)، وذلك أنه « لما كتب معاوية إلى مروان يبيع الناس ليزيد، قال عبدالرحمن بن أبي بكر: لقد جئتم بها هرقليه، أتبايعون لأبنائكم؟ فقال مروان: يا أيها الناس، هو الذي قاله الله فيه ((والذي قال لوالديه أف لكما))^(٦)،

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٣٨٧/٧).

(٢) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (١١/٢٦)، فتح القدير للشوكاني (٢١/٥)، التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٧/٢٦).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٣٨٧/٧).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (٣٥٢/١٣).

(٥) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، يقال ولد بعد الهجرة بستين، ولي إمرة المدينة المنورة لمعاوية - لما مات معاوية بن يزيد بن معاوية بايعه بعض أهل الشام في قصة طويلة، فكانت مدته في الخلافة قدر نصف سنة، مات سنة خمس وستين من الهجرة. الإصابة (٤٧٨/٣).

(٦) التفسير الكبير للفخر الرازي (٢١/١٠).

وهذا القول مردود بوجوده:

أ- أنه « إن صح نزولها في عبدالرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه، فإن خصوص السبب لا يوجب التخصيص »^(١). وكيف وقد أجمع المفسرون على بطلانه، منهم: النسفي^(٢)، الزمخشري^(٣)، وابن عطية^(٤)، والفخر الرازي^(٥)، ونظام الدين النيسابوري^(٦)، وابن جزى^(٧)، وأبو حيان^(٨)، والقنوجي^(٩)، والشنقيطي^(١٠)، وابن عاشور^(١١).

ب- أنه لو كان المراد بقوله ((والذي قال لوالديه أف لكما)) عبدالرحمن بن أبي بكر - رضي الله عنهما - قبل إسلامه بأنه « روي أنه لما دعاه أبواه إلى الإسلام وأخبراه بالبعث بعد الموت، قال ((أتعدانني أن أخرج)) من القبر، يعني أبعث بعد الموت

^١ (أنوار التنزيل للبيضاوي (٢١٣/٢).

^٢ (مدارك التنزيل للنسفي (١٠٩/٤).

^٣ (الكشاف للزمخشري (٢٩٥/٤).

^٤ (المحرر الوجيز لابن عطية (٣٥١/١٣).

^٥ (التفسير الكبير للفخر الرازي (٢١/١٠).

^٦ (غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (١١/٢٦)، وحكى إجماع المفسرين على إنكار أن يراد بالآية عبدالرحمن بن أبي بكر - رضي الله عنهما - .

^٧ (التسهيل لابن جزى (٧٧/٤).

^٨ (البحر المحيط لأبي حيان (٤٤١/٩).

^٩ (فتح البيان للقنوجي (٢٦/١٣).

^{١٠} (أضواء البيان للشنقيطي (٣٨٧/٧).

^{١١} (التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٧/٢٦) وحكي الإجماع على أن الآية يراد بها العموم في كل عاقّة مكذب.

((وقد خلت القرون من قبلي)) يعني الأمم الخالية، فلم أر أحداً منهم بعث فأين عبدالله بن جدعان، وأين فلان وفلان؟ إذا عرفت هذا فنقول: قوله ((أولئك الذين حق عليهم القول)) المراد هؤلاء الذين ذكرهم عبدالرحمن من المشركين الذين ماتوا قبله، وهم الذين حق عليهم القول، وبالجملة فهو عائد إلى المشار إليهم بقوله ((وقد خلت القرون من قبلي)) لا إلى المشار إليه بقوله ((والذي قال لوالديه أف لكما))^(١).

ج- ما قاله مروان بن الحكم؛ أنكرته أم المؤمنين « وهي المصدوقة »^(٢) عائشة بنت أبي بكر الصديق، وأخوها عبدالرحمن لأبيها وأمها، الحديث أخرجه الإمام البخاري « كان مروان على الحجاز استعمله معاوية، فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يُباع له بعد أبيه، فقال له عبدالرحمن بن أبي بكر شيئاً، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مروان إن هذا الذي أنزل الله فيه ((والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني))، فقال عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، إلا أن الله أنزل عذري »^(٣). قال الحافظ ابن حجر: « نفي عائشة أن تكون نزلت في عبدالرحمن وآل بيته أصح إسناداً وأولى بالقبول »^(٤).

وبناءً على ما قالته أم المؤمنين؛ حمل المفسرون معنى الآية على العموم، وهم جميع المفسرين المذكورين تحت فقرة (الموافقون): الطبري، والواحدي، النسفي، والمخمشري، ابن عطية، الفخر الرازي، الخازن، نظام الدين النيسابوري، ابن جزى، أبوحيان، ابن كثير، البيضاوي، البقاعي، الشوكاني، القنوجي، القاسمي، السعدي، سيد قطب، ابن عاشور، وكذلك الشنقيطي.

^١ (ذكره الفخر الرازي في التفسير الكبير (٢٢/١٠) حكاية عن الكلبي.

^٢ (البحر المحيط لأبي حيان (٤٤١/٩).

^٣ (أخرجه الإمام البخاري في كتاب التفسير، سورة الأحقاف، فتح الباري (٥٧٦/٨) الحديث رقم (٤٨٢٧).

^٤ (فتح الباري (٥٧٧/٨).

٥- حكى بعض المفسرين^(١) أن اسم ابن أبي بكر المقصود هنا: عبدالله^(٢) ... أقول: سواء كان عبدالرحمن أو عبدالله - ﷺ - جميعاً، فالجواب واحد. والله أعلم بالصواب.



^(١) مختصر البغوي (٢/٨٦١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/١٩٧).

^(٢) عبدالله بن أبي بكر الصديق، شقيق أسماء بنت أبي بكر، وهو الذي في قصة الهجرة كان يأتي للرسول ﷺ ولأبيه أبي بكر الصديق وهما في الغار بأخبار قريش، رُمي بسهم في الطائف فجرح ثم اندمل ثم انتقض فمات في خلافة أبيه في شوال سنة إحدى عشرة. الإصابة (٢/٢٨٣).

مَنْ الَّذِي أَذْهَبَ طَيِّبَاتِهِ

٧٣- قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ ﴿٢٠﴾
[سورة الأحقاف: ٢٠].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

- ١- أن معنى الآية: أن الذي أذهب طيباته في الدنيا واستمتع بها هو الكافر؛ لأنه لا يجزي بحسناته إلا في الدنيا خاصة^(١).
- ٢- أن الآية وازعة وواعظة لأولي النهي من المؤمنين عن الشهوات واستكمال الطيبات^(٢).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « اعلم أن للعلماء كلاماً كثيراً في هذه الآية قائلين إنها تدل على أنه ينبغي التقشف والإقلال من التمتع بالمأكل والمشرب والملابس ونحو ذلك. وأن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان يفعل ذلك خوفاً منه أن يدخل في عموم من يقال لهم يوم القيامة: ((أذهبتكم طيباتكم في حياتكم الدنيا)) الآية. والمفسرون يذكرون هنا آثاراً كثيرة في ذلك، وأحوال أهل الصفة وما لاقوه من شدة العيش.

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٧/٤٩٣).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (١٣/٣٥٦).

قال مقيد^(١) عفا الله عنه وغفر له: التحقيق إن شاء الله في معنى هذه الآية هو أنها في الكفار وليست في المؤمنين الذين يتمتعون باللذات التي أباحها الله ﷻ لهم، لأنه تعالى ما أباحها لهم ليذهب بها حسناتهم.

وإنما قلنا: إن هذا هو التحقيق؛ لأن الكتاب والسنة الصحيحة دالان عليه والله تعالى يقول: ﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [سورة النساء: ٥٩]. أما كون الآية في الكفار فقد صرح الله تعالى به في قوله: ((ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طياتكم)).

والقرآن والسنة الصحيحة، قد دلا على أن الكافر إن عمل عملاً صالحاً مطابقاً للشرع، مخلصاً فيه لله ﷻ، كالكافر الذي يبر والديه، ويصل الرحم ويقري الضيف، وينفس عن المكروب، ويعين المظلوم بيتغي بذلك وجه الله ﷻ يثاب بعمله في دار الدنيا خاصة بالرزق والعافية، ونحو ذلك ولا نصيب له في الآخرة. فمن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [١٥] أَوْلَتْكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَنَطْلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [١٦] ﴿ [سورة هود: ١٥ - ١٦]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [سورة الشورى: ٢٠].

وقد قيد تعالى هذا الثواب الديني المذكور في الآيات بمشيئته وإرادته، في قوله

(١) الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - .

تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴾ ﴿سورة الإسراء: ١٨﴾.

وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: « إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطيها في الدنيا ويجزيها في الآخرة، وأما الكافر فيطمع بحسناته ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزيها »^(١) هذا لفظ مسلم في صحيحه.

وفي لفظ له عن رسول الله ﷺ: « إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة في الدنيا، وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة ويعقبه رزقاً في الدنيا على طاعته »^(٢) اهـ.

فهذا الحديث الثابت عن النبي ﷺ فيه التصريح، بأن الكافر يجازى بحسناته في الدنيا فقط، وأن المؤمن يجازى بحسناته في الدنيا والآخرة معاً. وبمقتضى ذلك، يتعين تعييناً لا محيص عنه، أن الذي أذهب طيباته في الدنيا واستمتع بها هو الكافر، لأنه لا يجزي بحسناته إلا في الدنيا خاصة.

وأما المؤمن الذي يجزي بحسناته في الدنيا والآخرة معاً، فلم يذهب طيباته في الدنيا؛ لأن حسناته مدخرة له في الآخرة، مع أن الله تعالى يشبه بها في الدنيا كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ جَعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ ﴿سورة الطلاق: ٢ - ٣﴾.

فجعل المخرج من الضيق له ورزقه من حيث لا يحتسب ثواباً في الدنيا وليس ينقص أجر تقواه في الآخرة.

والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة، وعلى كل حال فالله - جل وعلا - أباح

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار - جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا. صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/١٤٩).

(٢) المرجع السابق (١٧/١٥٠).

لعباده على لسان نبيه ﷺ الطيبات في الحياة الدنيا، وأجاز لهم التمتع بها، ومع ذلك جعلها خاصة بهم في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ ﴾ [سورة الأعراف: ٣٢].

فدل هذا النص القرآن أن تمتع المؤمنين بالزينة والطيبات من الرزق في الحياة الدنيا لم يمنعهم من اختصاصهم بالتعم بذلك يوم القيامة، وهو صريح في أنهم لم يذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا. ولا ينافي هذا أن من كان يعاني شدة الفقر في الدنيا كأصحاب الصفة، يكون لهم أجر زائد على ذلك؛ لأن المؤمنين يؤجرون، بما يصيبهم في الدنيا من المصائب والشدائد، كما هو معلوم^(١). خلاصة: يرى الشيخ الشنقيطي أن الذي أذهب طيباته في الدنيا واستمتع بها هو: الكافر، لأنه لا يجزى بحسناته إلا في الدنيا خاصة.

الموافقون:

ذهب إلى مثل ما ذهب إليه الشنقيطي جمهور من المفسرين، منهم:

- ١- الإمام الطبري - بعد أن أورد الآية - قال: « يقول تعالى ذكره ويوم يعرض الذين كفروا بالله ﷻ على النار يقال لهم أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فيها [إلى أن قال:] وقال ((فاليوم تجزون عذاب الهون)) يقول تعالى ذكره يقال لهم فاليوم أيها الكافرون الذين أذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا تجزون أي تثابون عذاب الهون يعني عذاب الهوان وذلك عذاب النار الذي يهينهم^(٢) ».

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٧/٣٩٣ - ٣٩٥).

(٢) جامع البيان للطبري (٢٦/١٤).

- ٢- الواحدي: « ((ويوم يعرض الذين كفروا على النار)) فيقال لهم ((أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها)) وذلك أنهم يفعلون ما يشتهون، لا يتوقون حراماً ولا يجتنبون مأمناً ((فاليوم تجزون عذاب الهون)) الهوان ^(١) .
- ٣- البقاعي: « ولما كان الظاهر في هذه السورة الإنذار كما يشهد به مطلعها، قال ذاكراً بعض ما يبكت به المجرمون يوم البعث الذي كانوا به يكذبون ويكون فيه توفيه جزاء الأعمال، عاطفاً على ما تقديره: اذكر لهم هذا لعلمهم بأنهم ينفون أن يكونوا المسيئين فيكونوا من المحسنين، ((ويوم)) أي واذكر لهم يوم يعرضون، هكذا كان الأصل ولكنه أظهر الوصف الذي أوجب لهم الجزاء إشارة إلى أن الأمر كان ظاهراً لهم ولكنهم ستروا أنوار عقولهم، فقال ((يعرض الذين كفروا)) أي من الفريقين المذكورين ^(٢) ((على النار)) أي يصلون لبهها ويقلبون فيها كما يعرض اللحم الذي يشوي، مقولاً لهم على سبيل التنديم والتقريع والتوبيخ والتشنيع لأنهم لم يذكروا الله ^{عز وجل} حق ذكره عند شهواتهم بل نالوها مع مخالفة أمره سبحانه ونهيه ((أذهبتم

(١) الوجيز للواحدى (٢/٩٩٦).

(٢) الجن والإنس، وقد سبق ذكرهما في الآيات السابقة، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ

عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ

كَانُوا خَسِرِينَ ﴿٦٧﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ عَمَلُوا ^ط وَلِيُوفِّيَهُمْ

أَعْمَلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظَاهَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ

طيباتكم)) أي لذاتكم باتباعكم الشهوات ((في حياتكم)) ونفر منها بقوله تعالى ((الدنيا)) أي القرية الدنية المؤذن وصفها لمن يعقل بحياة أخرى بعدها، فكان سعيكم في حركاتكم وسكناتكم لأجلها حتى نلتموها ((واستمعتم)) أي طلبتم وأوجدتم انتفاعكم ((بها)) وجعلتموها غاية حظكم في رفعتكم ونعمتكم «^(١).

٤- السعدي: «... يذكر تعالى حال الكفار عند عرضهم على النار حين يوبخون ويقرعههم، يقال لهم ((أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا)) حيث اطمأنتم إلى الدنيا، واغتررتم بلذاتها، ورضيتم بشهواتها، وألهتكم طيباتها عن السعي لأخرتكم، وتمتعتم تمتع الأنعام السارحة فهي حظكم من آخرتكم. ((فالיום تجزون عذاب الهون)) «^(٢).

٥- سيد قطب: « ((ويوم يعرض الذين كفروا على النار...))، والمشهد سريع حاسم، ولكنه يتضمن لفظة عميقة عريضة. إنه مشهد العرض على النار. وفي مواجهتها وقبيل سوقهم إليها، يقال لهم عن سبب عرضهم عليها وسوقهم إليها ((أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها))... فقد كانوا يملكون الطيبات إذن، ولكنهم استفدوها في الحياة الدنيا، فلم يدخروا للأخرة منها شيئاً؛ واستمتعوا غير حاسبين فيها للأخرة حساباً. استمتعوا بها استمتع الأنعام للحصول على اللذة بالمتاع، غير ناظرين فيها للأخرة، ولا شاكرين لله ﷻ نعمته، ولا متورعين فيها عن فاحش أو حرام، ومن ثمَّ كانت لهم دنيا ولم تكن لهم آخرة، واشتروا تلك اللمحة الخاطفة على الأرض بذلك الأمد الهائل الذي لا يعلم حدوده إلا الله ﷻ «^(٣).

وبمثل هذا الترجيح وبعبارات مشابهة ومقاربة جاء تفسير كل من الإمام

(١) نظم الدرر للبقاعي (١٨/١٥٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٧٨٢).

(٣) في ظلال القرآن لسيد قطب (٦/٣٢٦٤).

البعوي^(١)، والنسفي^(٢)، والقرطبي^(٣)، ونظام الدين النيسابوري^(٤)، والبيضاوي^(٥)،
والمحلي^(٦)، والشوكاني^(٧)، والقاسمي^(٨).

لا يوجد مخالفون.

تعقيب الباحث:

يظهر - والله أعلم- أن الذي أذهب طبيباته في الحياة الدنيا واستمتع
بها هو الكافر، وهذا هو المعنى الذي رجّحه الشنقيطي ومن ذهب إلى مثل
ما قاله، يدل لذلك أمور:

١- أن هذا المعنى هو الظاهر المتبادر من لفظ الآية، « والأصل حمل نصوص الوحي على
ظواهرها إلا لدليل »^(٩)، فلقد صرح الله ﷻ في هذه الآية - بأن الكافر هو الذي
الذي أذهب طبيباته في الحياة الدنيا، قال تعالى: ((ويوم يعرض الذين كفروا على
النار أذهبتم طبيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها...)).

^١ () مختصر البعوي (١٦١/٢).

^٢ () مدارك التنزيل للنسفي (١١٠/٤).

^٣ () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩٩/١٦).

^٤ () غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (١٢/٢٦).

^٥ () أنوار التنزيل للبيضاوي (٢١٤/٢).

^٦ () تفسير الجلالين ص (٤٢٥).

^٧ () فتح القدر للشوكاني (٢٢/٥).

^٨ () محاسن التأويل للقاسمي (٥٣٥٢/١٥).

^٩ () قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (١٣٧/١)، قواعد التفسير لخالد السبت (٨٤٣/٢).

٢- لقد دلت آيات أخرى أيضاً على نحو ما دلت عليه هذه الآية، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ

يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٦٦﴾ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ (سورة هود: ١٥ - ١٦)،

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ

وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ

نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ (سورة الشورى: ٢٠). وهكذا فإن الكافر الذي لا يؤمن بيوم

القيامة والبعث والجزاء والجنة والنار، ومع ذلك يعمل « عملاً صالحاً مطابقاً للشرع، مخلصاً فيه لله ﷻ، كالكافر الذي يبر والديه، ويصل الرحم، ويقري الضيف، وينفس عن المكروب، ويعين المظلوم يتعني بذلك وجه الله ﷻ؛ يثاب بعمله في دار الدنيا خاصة بالرزق والعافية ونحو ذلك، ولا نصيب له في الآخرة... وقد قيد تعالى

هذا الثواب الدنيوي بمشيئته وإرادته، في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ

عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا

مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ (سورة الإسراء: ١٨)»^(١).

٣- لقد أكد عدد غير قليل من المفسرين^(٢) أن الآية مقصود بها الكافر، فهو الذي يذهب

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٣٩٣/٧).

(٢) منهم: ابن عطية في المحرر الوجيز (٣٥٦/١٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (١٣٩/٧)، والخازن في لباب التأويل (١٣٦/٦)، وابن جزى في التسهيل (٧٨/٤)، وأبوحيان في البحر المحيط (٤٤٤/٩)، وابن كثير في تفسير القرآن

طيباته في الحياة الدنيا، وليس له في الآخرة إلى العذاب. ومع ذلك أشاروا إلى أنه يستفاد من الآية أن تكون وازعة وراذعة لأولى النهى من المؤمنين ومحرضة لهم على الورع والتقلل من الدنيا، فيؤثروا اجتناب اللذات رجاء الثواب العظيم في الآخرة، مع أنه « ليس في الآية ما يقتضي منع المسلم من تناول الطيبات في الدنيا إذا توخى حلالها وعمل بواجبه الديني فيما عدا ذلك، وإن كان الزهد في الاعتناء بذلك أرفع درجة وهي درجة رسول الله ﷺ وخاصة من أصحابه »^(١).

وهكذا نجد « أن هذه الآية لا تدل على المنع من التمتع، لأن هذه الآية وردت في حق الكافر، وإنما وبخ الله ﷻ الكافر لأنه يتمتع بالدنيا ولم يؤد شكر المنعم بطاعته والإيمان به، وأما المؤمن فإنه يؤدي بإيمانه شكر المنعم فلا يوبخ بتمتعته، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ۖ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [سورة الأعراف: ٣٢] »^(٢)، « فدل هذا النص القرآني أن تمتع

المؤمنين بالزينة والطيبات من الرزق في الحياة الدنيا لم يمنعهم من اختصاصهم بالتنعم بذلك يوم القيامة، وهو صريح في أنهم لم يذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا »^(٣)، « نعم لا ينكر أن الاحتراز عن التمتع أولى؛ لأن النفس إذا اعتادت التمتع صعب عليها الاحتراز والانقباض، وحينئذ فرمما حملة الميل إلى تلك الطيبات على فعل ما لا ينبغي، وذلك مما يجز بعضه إلى بعض ويقع في البعد عن الله تعالى بسببه »^(٤)، « ولا ينافي هذا أن من كان يعاني شدة الفقر في الدنيا كأصحاب الصفة، يكون لهم أجر

العظيم (٤/١٦٠)، والثعالبي في جواهر الحسان (٤/١٥٣).

(١) (التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٦/٤٣).

(٢) (التفسير الكبير للفخر الرازي (١٠/٢٣).

(٣) (أضواء البيان للشنقيطي (٧/٣٩٥).

(٤) (التفسير الكبير للفخر الرازي (١٠/٢٣).

زائد على ذلك ؛ لأن المؤمنين يؤجرون بما يصيهم في الدنيا من المصائب والشدائد، كما هو معلوم»^(١).

٤- وختام القول: «التحقيق أن المراد هو أنه ما كتب للكافر حظ من الطيبات إلا الذي أصابه في دنياه، وليس في الآية أن كل من أصاب الطيبات في الدنيا فإنه لا يكون له منها حظ في الآخرة»^(٢). والله أعلم بالصواب.



هل يدخل الجنّ الجنة ؟

٧٤- قوله تعالى: ﴿يَنْقَوْمَاتًا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ ۗ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ ﴿سورة الأحقاف: ١٣١﴾.

مجمل الأقوال الواردة:

اختلف المفسرون في بيان هذه الآية؛ وهل تدل على أن للجن ثواباً (دخول الجنة) وعقاباً (دخول النار)؛ على أقوال:

١- أن الجن يكون لهم الثواب في الإحسان، كما يكون عليهم العقاب في الإساءة كالإنس^(٣).

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٣٩٥/٧).

(٢) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (١٣/٢٦).

(٣) مختصر البغوي (١٦٣/٢).

٢- وقيل: إنه لا ثواب لهم إلا النجاة من النار^(١).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : «... منطوق هذه الآية أن من أجاب [من الجن] داعي الله ﷻ محمداً ﷺ وآمن به وبما جاء به من الحق ؛ غفر الله ﷻ له ذنوبه وأجاره من العذاب الأليم.

ومفهوماً أعني مفهوم مخالفتها المعروف بدليل الخطاب، أن من لم يجب داعي الله ﷻ من الجن ولم يؤمن به ؛ لم يغفر له ولم يجره من عذاب أليم، بل يعذبه ويدخله النار، وهذا المفهوم جاء مصرحاً به مبيناً في آيات أخر، كقوله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ

جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة هود ١١٩]، وقوله تعالى: ﴿

وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة السجدة: ١١٣]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَدْخُلُوا فِي أَمْرٍ قَدْ

خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ ﴾ [سورة الأعراف: ١٣٨]،

وقوله تعالى: ﴿ فَكُبِّكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوِرَنَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٣٨]،

﴿ [سورة الشعراء: ٩٤ - ٩٥].

أما دخول المؤمنين المحبين داعي الله ﷻ من الجن الجنة، فلم تتعرض له الآية الكريمة بإثبات ولا نفي، وقد دلت آية أخرى على أن المؤمنين من الجن يدخلون الجنة،

وهي قوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ [سورة الرحمن: ٤١]

(١) مدارك التنزيل للنسفي (٤/١١٢)، حكاها عن أبي حنيفة.

فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٤٧﴾ [سورة الرحمن: ٤٦ - ٤٧]. وبه تعلم أن ما ذهب إليه بعض أهل العلم؛ قائلين إنه يفهم من هذه الآية أن المؤمنين من الجن لا يدخلون الجنة، وأن جزاء إيمانهم وإجابتهم داعي الله ﷻ؛ هو الغفران وإجارتهم من العذاب الأليم فقط، كما هو نص الآية، كله خلاف التحقيق^(١).

الشيخ الشنقيطي يرجح دخول الجن المؤمن الطائع الجنة.

الموافقون:

- ما رجحه الشيخ الشنقيطي من تساوي الجن مع الإنس في الثواب والعقاب، وأن لمؤمنهم الجنة ولكافرهم النار؛ اتفق معه فيه عدد غير قليل من المفسرين، منهم:
- ١- الزمخشري: «... والصحيح أنهم في حكم بني آدم، لأنهم مكلفون مثلهم»^(٢).
 - ٢- الفخر الرازي: «... والصحيح أنهم في حكم بني آدم فيستحقون الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية... والدليل على صحة هذا القول أن كل دليل على أن البشر يستحقون الثواب على الطاعة فهو بعينه قائم في حق الجن»^(٣).
 - ٣- نظام الدين النيسابوري: «.. والصحيح أنهم في حكم بني آدم. يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون»^(٤).
 - ٤- ابن كثير: «... والحق أن مؤمنهم كمؤمني الإنس يدخلون الجنة كما هو مذهب جماعة من السلف... [يدل عليه] قوله جل وعلا: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٤٧﴾ [سورة الرحمن:

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٤٠١/٧).

(٢) الكشف للزمخشري (٣٠٤/٤).

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي (٢٩/١٠).

(٤) غريب القرآن لنظام الدين النيسابوري (١٧/٢٦).

٤٦ - ٤٧] فقد امتن تعالى على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة، وقد قابلت الجن هذه الآية بالشكر القولي أبلغ من الإنس؛ ((فقالوا: ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد))^(١)، فلم يكن تعالى ليمتنّ عليهم بجزء لا يحصل لهم، وأيضاً فإنه إذا كان يجازي كافرهم بالنار وهو مقام عدل، فلأن يجازي مؤمنهم بالجنة وهو مقام فضل بطريق الأولى والأحرى. ومما يدل أيضاً على ذلك عموم قوله تعالى: ﴿

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ ﴿١٧﴾ [سورة الكهف: ١٧]. وما أشبه ذلك من الآيات «^(٢).

٥ - الشوكاني: «... وفي هذه الآية دليل على أن حكم الجن حكم الإنس في الثواب والعقاب والتعبد بالأوامر والنواهي [وذكر القول الثاني ثم قال بعده: [والأول أولى...]

(١) هذا جزء من حديث رواه جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - قال: خرج رسول الله على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها، فسكتوا، فقال: «لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا

أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٧٦﴾

﴿قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد». ذكره ابن الأثير في جامع الأصول، وقال محققه الشيخ

عبدالقادر الأرنؤوط: «أخرجه الترمذي في التفسير، باب ومن سورة الرحمن، وقال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد، يقول: والوليد مدلس وقد عنعن، وزهير بن محمد رواية أهل الشام عنه غير مستقيمة، وهذا منها. رواه الحاكم (٤٧٣/٢)، وصححه، ووافقه الذهبي. انظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير (٣٧٣/٢)، كتاب تفسير القرآن الكريم سورة الرحمن.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/١٧١).

وقد قال سبحانه في مخاطبة الجن والإنس ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ

﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ [سورة الرحمن: ٤٦ - ٤٧]

فامتن سبحانه على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة، ولا ينافي هذا الاختصار هاهنا على ذكر إيجازهم من عذاب أليم، ومما يؤيد هذا أن الله سبحانه قد جازى كافرهم بالنار وهو مقام عدل، فكيف لا يجازي محسنهم بالجنة وهو مقام فضل؟ ومما يؤيد هذا أيضاً ما في القرآن الكريم في غير موضع أن جزاء المؤمن الجنة، وجزاء من عمل الصالحات الجنة، وجزاء من قال: لا إله إلا الله الجنة، وغير ذلك مما هو كثير في الكتاب والسنة»^(١).

٦- السعدي: «(يغفر لكم من ذنوبكم ويحرمكم من عذاب أليم) وإذا أجازهم من العذاب الأليم، فما تمَّ بعد ذلك إلا النعيم، فهو جزاء من أجاز داعي الله ﷻ»^(٢).
وبنحو هذا قد رجَّح الإمام القرطبي^(٣)، والحازن^(٤)، والبيضاوي^(٥)،
والثعالبي^(٦)، والبقاعي^(٧)، والقنوجي^(٨)، والقاسمي^(٩).

(١) فتح القدير للشوكاني (٢٦/٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٧٨٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١٨/١٦).

(٤) لباب التأويل للحازن (١٤٢/٦).

(٥) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢١٥/٢).

(٦) جواهر الحسان للثعالبي (١٥٨/٤).

(٧) نظم الدرر للبقاعي (١٨٣/١٨).

(٨) فتح البيان للقتوجي (٣٨/١٣).

(٩) محاسن التأويل للقاسمي (٥٣٦٦/١٥).

ولم يرجح القول الآخر أحد من المفسرين ، فلا مخالف هنا إذاً .

تعقيب الباحث:

الظاهر - والله أعلم - أن المؤمنين من الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون فيها ، وأن الكافرين منهم يدخلون النار ، وهذا المعنى هو ما اتفق فيه الشنقيطي مع جمهور المفسرين ، يدل عليه أمور:

١ - تفسير القرآن بالقرآن^(١) ، فأية سورة الأحقاف هنا ((يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويحرمكم من عذاب أليم)) قد ذكر فيها أن المؤمنين من الجن تغفر لهم ذنوبهم ويجاروا من العذاب الأليم ، ولم يتعرض فيها لدخول الجنة بنفي ولا إثبات. ويقول الله تعالى في سورة الرحمن ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ

﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آءِ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الرحمن: ٤٦ - ٤٧] ، « وقد

تقرر في الأصول أن الموصلات من صيغ العموم^(٢) ، فقوله ((لمن خاف)) يعم كل خائف مقام ربه ، ثم صرح بشمول ذلك للجن والإنس معاً بقوله ((فبأي آلاء ربكما تكذبان)) ، فبين أن الوعد بالجننتين لمن خاف مقام ربه ، من آلائه أي نعمة على الإنس والجن.

ويستأنس لهذا أيضاً بقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِئِنِّنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾

[سورة الرحمن: ٥٦ ، ٧٤] فإنه يشير إلى أن في الجنة جنأ يطمشون النساء كالإنس □^(٣) .

(١) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(١٢٧).

(٢) انظر: مذكرة في أصول الفقه للشنقيطي ص(٢٤٦).

(٣) دفع إيهام الاضطراب للشنقيطي ص(٢٦٣) ، مطبوع في المجلد العاشر من أضواء البيان.

- ٢- إلحاقاً للنقطة السابقة، وعند قوله تعالى ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾ وَلِيُؤْفِقِيَهُمْ أَعْمَلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظَاهَمُونَ ﴿١٩﴾ [سورة الأحقاف: ١٩]، قال البقاعي: «... وهذا ظاهر، أو نص في أن الجن يثابون بالإحسان كما يعاقبون بالعصيان»^(١).
- ٣- ويقول جل وعلا في سورة الأنعام ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾ [سورة الأنعام: ١٣٢]، وقد قال قبلها ﴿ يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلْمَ يَا تَكُم رُسُل مِّنكُمْ يَقُصُونَ عَلَيْكُمْ ءآيَاتِي ﴾ [سورة الأنعام: ١٣٠]، وقال تعالى في سورة الذاريات ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦]، فالله ﷻ خلق الجن والإنس ليعبدوه، وأرسل الرسل إليهم لبيان الدين، ووعده المطيع بالجنة، والعاصي بالنار.
- ٤- لقد أجمع المفسرون على هذا القول الراجح، وهو دخول الجن المؤمنين الجنة، وعبروا عن ترجيحهم له بألفاظ متقاربة؛ فقالوا: إنه هو «الصحیح»^(٢)، وهو «الحق»^(٣)، وهو «الأظهر»^(٤)، وهو «الأولى»^(٥).

(١) نظم الدرر للبقاعي (١٥٨/١٨).

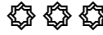
(٢) الكشف للزمخشري (٣٤/٤)، التفسير الكبير للفخر الرازي (٢٩/١٠)، لباب التأويل للخازن (١٤٢/٦)، غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (١٧/٢٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٧١/٤).

(٤) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢١٥/٢).

(٥) فتح القدير للشوكاني (٢٦/٥).

- ٥- ويؤيد هذا الترجيح أيضاً كلُّ « ما في القرآن الكريم في غير موضع أن جزاء المؤمن الجنة، وجزاء من عمل الصالحات الجنة، وجزاء من قال لا إله إلا الله الجنة، وغير ذلك مما هو كثير في الكتاب والسنة »^(١).
- ٦- وختاماً: إن مؤمني الجن « إذا أجارهم من العذاب الأليم، فما ثمَّ بعد ذلك إلا النعيم »^(٢)، « ولم يرد معنا نص صريح ولا ظاهر عن الشارع أن مؤمني الجن لا يدخلون الجنة وإن أجيروا من النار، ولو صح لقلنا به »^(٣). والله أعلم بالصواب.



(١) المرجع السابق.

(٢) تفسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٧٨٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ١٧١).

مَنْ هُمْ أَوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ؟

٧٥- قوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [سورة الأحقاف:

٣٥].

مجمل الأقوال الواردة:

اختلف المفسرون في بيان من هم أَوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، ومنشأ اختلافهم في تحديد معنى (من) في قوله تعالى: ((من الرسل))، وهو على نوعين:

أ - أن (من) لبيان الجنس، والرسل عليهم الصلاة والسلام كلهم أَوْلُوا الْعَزْمِ، فيكون المعنى: اصبر يا محمد كما صبر جميع الرسل قبلك^(١).

ب- أن (من) للتبعية، فيراد بـ (من الرسل) بعض الرسل^(٢)، ثم اختلفوا اختلافاً كثيراً في تحديد بعض الرسل المرادين بالآية على أقوال كثيرة:

١- أنهم المذكورين في سورة الأحزاب وسورة الشورى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا

مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [سورة الأحزاب: ٧] وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا

(١) مختصر البغوي (٢/٨٦٤)، مدارك التنزيل للنسفي (٤/١١٢)، الكشاف للزمخشري (٤/٣٠٥)، المحرر الوجيز لابن عطية (١٣/٣٧٦)، زاد المسير لابن الجوزي (٧/١٤٤)، التفسير الكبير للفخر الرازي (١٠/٣١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/٢٢٠)، لباب التأويل للخازن (٦/١٤٣)، غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (٢٦/١٨)، التسهيل لابن جزي (٤/٨٢)، البحر المحيط لأبي حيان (٩/٤٥٢)، فتح القدير للشوكاني (٥/٢٨)، فتح البيان للفتوحجي (١٣/٤١)، محاسن التأويل للقاسمي (١٥/٥٣٦٩).

(٢) مدارك التنزيل للنسفي (٤/١١٢).

وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ

وَمُوسَى وَعِيسَى ﴿سورة الشورى: ١٣﴾، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى

وخاتم الأنبياء محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وهذا « أشهر الأقوال »^(١).

٢- أن أولي العزم منهم كانوا الذين امتحنوا في ذات الله في الدنيا بالحن فلم تزدهم الحن

إلا جدًّا في أمر الله ، كنوح وإبراهيم وموسى ومن أشبههم^(٢).

٣- قيل : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى^(٣).

٤- نوح وهود وإبراهيم^(٤).

٥- نوح وهود وإبراهيم وشعيب وموسى^(٥).

٦- إبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد^(١).

(١) هذا القول ذكره النيسابوري في إيجاز البيان (١٩٢/٢) ، معتبراً إياه هو فقط المراد بأولي العزم. وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١٧٢/٤) ، قال عنه إنه : « أشهر الأقوال ». وكذلك قال عنه البقاعي في نظم الدرر ، وزاد : « هو الظاهر ». وهو ما رجحه الشنقيطي في أضواء البيان (٤١٨/٧).

كما ورد ضمن الأقوال المحتملة للآية في : مختصر البغوي (٨٦٤/٢) ، مدارك التنزيل للنسفي (١١٢/٤) ، زاد المسير لابن الجوزي (١٤٤/٧) ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢٠/١٦) ، لباب التأويل للخازن (١٤٣/٦) ، فتح القدير للشوكاني (٢٨/٥) ، فتح البيان لفتوحجي (٤١/١٣) ، محاسن التأويل للقاسمي (٥٣٦٩/١٥).

(٢) جامع البيان للطبري (٢٤/٢٦).

(٣) النكت والعيون للماوردي (٢٨٨/٥) ، التسهيل لابن جزي (٨٢/٤) ، أنوار التنزيل للبيضاوي (٢١٥/٢).

(٤) النكت والعيون للماوردي (٢٨٨/٥) ، فتح القدير للشوكاني (٢٨/٥) ، فتح البيان للفتوحجي (٤١/١٣).

(٥) النكت والعيون للماوردي (٢٨٨/٥).

- ٧- منهم: إسماعيل ويعقوب وأيوب، وليس منهم يونس ولا سليمان ولا آدم^(٢).
- ٨- أن كلهم ألوا عزم إلا يونس - التَّائِيلُ -^(٣).
- ٩- هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الأنعام^(٤)، وهم ثمانية عشر؛ إبراهيم وإسحاق، ويعقوب، ونوح، وداوود، وسليمان، وأيوب، ويوسف، وموسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى، وإلياس، وإسماعيل، واليسع، ويونس، ولوط عليهم السلام^(٥).
- ١٠- هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشفة مع أعداء الدين، وهم ستة: نوح وهود وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى، وهم المذكورون على التسقي في سورة الأعراف^(٦).
- ١١- وقيل: هم ستة نوح صبر على أذى قومه، وإبراهيم صبر على النار، وإسحاق صبر

- (١) النكت والعيون للماوردي (٢٨٨/٥)، زاد المسير لابن الجوزي (١٤٤/٧)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢٠/١٦)، فتح القدير للشوكاني (٢٨/٥)، فتح البيان للفتوحاني (٤١/١٣).
- (٢) النكت والعيون للماوردي (٢٨٨/٥)، زاد المسير لابن الجوزي (١٤٤/٧)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢٠/١٦)، فتح القدير للشوكاني (٢٨/٥)، فتح البيان للفتوحاني (٤١/١٣).
- (٣) الوجيز للواحد (٩٩٩/٢)، مختصر البغوي (٨٦٤/٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣٧٦/١٣)، زاد المسير لابن الجوزي (١٤٤/٧)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢٠/١٦)، لباب التأويل للخازن (١٤٣/٦).
- (٤) الآيات من رقم (٨٣) على رقم (٨٦) من سورة الأنعام.
- (٥) مختصر البغوي (٨٦٤/٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣٧٦/١٣)، زاد المسير لابن الجوزي (١٤٤/٧)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢٠/١٦)، لباب التأويل للخازن (١٤٣/٦)، التسهيل لابن جزي (٨٢/٤)، البحر المحيط لأبي حيان (٤٥٢/٩)، فتح القدير للشوكاني (٢٨٨/٥)، فتح البيان للفتوحاني (٤١/١٣).
- (٦) الآيات من رقم (٥٩) إلى رقم (١٧١) من سورة الأعراف، وذكر هذا القول في: مختصر البغوي (٨٦٤/٢)، زاد المسير لابن الجوزي (١٤٤/٧)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢٠/١٦)، لباب التأويل للخازن (١٤٣/٦)، فتح القدير للشوكاني (٢٨/٥)، فتح البيان للفتوحاني (٤١/١٣).

على الذبح^(١)، ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره، ويوسف صبر على السجن، وأيوب صبر على الضر^(٢).
١٢ - أنهم الستة المذكورون في النقطة السابقة ويضاف إليهم: « موسى قال له قومه ((إنا لمدركون)) قال ((كلا إن معي ربي سيهدين))، وداود بكى على خطيئته أربعين سنة،

(١) على قول من يرى أن الذبح هو إسحاق - ~~الذبح~~ - وقد حرر الشيخ الشنقيطي مسألة تعيين الذبح

مرجحاً أنه إسماعيل - ~~الذبح~~ - عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴾

سَيِّدِينَ ﴿١٦﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٧﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ

حَلِيمٍ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي

أَذْهَبُكَ فَأَنْظُرُ مَاذَا تَرَىٰ ﴿١٩﴾ قَالَ يَتَّبِعُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ

شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٠﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿٢١﴾

وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّبِعْهُمُ ﴿٢٢﴾ قَدْ صَدَّقَتِ الرَّءْيَا إِنَّا كَذَلِكْ لَنَجْزِي

الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلْتُوا الْمُبِينُ ﴿٢٤﴾ وَفَدَيْنَاهُ

بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿٢٥﴾ [سورة الصافات: ٩٩ - ١٠٧]. انظر: أضواء البيان ٦/٦٩١.

(٢) مختصر البغوي (٢/٨٦٤)، المحرر الوجيز لابن عطية (١٣/٣٧٦)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي

(١٦/٢٢٠)، لباب التأويل للخازن (٦/١٤٣)، غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (٢٦/١٨).

- وعيسى لم يضع لبنه على لبنة، وقال إنها معبرة فاعبروها ولا تعمروها»^(١).
- ١٣- نوح وهود وإبراهيم ومحمد عليهم الصلاة والسلام^(٢).
- ١٤- إبراهيم وموسى وداود وعيسى^(٣).
- ١٥- أنهم اثنا عشر نبياً أرسلوا إلى بني إسرائيل بالشام^(٤).
- ١٦- كل من لقي من أمته شدة^(٥).
- ١٧- نوح وهود وصالح وموسى وداود وسليمان.
- ١٨- أنهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولاً^(٦).
- ١٩- نوح وإبراهيم وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.
- ٢٠- نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، وهارون أو داود.
- ٢١- نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، وهارون أو داود، وآدم.
- ٢٢- نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، وهارون أو داود، وإسحاق ويعقوب ويوسف^(٧).

-
- (١) الكشاف للزمخشري (٣٠٥/٤)، التفسير الكبير للفخر الرازي (٣١/١٠)، البحر المحيط لأبي حيان (٤٥٢/٩)، أنوار التنزيل للبيضاوي (٢١٥/٢).
- (٢) زاد المسير لابن الجوزي (١٤٤/٧)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢٠/١٦).
- (٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢٠/١٦)، فتح القدير للشوكاني (٢٨/٥)، فتح البيان للقتوجي (٤١/١٣).
- (٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢٠/١٦)، فتح القدير للشوكاني (٢٨/٥)، فتح البيان للقتوجي (٤١/١٣).
- (٥) التسهيل لابن جزي (٨٢/٤)، البحر المحيط لأبي حيان (٤٥٢/٩).
- (٦) القولان رقم (١٧+١٨) ذُكر في فتح البيان للقتوجي (٤١/١٣)..
- (٧) الأقوال (١٩+٢٠+٢١+٢٢) ذُكرت في محاسن التأويل للقاسمي (٥٣٦٩/١٥).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « قوله تعالى ((فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل))، اختلف العلماء في المراد بأولي العزم من الرسل في هذه الآية الكريمة اختلافاً كثيراً.

وأشهر الأقوال في ذلك أنهم خمسة، وهم الذين قدمنا ذكرهم في الأحزاب^(١)، والشورى^(٢)، وهم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام. وعلى هذا القول فالرسل الذين أمر رسول الله ﷺ أن يصبر كما صبروا أربعة فصار هو ﷺ خامسهم.

واعلم أن القول بأن المراد بأولي العزم جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأن لفظة (من) في قوله ((من الرسل)) بيانية، يظهر أنه خلاف التحقيق، كما دل على ذلك بعض الآيات القرآنية، كقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ

كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ [سورة القلم: ٤٨]، فأمر الله جل وعلا نبيه في آية القلم هذه بالصبر، ونهاه

عن أن يكون مثل يونس - عليه السلام - ، لأنه هو صاحب الحوت. وقوله ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ

ءَادَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [سورة طه: ١١٥]. فأية سورة القلم وآية

سورة طه المذكورتان كلتاهما تدل على أن أولي العزم من الرسل الذي أمر النبي ﷺ بأن يصبر كصبرهم ليسوا جميع الرسل، والعلم عند الله تعالى^(٣).

الموافقون:

(١) لسورة الأحزاب: ٧، أضواء البيان (٦/٥٧٢).

(٢) لسورة الشورى: ١١٣ أضواء البيان (٧/١٧٨).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٧/٤٠٨).

رجح مثل ترجيح الشنقيطي في أن أولي العزم من الرسل هم الخمسة المذكورون في سورة الأحزاب وسورة الشورى عدد قليل من المفسرين، منهم:

١- النيسابوري^(١). ٢- ابن كثير^(٢). ٣- البقاعي^(٣).

المخالفون:

وهم كل من لم يرجح قولاً واحداً، وإنما فسروا الآية على احتمال المعنيين من اعتبار (من) بيانية، أو اعتبارها تبيضية، فيقولوا: إن (من) قد تكون بيانية ويراد بها جميع الرسل، وقد تكون تبيضية، ثم يختلفوا في تحديد هذا البعض المراد. وقد ذكرتُ في مجمل الأقوال تقريباً كل ما ورد عن المفسرين من الأقوال المحتملة على اعتبار (من) تبيضية، واكتفي هنا بذكر المفسرين:

- ١- الطبري^(٤). ٢- الماوردي^(٥). ٣- الواحدي^(٦).
 ٤- البغوي^(٧). ٥- النسفي^(٨). ٦-
 الزمخشري^(٩).

(١) إيجاز البيان للنيسابوري (١٩٢/٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٧٢/٤).

(٣) نظم الدرر للبقاعي (١٩٠/١٨).

(٤) جامع البيان للطبري (٢٦/٢٦).

(٥) النكت والعيون للماوردي (٢٨٨/٥).

(٦) الوجيز للواحدي (٩٩٩/٢).

(٧) مختصر البغوي (٨٦٤/٢).

(٨) مدارك التنزيل للنسفي (١١٢/٤).

(٩) الكشاف للزمخشري (٣٠٥/٤).

- ٧- ابن عطية^(١).
الرازي^(٢).
٨- ابن الجوزي^(٢).
٩- الفخر الرازي^(٣).
١٠- القرطبي^(٤).
النيسابوري^(١).
١١- الخازن^(٥).
١٢- نظام الدين
١٣- ابن جزى^(٧).
١٤- أبوحيان^(٨).
١٥- البيضاوي^(٩).
١٦- الشوكاني^(١٠).
١٧- القنوجي^(١١).
١٨- القاسمي^(١٢).

تعقيب الباحث:

يظهر - والله أعلم - صحة حمل لفظة (من) في قوله تعالى ((من الرسل))

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (١٣/٣٧٦).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٧/١٤٤).

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي (١٠/٣١١).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/٢٢٠).

(٥) لباب التأويل للخازن (٦/١٤٣).

(٦) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (٢٦/١٨).

(٧) التسهيل لابن جزى (٤/٨٢).

(٨) البحر المحيط لأبي حيان (٩/٤٥٢).

(٩) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/٢١٥).

(١٠) فتح القدير للشوكاني (٥/٢٨).

(١١) فتح البيان للقنوجي (١٣/٤١).

(١٢) محاسن التأويل للقاسمي (١٥/٥٣٦٩).

على المعنيين المذكورين من اعتبارها بيانية أو تبعية، يدل لذلك :

- ١- أن اعتبار (من) لبيان الجنس، وأن المراد بذلك جميع الرسل عليهم السلام قد ذكره عدد كبير من المفسرين - ذكرتهم عند ذكر هذا القول في مجمل الأقوال - وحكى القاسمي أن هذا القول قد « ذهب إليه جمهور المفسرين »^(١).
- ٢- إلحاقاً للنقطة السابقة وأن المراد بأولي العزم جميع الرسل، يؤكد ذلك الثعالبي بقوله : «... ولا محالة أن لكل نبي ورسول عزمًا وصبراً »^(٢).

٣- على اعتبار أن (من) تبعية، فيظهر - والله أعلم - أن الصحيح هو ما ذهب إليه الشنقطي وموافقوه؛ من أن بعض الرسل الموصوفين بـ (أولوا العزم) هم الخمسة المذكورون في سورة الأحزاب وسورة الشورى، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ

النَّبِيِّنَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ

مَرْيَمَ ﴾ [سورة الأحزاب: ٧]، وقال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا

وَصَّيٰ بِهٖ نُوْحًا وَالَّذِيۡ اَوْحَيْنَاۤ اِلَيْكَ وَمَا وَّصَّيْنَا بِهٖۤ اِبْرٰهِيْمَ

وَمُوسٰى وَعِيسٰى ﴾ [سورة الشورى: ١٣]، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى

وخاتم الرسل أجمعين نبينا محمد صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين، وذلك أنه

قال تعالى في سورة الأحقاف هنا ((فاصبر كما صبر أولوا العزم)) فأمره هنا بالصبر

كصبرهم، وهناك في سورة الأحزاب، وسورة الشورى ذكر النبي محمداً ﷺ مع

الأربعة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، فدل هذا على أن الأمور أن

يصبر كصبرهم؛ هم من ذكر هو وإياهم سوا، ولم يرد ذكر النبي محمد ﷺ مع أنبياء

(١) المرجع السابق.

(٢) جواهر الحسان للثعالبي (٤/١٥٨).

- آخرين في آية سوى في الآيات المذكورة، والقرآن يفسر بعضه بعضاً^(١).
- ٤- تأكيداً للنقطة السابقة، قال ابن عاشور: «... وهذه الآية اقتضت أن محمداً ﷺ من أولي العزم لأن تشبيهه الصبر الذي أمر به بصبر أولي العزم من الرسل يقتضي أنه مثلهم لأنه ممثل أمر ربه، فصبره مثل لصبرهم، ومن صبر صبرهم كان منهم لا محالة»^(٢).
- ٥- أما بقية الأقوال غير ما رجحه الشنقيطي وموافقوه، فليس لدى أي منها من القوى من يؤهلها أو بعضها لأن يكون راجحاً، فعلى سبيل المثال؛ القول بأن أولي العزم هم نجباء الرسل المذكورين في سورة الأنعام وهم ثمانية عشر^(٣)، فإن من ضمن المذكورين يونس - ﷺ - ، وقد قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾ [سورة القلم: ٤٨]، فنهاه أن يكون كصاحب الحوت وهو يونس - ﷺ -^(٤).
- ٦- وهذه فائدة عن امتثال النبي محمد ﷺ لأمر الله ﷻ إياه بالصبر، انقلها من كلام الشيخ العلامة السعدي - رحمه الله - « ثم أمر تعالى رسوله أن يصبر على أذية المكذبين المعادين له، وأن لا يزال داعياً لهم إلى الله ﷻ، وأن يقتدي بصبر أولي العزم من المرسلين، سادات الخلق، أولي العزائم والهمم العالية الذين عظم صبرهم، ثم يقينهم، فهم أحق الخلق بالأسوة بهم، والقفو لآثارهم، والاهتداء بمنارهم. فامتثل ﷺ لأمر ربه، فصبر صبراً لم يصبره نبي قبله، حتى رماه المعادون له عن قوس واحدة، وقاموا جميعاً بصدده عن الدعوة إلى الله ﷻ، وفعلوا ما يمكنهم من المعادة

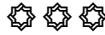
(١) تفسير القرآن بالقرآن أفضل أنواع التفسير، شرح مقلمة التفسير لابن عثيمين ص(١٢٨).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٦٧/٢٦).

(٣) القول رقم (٩) في مجمل الأقوال.

(٤) قصص الأنبياء لابن كثير ص(٣٦٦).

والمحاربة، وهو ﷺ لم يزل صادقاً بأمر الله ﷻ، مقيماً على جهاد أعداء الله، صابراً على ما يناله من الأذى. حتى مكّن الله ﷻ له في الأرض، وأظهر دينه على سائر الأديان، وأتمته على الأمم، فصلّى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً□»^(١). والله أعلم بالصواب.



(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٧٨٤).

معنى (أضل أعمالهم)

٧٦- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ

﴿١﴾ [سورة محمد: ١١].

مجمل الأقوال الواردة:

١- معنى ((أضل أعمالهم)): أبطلها فلم يقبلها؛ وأراد بالأعمال ما فعلوا من
إطعام الطعام وصلة الأرحام.

٢- أو يكون المعنى: أبطل كيدهم ومكرهم بالنبي ﷺ، وجعل الدائرة عليهم^(١).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - « وقوله تعالى في هذه الآية
الكريمة ((أضل أعمالهم)) أي أبطل ثوابها، فما عمله الكافر من حسن في الدنيا، كقرى
الضيف، وبرّ الوالدين، وحمل الجار، وصلة الرحم، والتفيس عن المكروب، يبطل يوم
القيام ويضمحل، ويكون لا أثر له، كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ

عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٣٣﴾ [سورة الفرقان: ٢٣]، وهذا هو الصواب في

معنى الآية.

وقيل: أضل أعمالهم أي أبطل كيدهم الذي أرادوا أن يكيدوا به النبي ﷺ^(٢).

(١) ذكرهما البغوي، مختصر البغوي (٢/٨٦٥).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٧/٤١٤).

الموافقون :

ما ذهب إليه الشنقيطي من أن معنى ((أضل أعمالهم)) أي أبطل ثواب الأعمال التي عملها الكفار من برِّ وصلة ونحوها، قد ذهب إليه أيضاً عدد من المفسرين، منهم:

- ١- الواحدي: « ((أضل أعمالهم)) أحببها، فلا يرون في الآخرة لها جزاء »^(١).
- ٢- ابن الجوزي: « ((أضل أعمالهم)) أي أبطلها، ولم يجعل لها ثواباً، فكأنها لم تكن، وقد كانوا يُطعمون الطعام، ويصلون الأرحام، ويتصدقون، ويفعلون ما يعتقدونه قربة »^(٢).
- ٣- ابن كثير: « ((أضل أعمالهم)) أي أبطلها وأذهبها ولم يجعل لها ثواباً ولا جزاءً، كقوله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [سورة الفرقان: ٢٣] »^(٣).

وبنحو هذه العبارات جاءت عبارات كل من الطبري^(٤)، والنيسابوري^(٥)، والمحلي^(٦)، والقاسمي^(٧) وسيد قطب^(٨).

(١) الوجيز للواحدي (١٠٠٠/١).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (١٤٧/٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٧٢/٠٤).

(٤) جامع البيان للطبري (٢٥/٢٦).

(٥) إيجاز البيان للنيسابوري (١٩٣/٢).

(٦) تفسير الجلالين ص (٤٢٧).

(٧) محاسن التأويل للقاسمي (٥٣٧٢/١٥).

(٨) في ظلال القرآن لسيد قطب (٣٢٨٠/٦).

المخالفون:

في هذا الموضوع لم يرجح أحد القول الآخر - غير ما رجحه الشنقيطي وموافقوه - ولكن كثيراً من المفسرين جمعوا القولين عند تفسير الآية معتبرين إياهما معنى للآية، وهؤلاء يمكن تصنيفهم إلى فئتين:

أ- الذين، ربطوا بين القولين، بحمل لفظ الآية على العموم، منهم:

١- ابن عطية: « وقوله تعالى ((أضل أعمالهم)) أي أتلفها، لم يجعل لها غاية خير ولا نفعاً. وروي أن هذه الآية نزلت بعد بدر، وأن الإشارة بقوله ((أضل أعمالهم)) هي إلى الإنفاق الذي أنفقوه في سفرهم إلى بدر. وقيل: المراد بالأعمال أعمالهم البرة في الجاهلية من صلة الرحم ونحوه. واللفظ يعم جميع ذلك »^(١).

٢- البقاعي: « ((أضل)) أي أبطل إبطالاً عظيماً يزيل العين والأثر، ((أعمالهم)) التي هي أرواحهم المعنوية، وهي كل شيء يقصدون به نفع أنفسهم من جلب نفع أو دفع ضرر بعد أن وفر سيئاتهم وأفسد بالهم، ومن جملة أعمالهم ما يكيدونكم به لأنها إذا ضلت عما قصدوا بها يجعله سبحانه لها ضالة ضائعة هلكت من جهة أنها ذهبت في المهالك ومن جهة أنها ذهبت في غير الجهة التي قصدت لها فبطلت منفعتها المقصودة منها فصارت هي باطلة، فأذهبوا أتم أرواحهم الحسية بأن تبطلوا صورهم وأشباحهم بأن تقطعوا أوصالهم وأنتم في غاية الاجترار عليهم، فإن ربهم الذي أوجدهم قد أبطلهم وأذن لكم في إبطالهم، فإنه قد علم أنه لا صلاح لهم، والمؤذي طبعاً يقتل شرعاً، فمن قدرتم على قتله فهو محكوم بكفره، محتوم بخيبتة وخسره »^(٢).

٣- السعدي: « ((أضل)) الله ((أعمالكم)) أي: أبطلها وأشقاها بسببها، وهذا يشمل

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (١٣/٣٨٣).

(٢) نظم الدرر للبقاعي (١٨/١٩٥).

أعمالهم التي عملوها ليكيدوا بها الحق وأولياء الله، أن الله ﷻ جعل كيدهم في نحورهم، فلم يدركوا مما قصدوا شيئاً، وأعمالهم التي يرجون أن يتأبوا عليها، أن الله ﷻ سيحببها عليهم. والسبب في ذلك أنهم اتبعوا الباطل، وهو كل غاية لا يراد بها وجه الله ﷻ من عبادة الأصنام والأوثان. والأعمال التي في نصر الباطل لما كانت باطلة، كانت الأعمال لأجلها باطلة»^(١).

وبنحو ذلك قال كل من نظام الدين النيسابوري^(٢)، وابن جزري^(٣)، وأبي حيان^(٤)، وابن عاشور^(٥).

ب- الفئة الثانية هم الذين ذكروا القولين فقط دون ربط بينهما، معتبرين إياهما معاً تفسيراً للآية، منهم:

١- النسفي: «(أضل أعمالهم)) أبطلها وأحببها، وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الإبل، وأعمالهم ما عملوه في كفرهم من صلة الأرحام وإطعام الطعام وعمارة المسجد الحرام. أو ما عملوه من الكيد لرسول الله ﷺ، والصد عن سبيل الله»^(٦).

٢- البيضاوي: «(أضل أعمالهم)) جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الأسارى وحفظ الجوار ضالة أي ضائعة محيطة بالكفر أو مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن. أو ضاللاً حيث لم يقصدوا به وجه الله تعالى. أو أبطل ما عملوه من الكيد لرسوله

(١) تيسر الكريم الرحمن للسعدي ص(٧٨٤).

(٢) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (٢٦/٢١).

(٣) التسهيل لابن جزري (٤/٨٣).

(٤) البحر المحيط لأبي حيان (٩/٤٥٨).

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٦/٧٤).

(٦) مدارك التنزيل للنسفي (٤/١١٣).

والصد عن سبيله بنصر رسوله وإظهار دينه على الدين كله»^(١).

٣- الشوكاني: «(أضل أعمالهم)) أي أبطلها وجعلها ضائعة. قال الضحاك: معنى ((أضل أعمالهم)) أبطل كيدهم ومكرهم بالنبي ﷺ، وجعل الدائرة عليهم في كفرهم. وقيل: أبطل ما عملوه في الكفر مما يسمونه مكارم أخلاق؛ من صلة الأرحام، وفك الأسارى، وقرى الأضياف، وهذه وإن كانت باطلة من أصلها، لكن المعنى أنه سبحانه حكم ببطلانها»^(٢).

وبنحو ذلك قد جاء كلام كل من البغوي^(٣)، والزمخشري^(٤)، والقرطبي^(٥)، والحاازن^(٦)، والقنوجي^(٧).

تعقيب الباحث:

باستعراض أقوال المفسرين حول بيان المراد بـ ((أضل أعمالهم))، يظهر - والله أعلم - صحة إرادة المعنيين المذكورين وذلك بحمل اللفظ على العموم وشموله لكل ما يندرج تحته من أعمال. وذلك أن كلا المعنيين؛ سواء قيل إن أعمال الكفار الحسنة التي عملوها في الدنيا من برّ وصلة ونحوها تبطل يوم القيامة فلا يكون لها أثر ينفعهم، قد دلت على المعنى آيات أخرى - وقد سبق قريباً في موضع ترجيحي الكلام على قوله تعالى: ﴿

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/٢١٦).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٥/٣٠٠).

(٣) مختصر البغوي (٢/١٦٥).

(٤) الكشاف للزمخشري (٤/٣٠٧).

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/٢٢٣).

(٦) لباب التأويل للحاازن (٦/١٤٤).

(٧) فتح البيان للقنوجي (١٣/٤٧).

وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدَّهَبْتُمْ طَيْبَتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ
الدُّنْيَا... ﴿سورة الأحقاف: ٢٠﴾ - ومنها قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِرَبِّهِمْ أََعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ أُشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ
مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴿سورة
إبراهيم: ١٨﴾، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ
تَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ تَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ
فَوْقَهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٦٦﴾ ﴿سورة النور: ٣٩﴾، قوله تعالى:
﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ ﴿سورة
الفرقان: ٢٣﴾. وأما أن يراد بالآية إبطال ما يكيدون به النبي ﷺ، فقد دلت عليه أيضاً آيات
أخرى؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ
يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ ﴿سورة
الأنفال: ٣٠﴾، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
وَمَكْرُهُمْ أَوْلَتْكَ هُوَ يُبْزَرُ﴾ ﴿سورة فاطر: ١٠﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ
كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُؤِيدًا ﴿١٧﴾﴾ ﴿سورة
الطارق: ١٥ - ١٧﴾. وخير ما يفسر به القرآن القرآن^(١)، فيصح حمل قوله ((أضل

(١) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(١٢٧).

أعمالهم)) على العموم فيراد جميع المعاني. والله أعلم بالصواب.



المراد بوضع الحرب أوزارها

٧٧- قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا
أَخَذْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ
أُوزَارَهَا ﴾ [سورة محمد: ٤].

مجمل الأقوال الواردة:

- ١- ((حتى تضع الحرب أوزارها)): أي أثقالها وأحمالها، يعني حتى تضع أهل الحرب السلاح، فيمسكوا عن الحرب، وأصل الوزر ما يحتمل الإنسان، فسمى الأسلحة أوزاراً لأنها تحمل^(١).
- ٢- ((حتى تضع الحرب أوزارها)): الأوزار في هذه الآية الآثام، جمع وزر، لأن الحرب لا بد أن يكون فيها آثام في أحد الجانبين^(٢).
- ٣- ((حتى تضع الحرب أوزارها)): حتى يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم بأن يسلموا، أو يسالموا^(٣).
- ٤- ((حتى تضع الحرب أوزارها)): حتى يظهر الإسلام على الدين كله.
- ٥- ((حتى تضع الحرب أوزارها)): يعني حتى ينزل عيسى ابن مريم - عليه السلام -^(٤).

(١) مختصر البغوي (٢/٨٦٥).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (١٣/٣٨٧).

(٣) مختصر البغوي (٢/٨٦٥)، مدارك التنزيل للنسفي (٤/١١٤).

(٤) القولان رقم (٤، ٥) ذكرهما الماوردي في النكت والعيون (٥/٢٩٣).

نظرة سريعة على مجمل الأقوال :

- ١- القول الأول فسر فيه لفظ (الأوزار) فقط، على أن الأوزار هي آلات الحرب من السلاح والخيول ونحوها.
- ٢- القول الثاني فسر فيه لفظ الأوزار على عموم الحرب، بمعنى أن أي حرب بين فريقين لا بد أن يكون فيها جانب مصيب وجانب مخطف، وهذا بصورة عامة وعليه فسر لفظ الأوزار هنا، وإلا فإن الحرب بين المسلمين والكفار واضح فيها أن الآثام على الكفار لعدم استجابتهم للدعوة إلى الإسلام.
- ٣- القول الثالث يراد به أي حرب يخوضها المسلمون مع المشركين أو الكفار عموماً في أي منطقة، فإذا أسلم كفار تلك المنطقة بأن دخلوا في دين الإسلام، فقد وضعوا عن أنفسهم وزر الكفر، أو يسالموا بأن يدخلوا في الذمة.
- ٤- القول الرابع مبني على عموم العلاقة مع الكفار، فإن المسلمين يقومون بواجب نشر الإسلام في الأرض، فإذا وقف في طريقهم من الكفار من يريد منع نشر الإسلام، قاتلوه، أما إذا أسلم أهل الأرض جميعاً ودخلوا في دين الإسلام ولم يبق كافر، فقد وضعت الحرب أوزارها.
- ٥- وأما تفسير وضع الحرب أوزارها بنزول عيسى - عليه السلام - ، فمعلوم من النصوص الواردة في نزول عيسى - عليه السلام - وقتله للمسيح الدجال، يعيش الناس بعد ذلك تحت حكمه في أمن وأمان وإيمان، فلا كافر يقاتل ولا ذمّي تؤخذ منه الجزية^(١). والله أعلم.

ترجيح الشنقيطي :

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ((حتى تضع الحرب أوزارها)) أي إذا لقيتم الكفار فاضربوا أعناقهم ((حتى إذا

(١) انظر: أشراط الساعة ليوسف الوابل ص(٣٣٧ - ٣٦٤).

أثخنتموهم)) قتلاً فأسروهم ((حتى تضع الحرب أوزارها)) أي حتى تنتهي الحرب.
وأظهر الأقوال في معنى وضع الحرب أوزارها أنه وضع السلاح، والعرب تسمي
السلاح وزراً، وتطلق العرب الأوزار على آلات الحرب وما يساعد فيها كالخيل، ومنه قول
الأعشى:

وأعددت للحرب أوزارها
رماحاً طوالاً وخيلاً ذكرواً^(١)
وفي معنى أوزار الحرب أقوال أخر معروفة تركناها؛ لأن هذا أظهرها عندنا.
والعلم عند الله تعالى»^(٢).
الشيخ الشنقيطي يرى إذاً أن المراد بوضع الحرب أوزارها يعني وضع السلاح،
فالأوزار آلات الحرب من السلاح ونحوه، ووضع السلاح تعبير عن انتهاء الحرب.

الموافقون:

قال مثل قول الشنقيطي في بيان المراد بوضع الحرب أوزارها قلة من المفسرين،
منهم:

- ١- القنوجي: « ((حتى تضع الحرب أوزارها)) أوزار الحرب آلاتها وأثقالها التي لا تقوم
إلا بها من السلاح والكراع^(٣)، والمعنى أن المسلمين مخبرون بين تلك الأمور
الأربعة^(٤) إلى غاية هي أن لا تكون حرب مع الكفار بأن لا تبقى لهم شوكة^(٥)».
- ٢- ابن عاشور: « والأوزار: الأثقال، ووضع الأوزار تمثيل لانتهاء العمل، فشبهت

(١) البيت في ديوان الأعشى، في قصيدة له مطلعها:

وطالبتها ونذرت النذور

غَشِيَتْ لِلَّيْلِ بَلْبِلِي خَدْرُوا

والأعشى هو: ميمون بن قيس بن جندل، أبو بصير، شاعر جاهلي، انظر: شرح ديوان الأعشى ص(٨٩).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٤٢٢/٧).

(٣) الكراع: اسم يجمع الخيل. القاموس المحيط للفيروزآبادي ص(٩٨٠) باب العين فصل الكاف.

(٤) الضرب والشد، والمن والفداء.

(٥) فتح البيان للقنوجي (٥١/١٣).

حالة انتهاء القتال بحالة وضع الحمال أو المسافر أثقاله»^(١).

المخالفون:

وهم الأكثرية وقد جعلوا المراد بوضع الحرب أوزارها شاملاً لمعان أكثر، فكل من سرد الأقوال عند تفسيره للآية، أو أوجد رابطة بين بعض الأقوال وبعضها، تفسّر بمجملها الآية، فإنهم يدخلون تحت هذا التصنيف، وأذكر أمثلة منهم وأشير إلى البقية:

١- الطبري: « وقوله ((حتى تضع الحرب أوزارها)) يقول تعالى ذكره فإذا لقيتم الذين كفروا فاضربوا رقابهم وافعلوا بأسراهم ما بينت لكم حتى تضع الحرب أوزارها وأثقال أهلها المشركين بالله ﷻ بأن يتوبوا إلى الله ﷻ من شركهم فيؤمنوا به وبرسوله ويطيعوه في أمره ونهيه فذلك وضع الحرب أوزارها. وقيل: حتى تضع الحرب أوزارها، والمعنى: حتى تلقي الحرب أوزار أهلها، وقيل: معنى ذلك حتى يضع المحارب أوزاره»^(٢).

٢- الواحدي: « ((حتى تضع الحرب أوزارها)) أي: اقتلوهم وأسروهم حتى لا يبقى كافر يقاتلكم، فستكن الحرب وتنقطع، وهو معنى قوله ((تضع الحرب أوزارها)) أي: يضع أهلها آلة الحرب من السلاح وغيره، ويدخلوا في الإسلام أو الذمة»^(٣).

٣- النيسابوري: « ((حتى تضع الحرب أوزارها)) أهل الحرب أوزارها، فلا يبقى إلا مسلم أو مسالم. أو أوزارها: أثقالها من الكراع والسلاح»^(٤).

٤- ابن كثير: « ((حتى تضع الحرب أوزارها)) حتى لا يبقى شرك، وهذا كقوله تعالى ﴿

وَقَتْلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ لسورة البقرة:

١٩٣]، ثم قال بعضهم حتى تضع الحرب أوزارها أي أوزار المحاربين وهم المشركون

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨٢/٢٦).

(٢) جامع البيان للطبري (٢٧/٢٦).

(٣) الوجيز للواحدي (١٠٠١/٢).

(٤) إيجاز البيان للنيسابوري (١٩٣/٢).

- بأن يتوبوا إلى الله عَجَلًا، وقيل أوزار أهلها بأن يبذلوا الوسع في طاعة الله تعالى»^(١).
- ٥- البيضاوي: «(حتى تضع الحرب أوزارها)) آلاتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها كالسلاح والكرع، أي تنقضي الحرب ولم يبق إلا مسلم أو مسلم. وقيل: آثامها، والمعنى حتى يضع أهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب أو الشد، أو للمن والفداء، أو للمجموع، بمعنى أن هذه الأحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم. وقيل: بنزول عيسى عليه الصلاة والسلام»^(٢).
- ٦- البقاعي: «(حتى تضع الحرب أوزارها)) وهي أثقالها، أي الآلات التي تثقل القائمين بها من النفقات والسلاح والكرع ونحوه، وذلك لا يكون وفي الأرض كافر، وذلك على زمن عيسى عليه الصلاة والسلام حين تخرج الأرض بركاتها، وتكون الملة واحدة وهي الإسلام لله رب العالمين»^(٣).
- ونحو أقوال المذكورين جاءت أقوال كل من الماوردي^(٤)، والبغوي^(٥)، والنسفي^(٦)، والزنجشيري^(٧)، وابن عطية^(٨)، وابن الجوزي^(٩)، والفخر الرازي^(١٠)، والقرطبي^(١١)، والحازن^(١٢)، ونظام الدين النيسابوري^(١)، وابن جزى^(٢)، وأبي حيان^(٣)،

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/١٧٣).

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/٢١٦).

(٣) نظم الدرر للبقاعي (١٨/٢٠٥).

(٤) النكت والعيون للماوردي (٥/٢٩٣).

(٥) مختصر البغوي (٢/٨٦٥).

(٦) مدارك التنزيل للنسفي (٤/١١٤).

(٧) الكشف للزنجشيري (٤/٣١٠).

(٨) المحرر الوجيز لابن عطية (١٣/٣٨٧).

(٩) زاد المسير لابن الجوزي (٧/١٤٨).

(١٠) التفسير الكبير للفخر الرازي (١٠/٣٩).

(١١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/٢٢٨).

(١٢) لباب التأويل للحازن (٦/١٤٦).

تعقيب الباحث:

يظهر - والله أعلم - أن المراد بوضع الحرب أوزارها أحد المعاني الآتية:

١- القول الأول في مجمل الأقوال، وهو أن أوزار الحرب هي آلاتها وأثقالها من السلاح والخيول ونحوها، فالأمر من الله ﷻ لعباده المؤمنين بأن يقاتلوا الكفار، بعد أن يكون المسلمون قد دعوهم إلى الإسلام، ورفض الكفار أيضاً دفع الجزية، فلم يبق إلا قتالهم وإزاحتهم من الطريق لتبليغ دعوة الإسلام لكل الناس، فالمؤمنون عليهم إذا التقوا مع الكفار في ساحة القتال أن يضربوا رقابهم « وعين من أنواع القتل أشهره وأعرفه فذكره، والمراد: اقتلوهم بأي وجه أمكن، وقد زادت آية أخرى ﴿ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ

بَنَانٍ ﴾ [سورة الأنفال: ١٢]، وهي من أنكى ضربات الحرب لأنها تعطل من المضروب جميع جسده، إذ البنان أعظم آلة المقاتل وأصلها^(٦)، وعلى المؤمنين أن يشخروا الكفار بالقتل « والإثخان في القوم: أن يكثر فيهم القتلى والجرحي^(٧) »، ثم بعد ذلك يشدوا وثاق من بقي حياً من الكافرين ليقع أسيراً في يد المسلمين، وبالطبع عندما تنتهي الحرب أو المعركة سيضع المحاربون أسلحتهم وأثقالهم عن كاهلهم.

٢- القول الثالث من مجمل الأقوال وهو أن يراد بوضع الحرب أوزارها؛ إسلام المشركين

(١) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (٢٣/٢٦).

(٢) التسهيل لابن جزي (٨٤/٤).

(٣) البحر المحيط لأبي حيان (٤٦٠/٩).

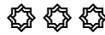
(٤) جواهر الحسان للثعالبي (١٦٢/٤).

(٥) محاسن التأويل للقاسمي (٥٣٧٤/١٥).

(٦) المحرر الوجيز لابن عطية (٣٨٦/١٣).

(٧) المرجع السابق.

أو مسألتهم، فهذا مبني على أن معنى أوزار الحرب: آثامها، فدخل كفر منطقياً ما
في الإسلام أو رضاهم بدفع الجزية مع استسلامهم لحكم المسلمين، يكونوا قد رفعوا
عن أنفسهم إثم الصدّ عن سبيل الله ﷻ، وإثم منع تبليغ دعوة الإسلام.
٣- القولان الرابع والخامس في مجمل الأقوال، يدلان - عند حمل الآية عليهما -
على دوام مقاتلة المسلمين للكفار إلى يوم القيامة، فإن المعارك بين الإسلام والكفر
والحق والباطل لا تتوقف، بناءً على سنة التدافع ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ
بَعْضَهُم بِبَعْضٍ هَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ
فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ
لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [سورة الحج: ٤٠]، قال ابن عطية عند قوله تعالى ((حتى
تضع الحرب أوزارها)) « وظاهر اللفظة أنها استعارة يراد بها التزام الأمر أبداً، وذلك
أن الحرب بين المؤمنين والكافرين لا تضع أوزارها، فجاء هذا اللفظ كما تقول: أنا
أفعل كذا وكذا إلى يوم القيامة، وإنما تريد أنك تفعله دائماً»^(١).
فالذي أراه صحة حمل الآية على ما ذكرته من المعاني. والله أعلم بالصواب.



معنى قوله تعالى ﴿ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ﴾

٢٨- قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ [سورة محمد: ١٣٥].

مجملة الأقوال الواردة:

- ١- (وأنتم الأعلون)، أن يكون في موضع الحال، والمعنى لا تهنوا وتبدءوا بطلب الصلح والمهادنة وأنتم الأعلون، أي والحال أنكم أنتم الأعلون الأفهرون الأغلبون لأعدائكم، وإن غلبوكم في بعض الأوقات^(١).
- ٢- ويحتمل أن يكون معنى (وأنتم الأعلون) إخبار بمغيب أبرزه الوجود بعد ذلك^(٢).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله- : « وقوله تعالى ((وأنتم الأعلون)) جملة حالية أي فلا تضعفوا عن قتال الكفار وتدعوا إلى اسلم، أي تبدءوا بطلب السلم أي الصلح والمهادنة وأنتم الأعلون. أي والحال أنكم أنتم الأعلون أي الأفهرون الأغلبون لأعدائكم، ولأنكم ترجون من الله ﷻ النصر والثواب ما لا يرجون.

وهذا التفسير في قوله ((وأنتم الأعلون)) هو الصواب. وتدل عليه آيات من كتاب الله، كقوله تعالى بعده ((والله معكم)) لأن من كان الله ﷻ معه هو الأعلى وهو الغالب وهو

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (١٣/٤٢١)، زاد المسير لابن الجوزي (٧/١٥٦)، أضواء البيان للشنقيطي (٧/٥٩٦).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (١٣/٤٢٢).

القاهر المنصور الموعود بالثواب، فهو جدير بأن لا يضعف عن مقاومة الكفار ولا يبدأهم بطلب
الصلح والمهادنة. وكقوله تعالى ﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [سورة
الصفات: ١٧٣]، وقوله تعالى ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا ﴾ [سورة غافر: ٥١]، وقوله ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
[سورة الروم: ٤٧]، وقوله تعالى ﴿ قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَتُخْزِيهِمْ
وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ [سورة التوبة: ١٤].

ومما يوضح معنى آية القتال هذه قوله تعالى ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ
الْقَوْمِ ۗ إِنَّ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ ۗ
وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ [سورة النساء: ١٠٤]؛ لأن قوله تعالى
((وترجون من الله ما لا يرجون)) من النصر الذي وعدكم الله ﷻ به والغلبة وجزيل
الثواب، وذلك كقوله هنا ((وأنتم الأعلون)). وقوله ((والله معكم)) أي بالنصر والإعانة
والثواب^(١).

الموافقون:

جمهور من المفسرين ذهبوا في بيان معنى الآية إلى مثل ما ذهب
إليه الشنقيطي، منهم:

١- الطبري: « وقوله تعالى ((وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون)) يقول لا تضعفوا عنهم
وتدعوهم إلى الصلح والمسألة وأنتم القاهرون لهم والعالون عليهم ((والله معكم))

يقول والله معكم بالنصر لكم عليهم»^(١).

- ٢- الواحدي^(٢).
- ٣- البغوي: « ((فلا تهنوا)) لا تضعفوا ((وتدعوا إلى السلم)) أي لا تدعوا إلى الصلح ابتداءً، منع الله المسلمين أن يدعوا الكفار إلى الصلح، وأمرهم بحربهم حتى يسلّموا ((وأنتم الأعلون)) الغالبون»^(٣).
- ٤- النسفي^(٤). ٥- الزمخشري^(٥). ٦- ابن الجوزي^(٦).
- ٧- الفخر الرازي^(٧).
- ٨- الخازن: « ((وتدعوا إلى السلم)) يعني ولا تدعوا الكفار إلى الصلح أبداً، منع الله ﷺ المسلمين أن يدعوا الكفار إلى الصلح وأمرهم بحربهم حتى يسلّموا ((وأنتم الأعلون)) يعني وأنتم الغالبون لهم والعالون عليهم، أخبر الله تعالى أن الأمر للمسلمين والنصرة والغلبة لهم عليهم، وإن غلبوا المسلمين في بعض الأوقات، ((والله معكم)) يعني بالنصر والمعونة، ومن كان الله ﷻ معه فهو العال الغالب»^(٨).
- ٩- نظام الدين النيسابوري^(٩). ١٠- ابن جزى^(١٠). ١١- أبو حيان^(١١).
- ١٢- البيضاوي^(١). ١٣- المحلي^(٢). ١٤-

(١) جامع البيان للطبري (٤٠/٢٦).

(٢) الوجيز للواحدى (١٠٥/٢).

(٣) مختصر البغوي (٨٧٠/٢).

(٤) مدارك التنزيل للنسفي (١١٨/٤).

(٥) الكشاف للزمخشري (٣٢١/٤).

(٦) زاد المسير لابن الجوزي (١٥٦/٧).

(٧) التفسير الكبير للفخر الرازي (٦١/١٠).

(٨) لباب التأويل للخازن (١٥٥/٦).

(٩) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (٣٤/٢٦).

(١٠) التسهيل لابن جزى (٩٠/٤).

(١١) البحر المحيط لأبي حيان (٤٧٦/٩).

- ١٥ - البقاعي: « ((فلا تهنوا)) أي تضعفوا ضعفاً يؤدي بكم إلى الهوان والذل
((وتدعوا)) أي أعداءكم ((إلى السلم)) أي المسالمة وهي الصلح ((وأنتم)) أي
والحال أنكم ((الأعلون)) على كل من ناوأكم... »^(٤).
- ١٦ - الشوكاني^(٥). ١٧ - القنوجي^(٦). ١٨ - القاسمي^(٧).
- ١٩ - السعدي: « ((فلا تهنوا)) أي لا تضعفوا عن قتال عدوكم، ويستولي عليكم الخوف،
بل اصبروا واثبتوا ووطنوا أنفسكم على القتال والجلاد، طلباً لمرضاة ربكم، ونصحاً
للإسلام، وإغضاباً للشيطان. ولا تدعوا إلى المسالمة والمشاركة بينكم وبين أعدائكم،
طلباً للراحة ((و)) الحال أنكم ((أنتم الأعلون والله معكم)) »^(٨).
- ٢٠ - سيد قطب^(٩). ٢١ - ابن عاشور^(١٠).
- ذكرت كلام من ذكرت لوضوح عباراتهم في تفسير الآية، وكلام البقية يشبه كلامهم.

ولم يخالف أحد هنا فلا يوجد مخالفون.

تعقيب الباحث:

- (١) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢١٧/٢).
- (٢) تفسير الجلالين ص (٤٣٠).
- (٣) جواهر الحسان للثعالبي (١٧٠/٤).
- (٤) نظم الدرر للبقاعي (٢٦٣/١٨).
- (٥) فتح القدير للشوكاني (٤٢/٥).
- (٦) فتح البيان للقنوجي (٧٨/١٣).
- (٧) محاسن التأويل للقاسمي (٥٣٩١/١٥).
- (٨) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٧٩٠).
- (٩) في ظلال القرآن لسيد قطب (٣٣٠٢/٥).
- (١٠) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٣١/٢٦).

الظاهر - والله أعلم- أن الراجح في معنى الآية هو ما رجحه الشيخ الشنقيطي، متفقاً في ذلك مع ما ذهب إليه جمهور المفسرين، يدل لذلك أمور:

- ١- دلالة آيات من القرآن الكريم عليه، وقد سبق ذكرها تحت (ترجيح الشنقيطي)، ولا مانع من إعادتها، فمنها قوله تعالى ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَتُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ [سورة التوبة: ١٤]، وقوله تعالى ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الروم: ٤٧]، وقوله تعالى ﴿ وَإِنَّا جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [سورة الصافات: ١٧٣]، وقوله تعالى ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [سورة غافر: ٥١].

وهذا من نوع تفسير القرآن بالقرآن أفضل وأقوى أنواع التفسير^(١).

- ٢- إجماع جمهور المفسرين عليه دليل على قوته وترجيحه، مع عدم وجود مخالف رجح قولاً غيره.

- ٣- القول الثاني وهو أن الآية قد يراد بها الإخبار بمغيب أبرزه الوجود بعد ذلك، لا يبدو لي هذا القول غريباً عن الأول، بل هو يدخل تحته، فطالما أن الله ﷻ قد أخبر عباده المؤمنين أنه معهم وناصرهم، وأنهم هم الأعلون القاهرون الغالبون لغيرهم من الملل والنحل، فإنهم وإن غلبوا في بعض الأوقات فإن العاقبة الحسنة بالفوز والظفر لا بد وأن تكون لهم طالما وعدهم الله ﷻ، أنهم هم الأعلون. والله أعلم بالصواب.



(١) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(١٢٧).

المراد بالفتح

٧٩- قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [سورة الفتح: ١].

مجمل الأقوال الواردة:

اختلف في بيان المراد بالفتح المذكور في الآية على أقوال:

- ١- أنه ما كان يوم الحديبية من صلح.
- ٢- أن هذا الفتح فتح مكة، والمعنى أنه وُعد بفتح مكة بهذه الآية.
- ٣- أنه فتح خيبر.
- ٤- ((إنا فتحنا..)) أي حكمنا لك بإظهار دينك والنصرة على عدوك^(١).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « قوله تعالى ((إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً)) التحقيق الذي عليه الجمهور أن المراد بهذا الفتح صلح الحديبية؛ لأنه فتح عظيم. وإيضاح ذلك أن الصلح المذكور؛ هو السبب الذي تهيأ به للمسلمين أن يجتمعوا بالكفار فيدعوهم إلى الإسلام وبنينا لهم محاسنه، فدخل كثير من قبائل العرب بسبب ذلك في الإسلام، ومما يوضح ذلك أن الذين شهدوا صلح الحديبية مع النبي ﷺ في ذي القعدة عام ست كانوا ألفاً وأربعمائة، ولما أراد النبي ﷺ غزو مكة حين نقض الكفار العهد، كان خروجه إلى مكة في رمضان عام ثمان، وكان معه عشرة آلاف مقاتل، وذلك يوضح أن الصلح المذكور من أعظم الفتوح لكونه سبباً لقوة المسلمين وكثرة عددهم. وليس المراد بالفتح المذكور فتح مكة، وإن قال بذلك جماعة من أهل العلم. وإنما قلنا ذلك لأن أكثر أهل العلم على ما قلنا، ولأن ظاهر القرآن الكريم يدل عليه لأن سورة الفتح هذه نزلت بعد صلح الحديبية في طريقه ﷺ راجعاً إلى المدينة، ولفظ الماضي في قوله ((إنا فتحنا)) يدل على

(١) الأقوال (١، ٢، ٣، ٤) ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير (١٥٩/٧).

أن ذلك الفتح قد مضى، فدعوى أنه فتح مكة ولم يقع إلا بعد ذلك بقرب سنتين خلاف الظاهر. والآية التي في فتح مكة دلت على الاستقبال لا على الماضي، وهي قوله تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ

اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [سورة النصر: ٤١] ^(١).

إذا الشيخ الشنقيطي يرى مثل جمهور المفسرين أن الفتح المراد في أول سورة الفتح هو صلح الحديبية.

الموافقون :

إلى مثل ما ذهب إليه الشنقيطي قد ذهب عدد كبير من المفسرين وأن المراد بالفتح

هو صلح الحديبية، منهم :

- | | | |
|------------------------------|-------------------------------|--|
| ١ - البغوي ^(٢) . | ٢ - ابن عطية ^(٣) . | ٣ - النيسابوري ^(٤) . |
| ٤ - القرطبي ^(٥) . | ٥ - الخازن ^(٦) . | ٦ - نظام الدين النيسابوري ^(٧) . |
| ٧ - ابن جزى ^(٨) . | ٨ - ابن كثير ^(٩) . | ٩ - الثعالبي ^(١٠) . |

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦٠٣/٧).

(٢) مختصر البغوي (٨٧١/٢).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٤٢٩/١٣).

(٤) إيجاز البيان للنيسابوري (١٩٦/٢).

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٦١/١٦).

(٦) لباب التأويل للخازن (١٥٧/٦).

(٧) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (٣٩/٢٦).

(٨) التسهيل لابن جزى (٩٢/٤).

(٩) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٨٢/٤).

(١٠) جواهر الحسان للثعالبي (١٧٢/٤).

- ١٠- الشوكاني^(١).
١١- القنوجي^(٢). ١٢- القاسمي^(٣).
١٣- السعدي^(٤).

المخالفون:

ويمكن تصنيفهم إلى أكثر من فئة:

- أ- الذين رجّحوا أن الفتح المذكور في الآية يراد به فتح مكة، منهم:
١- الزمخشري^(٥).
٢- الفخر الرازي^(٦).
٣- أبوحيان^(٧).
٤- المحلي^(٨).
ب- من رجّح أن معنى الآية: ((إننا فتحنا)) أي حكمنا لك بإظهار دينك والنصرة على
عدوك، ورجّح هذا الواحدي^(٩).

تعقيب الباحث:

الظاهر- والله أعلم- أن المراد بالفتح هنا في أول سورة الفتح هو صلح
الحديبية، يدل لذلك أمور:

- (١) فتح القدير للشوكاني (٤٦/٥).
(٢) فتح البيان للقنوجي (٨٥/١٣).
(٣) محاسن التأويل للقاسمي (٥٣٩٥/١٥).
(٤) تفسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٧٩١).
(٥) الكشاف للزمخشري (٣٢٣/٤).
(٦) التفسير الكبير للفخر الرازي (٦٥/١٠).
(٧) البحر المحیط لأبي حيان (٤٨٢/٩).
(٨) تفسير الجلالين ص(٤٣٠).
(٩) الوجيز للواحدى (١٠٠٧/٢).

- ١- إجماع الجمهور عليه، فصرّح بأنه قول « الجمهور » ابن عطية^(١)، ونظام الدين النيسابوري^(٢) والثعالبي^(٣) والشنقيطي^(٤)، وابن عاشور^(٥)، وبأنه قد « قاله الأكثرون » ابن الجوزي^(٦) والقرطبي^(٧) والشوكاني^(٨) والقنوجي^(٩)، وبأنه هو « الأصح » أو « الصحيح » ابن عطية^(١٠) والخازن^(١١) وابن جزري^(١٢) والثعالبي^(١٣)، وأنه هو « الأرجح » الشوكاني^(١٤)، والقنوجي^(١٥).
ولا شك أن إجماع جمهور المفسرين على تفسير يرجحه على غيره^(١٦).
- ٢- بناء على قاعدة: إذا ثبت تاريخ نزول الآية أو السورة فهو مرجّح لما وافقه من أوجه التفسير^(١٧). فإن الوارد في سبب نزول سورة الفتح يؤيد أنها نزلت بعد صلح الحديبية

-
- (١) المحرر الوجيز لابن عطية (٤٢٩/١٣).
(٢) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (٣٩/٢٦).
(٣) جواهر الحسان للثعالبي (١٧٢/٤).
(٤) أضواء البيان للشنقيطي (٦٠٣/٧).
(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٤٥/٢٦).
(٦) زاد المسير لابن الجوزي (١٥٩/٧).
(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٦١/١٦).
(٨) فتح القدير للشوكاني (٤٦/٥).
(٩) فتح البيان للقنوجي (٨٥/١٣).
(١٠) المحرر الوجيز لابن عطية (٤٢٩/١٣).
(١١) لباب التأويل للخازن (١٥٧/٦).
(١٢) التسهيل لابن جزري (٩٢/٤).
(١٣) جواهر الحسان للثعالبي (١٧٢/٤).
(١٤) فتح القدير للشوكاني (٤٦/٥).
(١٥) فتح البيان للقنوجي (٨٥/١٣).
(١٦) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٢٨٨/١).
(١٧) المرجع السابق (٢٥٨/١).

وفي شأن ذلك الصلح، يقول ابن عطية: «... نزلت السورة مؤنسة للمؤمنين لأنهم كانوا استوحشوا من ردّ قريش لهم، ومن تلك المهادنة التي هادتهم النبي ﷺ، فنزلت السورة^(١) مؤنسة لهم في صدّهم عن البيت، ومُذهبة ما كان في قلوبهم، ومنه حديث حديث عمر - ﷺ - الشهرير، وما قال للنبي ﷺ ولأبي بكر - ﷺ -، واستقبل رسول الله ﷺ في تلك السفرة أنه هادن عدوّه ريثما يتقوى هو، وظهرت على يديه آية الماء في بئر الحديبية حيث وضع فيه سهمه وثاب الماء حتى كفى الجيش، واتفقت بيعة الرضوان، وهي الفتح الأعظم، وبلغ هديه محلّه، واستقبل فتح خيبر، وامتألت أيدي المؤمنين خيراً، واتفقت في ذلك الوقت ملحمة عظيمة بين الروم وفارس ظهرت فيها الروم فكانت من جملة الفتح على رسول الله ﷺ، وسرّ بها هو والمسلمون لظهور أهل الكتاب على المجوس وانخضاد الشوكة العظمية من الكفر»^(٢).

- ٣- البناء اللغوي للآية يدل أيضاً على إرادة صلح الحديبية بالفتح المذكور، وذلك أن لفظ الماضي في قوله ((إنا فتحنا)) يدل على أن ذلك الفتح قد مضى، فدعوى أنه فتح مكة ولم يقع إلا بعد ذلك بقرب سنتين خلاف الظاهر^(٣) و «الأصل حمل نصوص الوحي على ظواهرها إلا للدليل»^(٤).
- ٤- فائدة: لخص صاحب كتاب الرحيق المختوق^(٥) بنود معاهدة صلح الحديبية، فقال: «

(١) الأحاديث الواردة في شأن الحديبية وما حصل فيها من مواقف والصلح الذي أبرم، أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما، انظر: فتح الباري (٣٢٩/٥)، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، وكذلك (٤٣٩/٧ - ٤٥٨) كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، وكذلك (٥٨٢/٨) كتاب التفسير، باب ((إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً)). وصحيح مسلم بشرح النووي (١٣٥/١٢ - ١٤٣) كتاب الجهاد والسير - صلح الحديبية. وجامع الأصول في أحاديث الرسول (٢٨٦/٨ - ٣٣٢) تحت حرف الغين الكتاب الأول: في الغزوات والسرايا والبعوث.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٤٢٩/١٣) بتصرف يسير.

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٦٠٣/٧).

(٤) قواعد التفسير لخالد السبت (٨٤٣/٢).

(٥) هو الشيخ صفي الرحمن المباركفوري.

« ...قواعد الصلح، وهذه هي :

- ١- الرسول ﷺ يرجع من عامه، فلا يدخل مكة، وإذا كان العام القابل دخلها المسلمون فأقاموا بها ثلاثاً، معهم سلاح الراكب، السيوف في القرب، ولا يتعرض لهم بأي نوع من أنواع التعرض.
 - ٢- وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين، يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض.
 - ٣- من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وتعتبر القبيلة التي تنضم إلى أي الفريقين جزءاً من ذلك الفريق، فأى عدوان تتعرض له أي من هذه القبائل يعتبر عدواناً على ذلك الفريق.
 - ٤- من أتى محمداً من قريش من غير إذن وليه - أي هارباً منهم - رده عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد - أي هارباً منه - لم يرد عليه»^(١).
- ثم حاول سبر أغوار بنود هذه المعاهدة، ليبين بعض ما اشتملت عليه من معاني الفتح العظيم الذي هياه الله ﷻ لعباده المؤمنين بسبب هذه المعاهدة، فقال: «□ هذا هو صلح الحديبية، ومن سبر أغوار بنوده مع خلفياته لا يشك أنه فتح عظيم للمسلمين، فقريش لم تكن تعترف بالمسلمين أي اعتراف، بل كانت تهدف استئصال شأفتهم، وتنتظر أن تشهد يوماً ما نهايتهم، وكانت تحاول بأقصى قوتها الحيلولة بين الدعوة الإسلامية، وبين الناس، بصفتها ممثلة الزعامة الدينية والصدارة الدنيوية في جزيرة العرب، ومجرد الجنوح إلى الصلح اعتراف بقوة المسلمين، وأن قريشاً لا تقدر على مقاومتهم، ثم البند الثالث يدل بفحواه على أن قريشاً نسيت صدارتها الدنيوية وزعامتها الدينية، وأنها لا تهمها الآن إلا نفسها، أما سائر الناس وبقية جزيرة العرب فلو دخلت في الإسلام بأجمعها، فلا يهم ذلك قريشاً، ولا تتدخل في ذلك بأي نوع من أنواع التدخل. أليس هذا فشلاً ذريعاً بالنسبة إلى قريش؟ وفتحاً مبيناً بالنسبة إلى المسلمين؟ إن الحروب الدامية التي جرت بين المسلمين وبين أعدائهم لم تكن أهدافها - بالنسبة إلى المسلمين - مصادرة الأموال وإبادة الأرواح،

(١) الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري ص(٤٥٥).

وإفناء الناس، أو إكراه العدو على اعتناق الإسلام، وإنما كان الهدف الوحيد الذي يهدفه المسلمون من هذه الحروب، هو الحرية الكاملة للناس في العقيدة والدين ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾ [سورة الكهف: ٢٩]. لا يحول بينهم وبين ما يريدون أي قوة من القوات، وقد حصل هذا الهدف بجميع أجزائه ولوازمه، وبطريق ربما لا يحصل بمثله في الحروب مع الفتح المبين، وقد كسب المسلمون لأجل هذه الحرية نجاحاً كبيراً في الدعوة، فبينما كان عدد المسلمين لا يزيد على ثلاثة آلاف قبل الهدنة صار عدد الجيش الإسلامي في سنتين عند فتح مكة عشرة آلاف.

أما البند الثاني فهو جزء ثان لهذا الفتح المبين، فالمسلمون لم يكونوا بادئين بالحروب، وإنما بدأتها قريش، يقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ بَدَأُوا وَاوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [سورة التوبة: ١١٣]، أما المسلمون فلم يكن المقصود من دورياتهم العسكرية إلا أن تفيق قريش عن غطرستها وصدّها عن سبيل الله، وتعمل معهم بالمساواة، كل من الفريقين يعمل على شاكلته، فالعقد بوضع الحرب عشر سنين حد لهذه الغطرسة والصد، ودليل على فشل من بدأ بالحرب وعلى ضعفه وانهيائه.

أما البند الأول فهو حد لصد قريش عن المسجد الحرام، فهو أيضاً فشل لقريش، وليس فيه ما يشفي قريشاً سوى أنها نجحت في الصد لذلك العام الواحد فقط.

أعطت قريش هذه الخلال الثلاث للمسلمين، وحصلت بإزائها خلة واحدة فقط، وهي ما في البند الرابع، ولكن تلك الخلة تافهة جداً، ليس فيها شيء يضر بالمسلمين، فمعلوم أن المسلم ما دام مسلماً لا يفر عن الله ورسوله، وعن مدينة الإسلام، ولا يفر إلا إذا ارتد عن الإسلام ظاهراً أو باطناً، فإذا ارتد فلا حاجة إليه للمسلمين، وانفصاله من المجتمع الإسلامي خير من بقائه فيه، وهذا الذي أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله: «إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله»^(١). وأما من أسلم من أهل مكة فهو وإن لم يبق للجوئه إلى المدينة سبيل لكن أرض الله واسعة، ألم تكن الحبشة واسعة للمسلمين

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٢/١٣٩)، كتاب الجهاد والسير، صلح الحديبية.

حينما لم يكن يعرف أهل المدينة عن الإسلام شيئاً؟ وهذا الذي أشار إليه النبي بقوله: « ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً »^(١).

والأخذ بمثل هذا الاحتفاظ، وإن كان مظهر الاعتزاز لقريش، لكنه في الحقيقة ينبئ عن شدة انزعاج قريش وهلعهم وخورهم. وعن شدة خوفهم على كيانهم الوثني. وكأنهم كانوا قد أحسوا أن كيانهم اليوم على شفا جرف هار. لا بد له من الأخذ بمثل هذا الاحتفاظ. وما سمح به النبي ﷺ من أنه لا يسترد من فرأى إلى قريش من المسلمين، فليس هذا إلا دليلاً على أنه يعتمد على ثبوت كيانه وقوته كمال الاعتماد، ولا يخاف عليه من مثل هذا الشرط^(٢). والله أعلم بالصواب.



كيف يدخل المؤمنون والمؤمنات الجنة

٨٠- قوله تعالى: ﴿ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝ وَيُعَذِّبُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ ۚ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۝ ﴾ [سورة الفتح: ٥ - ٦].

مجمل الأقوال الواردة:

اختلف المفسرون في بيان تعلق اللام في قوله ((ليدخل)) والمعنى المترتب عليه،

(١) المرجع السابق.

(٢) الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري ص (٤٥٨).

على أقوال :

- ١ - أن اللام متعلقة بقوله (يزدادوا)، أي يزدادوا... ليدخل ويعذب.
- ٢ - أنها متعلقة بقوله (إنا فتحنا)، كأنه قال: إنا فتحنا لك ما فتحنا... ليدخل ويعذب.
- ٣ - أو متعلقة بـ (ينصرك) أي نصرك الله المؤمنين... ليدخل ويعذب.
- ٤ - أو متعلقة بمحذوف يدل عليه ما قبله، تقديره: يبتلي بتلك الجنود من يشاء، فيقبل الخير أهله والشر من قضى له به... ليدخل ويعذب^(١).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « أظهر الأقوال وأصحها

في الآية أن اللام في قوله ((ليدخل)) متعلقة بقوله ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي

قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ [سورة الفتح: ١٤].

وإيضاح المعنى ((هو الذي أنزل السكينة)) أي السكون والطمأنينة إلى الحق في

قلوب المؤمنين، ليزدادوا بذلك إيماناً لأجل أن يدخلهم بالطمأنينة إلى الحق وازدياد الإيمان،
جنات تجري من تحتها الأنهار»^(٢).

إذاً كلام الشيخ الشنقيطي يعبر عنه بالقول الأول من مجمل الأقوال الواردة.

الموافقون:

لقد ذهب إلى مثل ما ذهب إليه الشنقيطي من تعلق اللام في ((ليدخل))

بالطمأنينة إلى الحق وازدياد الإيمان؛ عدد من المفسرين، منهم:

- ١ - ابن عطية: « قوله تعالى ((ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم)) معناه: فازدادوا وتلقوا ذلك،
فتمكن - بعد ذلك - قوله تعالى ((ليدخل المؤمنين)) أي بتكسبهم القبول لما أنزل

(١) ذكر الأقوال كلها (١، ٢، ٣، ٤) الشوكاني في فتح القدير (٤٧/٥)، ورجح هو منها القول رقم (٤).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٦٠٤/٧).

الله تعالى عليهم»^(١).

وبنحو هذا قال أيضاً:

٢- البقاعي^(٢).
٣- ابن عاشور^(٣).

المخالفون:

المخالفون هنا أكثر من فئة:

أ- من رجّح أن اللام متعلقة بـ ((إننا فتحنا)) وأن المعنى كأنه قال إنا فتحنا لك ما فتحنا...

ليدخل ويعذب، ومن قال بهذا:

١- الطبري^(٤).

ب- من رجّح أن اللام متعلقة بمحذوف، تقديره: يتلي بتلك الجنود من يشاء،

فيقبل الخير من أهله، والشر ممن قضى له به... ليدخل ويعذب، ومن قال بهذا:

١- المحلي^(٥).
٢- الشوكاني^(٦).
٣-

القنوجي^(٧).

تعقيب الباحث:

الظاهر - والله أعلم - أنه يجوز تعلق اللام في ((ليدخل)) بأي واحد من

الاحتمالات المذكورة في مجمل الأقوال، وتوصلت لهذه النتيجة بأمر:

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٤٣٥/١٣).

(٢) نظم الدرر للبقاعي (٢٨٧/١٨).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٥١/٢٦).

(٤) جامع البيان للطبري (٤٦/٢٦).

(٥) تفسير الجلالين ص (٤٣١).

(٦) فتح القدير للشوكاني (٤٧/٥).

(٧) فتح البيان للقنوجي (٩٠/١٣).

- ١- أنه ليس لدى أي واحد من الأقوال دليل قوي يرجحه هو فقط ويدفع ما سواه من الأقوال، وهي كلها مبنية على اجتهاد المفسر في استنباط ما يصلح أن تتعلق به اللام في ((لیدخل)).
- ٢- أن من المفسرين من ذكر أن جميع الأقوال قد تصلح أن تكون متعلقاً لتلك اللام، وهو الإمام البيضاوي؛ فبعد أن ذكر الأقوال المحتملة فيما يصح أن تتعلق به لام ((لیدخل)) قال: «... أو جميع ما ذكر»^(١).
- ٣- الإمام البقاعي ذكر تعلق اللام بالسكينة وزيادة الإيمان، وربط هذا بالجهاد الذي يخوضه جنود الله ﷻ في مواجهة الكفار نشرًا للدين وإعلاءً لرايته، وبعد ابتلاء الله ﷻ لتلك الجنود من يشاء يكون الفتح والنصر، يقول البقاعي: «... ولما دل على الفتح بالنصر وما معه، وعلل الدين بالسكينة، علل علة الدليل وهي ((ليزدادوا إيماناً)) وعلل ما دل عليه ملك الجنود من تديبرهم، وتديبر الأكوان بهم بقوله تعالى - زيادة في السكينة - ((لیدخل)) أي بما أوقع في السكينة ((المؤمنين والمؤمنات)) الذي جبلهم جبلة خير بجهاد بعضهم ودخول بعضهم في الدين بجهاد المجاهدين، ولو سلط على الكفار جنوده من أول الأمر فأهلكوهم أو دمر عليهم بغير واسطة، لفات دخول أكثرهم الجنة، وهم من آمن منهم بعد صلح الحديبية، ((جنات)) أي بساتين لا يصل إلى عقولكم من وصفها إلا ما تعرفونه بعقولكم وإن كان الأمر أعظم من ذلك ((تجري)) ودلّ وقرب وبعض بقوله ((من تحتها الأنهار)) فأني موضع أردت أن تجري منه نهراً قدرت على ذلك؛ لأن الماء قريب من وجه الأرض مع صلابتها وحسنها، وإن كان الماء لا يطيب إلا بالقرار قال تعالى ((خالدين فيها)) أي لا إلى آخر»^(٢).
- ٤- من وجدتهم من المفسرين ذكروا الأقوال المحتملة سرداً دون ترجيح قول على آخر، وجدتهم أكثر من الموافقين وحدهم أو المخالفين وحدهم أو يقارب عدد المجموعتين

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/٢٢٠).

(٢) نظم الدرر للبقاعي (١٨/٢٨٧).

معاً، فمنهم: الفخر الرازي^(١)، والقرطبي^(٢)، والحازن^(٣)، وأبو حيان^(٤)،
والبيضاوي^(٥)، والقاسمي^(٦).
هذا ما ظهر لي، والله أعلم بالصواب.



(١) التفسير الكبير للفخر الرازي (٦٩/١٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٦٤/١٦).

(٣) لباب التأويل للحازن (١٥٨/٦).

(٤) البحر المحيظ لأبي حيان (٤٨٥/٩).

(٥) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢٢٠/٢).

(٦) محاسن التأويل للقاسمي (٥٣٩٩/١٥).

المراد بالإيمان المنفي عن الأعراب

٨١- قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [سورة الحجرات: ١٤].

مجمل الأقوال الواردة:

- اختلف في المراد بالإيمان المنفي عن الأعراب المذكورين في الآية، والإسلام المثبت لهم:
- ١- أن الإيمان المنفي عنهم في هذه الآية هو مسماه الشرعي الصحيح، والإسلام المثبت لهم فيها هو الاستسلام والافتقار باللسان والجوارح دون القلب.
 - ٢- أن المراد بنفي الإيمان في قوله ((لم تؤمنوا)): نفي كمال الإيمان، لا نفيه من أصله^(١).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن هؤلاء الأعراب وهم أهل البادية من العرب قالوا آمنا، وأن الله جلا وعلا أمر نبيه ﷺ أن يقول لهم ((لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا))، وهذا يدل على نفي الإيمان عنهم وثبوت الإسلام لهم، وذلك يستلزم أن الإيمان أخص من الإسلام لأن نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم، ومعلوم أن مسمى الإيمان الشرعي الصحيح والإسلام الشرعي الصحيح هو استسلام القلب بالاعتقاد واللسان بالإقرار والجوارح بالعمل، فمؤداهما واحد كما يدل له قوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(١) ذكرهما الشنقيطي في أضواء البيان (٦٣٧/٧).

فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١﴾ ﴿١﴾ سورة الذاريات: ٣٥ -

.١٣٦

وإذا كان ذلك كذلك فإنه يحتاج إلى بيان وجه الفرق بين الإيمان والإسلام في هذه الآية الكريمة؛ لأن الله ﷻ نفى عنهم الإيمان دون الإسلام، ولذلك وجهان معروفان عند العلماء، أظهرهما عندي أن الإيمان المنفي عنهم في هذه الآية هو مسماه الشرعي الصحيح، والإسلام المثبت لهم فيها هو الإسلام اللغوي الذي هو الاستسلام ولا نقية بالجوارح دون القلب. وإنما ساغ إطلاق الحقيقة اللغوية هنا على الإسلام مع أن الحقيقة الشرعية مقدمة على اللغوية على الصحيح؛ لأن الشرع الكريم جاء باعتبار الظاهر، وأن توكل السرائر إلى الله ﷻ، فانقياد الجوارح في الظاهر بالعمل واللسان بالإقرار يكتفي به شرعاً، وإن كان القلب منطوياً على الكفر، ولهذا ساغ إرادة الحقيقة اللغوية في قوله ((ولكن قولوا أسلمنا)) لأن انقياد اللسان والجوارح في الظاهر إسلام لغوي مكتفى به شرعاً عن التتقيب عن القلوب، وكل انقياد استسلام وإذعان يسمى إسلاماً لغة. ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل مسلم الجاهلية^(١):

(١) يقول ابن كثير: «احتج بهذه الآية من ذهب إلى رأي المعتزلة فمن لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين، وهذا الاستدلال ضعيف لأن هؤلاء كانوا قوماً مؤمنين. وعندنا أن كل مؤمن مسلم ولا يعكس، فاتفق الاسمان هاهنا لخصوصية الحال ولا يلزم ذلك في كل حال». تفسير القرآن العظيم (٤/٢٣٦).

(٢) زيد بن عمرو بن نفيل العدوي - والد سعيد بن زيد أحد العشرة - قال ابن حجر: ذكره البغوي وابن منده وغيرهما في الصحابة، وفيه نظر لأنه مات قبل البعثة بخمس سنين، وأخرج البخاري من طريق سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه قال: خرج زيد بن عمرو إلى الشام يسأل عن الدين فاتفق له علماء اليهود والنصارى على أن الدين دين إبراهيم ولم يكن يهودياً ولا نصرانياً فقال ورفع يديه اللهم إني أشهدك أنني على دين إبراهيم، وفي مسند الطيالسي (١/١٩٠) عن سعيد بن زيد أنه قال للنبي ﷺ إن أبي كان كما رأيت وكما بلغك فاستغفر له، قال نعم فإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده. الإصابة (١/٥٧٠). والأبيات موجودة في كتاب: شعراء النصرانية ص(٦٢٢).

وأسلمت وجهي لمن أسلمت
دحاها فلما استوت شدها
وأسلمت وجهي لمن أسلمت
إذا هي سيقت إلى بلدة
وأسلمت وجهي لمن أسلمت
له الأرض تحمل صخراً ثقلاً
جميعاً وأرسي عليها الجبالا
له المزن تحمل عذباً زلالا
أطاعت فصبت عليها سجلا
له الريح تصرف حالاً فحالا

المراد بالإسلام في هذه الآيات: الاستسلام والانقياد، وإذا حمل الإسلام في قوله ((ولكن قولوا أسلمنا)) اتقدنا واستسلمنا بالألسنة والجوارح، فلا إشكال في الآية. وعلى هذا القول فالأعراب المذكورون منافقون، لأنهم مسلمون في الظاهر، وهم كفار في الباطن.

الوجه الثاني: أن المراد بنفي الإيمان في قوله ((لم تؤمنوا)) نفي كمال الإيمان، لا نفيه من أصله. وعليه فلا إشكال أيضاً لأنهم مسلمون مع أن إيمانهم غير تام، وهذا لا إشكال فيه عند أهل السنة والجماعة القائلين بأن الإيمان يزيد ويتقص.

وإنما استظهرنا الوجه الأول، وهو أن المراد الإسلام معناه اللغوي دون الشرعي، وأن الأعراب المذكورين كفار في الباطن وإن أسلموا في الظاهر؛ لأن قوله جل وعلا: ((ولما يدخل الإيمان في قلوبكم)) يدل على ذلك دلالة كما ترى، لأن قوله ((يدخل)) فعل في سياق النفي وهو من صيغ العموم، وإليه الإشارة بقول صاحب مراقبي السعود:

ونحو لا شربت أو إن شربا واتفقوا إن مصدر قد جلبا^(١)

فقوله: ((ولما يدخل الإيمان في قلوبكم)) في معنى لا دخول للإيمان في قلوبكم. والذين قالوا بالثاني قالوا إن المراد بنفي دخوله نفس كماله. والأول أظهر كما ترى. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ((قالت الأعراب)) المراد به بعض الأعراب، وقد استظهرنا أنهم منافقون لدلالة القرآن على ذلك، وهم من جنس الأعراب الذين قال

(١) البيت من منظومة (مراقبي السعود) في أصول الفقه، لعبدالله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي. انظر: نشر البنود على مراقبي السعود، وهو شرح له للمنظومة (١/٢١٩).

الله فيهم ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ
 الدَّوَابِّ ﴾ [سورة التوبة: ٩٨]، وإنما قلنا إن المراد بعض الأعراب في هذه الآية؛ لأن الله
 ﷻ بين في موضع آخر أن منهم من ليس كذلك، وذلك في قوله تعالى ﴿ وَمِنَ
 الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ عِنْدَ
 اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۚ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ ۖ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ
 اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة التوبة: ٩٩] «^(١)».

خلاصة: يرى الشيخ الشنقيطي أن الإيمان المنفي عن الأعراب هو الإيمان
 بمسماه الشرعي الصحيح الذي هو اعتقاد القلب وإقرار اللسان وعمل الجوارح. والإسلام
 المثبت لهم هو الإسلام اللغوي الذي هو الاستسلام والانقياد بالجوارح دون القلب. وعليه
 فهؤلاء الأعراب المذكورون في الآية منافقون؛ لأنهم مسلمون في الظاهر، وهم كفار في
 الباطن.

الموافقون:

الجمهور من المفسرين رجحوا مثل ترجيح الشنقيطي في بيان معنى الآية،
 وسأذكر كلام بعضهم وأشير إلى البقية اختصاراً، فمنهم:
 ١ - الواحدي: « ((قالت الأعراب أئمانا)) نزلت في نفر من بني أسد^(٢) قدموا المدينة في سنة
 جدبة بذرائعهم، وأظهروا كلمة الشهادة، ولم يكونوا مؤمنين في السر، فقال الله

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦٣٦/٧ - ٦٣٩).

(٢) أسد، اسم لعدة قبائل، منهم أسد بن عبدالعزيز بن قصي بن كلاب، ومنهم: أسد بن خزيمه بن مدركة
 بن إلياس بن مضر. ويظهر لي أن المقصود هنا هي القبيلة الثانية لشهرتهم وكونهم أعراباً. انظر: الأنساب
 للسمعاني (٩٧/١)، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص (١٩٠).

تعالى ((قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا)) أي: لم تصدقوا الله ورسوله بقلوبكم، ولكن أظهرتم الطاعة مخافة القتل والسبي ((ولمَّا يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله)) ظاهراً وباطناً ((لا يلتكم)) لا ينقصكم ((من)) ثواب ((أعمالكم شيئاً...))^(١).

٢- النيسابوري: « ((قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا)) أي: وإن صاروا سلماً بالشهادتين، فإنهم لم يصدقوا ولم يتقوا بما دخلوا فيه »^(٢).

٣- القرطبي: « ومعنى ((ولكن قولوا أسلمنا)) أي استسلمنا خوف القتل والسبي، وهذه صفة المنافقين؛ لأنهم أسلموا في ظاهر إيمانهم ولم تؤمن قلوبهم، وحقبة الإيمان التصديق بالقلب. وأما الإسلام فقبول ما أتى به النبي ﷺ في الظاهر، وذلك يحقن الدم، ((وإن تطيعوا الله ورسوله)) يعني إن تخلصوا الإيمان ((لا يلتكم)) أي لا ينقصكم ((من أعمالكم شيئاً)) »^(٣).

٤- البقاعي: « ولما كان الإيمان التصديق بالقلب فلا إطلاع عليه لآدمي إلا باطلاعه سبحانه فكانوا كاذبين في دعواه، قال ((قل)) أي تكذيباً لهم مع مراعاة الأدب في عدم التصريح بالتكذيب ((لم تؤمنوا)) أي لم تصدق قلوبكم لأنكم لو آمنتم لم تمنوا بإيمانكم لأن الإيمان التصديق بجميع ما لله ﷻ من الكمال الذي منه أنه لولا منه بالهداية لم يحصل الإيمان، فله ولرسوله - الذي كان ذلك على يديه - المن والفضل.

ولما كان التقدير ما كان الأصل في أن يكون الرد به وهو: فلا تقولوا آمنا. فإنه كذب، وعدل عنه للاحتراز عن النهي عن القول بالإيمان، عطف عليه ((ولكن قولوا)) لأنكم أسلمتم للدنيا لا للدين، وعدل عنه لثلاث تكون شهادة لهم بالإسلام في الجملة ((أسلمنا)) أي أظهرنا الانقياد في الظاهر للأحكام الظاهرة فأمننا من أن نكون حرباً للمؤمنين وعوناً للمشركين، يقال: أسلم الرجل، إذا دخل في السلم، كما يقال:

(١) الوجيز للواحدي (١٠١٩/٢).

(٢) إيجاز البيان للنيسابوري (٢٠٣/٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٤٨/١٦).

أشتى، إذا دخل في الشتاء، ولم يقل: ولكن أسلمتم، لما فيه من الشهادة لهم بالإسلام الملازم للإيمان المنفي عنهم، فكان يكون تناقضاً. والآية من الاحتباك^(١): نفي الإيمان الشرعي أولاً يدل على إثبات الإسلام اللغوي ثانياً، والأمر بالقول بالإسلام ثانياً يدل على النهي عن القول بالإيمان أولاً^(٢).

٥- الشوكاني: « (قالت الأعراب آمناً) وهم بنو أسد أظهروا الإسلام في سنة مجدبة يريدون الصدقة، فأمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يردّ عليهم فقال ((قل لم تؤمنوا)) أي لم تصدقوا تصديقاً صحيحاً عن اعتقاد قلب وخلص نية وطمأنينة ((ولكن قولوا أسلمنا)) أي استسلمنا خوف القتل والسبي أو للطمع في الصدقة، وهذه صفة المنافقين؛ لأنهم أسلموا في ظاهر الأمر ولم يؤمن قلوبهم، ولهذا قال سبحانه ((ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم)) أي لم يكن ما أظهرتموه بألسنتكم عن مواطاة قلوبكم، بل مجرد قول باللسان من دون اعتقاد صحيح ولا نية خالصة^(٣) ».

٦- السعدي: « ... يخبر تعالى عن مقالة الأعراب الذين دخلوا في الإسلام في عهد رسول الله ﷺ دخولاً من غير بصيرة، ولا قيام بما يجب ويقتضيه الإيمان، إنهم ادعوا مع هذا وقالوا: آمنا؛ أي إيماناً كاملاً مستوفياً لجميع أموره، هذا موجب هذا الكلام، فأمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يردّ عليهم، فقال ((قل لم تؤمنوا)) أي لا تدعوا لأنفسكم مقام الإيمان ظاهراً وباطناً كاملاً. ((ولكن قولوا أسلمنا)) أي دخلنا في الإسلام، واقتصروا على ذلك. ((و)) السبب في ذلك أنه ((لما يدخل الإيمان في قلوبكم)) وإنما أمنتكم خوفاً أو رجاءً أو نحو ذلك مما هو السبب في إيمانكم، فلذلك لم تدخل بشاشة الإيمان في قلوبكم، وفي قوله ((ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم)) أي: وقت هذا الكلام الذي صدر منكم، فكان فيه إشارة إلى أحوالهم بعد ذلك، فإن كثيراً منهم من الله عليهم

(١) الاحتباك عند أهل البلاغة: أن تذكر جملتان؛ في كل منهما متقابلان، ثم يختصر؛ أي يحذف من شقي الجملة أي من طرفي كل واحدة من الجملتين ضد ما ذكر في الأخرى ويبقى منهما ضد ما حذف. انظر: عقود الجمان في المعاني والبيان للسيوطي (١٤١/٢).

(٢) نظم الدرر للبقاعي (٣٨٥/١٨).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٦٩/٥).

بالإيمان الحقيقي، والجهد في سبيل الله ﷻ»^(١).

٧- ابن عاشور: « والأعراب: سكان البادية من العرب، وأحسب أنه لا يطلق على أهل البادية من غير العرب، وهو اسم جمع لا مفرد له فيكون الواحد منه بياء النسبة أعرابي. وتعريف (الأعراب) تعريف العهد لإعراب معينين وهم بنو أسد فليس هذا الحكم الذي في الآية حاقاً على جميع سكان البوادي ولا قال هذا القول غير بني أسد. وهم قالوا آمنا حين كانوا في شك لم يتمكن الإيمان منهم فأنبأهم الله ﷻ بما في قلوبهم وأعلمهم أن الإيمان هو التصديق بالقلب لا بمجرد اللسان لقصد أن يخلصوا إيمانهم ويتمكنوا منه كما بينه عقب هذه الآية بقوله ((إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله)) الآية.

والاستدراك بحرف (ولكن) لرفع ما يتوهم من قوله (لم تؤمنوا) أنهم جاءوا مضميرين الغدر بالنبي ﷺ. وإنما قال (ولكن قولوا أسلمنا) تعليماً لهم بالفرق بين الإيمان والإسلام فإن الإسلام مفرقه اللسان والأعمال البدنية، وهي قواعد الإسلام الأربعة: الصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج الكعبة الوارد في حديث عمر عن سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً »^(٢) فهؤلاء الأعراب لما جاءوا ومظهري الإسلام وكانت قلوبهم غير مطمئنة لعقائد الإيمان لأنهم حديثوا عهد به كذبهم الله ﷻ في قولهم (آمنا) ليعلموا أنهم لم يخف باطنهم على الله ﷻ، وأنه لا يُعتد بالإسلام إلا إذا قارنه الإيمان، فلا يغني أحدهما بدون الآخر، فالإيمان بدون إسلام عناد، والإسلام بدون إيمان نفاق، ويجمعهما طاعة الله ورسوله ﷺ.

وكان مقتضى ظاهر نظم الكلام أن يقال: قل لم تؤمنوا ولكن أسلمتم، أو أن يقال: قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا، ليتوافق المستدرك عنه والاستدراك بحسب النظم المتعارف في المجادلات، فعدل عن الظاهر إلى هذا النظم لأن فيه صراحة بنفي الإيمان

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٨٠٢).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان، تعريف الإسلام والإيمان وأمارات الساعة، صحيح مسلم بشرح النووي (١٥٧/١).

عنهم فلا يحسبوا أنهم غالطوا رسول الله ﷺ .

واستغنى بقوله (لم تؤمنوا) عن أن يقال: لا تقولوا آمنا، لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن الإعلان بالإيمان لأنهم مطالبون بأن يؤمنوا ويقولوا آمنا قولاً صادقاً لا كاذباً ف قيل لهم (لم تؤمنوا) تكذيباً لهم مع عدم التصريح بلفظ التكذيب ولكن وقع التعريض لهم بذلك بعد في قوله ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ إلى قوله ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ لسورة الحجرات: ١٥ أي لا أنتم ولذلك جيء بالاستدراك محمولاً على المعنى.

وعدل عن أن يقال: ولكن أسلمتم إلى (قولوا أسلمنا) تعريضاً بوجوب الصدق في القول ليطابق الواقع، فهم يشعرون بأن كذبهم قد ظهر، وذلك مما يُتَعَبَّرُ به، أي الشأن أن تقولوا قولاً صادقاً^(١).

وأيضاً الإمام الطبري^(٢)، والبعثي^(٣)، والنسفي^(٤)، والزمخشري^(٥)، وابن عطية^(٦)، وابن الجوزي^(٧)، والبخاري^(٨)، ونظام الدين النيسابوري^(٩)، والبيضاوي^(١٠)،

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٦/٢٤٦).

(٢) جامع البيان للطبري (٢٦/٨٩).

(٣) مختصر البغوي (٢/٨٨٠).

(٤) مدارك التنزيل للنسفي (٤/١٣٢).

(٥) الكشاف للزمخشري (٤/٣٦٦).

(٦) المحرر الوجيز لابن عطية (٤/٣٦٦).

(٧) زاد المسير لابن الجوزي (٧/١٨٧).

(٨) لباب التأويل للبخاري (٦/١٩٢).

(٩) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (٢٦/٧١).

(١٠) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/٢٢٦).

والمحلي^(١)، والثعالبي^(٢)، والقنوجي^(٣)، والقاسمي^(٤).

المخالفون:

لم أجد من خالف في هذا الموضوع من الأئمة إلا:

- ١- ابن القيم: «... فهؤلاء مسلمون وليسوا بمؤمنين؛ لأنهم ليسوا بمن باشر الإيمان قلبه، فذاق حلاوته وطعمه، وهذا حال أكثر المنتسبين إلى الإسلام، وليس هؤلاء كفاراً فإنه سبحانه أثبت لهم الإسلام بقوله ((ولكن قولوا أسلمنا)) ولم يرد: قولوا بألستكم من غير مواطأة القلب، فإنه فرق بين قولهم (آمنا) وقولهم (أسلمنا) ولكن لما لم يذوقوا طعم الإيمان؛ قال ((لم تؤمنوا))، ووعدهم سبحانه وتعالى مع ذلك على طاعتهم أن لا ينقصهم من أجور أعمالهم شيئاً»^(٥).
- ٢- ابن كثير: «... إن هؤلاء الأعراب المذكورون في هذه الآية ليسوا بمنافقين وإنما هم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم، فادّعوا لأنفسهم مقاماً أعلى مما وصلوا إليه فأدّبوا في ذلك»^(٦).

تعقيب الباحث:

الظاهر - والله أعلم - أن ما ذهب إليه الشنقيطي والموافقون هو الراجح - إن شاء الله تعالى - من أن الأعراب المذكورين في الآية منافقون، والإيمان المنفي عنهم هو الإيمان بمسماه الشرعي الصحيح من اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح، والإسلام المثبت لهم هو معناه اللغوي فقط المشتمل على قول اللسان والأعمال الظاهرة فقط، على

(١) تفسير الجلالين ص(٤٣٦).

(٢) جواهر الحسان للثعالبي (٤/١٩٣).

(٣) فتح البيان للقنوجي (١٣/١٥٤).

(٤) محاسن التأويل للقاسمي (١٥/٥٤٧١).

(٥) بدائع التفسير لابن القيم (٤/١٨٤).

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٢١٩).

ما يأتي بيانه :

- ١- القرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً، وهذا أحسن وأقوى أنواع التفسير^(١)، وقد دلت آيات من كتاب الله ﷻ على أن من الأعراب من أسلم في الظاهر وباطنه لا زال منطقياً على الكفر، بل ويكيد للإسلام والمسلمين وهو بينهم، يقول تعالى ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرْتَضِ بِكُمُ الدَّوَابِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة التوبة: ١٩٨]، وبالمقابل ذكر فريقاً آخر من الأعراب دخلوا في الإسلام وصدقوا وصدقوا في إيمانهم، قال تعالى ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۗ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ ۖ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة التوبة: ١٩٩].
- ٢- اتفاق الجمهور من المفسرين قديماً حديثاً عليه، وإجماع جمهور المفسرين على تفسير يرجحه على غيره^(٢).
- ٣- مع ملاحظة أن القول الآخر قلة من رجّحه لا توازي قوة القول الراجح.
- ٤- علماً أنه لا يمنع أن يراد القول الآخر، والمراد به نفي كمال الإيمان لا نفيه من أصله، فإن هذا « لا إشكال فيه عند أهل السنة والجماعة القائلين بأن الإيمان يزيد وينقص »^(٣).
- ٥- ولكن القول الأول - ما رجّحه الجمهور - أظهر؛ لما سبق ذكره من أسباب. والله

(١) شرح مقلمة التفسير لابن عثيمين ص(١٢٧)، قواعد التفسير لخالل السبت (١٠٩/١).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٢٨٨/١)

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٦٣٨/٧).

دراسة ترجيحات الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه
الله - في تفسيره أضواء البيان

أعلم بالصواب.



ما هو القول الذي لا يبذل

- ٨٢- قوله تعالى ﴿كُلُّ كَذَبٍ أُرْسِلَ فَحَقَّ وَعِيدٌ﴾ [سورة ق: ١٤]، مع قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُمْ إِلَيَّ بِالْوَعِيدِ﴾ [سورة ق: ٢٨ - ٢٩].

مجمل الأقوال الواردة

اختلف في المراد بالقول الذي لا يبذل:

- ١- أن القول الذي لا يبذل هو الوعيد الذي قدم به إليهم في قوله (كل كذب الرسل فحق وعيد)^(١).
- ٢- أن المراد بالقول الذي لا يبذل قوله تعالى ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٨]، هود: ١١٩، السجدة: ١٣، ص: ٨٥^(٢). والقول الأول والثاني متشابهان تماماً.
- ٣- وقيل معنى (ما يبذل القول لدي): ما يكذب عندي ولا يغير القول عن جهته، لأنني أعلم الغيب وأعلم كيف ضلّوا وكيف أضلّتموهم^(٣).
- ٤- وقيل: (ما يبذل القول لدي) فيما أوجّه من أمر ونهي.
- ٥- أو فيما وعد به من طاعة ومعصية.
- ٦- أو في أن الحسنة بعشر أمثالها.
- ٧- أو بخمس الصلوات خمسين صلاة^(٤).

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦٤٧/٧).

(٢) جامع البيان للطبري (١٠٥/٢٦).

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (١٩٧/٧)، ولم يرجعه.

(٤) الأقوال رقم (٤، ٥، ٦، ٧) ذكرها الماوردي في النكت والعيون (٣٥٢/٥)، ولخصها العز في اختصار

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « قوله تعالى ((كلُّ كذب الرسل فحق وعيد)) هذه الآية الكريمة تدل على أن من كذب الرسل يحق عليه العذاب أي يتحتم ويثبت في حقه ثبوتاً لا يصح معه تخلفه عنه ، فإن تكذيبهم الرسل علة صحيحة لكون الوعيد بالعذاب حق ووجِبَ عليهم .

وما دلت عليه هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في آيات آخر ؛ كقوله تعالى في هذه

السورة الكريمة ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾

مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ... ﴿سورة ق: ٢٨ - ٢٩﴾ ، والتحقيق أن المراد بالقول الذي

لا يبدل لديه هو الوعيد الذي قدم به إليهم ، وقوله تعالى في سورة ص ﴿ إِنَّ كُلَّ إِلَّا

كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ [سورة ص: ١٤] »^(١).

الموافقون:

كل من رجع في بيان المراد بالقول الذي لا يبدل حسب القولين الأول والثاني في مجمل الأقوال الواردة فإنه يصنف موافقاً للشنقيطي في ترجيحه ؛ لأن القولين متشابهين والقائل بأحدهما قائل بالآخر ، فمنهم :

١ - الطبري : « وقوله ((كل كذب الرسل فحق وعيد)) يقول تعالى ذكره كل هؤلاء الذين ذكرناهم كذبوا رسل الله ﷺ الذين أرسلهم فحق وعيد ، يقول فوجب لهم الوعيد الذي وعدناهم على كفرهم بالله ﷻ وحل بهم العذاب والنقمة ، وإنما وصف ربنا جل ثناؤه ما وصف في هذه الآية من إحلاله عقوبته بهؤلاء المكذبين

النكت (٣/٢٢٤).

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٧/٦٤٧).

الرسول ترهيباً منه بذلك مشركي قريش وإعلاماً منه لهم أنهم إن لم ينيبوا من تكذيبهم رسوله محمداً ﷺ أنه مُجَلِّبٌ بهم من العذاب مثل الذي أحل بهم». ويقول أيضاً: ((ما يبذل القول لدي..)) يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيله للمشركين وقرناءهم من الجن يوم القيامة إذ تبرأ بعضهم من بعض، ما يغيّر القول الذي قلته لكم في الدنيا، وهو قوله ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ

﴾ [هود: ١١٩، السجدة: ١١٣] ولا قضائي الذي قضيته فيهم فيها»^(١).

٢- الواحدي: «(فحق وعيد)) وجب عليهم العذاب». ويقول أيضاً: «(لا تختصموا لدي وقد قمت إليكم بالوعيد)) حذرتكم العقوبة في الدنيا على لسان الرسول ((ما يبذل القول لدي)) لا تبديل لقولي ولا خلف لوعدي ((وما أنا بظلام للعبيد)) فأعاقب بغير جرم»^(٢).

٣- النسفي: «(كل)) أي كل واحد منهم ((كذب الرسل)) لأن من كذب رسولاً واحداً فقد كذب جميعهم ((فحق وعيد)) فوجب وحلّ وعيدي، وفيه تسليّة لرسول الله ﷺ وتهديد لهم». ويقول أيضاً: «(لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد)) أي لا تختصموا في دار الجزاء وموقف الحساب، فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته وقد أوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي وعلى السنة رسلي فما تركت لكم حجة علي... ((ما يبذل القول لدي)) أي لا تطمعوا أن أبذل قولي ووعيدي بإدخال الكفار في النار»^(٣).

٤- ابن عطية: « والوعيد الذي حق هو ما سبق به القضاء من تعذيب الكفرة وإهلاك الأمم المكذبة، وفي هذا تخويف من كذب محمداً ﷺ » ويقول أيضاً - عند بيان معنى قوله تعالى ((ما يبذل القول لدي..)) - : « المعنى: قد قدمت بالوعيد أنني أعذب

(١) جامع البيان للطبري (٩٨/٢٦، ١٠٥).

(٢) الوجيز للواحدي (١٠٢٢/٢، ١٠٢٤).

(٣) مدارك التنزيل للنسفي (١٣٤/٤، ١٣٦).

الكفار في ناري فلا يُبدّل القول لديّ ولا ينقض ما أبرمه كلامي» (١).

٥- ابن كثير: « (كل كذب الرسل) أي كل من هذه الأمم وهؤلاء القرون كذبت رسولهم ومن كذب رسولاً فكأنما كذب جميع الرسل كقوله جل وعلا ﴿ كَذَّبَتْ

قَوْمٌ نُوْحٌ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة الشعراء: ١٠٥] وإنما جاءهم رسول واحد

فهم في نفس الأمر لو جاءهم جميع الرسل كذبوهم ((فحق وعيد)) أي فحق عليهم ما أوعدهم الله تعالى على التكذيب من العذاب والنكال، فليحذر المخاطبون أن يصيبهم ما أصابهم، فإنهم قد كذبوا رسولهم كما كذب أولئك». وقال أيضاً: «□... ((لا تختصموا لدي)) أي عندي ((وقد قدمت إليكم بالوعيد)) أي قد أعذرت إليكم على أسنة الرسل وأنزلت الكتب وقامت عليكم الحجج والبيانات والبراهين، ((ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد)) أي لست أعذب أحداً بذنب أحد، ولكن لا أعذب أحداً إلا بذنبه بعد قيام الحجة عليه» (٢).

٦- الثعالبي: « والوعيد الذي حق هو ما سبق به القضاء من تعذيبهم». وقال أيضاً: «... وقوله سبحانه ((ما يبدل القول لدي)) أي لا ينقض ما أبرمه كلامي من تعذيب الكفرة، ثم أزال سبحانه موضع الاعتراض بقوله ((وما أنا بظلام للعبيد)) أي هذا عدل فيهم لأنني أنذرت وأمهلته وأنعمت» (٣).

٧- السعدي: «... فهؤلاء كلهم كذبوا الرسل، الذين أرسلهم الله ﷻ إليهم، فحق عليهم وعيد الله وعقوبته، ولستم أيها المكذبون لمحمد ﷺ خيراً منهم، ورسلمهم أكرم على الله ﷻ من رسولكم ﷺ، فاحذروا جرمهم، لئلا يصيبكم ما أصابهم□». ويقول أيضاً: «... ((وقد قدمت إليكم بالوعيد)) أي جاءتكم رسلي بالآيات البيانات والحجج الواضحات، والبراهين الساطعات، فقامت عليكم حجتي، وانقطع حججتكم،

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (١٣/٥٣٨، ٥٥٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٢٢٣، ٢٢٦).

(٣) جواهر الحسان للثعالبي (٤/١٩٥، ٢٠٠).

وقدمتم عليّ بما أسلفتم من الأعمال التي وجب جزاؤها.

((ما يبدل القول لدي)) أي لا يمكن أن يخلق ما قاله الله جل وأخبر به، لأنه لا أصدق من الله قيلاً، ولا أصدق حديثاً^(١).

وبنحو كلام من ذكرت جاء كلام الزمخشري^(٢)، وأبي حيان^(٣)، والبيضاوي^(٤)، والمحلي^(٥)، والبقاعي^(٦)، والشوكاني^(٧)، والقنوجي^(٨)، والقاسمي^(٩)، وسيد قطب^(١٠)، وابن عاشور^(١١).

ولا يوجد مخالف للموافقين هنا. إلا أن بعض المفسرين جمعوا أكثر من قول عند بيانهم للمراد بالقول الذي لا يبدل، فمثلاً:

١- الماوردي^(١٢)، ذكر الأقوال (٤، ٥، ٦، ٧).

٢- ٣- ٤- البغوي^(١٣) والقرطبي^(١٤)، والحازن^(١٥)، ذكروا القولين رقم (٢، ٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٨٠٤، ٨٠٦).

(٢) الكشف للزمخشري (٣٧٢/٤، ٣٧٨).

(٣) البحر المحيط لأبي حيان (٥٣٢/٩، ٥٣٨).

(٤) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢٢٨/٢).

(٥) تفسير الجلالين ص (٤٣٨).

(٦) نظم الدرر للبقاعي (٤١٧/١٨، ٤٢٩).

(٧) فتح القدير للشوكاني (٧٤/٥، ٧٧).

(٨) منح البيان للقنوجي (١٦٦/١٣، ١٧٥).

(٩) محاسن التأويل للقاسمي (٥٤٨٨/١٥، ٥٥٠٨).

(١٠) في ظلال القرآن لسيد قطب (٣٣٦١/٦، ٣٣٦٥).

(١١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٩٦/٢٦، ٣١٦).

(١٢) النكت والعيون للماوردي (٣٤٥/٥، ٣٥٣).

(١٣) مختصر البغوي (٨٨٣/٢، ٨٨٥).

(١٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/١٧، ١٧).

(١٥) لباب التأويل للحازن (١٩٥/٦، ١٩٧).

تعقيب الباحث:

الظاهر - والله أعلم - أنه لا خلاف في ترجيح ما ذهب إليه الشنقيطي وموافقوه في أن المراد بالقول الذي لا يبدل هو ما أوعده الله ﷻ به الكفار المكذبين للرسول من العذاب والعقاب، يدل لذلك أمور:

- ١ - دلالة آيات من القرآن الكريم عليه، كقوله تعالى ﴿ لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٨]، وقوله تعالى ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة هود: ١١٩]، وقوله تعالى ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة السجدة: ١٣]، وقوله تعالى ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ ﴾ [سورة يس: ٧]، وقوله تعالى ﴿ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة ص: ١٤]، وقوله تعالى ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [سورة ص: ٨٤ - ٨٥]، ومعلوم أن « تفسير القرآن بالقرآن أقوى أنواع التفسير »^(٣).

(١) زاد المسير لابن الجوزي (١٩٢/٧ ، ١٩٧).

(٢) التسهيل لابن جزى (١١٤/٤ ، ١١٧).

(٣) قواعد التفسير لخالد السبت (١٠٩/١).

٢- إن سياق الآيات يدل عليه، فانظر: يقول الله ﷻ ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمٌ
 الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي
 غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾
 وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٍ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ
 عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
 آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ * قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَّغَيْتُهُ
 وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَىٰ وَقَدْ قَدَّمْتُ
 إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴿

[سورة ق: ٢٠ - ٢٩]، و « دلالة السياق »^(١) من مرجحات الأقوال عند المفسرين.

٣- أنه قول جمهور المفسرين، وقد صرح الإمام ابن الجوزي بأن هذا القول قد « قاله
 الأكثرون »^(٢).

٤- « ما قاله بعض أهل العلم من أن الله ﷻ يصح أن يخلف وعيده ؛ لأنه قال إنه
 لا يخلف وعده^(٣) ولم يقل إنه لا يخلف وعيده، وأن إخلاف الوعيد حسن لا قبيح،
 وإنما القبيح هو إخلاف الوعد، وأن الشاعر قال :

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحاربي (١٢٥/١).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (١٩٧/٧).

(٣) قال تعالى ﴿ لَا تُخَلِّفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ [سورة الروم: ٦].

وإني وإن أوعدته أو وعده
لمخلف إبعادي ومنجز موعدتي^(١)
لا يصح بحال؛ لأن وعيده تعالى للكفار حقاً ووجب عليهم بتكذيبهم للرسول، كما دل
عليه قوله هنا ﴿كُلُّ كَذِبٍ أُرْسِلَ فَحَقٌّ وَعِيدٌ﴾ [سورة ق: ١٤]، وقد تقرر في
الأصول أن الفاء من حروف العلة^(٢)، كقوله: سها فسجد؛ أي لعله سهوه، وسرق
فقطعت يده؛ أي لعله سرقته، ومنه قوله تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا
أَيْدِيَهُمَا﴾ [سورة المائدة: ٣٨]، وبهذا تعلم أن الوعيد الذي لا يمتنع إخلافه هو وعيد
عصاة المسلمين بتعذيبهم على كباثر الذنوب؛ لأن الله تعالى أوضح ذلك في قوله ﴿إِنَّ
اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النساء:
٤٨ - ١١٦]، وهذا في الحقيقة تجاوز من الله ﷻ عن ذنوب عباده المؤمنين العاصين، ولا
إشكال في ذلك^(٣). والله أعلم بالصواب.



المراد بالاستفهام في قوله (هل من مزيد)

-
- (١) البيت لعامر بن الطفيل، أحد شعراء الحماسة في الجاهلية، كان أحد فرسان العرب وشعرائهم، أدرك
الإسلام ولم يُسلم، مات سنة (١٠هـ). انظر: ديوان عامر بن الطفيل ص (٥٨).
- (٢) في شرح الكوكب المنير عقد فصلاً لبيان المعاني التي يأتي عليها حرف الفاء. انظر: شرح الكوكب المنير
(٢٣٣/١).
- (٣) أضواء البيان للشنقيطي (٦٤٧/٧).

٨٣ - قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾

﴿سورة ق: ١٣٠﴾

مجمال الأقوال الواردة:

اختلف في المراد بالاستفهام في قوله ((هل من مزيد)) وهل هو على سبيل الإنكار أو الاستفهام؛ على قولين:

- ١ - أن ((هل من مزيد)) على سبيل الاستفهام، بمعنى الاستزادة.
- ٢ - أن المعنى: قد امتلأت فلم يبق في موضع لم يمتلئ، فهو استفهام إنكار^(١).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : «...اعلم أن الاستفهام في قوله ((هل من مزيد)) فيه للعلماء قولان معروفان؛ الأول: أن الاستفهام إنكاري، كقوله تعالى: ﴿

هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٤٧] أي ما يهلك إلا القوم

الظالمون، وعلى هذا فمعنى هل من مزيد لا محل للزيادة لشدة امتلاء النار، واستدل بعضهم لهذا الوجه بآيات من كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ

مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة السجدة: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿

لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة هود: ١١٩]، وقوله تعالى:

﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ [سورة هود: ١١٩]، وقوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾

(١) القولان ذكرهما البغوي، مختصر البغوي (٢/٨٨٥).

أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴿سورة ص: ٨٤ - ٨٥﴾، وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة يس^(١) في الكلام على قوله تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ﴾ ﴿سورة يس: ١٧﴾، لأن إقسامه تعالى في هذه الآية المدلول عليه بلام التوطئة في لأملأن على أنه يملأ جهنم من الجنة والناس، دليل على أنها لا بد أن تمتلئ، ولذا قالوا: إن معنى هل من مزيد: لا مزيد؛ لأنني قد امتلأت فليس في محل للمزيد. وأما القول الآخر: فهو أن المراد بالاستفهام في قول النار: هل من مزيد؟ هو طلبها للزيادة، وأنها لا تزال كذلك حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط أي كفاني قد امتلأت، وهذا الأخير هو الأصح، لما ثبت في الصحيحين^(٢) وغيرهما عن النبي ﷺ ومسلم: « أن جهنم لا تزال تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط »؛ لأن في هذا الحديث المتفق عليه التصريح بقولها قط قط، أي كفاني قد امتلأت، وأن قولها قبل ذلك هل من مزيد لطلب الزيادة^(٣)».

الموافقون:

وهم الذي رجّحوا أن ((هل من مزيد)) على الاستفهام حقيقة وأن جهنم تطلب الزيادة، موافقون في هذا المعنى ما رجحه الشيخ الشنقيطي، وعددهم غير قليل، منهم:

١- الطبري: «... وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال هو بمعنى الاستزادة، هل من شيء أزداده. وإنما قلنا ذلك أولى القولين بالصواب لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ»^(٤).

(١) أضواء البيان (٦/٦٥٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب ((وتقول هل من مزيد)) فتح الباري لابن حجر (٨/٥٩٤)، ومسلم في كتاب الجنة، باب جهنم أعادنا الله منها: صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/١٨٤).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٧/٦٥٣).

(٤) جامع البيان للطبري (٢٦/١٠٦).

- ٢- ابن عطية: « والذي يترجّح في قول جهنم ((هل من مزيد)) أنها حقيقة، وأنها قالت ذلك وهي غير ملأى، ويبين ذلك الحديث الصحيح المتواتر، قول النبي ﷺ: « يقول الله لجهنم: هل امتلأت؟ فتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول: قط، قط، ويزوي بعضها إلى بعض »^(١).
- ٣- ابن جزى: « ومعنى قوله ((هل من مزيد)) أنها تطلب الزيادة وكانت لم تمتليء، وقيل معناه لا مزيد أي ليس عندي موضع للزيادة فهي على هذا قد امتلأت، والأول أظهر وأرجح »^(٢).
- ٤- السعدي: « يقول تعالى مخوفاً لعباده ((يوم نقول لجهنم هل امتلأت)) وذلك من كثرة ما ألقى فيها ((وتقول هل من مزيد)) أي: لا تزال تطلب الزيادة من المجرمين العاصين، غضباً لربها، وغيطاً على الكافرين.
- وقد وعدّها الله ملأها، كما قال تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة هود: ١١٩، السجدة: ١٣] حتى يضع رب العزة عليها قدمه الكريمة المنزهة عن التشبه، فينزوي بعضها على بعض، وتقول: قط، قط، قد اكتفيت وامتلأت »^(٣).
- وبمثل هذا قد رجّح ابن كثير^(٤)، والثعالبي^(٥)، والبقاعي^(٦)، وسيد قطب^(٧).

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٥٥٩/١٣).

(٢) التسهيل لابن جزى (١١٧/٤).

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٨٠٦).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٢٦/٤).

(٥) جواهر الحسان للثعالبي (٢٠٠/٤).

(٦) نظم الدرر للبقاعي (٤٣١/١٨).

(٧) في ظلال القرآن لسيد قطب (٣٣٦٥/٦).

المخالفون:

وأما الذين رجحوا أن الاستفهام على سبيل الإنكار - وهو خلاف ما رجحه الشنقيطي - فعددهم أقل من الموافقين، منهم:

١- الواحدي: « ((وتقول هل من مزيد)) أي: هل بقي في موضع لم يمتلئ، أي: قد امتلأت »^(١).

وبنحو كلام الواحدي جاء ترجيح النيسابوري^(٢)، وأبي حيان^(٣)، والمحلي^(٤).

تعقيب الباحث:

يظهر - والله أعلم - أن الراجح هو ما ذهب إليه الشنقيطي وموافقوه من أن الاستفهام في ((هل من مزيد)) يحمل على الاستفهام حقيقة وأن النار تطلب الزيادة من المجرمين، غضباً لربها، وغيظاً على الكافرين، والأدلة على ذلك:

١- ما دل عليه الحديث الصحيح المتفق عليه، فعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تزال جهنم يُلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيتروي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط بعزتك وكرمك... »^(٥). وقد صرح بالترجيح بدلالة هذا الحديث: الطبري^(٦)، وابن عطية^(٧)، وابن جزى^(٨)، وابن كثير^(٩).

(١) الوجيز للواحدى (١٠٢٤/٢).

(٢) إيجاز البيان للنيسابورى (٢٠٦/٢).

(٣) البحر المحيط لأبى حيان (٥٣٨/٩).

(٤) تفسير الجلالين ص (٤٣٨).

(٥) سبق تخريج الحديث، واللفظ لمسلم.

(٦) جامع البيان للطبرى (١٠٦/٢٦).

(٧) المحرر الوجيز لابن عطية (٥٥٩/١٣).

(٨) التسهيل لابن جزى (١١٧/٤).

(٩) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٢٦/٤).

والثعالبي^(١)، والسعدي^(٢)، والشنقيطي^(٣)، وصحة الحديث قاعدة يرجح بها
المفسرون بين الأقوال^(٤).

٢- أن السياق يدل على إرادة الاستزادة، قال تعالى: ﴿الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ
كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ
اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾ قَالَ قَرِينُهُ
رَبَّنَا مَا أَطَّغَيْتُهُ، وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا
لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَا
أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ
مِنْ مَزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة ق: ٢٤ - ٣٠]، قال ابن كثير بعد أن ذكر هذا القول: «
هذا هو الظاهر من سياق الآية»^(٥).

٣- الآيات التي استدلت بها القائلون بأن الاستفهام إنكاري، وأن الله ﷻ قد وعد بملء
جهنم من الجنة والناس أجمعين، وهي: قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ
أَجْمَعِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ

(١) جواهر الحسان للثعالبي (٤/٢٠٠).

(٢) تفسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٨٠٦).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٧/٦٥٣).

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (١/٢٠٦).

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٢٢٦).

لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿ [سورة هود: ١١٩]،
وقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ
وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة السجدة: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ
وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ ﴿
﴿ [سورة ص: ٨٤ - ٨٥] وغيرها. أقول: استدلالهم هذا يدخل دخولاً كاملاً تحت
القول الراجح عند الشنقيطي وموافقيه، وذلك أن الله ﷻ قد وعد بملء جهنم من
الجنة والناس، وسؤال جهنم ((هل من مزيد)) يكون « قبل امتلائها »^(١).
- ٤ - فائدة: حديث القدم الوارد هنا؛ من أحاديث الصفات، « والواجب أن نؤمن بما
وصف الله ﷻ وسمى به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، - وهذه طريقة
سلف الأمة وأئمتها- بإثبات ما أثبتته من الصفات من غير تكيف ولا تمثيل ومن
غير تحريف ولا تعطيل »^(٢).



(١) التسهيل لابن جزي (٤/ ١١٧).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٣)، والقول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين (١٨٨/١).

المراد بالذاريات والحاملات والجاريات والمقسمات

٨٤- قوله تعالى: ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ ﴾ [سورة الذاريات: ١ - ٦].

مجمل الأقوال الواردة:

- أ- ما قيل في ((الذاريات ذرؤاً)):
- ١- الرياح.
- ٢- النساء.
- ب- ما قيل في ((الحاملات وقرأ)):
- ١- السحاب.
- ٢- الرياح.
- ٣- الإناث حوامل الأجنة.
- ج- ما قيل في ((الجاريات يسراً)):
- ١- السفن.
- ٢- الرياح.
- ٣-
- د- ما قيل في ((المقسمات أمراً)):
- ١- الملائكة.
- ٢- الرياح.
- ٤- النجوم.

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « أكثر أهل العلم على أن المراد بالذاريات الرياح. وهو الحق إن شاء الله، ويدل عليه أن الذرو صفة مشهورة من صفات الرياح. ومنه قوله تعالى: ﴿ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ﴾ [سورة الكهف: ٤٥] ومعنى تذرؤه: ترفعه وتفرقه، فهي تذرر التراب والمطر وغيرهما. ولا يخفى سقوط قول من

قال: إن الذاريات النساء.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ((فالحاملات وقرأ)) أكثر أهل العلم على أن المراد بالحاملات وقرأ: السحاب، أي المزن تحمل وقرأ ثقلاً من الماء. ويدل لهذا القول تصريح الله جل وعلا يوصف السحاب بالثقال، وهو جمع ثقيلة، وذلك لثقل السحابة بوقر الماء الذي تحمله، كقوله تعالى: ﴿ وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾ لسورة الرعد: ١٢ وهو جمع سحابة ثقيلة، وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا

ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ لسورة الأعراف: ٥٧. وقال بعضهم: المراد بالحاملات وقرأ: السفن تحمل الأثقال من الناس وأمتعتهم، ولو قال قائل: إن الحاملات وقرأ الرياح أيضاً، لكان وجهه ظاهراً. ودلالة بعض الآيات عليه واضحة، لأن الله تعالى صرح بأن الرياح تحمل السحاب الثقال بالماء، وإذا كانت الرياح هي التي تحمل السحاب إلى حيث شاء الله، فنسبة حمل ذلك الوقر إليها أظهر من نسبه إلى السحاب التي هي محمولة للرياح، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ لسورة الأعراف: ٥٧، فقوله تعالى ((حتى إذا أقلت سحاباً ثقلاً)) أي حتى إذا حملت الرياح سحاباً ثقلاً، فالإقلال الحمل وهو مسند إلى الريح، ودلالة هذا على أن الحاملات وقرأ هي الرياح ظاهرة كما ترى، ويصح شمول الآية لجميع ذلك.

وقد قدمنا أنه هو الأجود في مثل ذلك، وبيننا كلام أهل الأصول فيه وكلامهم في حمل المشترك على معنيه أو معانيه، في أول سورة النور^(١) وغيرها. والقول بأن

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٨١)، عند تفسير قوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾

الحاملات وقرأ هي حوامل الأجنة من الإناث، ظاهر السقوط.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ((فالجاريات يسراً)) أكثر أهل العلم على أن المراد بالجاريات يسراً: السفن تجري في البحر يسراً أي جرياً ذا يسر وسهولة. ويدل لهذا القول كثرة إطلاق الوصف بالجري على السفن كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ﴾ [سورة الشورى: ٣٢] وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [سورة الحاقة: ١١] وقوله تعالى: ﴿وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ [سورة الحج: ٦٥] وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلْكَ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ [سورة الجاثية: ١٢] إلى غير ذلك من الآيات. وقيل الجاريات الرياح. وقيل غير ذلك.

وقوله تعالى: ((فالمقسمات أمراً)) هي الملائكة يرسلها الله في شئون وأمور مختلفة، ولذا عبّر عنها بالمقسمات ويدل لهذا قوله تعالى ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [سورة النازعات: ٥]، فمنهم من يرسل لتسخير المطر والريح، ومنهم من يرسل لكتابه الأعمال، ومنهم من يرسل لقبض الأرواح، ومنهم من يرسل لإهلاك الأمم كما وقع لقوم صالح - عليه السلام - ^(١).

إذاً الشيخ الشنقيطي ترجيحه على النحو الآتي:

الذاريات ذرواً: الرياح.
الحاملات وقرأ: السحاب أو السفن أو الرياح. بدرجة واحدة في الصحة.

أَوْ مُشْرَكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ ﴿ [سورة النور: ٣].

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٧/٦٥٩ - ٦٦١).

الجزائريات يسراً: السفن.

المقسمات أمراً: الملائكة.

الموافقون :

تقسيم الموافقين والمخالفين في هذا الموضوع سيكون - إن شاء الله - حسب كل
آية ، والكلام الآن عن الموافقين :
أ - ((والذاريات ذرواً)) :

- رجح أن المراد بالذاريات أي الرياح التي تذر التراب ذرواً ؛ كلُّ من :
- | | | |
|---------------------------------|-----------------------------------|-----|
| ١ - الطبري ^(١) . | ٢ - الواحدي ^(٢) . | ٣ - |
| البغوي ^(٣) . | | |
| ٤ - النسفي ^(٤) . | ٥ - الزمخشري ^(٥) . | ٦ - |
| النيسابوري ^(٦) . | | |
| ٧ - ابن الجوزي ^(٧) . | ٨ - الفخر الرازي ^(٨) . | ٩ - |
| القرطبي ^(٩) . | | |

(١) جامع البيان للطبري (١١٥/٢٦).

(٢) الوجيز للواحدي (١٠٢٧/٢).

(٣) مختصر البغوي (٨٨٧/٢).

(٤) مدارك التنزيل للنسفي (١٣٨/٤).

(٥) الكشاف للزمخشري (٣٨٥/٥).

(٦) إيجاز البيان للنيسابوري (٢٠٩/٢).

(٧) زاد المسير لابن الجوزي (٢٠٤/٧).

(٨) التفسير الكبير للفخر الرازي (١٦١/١٠).

(٩) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٩/١٧).

- ١٠- الخازن^(١).
 أبو حيان^(٣).
 ١٣- ابن كثير^(٤).
 الثعالبي^(٦).
 ١٦- البقاعي^(٧).
 الألويسي^(٩).
 ١٩- القنوجي^(١٠).
 قطب^(١٢).
 ٢٢- ابن عاشور^(١٣).
- ١١- ابن جزى^(٢).
 ١٤- المحلي^(٥).
 ١٧- الشوكاني^(٨).
 ٢٠- السعدي^(١١).
 سيد

ب- ((فالحاملات وقرأ)):

من رجّح أن الحاملات وقرأ يراد بها السحاب أو السفن أو الرياح؛ سواء ذكر

- (١) لباب التأويل للخازن (٢٠٠/٦).
 (٢) التسهيل لابن جزى (١٢٠/٤).
 (٣) البحر المحيط لأبي حيان (٥٤٨/٩).
 (٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٣٢/٤).
 (٥) تفسير الجلالين ص (٤٣٩).
 (٦) جواهر الحسان للثعالبي (٢٠٤/٤).
 (٧) نظم الدرر للبقاعي (٤٤٥/١٨).
 (٨) فتح القدير للشوكاني (٨٣/٥).
 (٩) روح المعاني للألويسي (٢/٢٧).
 (١٠) فتح البيان للقنوجي (١٨٩/١٣).
 (١١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٨٠٨).
 (١٢) في ظلال القرآن لسيد قطب (٣٣٧٥/٦).
 (١٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٣٧/٢٦).

- واحداً منها أو بعضها أو كلها فإنه يعتبر موافقاً للشنقيطي؛ لأنه رجح « صحة شمول الآية لجميع ذلك »^(١)، فمنهم:
- ١- الطبري: « السحاب التي تحمل وقرها من الماء »^(٢).
 - ٢- الواحدي: « السحاب تحمل الماء »^(٣).
 - ٣- البغوي: « السحاب التي تحمل ثقلاً من الماء »^(٤).
 - ٤- النسفي: « السحاب لأنها تحمل المطر »^(٥).
 - ٥- الزمخشري: « السحاب أو الرياح »^(٦).
 - ٦- النيسابوري: « السحاب »^(٧).
 - ٧- ابن الجوزي: « السحاب التي تحمل وقرها من الماء »^(٨).
 - ٨- الخازن: « السحاب يحمل ثقلاً من الماء »^(٩).
 - ٩- ابن جزي: « السحاب تحمل المطر »^(١٠).
 - ١٠- ابن كثير: « السحاب تحمل الماء »^(١١).
 - ١١- المحلي: « السحب تحمل الماء »^(١٢).

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦٦٠/٧).

(٢) جامع البيان للطبري (١١٥/٢٦).

(٣) الوجيز للواحدي (١٠٢٧/٢).

(٤) مختصر البغوي (٨٨٧/٢).

(٥) مدارك التنزيل للنسفي (١٣٨/٤).

(٦) الكشف للزمخشري (٣٨٥/٤).

(٧) إيجاز البيان للنيسابوري (٢٠٩/٢).

(٨) زاد المسير لابن الجوزي (٢٠٤/٧).

(٩) لباب التأويل للخازن (٢٠٠/٦).

(١٠) التسهيل لابن جزي (١٢٠/٤).

(١١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٣٢/٤).

(١٢) تفسير الجلالين ص (٤٣٩).

- ١٢- البقاعي: « السحب »^(١).
 ١٣- الشوكاني: « السحاب تحمل الماء »^(٢).
 ١٤- الألوسي: « السحب الحاملة للمطر »^(٣).
 ١٥- السعدي: « السحاب »^(٤).
 ١٦- سيد قطب: « السحاب الحاملات وقرأ من الماء »^(٥).
 ١٧- ابن عاشور: « السحاب أو الرياح »^(٦).

ج- (فالجاريات يسراً):

- رجَّح أن المراد بالجاريات يسراً: السفن، كل من:
- ١- الطبري^(٧).
 ٢- الواحدي^(٨).
 ٣-
 ٤- النسفي^(١٠).
 ٥- النيسابوري^(١١).
 ٦- ابن الجوزي^(١٢).

(١) نظم الدرر للبقاعي (٤٤٥/٠١٨).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٨٣/٥).

(٣) روح المعاني للألوسي (٢/٢٧).

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٨٠٨).

(٥) في ظلال القرآن لسيد قطب (٣٣٧٥/٦).

(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٣٧/٢٦).

(٧) جامع البيان للطبري (١١٥/٢٦).

(٨) الوجيز للواحد (١٠٢٧/٢).

(٩) مختصر البغوي (٨٨٧/٢).

(١٠) مدارك التنزيل للنسفي (١٣٨/٤).

(١١) إيجاز البيان للنيسابوري (٢٠٩/٢).

(١٢) زاد المسير لابن الجوزي (٢٠٤/٧).

- ٧- القرطبي^(١).
جزى^(٣).
٨- الخازن^(٢).
٩- ابن
١٠- ابن كثير^(٤).
١١- المحلي^(٥).
١٢- البقاعي^(٦).
١٣- الشوكاني^(٧).
١٤- الألوسي^(٨).
١٥- القنوجي^(٩).
١٦- سيد قطب^(١٠).

د- ((المقسامات أمراً)):

رجّح أن المراد بالمقسامات أمراً: الملائكة، كل من :

- ١- الطبري^(١١).
٢- الواحدي^(١٢).
٣- البغوي^(١٣).
٤- النسفي^(١٤).
٥- النيسابوري^(١).
٦- ابن الجوزي^(٢).

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٩/١٧).

(٢) لباب التأويل للخازن (٢٠٠/٦).

(٣) التسهيل لابن جزى (١٢٠/٤).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٣٢/٤).

(٥) تفسير الجلالين ص (٤٣٩).

(٦) نظم الدرر للبقاعي (٤٤٥/١٨).

(٧) فتح القدير للشوكاني (٨٣/٥).

(٨) روح المعاني للألوسي (٢/٢٧).

(٩) فتح البيان للقنوجي (١٨٩/١٣).

(١٠) في ظلال القرآن لسيد قطب (٣٣٧٥/٦).

(١١) جامع البيان للطبري (١١٥/٢٦).

(١٢) الوجيز للواحدى (١٠٢٧/٢).

(١٣) مختصر البغوي (٨٨٧/٢).

(١٤) مدارك التنزيل للنسفي (١٣٨/٤).

- ٧- القرطبي^(٣).
 ٨- الخازن^(٤).
 ٩- ابن جزي^(٥).
 ١٠- ابن كثير^(٦).
 ١١- المحلي^(٧).
 ١٢- الثعالبي^(٨).
 ١٣- الشوكاني^(٩).
 ١٤- الألوسي^(١٠).
 ١٥- السعدي^(١١).
 ١٦- سيد قطب^(١٢).

المخالفون:

أ- ((والذاريات ذرواً)):

- ١- الماوردي: «الرياح، أو ما ذرت الرياح، أو النساء الولودات»^(١٣).
 ٢- البيضاوي: «الرياح تذرّوا التراب وغيره، أو النساء الولود فإنهم يذرين الأولاد، أو الأسباب التي تذري الخلائق»^(١٤).

- (١) إيجاز البيان للنيسابوري (٢٠٩/٢).
 (٢) زاد المسير لابن الجوزي (٢٠٤/٧).
 (٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٩/١٧).
 (٤) لباب التأويل للخازن (٢٠٠/٦).
 (٥) التسهيل لابن جزي (١٢٠/٤).
 (٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٣٢/٤).
 (٧) تفسير الجلالين ص (٤٣٩).
 (٨) جواهر الحسان للثعالبي (٢٠٤/٤).
 (٩) فتح القدير للشوكاني (٨٣/٥).
 (١٠) روح المعاني للألوسي (٢/٢٧).
 (١١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٨٠٨).
 (١٢) في ظلال القرآن لسيد قطب (٣٣٧٥/٦).
 (١٣) النكت والعيون للماوردي (٣٦١/٥).
 (١٤) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢٢٩/٢).

٣- القاسمي: «الرياح، أو النساء الولود، أو الأسباب التي تدرى الخلائق»^(١).

ب- ((فالحاملات وقرأ)):

١- الماوردي: «السحب يحملن وقرأ بالمطر، الرياح يحملن وقرأ بالسحاب،
الحاملات من النساء إذا أثقلن بالحمل»^(٢).

٢- أبوحيان: «السحاب: السفن، الحوامل من جميع الحيوان»^(٣).

٣- البيضاوي: «السحب الحاملة للأمطار، أو الرياح الحاملة للسحاب، أو النساء
الحوامل، أو أسباب ذلك»^(٤).

٤- الثعالبي: «السحاب، السفن، الحوامل من جميع الحيوانات»^(٥).

٥- القنوجي: «السحاب تحمل الماء، الرياح الحاملات للسحاب، النساء
الحوامل»^(٦).

٦- القاسمي: «السحب، الرياح، النساء الحوامل، أو أسباب ذلك»^(٧).

ج- ((فالجاريات يسراً)):

١- الماوردي: «السفن، السحاب»^(٨).

٢- الزمخشري: «الفلك، الرياح»^(٩).

(١) محاسن التأويل للقاسمي (١٥/٥٥٢٠).

(٢) النكت والعيون للماوردي (٥/٣٦١).

(٣) البحر المحيط لأبي حيان (٩/٥٤٨).

(٤) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/٢٢٩).

(٥) جواهر الحسان للثعالبي (٤/٢٠٤).

(٦) فتح البيان للقنوجي (١٣/١٨٩).

(٧) محاسن التأويل للقاسمي (١٥/٥٥٢٠).

(٨) النكت والعيون للماوردي (٥/٣٦١).

(٩) الكشاف للزمخشري (٤/٤٨٥).

- ٣- أبوحيان: « الفلك، السحاب، الجواري من الكواكب »^(١).
- ٤- البيضاوي: « السفن الجارية في البحر سهلاً، أو الرياح الجارية في مهابها، أو الكواكب التي تجري في منازلها »^(٢).
- ٥- الثعالبي: « السفن في البحر، السحاب، الكواكب »^(٣).
- ٦- القاسمي: « السفن الجارية في البحر سهلاً، أو الرياح الجارية في مهابها، أو الكواكب التي تجري في منازلها »^(٤).
- ٧- السعدي: « النجوم التي تجري على وجه اليسر والسهولة، فتتزين بها السماوات، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وينتفع بالاعتبار بها »^(٥).
- ٨- ابن عاشور: « السفن، الرياح »^(٦).

د- ((فالمقسمات أمراً)):

- ١- الماوردي: « السحاب يقسم الله ﷻ به الحظوظ بين الناس، الملائكة التي تقسم أمر الله في خلقه »^(٧).
- ٢- الزمخشري: « الملائكة، الرياح »^(٨).
- ٣- البيضاوي: « الملائكة التي تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرها، أو ما يعمهم وغيرهم من أسباب القسمة، أو الرياح يقسمن الأمطار بتصريف السحاب □ »^(٩).

(١) البحر المحيط لأبي حيان (٥٤٨/٩).

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢٢٩/٢).

(٣) جواهر الحسان للثعالبي (٢٠٤/٤).

(٤) محاسن التأويل للقاسمي (٥٥٢٠/١٥).

(٥) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٨٠٨).

(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٣٧/٢٦).

(٧) النكت والعيون للماوردي (٣٦١/٥).

(٨) الكشف للزمخشري (٣٨٥/٤).

(٩) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢٢٩/٢).

- ٤- القنوجي: « الملائكة تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرهما، أو ما يعمهم وغيرهم من أسباب القسمة، أو الرياح يقسمن الأمطار بتصريف السحاب »^(١).
- ٥- القاسمي: « الملائكة التي تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرهما، أو ما يعمهم وغيرهم من أسباب القسمة أو الرياح يقسمن الأمطار بتصريف السحاب »^(٢).
- ٦- ابن عاشور: « الملائكة، الرياح »^(٣).

تعقيب الباحث:

بيان الراجح في هذا الموضوع يكون - بعون الله - على النحو الآتي:

أ- ((والذاريات ذرواً)):

يظهر - والله أعلم - أن الراجح كون المراد بالذاريات ذرواً أي الرياح التي تذر التراب ذرواً، يدل لذلك:

١- دلالة القرآن الكريم على هذا المعنى، يقول تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ

الرِّيحُ﴾ [سورة الكهف: ٤٥] « فالذرو صفة مشهورة من صفات الرياح »^(٤),

ولا شك أن هذا من تفسير القرآن بالقرآن الذي هو « أحسن أنواع التفسير »^(٥).

٢- اتفاق جمهور المفسرين قديماً وحديثاً عليه.

٣- أما القول بأن الذاريات النساء يذرين الأولاد، فليست هناك دلالة واضحة عليه، ولا أدلة تؤيده، ولم يجزم به أحد من المفسرين معنى للآية.

(١) فتح البيان للقنوجي (١٣/١٩٠).

(٢) محاسن التأويل للقاسمي (١٥/٥٥٢٠).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٦/٣٣٧).

(٤) أضواء البيان للشنقيطي (٧/٦٥٩).

(٥) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص (١٢٧).

ب- ((فالحاملات وقرأ)):

يظهر - والله أعلم - أن الراجح كون المراد بالحاملات وقرأ السحاب أو الرياح، وذلك لأمر:

١- لدلالة القرآن الكريم، فإن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً^(١)، فإن معنى الحملات وقرأ أي السحاب تحمل وقرأ ثقلاً من الماء، « ويدل لهذا تصريح الله جل وعلا بوصف السحاب بالثقال، وهو جمع ثقيلة، وذلك لثقل السحاب بوقر الماء الذي تحمله، كقوله تعالى: ﴿

وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾ [سورة الرعد: ١٢]، وكقوله تعالى:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ [سورة الأعراف: ٥٧]»^(٢).

وكون الحملات وقرأ يراد بها الرياح؛ فوجهه ظاهر، ودلت بعض الآيات على هذا بوضوح « لأن الله تعالى صرح بأن الرياح تحمل السحاب الثقال بالماء، وإذا كانت الرياح هي التي تحمل السحاب إلى حيث شاء الله ﷻ، فنسبة حمل ذلك الوقر إليها أظهر من نسبته إلى السحاب التي هي محمولة للرياح، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ

الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ

سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ [سورة الأعراف: ٥٧] فالإقلال الحمل،

وهو مسند إلى الريح، ودلالة هذا على أن الحملات وقرأ هي الرياح ظاهرة»^(٣).

٢- إن إرادة السفن بالحاملات وقرأ، لا يؤديها إلا المعنى اللغوي للفظ (الحاملات) ولفظ (الوقر)، ولا يقوى هذا أمام الدلالة الواضحة للآيات السابق ذكرها.

(١) قواعد التفسير لخالد السبت (١/١٠٩).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٧/٦٥٩).

(٣) المرجع السابق (٧/٦٦٠).

ج- ((فالجاريات يسراً)):

يظهر - والله أعلم- أن الراجح كون المراد بالجاريات يسراً السفن تجري في
البحر يسر أي جرياً سهلاً بأمر الله ﷻ، يدل لذلك:

١- التصريح في عدد من الآيات بتسمية السفن بأنها (جارية) كقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ

ءَايَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ ﴾ سورة الشورى: ٣٢، كقوله تعالى ﴿ إِنَّا لَمَّا

طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾ [سورة الحاقة: ١١].

٢- والتصريح أيضاً في عدد من الآيات بوصف السفن بأنها (تجري)، كقوله تعالى: ﴿

وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ﴾ [سورة الحج: ٦٥]، كقوله تعالى: ﴿

اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلْكَ فِيهِ بِأَمْرِهِ ﴾ [سورة

الجاثية: ١٢].

٣- أما تفسيرها بأنها الرياح أو الكواكب، فهي وإن ذكرها بعض المفسرين على احتمال
كونها معنى للآية، إلا أنه لم يجزم أحد برجحان اعتبارها معنى للآية.

د- ((المقسمات أمراً)):

يظهر - والله أعلم- أن الراجح كون المراد بالمقسمات أمراً الملائكة يرسلها الله

ﷻ في شئون وأمور مختلفة، يدل لذلك:

١- قوله تعالى: ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ [سورة النازعات: ٥] « فمنهم من

يرسل لتسخير المطر والريح، ومنهم من يرسل لكتابة الأعمال، ومنهم من يرسل

لقبض الأرواح، ومنهم من يرسل لإهلاك الأمم المكذبة»^(١)، وغيرها من الأعمال.

(١) المرجع السابق (٧/٦٦١).

- ٢- كذلك كثرة القائلين بأن المراد الملائكة، وندرة المرجحين لغيره من الأقوال.
 وختاماً: يقول ابن الجوزي - بعد أن رجّح (الرياح + السحاب + السفن + الملائكة) - : « وإنما أقسم بهذه الأشياء لما فيها من الدلالة على صنّعه وقدرته »^(١). والله أعلم بالصواب.



معنى قوله تعالى ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾

- ٨٥- قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾ سورة الذاريات: ٥٦.

مجمل الأقوال الواردة:

- ١- أن معنى ((إلا ليعبدون)): أي: إلا لآمرهم بعبادتي وابتليهم بالتكاليف، ثم أجازيهم على أعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.
- ٢- أن معنى ((إلا ليعبدون)): أي: ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدني السعداء منهم ويعصيني الأشقياء.
- ٣- أن معنى ((إلا ليعبدون)): أي: إلا ليقروا لي بالعبودية طوعاً أو كرهاً؛ لأن المؤمن يطيع باختياره، والكافر مذعن منقاد لقضاء ربه، وأن العبادة في اللغة: التذلل والانقياد، فكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله ﷻ، ومتذلل لمشيئته، لا يملك أحد لنفسه خروجاً عما خلق عليه قدر ذرة من نفع أو ضرر.
- ٤- أن معنى ((إلا ليعبدون)): إلا ليعرفوني.
- ٥- أن معنى ((إلا ليعبدون)): إلا ليوحدون، فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء،

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٧/٢٠٤).

وأما الكافر فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء^(١).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « اختلف العلماء في معنى قوله ((ليعبدون))، فقال بعضهم: المعنى ما خلقتهم إلا ليعبدني السعداء منهم ويعصيني الأشقياء، فالحكمة المقصودة من إيجاد الخلق التي هي عبادة الله ﷻ حاصلة بفعل السعداء منهم كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَتُولاَءَ فَقَدْ وَكَلْنَا بَهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ [سورة الأنعام: ٨٩]، وهذا القول ذكره ابن جرير^(٢) في جامع البيان. وغاية ما يلزم على هذا القول أنه أطلق فيها المجموع وأراد بعضهم. وأمثال ذلك كثيرة في القرآن الكريم، ومن أوضحها قراءة حمزة والكسائي^(٣): ﴿ فَإِنْ قَتَلْتُمْكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ﴾ [سورة البقرة: ١٩١] من القتل لا من القتال. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَنُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [سورة الحجرات: ١٤] بدليل قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ؕ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ ۗ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة التوبة: ١٩٩].

وقال بعض العلماء: معنى قوله ((إلا ليعبدون)) أي: إلا ليقروا لي بالعبودية

(١) (الأَقْوَال كلها (١، ٢، ٣، ٤، ٥) ذكرها البغوي؛ مختصر البغوي (٢/٨٩١)، والشنقيطي في أضواء البيان (٦٧١/٧).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (٢٧/٨).

(٣) انظر: القراءات العشر المتواترة لمحمد كريم راجح ص (٣٠) وزاد معهما من العشرة: خلف.

طوعاً أو كرهاً لأن المؤمن يطيع باختياره والكافر مذعن منقاد لقضاء ربه صبراً عليه، وهذا القول رواه ابن جرير عن ابن عباس واختاره^(١)، ويدل له قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [سورة الرعد: ١٥]، والسجود والعبادة كلاهما خضوع وتذلل لله جل وعلا، وقد دلت الآية على أن بعضهم يفعل ذلك طوعاً وبعضهم يفعله كرهاً.

وعن مجاهد أنه قال: ((إلا ليعبدون)) أي إلا ليعرفوني، واستدل بعضهم لهذا القول بقوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [سورة الزخرف: ٨٧] ونحو ذلك من الآيات.

وقال بعض أهل العلم - وهو مروى عن مجاهد أيضاً - معنى قوله ((إلا ليعبدون)): أي إلا لآمرهم بعبادتي فيعبدني من وقتته منهم لعبادتي دون غيره، وعلى هذا القول إرادة عبادتهم المدلول عليها باللام في قوله ((ليعبدون)) إرادة دينية شرعية وهي الملازمة للأمر، وهي عامة لجميع من أمرتهم الرسل لطاعة الله ﷻ، لا إرادة كونية قدرية؛ لأنها لو كانت كذلك لعبد جميع الإنس والجن، والواقع خلاف ذلك بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَأَيُّهَا الْكٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ

عَبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾﴾ [سورة الكافرون: ١ - ٣].

قال مقيد^(٢) عفا الله عنه وغفر له: التحقيق إن شاء الله في معنى هذه الآية الكريمة ((إلا ليعبدون))؛ أي: إلا لآمرهم بعبادتي وأبتليهم أي أختبرهم بالتكاليف ثم أجازيهم على أعمالهم، إن خيراً فخير وإن شراً فشر. وإنما قلنا إن هذا هو التحقيق في معنى الآية، لأنه تدل عليه آيات محكمات من

(١) جامع البيان للطبري (٨/٢٧).

(٢) الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - .

كتاب الله ﷻ، فقد صرح تعالى في آيات من كتابه أنه خلقهم ليبليهم أيهم أحسن عملاً، وأنه خلقهم ليجزيهم بأعمالهم. قال تعالى في أول سورة هود: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ ثم بين الحكمة في ذلك فقال: ﴿ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتِ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [سورة هود: ٧٧]، وقال تعالى في أول سورة الملك: ﴿ الَّذِي خَلَقَ

الْمَوْتِ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [سورة الملك: ٢٢]، وقال تعالى في أول سورة الكهف: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [سورة الكهف: ٧]، فتصريحه جل وعلا في هذه الآيات المذكورة بأن حكمة خلقه للخلق هي ابتلاؤهم أيهم أحسن عملاً بفسر قوله ((ليعبدون)). وخير ما يفسر به القرآن القرآن^(١).

فترجيح الشيخ الشنقيطي لمعنى ((إلا ليعبدون)) أي إلا لآمرهم بعبادتي وابتليهم بالتكاليف ثم أجازيهم على أعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

الموافقون:

- إلى مثل ما ذهب إليه الشنقيطي قد ذهب عدد من المفسرين، منهم:
- ١- الماوردي: « ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)) فيه خمسة تأويلات: أحدها: إلا ليقروا بالعبودية طوعاً أو كرهاً. الثاني: إلا لآمرهم وأنهاهم.

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦٧١/٧ - ٦٧٤) بتصرف يسير.

الثالث: إلا لأجلهم على الشقاء والسعادة.

الرابع: إلا ليعرفوني.

الخامس: إلا للعبادة، وهو الظاهر^(١).

٢- ابن القيم: « ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ

مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ فأخبر أنه لم يخلق الجن والإنس حاجة

منه إليهم ولا ليربح عليهم، لكن خلقهم جوداً وإحساناً ليعبده فيربحوا هم عليه كل

الأرباح، كقوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ (سورة الإسراء:

١٧) وقال تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ (سورة الروم:

[٤٤٤])^(٢).

٣- ابن كثير: «... ومعنى الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبده وحده لا شريك له

فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج

إليهم بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم^(٣)».

٤- القاسمي: « (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) أي لهذه الحكمة، وهي

عبادته تعالى بما أمر على لسان رسوله ﷺ، إذ لا يتم صلاح ولا تنال سعادة في

الدارين؛ إلا بها^(٤)».

٥- السعدي: « ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ

(١) النكت والعيون للماوردي (٣٧٥/٥).

(٢) بدائع التفسير لابن القيم (٢٤٧/٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٣٨/٤).

(٤) محاسن التأويل للقاسمي (٥٥٣٨/١٥).

مِنْهُمْ مِّن رَّزْقٍ وَمَا أَرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو

الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ هذه الغاية التي خلق الله ﷻ الجن والإنس لها، وبعث

جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عن سواه، وذلك يتضمن معرفته تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله ﷻ، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله ﷻ المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم^(١).

6- سيد قطب: «... هنا يجيء الإيقاع الأخير في السورة، ويتضح معنى الفرار إلى الله ﷻ، والتخلص من الأوهام^(٢) والأثقال، لأداء الوظيفة التي خلق الله ﷻ العباد لها، ومنحهم وجودهم ليؤدوها... ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين)). وإن هذا النص الصغير ليحتوي حقيقة ضخمة هائلة، من أضخم الحقائق الكونية التي لا تستقيم حياة البشر في الأرض بدون إدراكها واستيقانها، سواء كانت حياة فرد أم جماعة، أم حياة الإنسانية كلها في جميع أدوارها وأعصارها.

وإنه ليفتح جوانب وزوايا متعددة من المعاني والمرامي، تندرج كلها تحت هذه الحقيقة الضخمة، التي تعد حجر الأساس الذي تقوم عليه الحياة.

وأول جانب من جوانب هذه الحقيقة أن هنالك غاية معينة لوجود الجن والإنس. تتمثل في وظيفة من قام بها وأداها فقد حقق غاية وجوده؛ ومن قصر فيها أو نكل عنها فقد أبطل غاية وجوده؛ وأصبح بلا وظيفة، وباتت حياته فارغة من القصد، خاوية من معناها الأصيل، الذي تستمد منه قيمتها الأولى. وقد انفلت من الناموس الذي خرج به إلى الوجود، وانتهى إلى الضياع المطلق، الذي يصيب كل كائن ينفلت من ناموس الوجود،

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٨١٣).

(٢) الأوهام، قال في القاموس المحيط: الوهق: الحبل يُرمى في أنشودة، فتؤخذ به الدابة والإنسان. انظر:

القاموس المحيط للفيروز آبادي ص(١٢٠٠).

الذي يربطه ويحفظه ويكفل له البقاء.

هذه الوظيفة المعينة التي تربط الجن والإنس بناموس الوجود. هي العبادة لله ﷻ. أو هي العبودية لله ﷻ ... أن يكون هناك عبد ورب. وعبد يُعبد، ورب يُعبد. وأن تستقيم حياة العبد كلها على أساس هذا الاعتبار.

ومن ثم يبرز الجانب الآخر لتلك الحقيقة الضخمة، ويتبين أن مدلول العبادة لا بد أن يكون أوسع وأشمل من مجرد إقامة الشعائر. فالجن والإنس لا يقضون حياتهم في إقامة الشعائر؛ والله لا يكلفهم هذا. وهو يكلفهم ألواناً أخرى من النشاط تستغرق معظم حياتهم. وقد لا نعرف نحن ألوان النشاط التي يكلفها الجن؛ ولكننا نعرف حدود النشاط المطلوب من الإنسان. نعرفها من القرآن من قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ

لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة: ٣٠] ... فهي الخلافة في

الأرض إذن عمل هذا الكائن الإنساني. وهي تقتضي ألواناً من النشاط الحيوي في عمارة الأرض، والتعرف إلى قواها وطاقتها، وذخائرها ومكوناتها، وتحقيق إرادة الله في استخدامها وتميئتها وترقية الحياة فيها. كما تقتضي الخلافة القيام على شريعة الله في الأرض لتحقيق المنهج الإلهي الذي يتناسق مع الناموس الكوني العام.

ومن ثم يتجلى أن معنى العبادة التي هي غاية الوجود الإنساني أو التي هي وظيفة الإنسان الأولى، أوسع وأشمل من مجرد الشعائر؛ وأن وظيفة الخلافة داخلية في مدلول العبادة قطعاً. وأن حقيقة العبادة تتمثل إذن في أمرين رئيسيين:

الأول: هو استقرار معنى العبودية لله ﷻ في النفس. أي استقرار الشعور على أن هناك عبداً ورباً. عبداً يُعبد، ورباً يُعبد. وأن ليس وراء ذلك شيء؛ وأن ليس هناك إلا هذا الوضع وهذا الاعتبار. ليس في هذا الوجود إلا عابد ومعبود؛ وإلا رب واحد والكل له عبيد.

والثاني: هو التوجه إلى الله بكل حركة في الضمير، وكل حركة في الجوارح، وكل حركة في الحياة. التوجه بها إلى الله ﷻ خالصة، والتجرد من كل شعور آخر؛ ومن كل

معنى غير معنى التعبد لله ﷻ. وبهذا وذلك يتحقق معنى العبادة»^(١).

المخالفون:

رجّح خلاف ما رجحه الشنقيطي قلة من المفسرين، منهم:

- ١- الطبري: «... وأولى القولين في ذلك بالصواب؛ القول الذي ذكرنا عن ابن عباس^(٢)، وهو ما خلقت الجن والإنس إلا لعبادتنا والتذلل لأمرنا - فإن قال قائل فكيف كفروا وقد خلقهم للتذلل لأمره؟ قيل إنهم قد تذللوا لقضائه التي قضاه عليهم لأن قضاءه جار عليهم لا يقدرون من الامتناع منه إذا نزل بهم، وإنما خالفه من كفر به في العمل بما أمره به، فأما التذلل لقضائه فإنه غير ممتنع منه»^(٣).
- ٢- البقاعي: «((وما خلقت الجن والإنس)) الذين أكثرهم كافرون ((إلا ليعبدون)) أي لينجروا تحت أفضيتي على وجه ينفعون به أنفسهم أو يضرّونها لا لشيء يلحقني أنا منه شيء من نفع أو ضرر، فإني بنيتهم على العجز وأودعتهم نوازع الهوى، وركبت فيهم غرائز فهيأتهم لاتباع الهدى، فمن أطاع عقله كان عابداً لي فاراً إليّ مع جريه تحت الإرادة، عبادة شرعية أمرية يستفيد بها الثواب، ومن أطاع الهوى كان عابداً لي مع مخالفته أمرية عبادة إرادية قسرية يستحق بها العقاب، وكل تابع لهواه إذا حقق النظر على أن الخير في غير ما هو مرتكبه، فما ألزمه ما هو فيه مع علمه بأن غيره خير منه إلا قهر إرادتي، فهذه عبادة لغوية، وذاك عبادة شرعية،

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٦/٣٣٨٧).

(٢) وقد كان الطبري ذكر قول ابن عباس قريباً قبل قوله «وأولى القولين...» حيث قال: حدثني علي قال: حدثنا أبو صالح، قال: حدثني معاوية عن علي عن ابن عباس: قوله: ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)) إلا ليقروا بالعبودية طوعاً وكرهاً. جامع البيان للطبري (٨/٢٧).

(٣) جامع البيان للطبري (٨/٢٧).

وهذا كله معنى قول ابن عباس^(١) - رضي الله عنهما - : إلا ليقروا لي بالعبادة طوعاً أو كرهاً^(٢).

أما الكثرة الكاثرة من المفسرين فتوقفوا عن ترجيح قول بعينه معنىً للآية، واكتفوا بسرد الأقوال الواردة كلها أو بعضها تحت تفسيرهم للآية، وسأختصر في سرد أسماء المفسرين بذكر المفسر وما ذكره من أقوال بالإحالة إلى رقم القول حيث ورد في مجمل الأقوال الواردة في بداية الموضوع، فمنهم:

- ١- الواحدي^(٣) : ذكر الأقوال رقم (٢+١).
- ٢- البغوي^(٤) : ذكر الأقوال رقم (٥+٤+٣+٢+١).
- ٣- النسفي^(٥) : ذكر الأقوال رقم (٥+٢+١).
- ٤- ابن الجوزي^(٦) : ذكر الأقوال رقم (٣+٢+١).
- ٥- القرطبي^(٧) : ذكر الأقوال رقم (٥+٤+٣+٢+١).
- ٦- الخازن^(٨) : ذكر الأقوال رقم (٥+٤+٣+٢).
- ٧- ابن جزى^(٩) : ذكر الأقوال رقم (٣+١).

(١) وأشرت قريباً إلى قول ابن عباس - رضي الله عنهما - عند ذكر كلام الطبري.

(٢) نظم الدرر للبقاعي (٤٨١/١٨).

(٣) الوجيز للواحدى (١٠٣٢/٢).

(٤) مختصر البغوي (٨٩١/٢).

(٥) مدارك التنزيل للنسفي (١٤٣/٤).

(٦) زاد المسير لابن الجوزي (٢١٤/٧).

(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥٥/١٧).

(٨) لباب التأويل للخازن (٢٠٦/٦).

(٩) التسهيل لابن جزى (١٢٦/٤).

- ٨ - أبوحيان^(١) : ذكر الأقوال رقم (٤+٢+١).
٩ - البيضاوي^(٢) : ذكر الأقوال رقم (٣+١).
١٠ - الثعالبي^(٣) : ذكر الأقوال رقم (٣+٢).
١١ - الشوكاني^(٤) : ذكر الأقوال رقم (٥+٤+٣+٢).
١٢ - القنوجي^(٥) : ذكر الأقوال رقم (٥+٤+٢).

تعقيب الباحث:

بعد هذه الجولة في ما ورد عن المفسرين من أقوال في بيان معنى قوله تعالى :
(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)) واختلافهم في تحديد المراد بقوله ((إلا
ليعبدون))؛ يظهر - والله أعلم - أن الأرجح هو ما ذهب إليه الشيخ الشنقيطي
والموافقون، من أن ((إلا ليعبدون)) معناها: إلا لآمرهم بعبادتي وابتليهم بالتكاليف ثم
أجازيهم على أعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر، يدل لذلك :

١ - الدلالة الواضحة في عدد من آيات القرآن الكريم على إرادة هذا المعنى المذكور -

وهذا من تفسير القرآن بالقرآن - كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ
لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتِ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ

(١) البحر المحيط لأبي حيان (٥٦٢/٩).

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢٣٢/٢).

(٣) جواهر الحسان للثعالبي (٢١٢/٤).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٩٢/٥).

(٥) فتح البيان للقنوجي (٢١١/١٣).

مَنْ بَعَدَ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ»

﴿سورة هود: ١٧﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً

هَٰذَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ﴿سورة الكهف: ١٧﴾، وقوله تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ﴿سورة

الملك: ٢٢﴾، فدللت هذه الآيات المحكمات على أنه - جل وعلا - خلق خلقه ليبليهم أيهم أحسن عملاً، وأنه خلقهم ليجزئهم بأعمالهم، وهذا يفسر قوله هنا ((إلا ليعبدون)) «وخير ما يفسر به القرآن القرآن»^(١).

٢- كثرة المرجحين لهذا القول الراجح، من السلف والخلف؛ دليل قوته، مع قلة المخالفين جداً المرجحين لقول غيره.

٣- أن من قال إن المراد بـ ((إلا ليعبدون)) إلا ليعرفوني، لا يقوى أن يكون معنى للآية، فإن مجرد المعرفة لا تكفي لتحقيق العبودية إذا لم يقارنها توجه بالأعمال التعبدية إلى الله ﷻ.

٤- ومن قال إن ((إلا ليعبدون)) يعني يعبدني السعداء ويعصيني الأشقياء؛ فإنه يدخل من وجوه تحت القول الراجح، وذلك: أن من فهم الحكمة من وجوده وتوجه إلى الله ﷻ خالقه بالعبادة قولاً وعملاً وتصديقاً فهو السعيد في الدنيا والآخرة، ومن ضل عن حكمة وجوده ولم يتوجه بالعبادة إلى الخالق جل وعلا فهو الشقي في الدنيا والآخرة.

أسأل الله ﷻ أن يجعلنا جميعاً من المحققين لمعنى العبودية الصحيح، ويجعلنا من عباده السعداء في الدنيا والآخرة. والله أعلم بالصواب.

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٧/٦٧٤).

دراسة ترجيحات الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه
الله - في تفسيره أضواء البيان



ما هو الطور؟

- ٨٦- قوله تعالى: ﴿ وَالطُّورِ ۝ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ۝ فِي رَقٍ مَّنشُورٍ ۝ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ۝ ﴾ [سورة الطور: ١ - ١٨].

مجمل الأقوال الواردة:

- ١- أن الطور هو الجبل الذي كلم الله ﷺ عليه موسى - ﷺ.
- ٢- أن الطور كل جبل، فكأنه أقسم بجنس الجبال^(١).

ترجيح الشنقيطي:

- قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « والأظهر أن الطور: الجبل الذي كلم الله ﷺ عليه موسى - ﷺ ، وقد أقسم الله تعالى بالطور في قوله: ﴿ وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سَيْنِينَ ۝ ﴾ [سورة التين: ١ - ٢] »^(٢).

الموافقون:

- جمهور المفسرين على أن الطور هو الجبل الذي كلم الله ﷺ عليه موسى - ﷺ ، منهم:

(١) القولان معاً ذكرهما ابن جزى في التسهيل (٤/١٢٨).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٧/٦٨٣).

- ١- الواحدي^(١) .
٢- البغوي^(٢) .
٣- .
النسفي^(٣) .
٤- الزمخشري^(٤) .
٥- ابن الجوزي^(٥) .
٦- القرطبي^(٦) .
٧- الخازن^(٧) .
٨- ابن القيم^(٨) .
٩- المحلي^(٩) .
١٠- الألوسي^(١٠) .
١١- القاسمي^(١١) .
١٢- السعدي^(١٢) .
١٣- سيد قطب^(١٣) .
١٤- ابن عاشور^(١٤) .

١ (الوجيز للواحدي (١٠٣٣/٢) .

٢ (مختصر البغوي (٨٩٢/٢) .

٣ (مدارك التنزيل للنسفي (١٤٤/٤) .

٤ (الكشف للزمخشري (٣٩٨/٤) .

٥ (زاد المسير لابن الجوزي (٢١٥/٧) .

٦ (الجامع لأحكام القرآن القرطبي (٥٨/١٧) .

٧ (لباب التأويل للخازن (٢٠٦/٦) .

٨ (بدائع التفسير لابن القيم (٢٥١/٤) .

٩ (تفسير الجلالين ص (٤٤٢) .

١٠ (روح المعاني للألوسي (٢٦/٢٧) .

١١ (محاسن التأويل للقاسمي (٥٥٤١/١٥) .

١٢ (تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٨١٣) .

١٣ (في ظلال القرآن لسيد قطب (٣٣٩٣/٦) .

١٤ (التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٧/٢٧) .

المخالفون:

- رجح أن المراد بالطور جنس الجبال:
 ١- النيسابوري^(١).
 ٢- أبوحيان^(٢).

تعقيب الباحث:

الظاهر - والله أعلم - أن المراد بالطور هو الجبل الذي كلم الله ﷻ عليه موسى - ﷺ - ، وهذا ما رجحه الشنقيطي والموافقون، يدل لذلك أمور:

١- دلالة آية من القرآن الكريم عليه، وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾

﴿وَطُورٍ سَيْنِينَ﴾ [سورة التين: ١ - ٢] وطور سنين هو الجبل الذي نال

الشرف والمكانة العظيمة بتكليم الله ﷻ نبيه موسى عليه عنده، يقول ابن القيم: « وجبل هذا شأنه حقيق أن يقسم الله ﷻ به وإنه لسيد الجبال »^(٣).

٢- أنه هو ما رجحه « جمهور المفسرين من السلف والخلف » كما صرح بذلك الإمام ابن القيم^(٤).

٣- أن الطور وإن أطلق على كل جبل عند « جمهور علماء اللغة العربية »^(٥)، إلا أنه «

(١) إيجاز البيان للنيسابوري (٢/٢١٣).

(٢) البحر المحیط لأبي حيان (٩/٥٦٦).

(٣) بدائع التفسير لابن القيم (٤/٢٥١).

(٤) المرجع السابق.

(٥) روح المعاني للألوسي (٢٧/٢٦).

غلب علماً على طور سيناء^(١) الذي ناجى فيه موسى - ﷺ - «^(٢). والله أعلم
بالصواب.



(١) قال في معجم البلدان: « طور سيناء، بكسر أو فتح حرف السين، اسم جبل بالشام، وهو الذي كلم الله تعالى عليه موسى بن عمران - ﷺ - » معجم البلدان لياقوت الحموي (المجلد الثالث، ص(١٠٧) + ص (٢٧١).

وفي الموسوعة العربية الميسرة: « الطور: بلدة بمصر، في شبه جزيرة سيناء على خليج السويس، جنوبي غرب جبل موسى » الموسوعة الميسرة بإشراف محمد غربال ص(١١٦٦).
أقول: مدينة الطور يظهر أنها قامت قرب جبل الطور وسميت باسمه، وحسب الحدود السياسية المعاصرة فإنه يقع في داخل حدود جمهورية مصر العربية. انظر أطلس العالم ص(٥٢).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٧/٢٧).

ما هو الكتاب المسطور؟

- ٨٧- قوله تعالى: ﴿ وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ۝٣
وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ
۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ۝٨ ﴾ لسورة
الطور: ١ - ٨.

مجمل الأقوال الواردة:

اختلف في المراد بالكتاب المسطور في قوله تعالى ((وكتاب مسطور)) على

أقوال:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- التوراة.
- ٣- اللوح المحفوظ.
- ٤- صحيفة الأعمال^(١).
- ٥- الإنجيل والزبور.
- ٦- الكتاب الذي فيه أعمال الخلق^(٢).
- ٧- الكتب المنزلة عموماً^(٣).
- ٨- المنتسخ من اللوح المحفوظ للملائكة لتعرف منه جميع ما تفعله وتصرفه في العالم^(٤).

(١) الأقوال (١، ٢، ٣، ٤) ذكرها النيسابوري في إيجاز البيان (٢١٣/٢).

(٢) الأقوال (٥، ٦) ذكرهما أبوحيان في البحر المحيط (٥٦٦/٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٣٩/٤).

(٤) جواهر الحسان للثعالبي (٢١٤/٤).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « والأظهر أن الكتاب المسطور هو القرآن العظيم، وقد أكثر الله ﷻ من الإقسام به في كتابه كقوله تعالى: ﴿ حَمِّ ۖ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ [الزخرف: ١ - ٢، الدخان ١ - ٢]، وقوله تعالى: ﴿ يَسِّ ۖ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾ [سورة يس: ١ - ٢]، وقيل هو كتاب الأعمال، وقيل غير ذلك»^(١).

الموافقون:

الذين ذهبوا - مثل الشنقيطي - إلى أن المراد بالكتاب المسطور القرآن الكريم؛
قلة من المفسرين، منهم:
١- ابن القيم^(٢).
٢- الشوكاني^(٣).
٣- القاسمي^(٤).

المخالفون:

وينقسم المخالفون إلى أكثر من فئة:

- أ- الذين رجّحوا قولاً واحداً فقط من مجمل الأقوال الواردة، ومنهم:
١- الواحدي: «... دواوين الحفظلة التي أثبتت فيها أعمال بني آدم»^(٥).
- ٢- القرطبي: «... صحائف الأعمال»^(١).

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦٨٣/٧).

(٢) بدائع التفسير لابن القيم (٢٥٢/٤).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٩٤/٥).

(٤) محاسن التأويل للقاسمي (٥٥٤١/١٥).

(٥) الوجيز للواحدي (١٥٣٣/٢).

٣- ابن عاشور: « والمراد بـ ((كتاب مسطور، في رق منشور)) التوراة »^(٢).

ب- الفئة الأخرى، وهم الغالبية العظمى من المفسرين الذين لم يرجحوا قولاً واحداً، وإنما ذكروا الأقوال كلها أو بعضها عند تفسير الآية على اعتبار عموم اللفظ لكل ما يذكره من المعاني، منهم:

- ١- الماوردي^(٣).
- ٢- البغوي^(٤).
- ٣- النسفي^(٥).
- ٤- الزمخشري^(٦).
- ٥- النيسابوري: « ((وكتاب مسطور)) القرآن، أو التوراة بسبب الطور، أو اللوح، أو صحيفة الأعمال »^(٧).
- ٦- ابن الجوزي^(٨).
- ٧- الفخر الرازي^(٩).
- ٨- الخازن^(١٠).
- ٩- ابن جزى^(١).

^١ () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/٥٩).

^٢ () التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٧/٣٧).

^٣ () النكت والعيون للماوردي (٥/٣٧٧).

^٤ () مختصر البغوي (٢/٨٩٢).

^٥ () مدارك التنزيل للنسفي (٤/١٤٤).

^٦ () الكشف للزمخشري (٤/٣٩٨).

^٧ () إيجاز البيان للنيسابوري (٢/٢١٣).

^٨ () زاد المسير لابن الجوزي (٧/٢١٦).

^٩ () التفسير الكبير للفخر الرازي (١٠/١٩٩).

^{١٠} () لباب التأويل للخازن (٦/٢٠٦).

- ١٠- أبوحيان: « والكتاب المسطور: القرآن، أو المنتسخ من اللوح المحفوظ، أو التوراة، أو هي الإنجيل والزبور، أو الكتاب الذي فيه أعمال الخلق، أو الصحف التي تعطى يوم القيامة بالآيمان والشمائل »^(٢).
- ١١- ابن كثير: « (وكتاب مسطور) قيل هو اللوح المحفوظ، وقيل الكتب المنزلة المكتوبة التي تقرأ على الناس جهاراً، ولذا قال ((في رق منشور)) »^(٣).
- ١٢- المحلي^(٤).
١٣- الثعالبي^(٥).
- ١٤- الألوسي^(٦).
١٥- القنوجي^(٧).
- ١٦- السعدي: « (وكتاب مسطور) يحتمل أن المراد به اللوح المحفوظ، الذي كتب الله به كل شيء. ويحتمل أن المراد به القرآن الكريم، الذي هو أفضل كتاب، أنزله الله ﷻ محتوياً على نأ الأولين والآخرين، وعلوم السابقين واللاحقين »^(٨).
- ١٧- سيد قطب^(٩).
- ذكرتُ كلام من ذكرت اختصاراً وبعداً عن التكرار ولوضوح عباراتهم.

١ (التسهيل لابن جزي (٤/١٢٨).

٢ (البحر المحيط لأبي حيان (٩/٥٦٦).

٣ (تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٢٣٩).

٤ (تفسير الجلالين ص(٤٤٢).

٥ (جواهر الحسان للثعالبي (٤/٢١٤).

٦ (روح المعاني للألوسي (٢٧/٢٧).

٧ (فتح البيان للقنوجي (١٣/٢١٨).

٨ (تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٨١٣).

٩ (في ظلال القرآن لسيد قطب (٦/٣٣٩٣).

تعقيب الباحث:

قبل أن أرجح في هذا الموضوع أحب أن أعرض لك - عزيزي القارئ - ما ذكره بعض المفسرين من أدلة على بعض الأقوال:

١- من أيدوا أن الكتاب المسطور يراد به القرآن الكريم استدلوا بعدة أمور:

أ - أن الله ﷻ قد أقسم في عدد من الآيات بهذا القرآن الكريم، « كقوله تعالى:

﴿ حَمِّ وَالْكِتَابِ الْمُمِينِ ﴾ [الزخرف: ١- ٢، الدخان: ١-

٢٢]، وقوله تعالى: ﴿ يَسَّ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾ [سورة يس:

١- ٢٢]»^(١).

ب- يقول ابن القيم - في معرض ترجيحه أن المراد بالكتاب المسطور القرآن الكريم -:

«... وقيل هو القرآن الكريم؛ ولعل هذا أرجح الأقوال؛ لأنه سبحانه وصف القرآن

بأنه: ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴾ [بأيدى سفرة

﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ [سورة عبس: ١٣- ١٦] فالصحف هي الرق، وكونه

بأيدى سفرة هو كونه منشوراً، وعلى هذا فيكون قد أقسم بسيد الجبال وسيد الكتب.

ويكون ذلك متضمناً للنبوتين العظمتين؛ نبوة موسى ونبوة محمد عليهما الصلاة

والسلام، ثم أقسم بسيد البيوت وهو البيت المعمور»^(٢).

ج- لقد ورد في الآيات الطور والبيت المعمور معرفان بأل، وأما ((كتاب مسطور))

جاء نكرة، وقد استدلت المفسرون بهذا التنكير على أن المراد به القرآن الكريم،

فإنه قد « نكر لأنه كتاب مخصوص من بين سائر الكتب »^(٣)، ويقول الفخر

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦٨٣/٧).

(٢) بدائع التفسير لابن القيم (٢٥٢/٤).

(٣) مدارك التنزيل للنسفي (١٤٤/٤)، الكشف للزمخشري (٣٩٨/٤)، فتح البيان للفتوحجي

الرازي: « ما الحكمة في تنكير الكتاب وتعريف باقي الأشياء؟ نقول ما يحتمل الخفاء من الأمور الملتبسة بأمثالها من الأجناس يعرف باللام، فيقال رأيت الأمير ودخلت على الوزير، فإذا بلغ الأمير الشهرة بحيث يؤمن الالتباس مع شهرته، ويريد الواصف وصفه بالعظمة، يقول اليوم رأيت أميراً ماله نظير جالساً وعليه سيما الملوك وأنت تريد ذلك الأمير المعلوم، والسبب فيه أنك بالتنكير تشير إلى أنه خرج عن أن يعلم ويعرف بكنه عظمته. وهنا الطور ليس في الشهرة بحيث يؤمن اللبس عند التنكير، وكذلك البيت المعمور، وأما الكتاب الكريم فقد تميز عن سائر الكتب، بحيث لا يسبق إلى أفهام السامعين من النبي ﷺ لفظ الكتاب إلا ذلك، فلما أمن اللبس وحصلت فائدة التعريف سواء ذكر باللام أو لم يذكر قصداً للفائدة الأخرى وهي في الذكر بالتنكير، وفي تلك الأشياء لما لم تحصل فائدة التعريف إلا بآلة التعريف استعملها»^(١)، « ففي التنكير كمال التعريف والتنبيه على أن ذلك الكتاب لا يخفى نكر أو عرف»^(٢).

٢- الذين آيدوا أن الكتاب المسطور ربما يصح أن يراد به التوراة؛ استدلوا بذكر الطور قبله، « التوراة بسبب الطور»^(٣)، « والكتاب المسطور في رق منشور، الأقرب أن يكون هو كتاب موسى - ﷺ - الذي كتب له في الألواح، للمناسبة بينه وبين الطور□»^(٤)، « والقسم بالطور توطئة للقسم بالتوراة التي أنزل أولها على موسى

(١٣/٢١٨).

(١) (التفسير الكبير للفخر الرازي (١٠/١٩٩).

(٢) (روح المعاني للألوسي (٢٧/٢٧).

(٣) (إيجاز البيان للنيسابوري (٢/٢١٣).

(٤) (في ظلال القرآن لسيد قطب (٦/٣٣٩٣).

- التَّكْوِيرِ - في جبل الطور»^(١).

٣- وأما أنه قد يراد بالكتاب المسطور: اللوح المحفوظ فيؤيده ما بعده «... وقيل: هو اللوح المحفوظ تمشياً مع ما بعده: البيت المعمور، والسقف المرفوع»^(٢).

٤- أما احتمال أن يراد به « صحائف الأعمال؛ فمن أخذ كتابه بيمينه ومن أخذ كتابه بشماله، فنظيره قوله تعالى: ﴿ وَخُزِّجْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ

مَنْشُورًا ﴾ [سورة الإسراء: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُزِّلَتْ

﴿ [سورة التكوير: ١٠] ﴾^(٣).

٥- أبوحيان رجح أن اللفظ يجب أن يحمل على العموم، فإنه - بعد أن استعرض الأقوال المحتملة في المراد بالكتاب المسطور- قال: « ولا ينبغي أن يحمل شيء منها على التعيين، وإنما تورد على الاحتمال»^(٤).

والذي يظهر لي - والله أعلم - تأييد ما قاله الإمام أبوحيان. والله أعلم بالصواب.



معنى قوله تعالى ﴿ عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ ﴾

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٧/٣٧).

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب (٦/٣٣٩٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/٥٩) حكاه عن الفراء.

(٤) البحر المحیط لأبي حيان (٩/٥٦٦)..

٨٨ - قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ

لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٤٧﴾ [سورة الطور: ٤٧].

مجمل الأقوال الواردة:

- ١ - أنه عذاب القتل يوم بدر.
- ٢ - أنه عذاب القبر.
- ٣ - مصائبهم في الدنيا.
- ٤ - عذاب الجوع^(١).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « الظاهر أن قوله ((عذاباً دون ذلك)) هو ما عذبوا به في دار الدنيا من القتل وغيره، لما دل على ذلك قوله ﴿ وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ﴾ [سورة السجدة: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿ قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ [سورة التوبة: ١٤] إلى غير ذلك من الآيات. ولا مانع من دخول عذاب القبر في ذلك، لأنه قد يدخل في ظاهر الآية، وما قيل في معنى الآية غير هذا لا يتجه عندي. والعلم عند الله تعالى^(٢) »

إذاً الشيخ الشنقيطي يرى أن ((عذاباً دون ذلك)) يصح أن يراد به ما عذب به الكفار من القتل ببدر ونحوه، أو ما يرقوه من عذاب القبر.

(١) (الأقوال الأربعة ذكرها ابن الجوزي مجتمعة في زاد المسير (٧/٢٢٤).

(٢) (أضواء البيان للشنقيطي (٧/٦٩٥).

الموافقون :

- إلى مثل ما ذهب إليه الشنقيطي ذهب كل من :
- ١- ابن القيم : « (وإن للذين ظلموا عذاباً بدون ذلك) وهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا، وأن يراد به عذابهم في البرزخ؛ وهو أظهر؛ لأن كثيراً منهم مات ولم يعذب في الدنيا. وقد يقال - وهو أظهر - أن من مات منهم عذب في البرزخ، ومن بقي منهم عذب في الدنيا بالقتل وغيره، فهو وعيد بعذابهم في الدنيا وفي البرزخ»^(١).
 - ٢- السعدي : « لما ذكر الله ﷻ عذاب الظالمين في القيامة، أخبر أن لهم عذاباً دون عذاب يوم القيامة، وذلك شامل لعذاب الدنيا، بالقتل والسبي والإخراج من الديار، ولعذاب البرزخ والقبر»^(٢).

المخالفون :

- المخالفون هنا على فئات :
- أ- الذين حملوا الآية على إرادة المعاني الأربعة المذكورة في مجمل الأقوال « القتل بيدر ونحوه، عذاب القبر، المصائب في الدنيا، القحط »، منهم :
 - ١- ابن الجوزي^(٣).
 - ٢- القرطبي^(٤).
 - ب- أبو حيان^(٥).

(١) بدائع التفسير لابن القيم (٤/٢٦٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٨١٨).

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٧/٢٢٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/٧٨).

(٥) البحر المحيط لأبي حيان (٩/٥٧٧).

- ٤- الثعالبي^(١). ٥- الشوكاني^(٢). ٦- القنوجي^(٣).

ب- الذين حملوا الآية على إرادة ثلاثة من المعاني المذكورة في مجمل الأقوال، وهؤلاء
نوعان:

النوع الأول: الذين حملوا على أن المراد بالعذاب: « القتل بيد
ونحوه وعذاب القبر، والقحط»، وهم:

- ١- البغوي^(٤). ٢- النسفي^(٥). ٣- الزمخشري^(٦).
٤- الخازن^(٧). ٥- ابن جزى^(٨). ٦- البيضاوي^(٩).
٧- البقاعي^(١٠).

النوع الثاني: الذين حملوا على أن المراد بالعذاب: « عذاب القبر، والمصائب في الدنيا،
والقحط»، وهم:

- ١ () جواهر الحسان للثعالبي (٢٢١/٤).
٢ () فتح القدير للشوكاني (١٠٢/٥).
٣ () فتح البيان للقنوجي (٢٣٧/١٣).
٤ () مختصر البغوي (٨٩٦/٢).
٥ () مدارك التنزيل للنسفي (١٤٧/٤).
٦ () الكشف للزمخشري (٤٠٤/٤).
٧ () لباب التأويل للخازن (٢١١/٦).
٨ () التسهيل لابن جزى (١٣٤/٤).
٩ () أنوار التنزيل للبيضاوي (٢٣٤/٢).
١٠ () نظم الدرر للبقاعي (٣٦/١٩).

٣- القاسمي^(٣).

٢- الماوردي^(٢).

١- الطبري^(١).

ج- الذين حملوا الآية على إرادة معنيين من المعاني المذكورة في مجمل الأقوال « القتل

بدر ونحوه والقحط » - يعني غير ما رجحهما الشنقيطي - وهم:

١- المحلي^(٤).
٢- ابن عاشور^(٥).

د- الذين حملوا الآية على إرادة معنى واحد فقط، وهم:

١- الواحدي: «... وهو الجوع والقحط سبع سنين»^(٦).

٢- ابن كثير: «أي نعذبهم نبتليهم بالمصائب»^(٧).

تعقيب الباحث:

الظاهر - والله أعلم - أن الراجح هنا حمل الآية على جميع المعاني

المذكورة، يدل لذلك أمور:

١- أن ذكر جميع المعاني أو معظمها هو ما سار عليه الغالبية العظمى من

^١ () جامع البيان للطبري (٢٧/٢٢).

^٢ () النكت والعيون للماوردي (٥/٣٨٦).

^٣ () محاسن التاويل للقاسمي (١٥/٥٥٤٩).

^٤ () تفسير الجلالين ص (٤٤٤).

^٥ () التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٧/٨٢).

^٦ () الوجيز للواحدي (٢/١٠٣٧).

^٧ () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٢٤٥).

المفسرين ، وهذا أشبه أن يكون إجماعاً منهم على صحة حمل الآية على جميع المعاني الواردة.

٢- التصريح من بعض المفسرين بصحة حمل الآية على الجميع، يقول الطبري: «□ ولم يخص الله ﷻ نوعاً من ذلك أنه لهم دون يوم القيامة دون نوع بل عمّ، فقال ((وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك)) فكل ذلك لهم عذاب، وذلك لهم دون يوم القيامة»^(١)، والثعالبي يقول: «... يحتمل أن يكون المراد الجميع»^(٢)، ويقول القاسمي «اللفظ صادق بالجميع»^(٣).

وعوداً على بدء فلا مانع من أن يراد بالعذاب الذي دون يوم القيامة أي نوع من الأنواع المذكورة؛ فكلها أنواع عذاب تقع على الكفرة. والله أعلم بالصواب.



^١ () جامع البيان للطبري (٢٧/٢٢).

^٢ () جواهر الحسان للثعالبي (٤/٢٢١).

^٣ () محاسن التأويل للقاسمي (١٥/٥٥٤٩).

المراد بالنجم في قوله تعالى ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾

- ٨٩- قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ سورة النجم: ١ - ٤].

مجملة الأقوال الواردة:

- اختلف في تعيين المراد بالنجم في قوله تعالى ((والنجم إذا هوى)) على أقوال:
- ١- أن المراد بها نجوم القرآن الكريم، لأنه كان ينزل نجوماً، أي مفرقاً.
 - ٢- أن المراد به جنس النجوم.
 - ٣- أن يراد به نوعاً معيناً من النجوم وهو الثريا^(١).
 - ٤- أن يراد به نوعاً معيناً من النجوم وهو الزهرة^(٢).
 - ٥- أن يراد به نوعاً معيناً من النجوم وهو الشعري^(٣).
 - ٦- أن يراد به نوعاً معيناً من النجوم وهو الشهب التي ترمي على الشياطين مسترقي السمع^(٤).
 - ٧- أن المراد بالنجم: النبات الذي لا ساق له.

(١) الأقوال (١، ٢، ٣) ذكرها ابن جزى في التسهيل (٤/١٣٥).

(٢) ذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٤/٢٤٦).

(٣) ذكره سيد قطب في ظلال القرآن الكريم (٦/٣٤٠٦).

(٤) ذكره ابن القيم في بدائع التفسير (٤/٢٧٤).

٨ - أن النجم: محمد ﷺ^(١).

٩ - أن المراد: الصحابة رضوان الله عليهم^(٢).

١٠ - أن المراد: العلماء^(٣).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « أظهر الأقوال عندي وأقربها للصواب في نظري، أن المراد بالنجم إذا هوى هنا في هذه السورة، وبمواقع النجوم في الواقعة^(٤)، هو نجوم القرآن الكريم الذي نزل بها الملك نجماً فنجماً، وذلك لأمرين:

أحدهما: أن هذا الذي أقسم الله ﷻ عليه بالنجم إذا هوى، الذي هو أن النبي ﷺ على حق وأنه ما ضل وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، موافق في المعنى لما

أقسم عليه بمواقع النجوم، وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي

كِتَابٍ مَّكُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمْسُهُرُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٍ مِّن

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ [سورة الواقعة: ٧٧ - ٨٠] والإقسام بالقرآن على

صحة رسالة النبي ﷺ وعلى صدق القرآن العظيم وأنه منزل من الله ﷻ؛ جاء

موضحاً في آيات من كتاب الله ﷻ، كقوله تعالى: ﴿ يَسْ ﴿٧٥﴾ وَالْقُرْآنَ

^(١) (القولان (٧، ٨) ذكرهما الشوكاني في فتح القدير (١٠٥/٥).

^(٢) (ذكره أبوحيان في البحر المحيط (٩/١٠).

^(٣) (ذكره الألويسي في روح المعاني (٤٤/٢٧).

^(٤) (هو قوله تعالى: ﴿ ﴿٧٥﴾ فَلَآ أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ [سورة الواقعة: ٧٥].

الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

﴿٤﴾ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ ﴿سورة يس: ١ - ٥﴾، وقوله تعالى:

﴿حَمَّ وَإِنَّهُ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ فِي أَمْرِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلٌّ

حَكِيمٌ ﴿٧﴾ ﴿سورة الزخرف: ١ - ٤﴾، وخير ما يفسر به القرآن القرآن.

والثاني: أن كون المقسم به المعبر عنه بالنجوم، هو القرآن العظيم أنسب، لقوله بعده ﴿

وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴿سورة الواقعة: ٧٦﴾، لأن

هذا التعظيم من الله ﷻ يدل على أن هذا المقسم به في غاية العظمة.

ولاشك أن القرآن الكريم الذي هو كلام الله ﷻ أنسب لذلك من نجوم السماء

ونجم الأرض. والعلم عند الله تعالى ﴿١﴾.

الشيخ الشنقيطي يرجح إذاً أن المراد بالنجم في قوله تعالى ((والنجم إذا هوى)):

نجم القرآن، يعني الجملة النازلة من القرآن الكريم، فإنه نزل على النبي ﷺ أنجماً منجماً في ثلاثة وعشرين عاماً.

ولم أجد في هذا الموضوع من ذهب إلى مثل ما ذهب إليه الشنقيطي، وعليه فلا

يوجد هنا موافقون.

المخالفون:

وهم أكثرية من المفسرين فسروا الآية بخلاف ما فسره الشنقيطي، ويمكن

تقسيمهم إلى فئات:

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٧٠١/٧).

- أ- من حملوا لفظ النجم على واحد فقط من المعاني الواردة، منهم:
- ١- الطبري: « والصواب من القول في ذلك عندي: أنه عنى بالنجم في هذا الموضع الثريا، وذلك أن العرب تدعوها النجم »^(١).
 - ٢- المحلي^(٢): [مثل الطبري].
 - ٣- الشوكاني: « قوله تعالى ((والنجم إذا هوى)) التعريف للجنس، والمراد به جنس النجوم، وبه قال جماعة من المفسرين. ثم ذكر أقوالاً أخرى وقال بعدها: [والأول أولى]^(٣).
 - ٤- ٥- ٦- ٧ القنوجي^(٤)، القاسمي^(٥)، السعدي^(٦)، وابن عاشور^(٧): [مثل الشوكاني].
 - ٨- سيد قطب: « وأقرب ما يرد على الذهن أنها إشارة إلى الشعري، التي كان بعضهم يعدها، والتي ورد ذكرها في السورة فيما بعد قوله: ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ﴾ [سورة النجم: ٤٩] »^(٨).

ب- الذين حملوا لفظ النجم على اثنين أو أكثر من المعاني الواردة على اعتبار أن كل ما

^١ () جامع البيان للطبري (٢٤/٢٧).

^٢ () تفسير الجلالين ص (٤٤٤).

^٣ () فتح القدير للشوكاني (١٠٥/٥).

^٤ () فتح البيان للقنوجي (٢٤٣/١٣).

^٥ () محاسن التأويل للقاسمي (٥٥٥٤/١٥).

^٦ () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٨١٨).

^٧ () التحرير والتنوير لابن عاشور (٨٩/٢٧).

^٨ () في ظلال القرآن لسيد قطب (٣٤٠٦/٦).

أوردوه يصح اعتباره تفسيراً للفظ النجم في الآية، وسأذكر كلام بعضهم وأحيل إلى البقية اختصاراً؛ فمنهم:

١- الواحدي: « ((والنجم إذا هوى)) أي والثريا إذا سقطت، وقيل: القرآن إذا نزل متفرقاً نجومًا »^(١).

٢- النسفي: « ((والنجم)) أقسم بالثريا أو بجنس النجوم ((إذا هوى)) إذا غرب أو انتثر يوم القيامة »^(٢).

٣- ابن الجوزي: «... وفي المراد بالنجم خمسة أقوال: أحدها: أنه الثريا.

الثاني: الرجوم من النجوم، يعني ما يرمى به الشياطين.

الثالث: أنه القرآن نزل نجومًا متفرقة.

الرابع: نجوم السماء كلها.

الخامس: أنها الزهرة.

فعلى قول من قال: النجم الثريا؛ يكون (هوى) بمعنى: غاب. ومن قال: هو

الرجوم؛ يكون هويها في رمي الشياطين. ومن قال: القرآن يكون معنى (هوى): نزل. ومن

قال: نجوم السماء كلها: ففيه قولان:

أحدهما: أن هويها أن تغيب. والثاني: أن تنتثر يوم القيامة »^(٣).

٤- ابن جزي: « ((والنجم إذا هوى)) فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الثريا؛ لأنها غلب عليها التسمية بالنجم، ومعنى هوى غرب وانتثر يوم القيامة.

الثاني: أنه جنس النجوم، ومعنى هوى كما ذكرنا؛ أو انقضت ترجم الشياطين.

الثالث: أنه من نجوم القرآن وهي الجملة التي تنزل، و (هوى) على هذا معناه

(١) الوجيز للواحدى (٢/١٠٣٨).

(٢) مدارك التنزيل للنسفي (٤/١٤٧).

(٣) زاد المسير لابن جزي (٧/٢٢٧).

نزل □ ﴿١﴾.

- ٥- البيضاوي: « ((والنجم إذا هوى)) أقسم بجنس النجوم، أو الثريا فإنه غلب لها. إذا غرب أو انشر يوم القيامة أو انقضَّ أو طلع، فإنه يقال هوى هويًا بالفتح إذا سقط وغرب، وهويًا بالضم إذا علا وصعد. أو بالنجم من نجوم القرآن إذا نزل. أو النبات إذا سقط على الأرض، أو إذا نما وارتفع »^(٢).
- ٦- البقاعي: «... أقسم أول هذه السورة بالنجم، وعبر بعبارة تفهم عروجه وصعوده، لأنه لا يغيب في الأفق الغربي واحد من السيارة إلا وطلع من الأفق الشرقي في نظير له منها لما يكون عند ذلك من تلك العبارة العالية، والأذكار الزاكية، مع ما فيه من عجيب الصنع الدال على وجدانية مبدعه من زينة السماء التي فهيا ما توعدون والحراسة من المردة حفظاً لنجوم الكتاب والاهتداء به في الدين والدنيا، وغير ذلك من الحكم التي يعرفها الحكماء، فقال تعالى: ((والنجم)) أي هذا الجنس من نجوم السماء، أو القرآن لنزوله منجماً مفرقاً - وهم يسمّون التفريق تنجيماً - أو النبات ((إذا هوى)) أي نزل للأفول أو لرجم الشياطين عند الاستراق، إن كان المراد السمائي، فكانت عنده العبادة والاستغفار والدعاء للملك الجبار بالأسحار، أو صعد فكان به اهتداء المصلي والقارئ والساري، فإنه يقال هوى هويًا - بالفتح - إذا سقط، و- بالضم - إذا علا وصعد. أو نزل به الملك للإسعاد^(٣) وللإبعاد إن كان المراد القرآني لما يحصل من البركات في الدين والدنيا والشرح للصدور، والاطلاع على عجائب المقدور. أو إذا سقط منبسطة على الأرض أو ارتفع عنها إن كان المراد النبات، لما فيه من غريب الصنعة وجليل التقدير الدال على عام القدرة

^١ () التسهيل لابن جزي (١٣٥/٤).

^٢ () أنوار التنزيل للبيضاوي (٢٣٥/٢).

^٣ () في الأصل قال (للإسعاد) بالصاد، ويظهر لي أنه خطأ مطبعي، والصحيح ما أثبتّه بالسين. والله أعلم.

وكمال العلم والتوحد بالملك والغنى المطلق»^(١).

ونحواً من أقوال من ذكرت جاءت أقوال غيرهم ومنهم: الماوردي^(٢)،
والبغوي^(٣)، والزحشري^(٤)، والنيسابوري^(٥)، والقرطبي^(٦)، والحازن^(٧)، وابن القيم^(٨)،
القيم^(٨)، وأبوحيان^(٩)، وابن كثير^(١٠)، والثعالبي^(١١)، والألوسي^(١٢).

تقيب الباحث:

الذي يظهر - والله أعلم - صحة حمل لفظ النجم في قوله تعالى ((والنجم إذا هوى)) على أن يراد به الجملة النازلة من القرآن الكريم أو جنس النجوم عموماً مع احتمال إرادة أفراد النجوم المذكورة في الأقوال (٣، ٤، ٥، ٦)، وهالك أدلة على ذلك:

^١ (نظم الدرر للبقاعي (١٩/٤١).

^٢ (النكت والعيون للماوردي (٥/٣٨٩).

^٣ (مختصر البغوي (٢/٨٩٧).

^٤ (الكشاف للزحشري (٤/٤٠٧).

^٥ (إيجاز البيان للنيسابوري (٢/٢١٥).

^٦ (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/٨٢).

^٧ (لباب التأويل للحازن (٦/٢١٢).

^٨ (بدائع التفسير لابن القيم (٤/٢٧٣).

^٩ (البحر المحيط لأبي حيان (١٠/٩).

^{١٠} (تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٢٤٦).

^{١١} (جواهر الحسان للثعالبي (٤/٢٢٢).

^{١٢} (روح المعاني للألوسي (٢٧/٤٤).

١ - يقول الشيخ الشنقيطي في استدلاله على أن لفظ النجم يراد به الجملة النازلة من القرآن الكريم: «... يدل على ذلك أمران:

أحدهما: أن هذا الذي أقسم الله ﷻ عليه بالنجم إذا هوى؛ الذي هو أن النبي ﷺ على حق وأنه ما ضل وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، موافق في المعنى لما أقسم عليه بمواقع النجوم، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ

﴿٧٨﴾ لسورة الواقعة: ٧٧ - ١٨٠.

والإقسام بالقرآن الكريم على صحة رسالة النبي ﷺ وعلى صدق القرآن العظيم وأنه منزل من الله ﷻ، جاء موضعاً في آيات من كتاب الله ﷻ، كقوله تعالى

﴿يَسَ ١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣﴾

عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ١ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ٢ ﴿ لسورة

يس: ١ - ١٥، وقوله تعالى: ﴿حَم ١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢﴾ إِنَّا

جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٢ ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ

الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ١ ﴿ لسورة الزخرف: ١ - ١٤، وخير

ما يفسر به القرآن القرآن.

والثاني: أن كون المقسم به المعبر عنه بالنجوم هو القرآن العظيم أنسب لقوله بعده ﴿وَإِنَّهُ

لَقَسَمٌ لِّوَلَّيْتُمْ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ١﴾ لسورة الواقعة: ١٧٦. لأن هذا التعظيم

من الله ﷻ يدل على أن هذا المقسم به في غاية العظمة.

ولا شك أن القرآن الذي هو كلام الله ﷻ أنسب لذلك من نجوم السماء ونجوم الأرض، والعلم عند الله تعالى»^(١).

٢- الإمام ابن القيم رغم أنه رجح أن المراد بها النجوم التي تُرمى بها الشياطين إذا سقطت في آثارها عند استراق السمع، إلا أنه ربط بين إرادة هذا المعنى وإرادة معنى نجوم القرآن الكريم؛ أي الجملة النازلة منه، فبعد أن ذكر أن النجم يراد به النجوم التي ترمى بها الشياطين إذا سقطت في آثارها عند استراق السمع، قال: «□ وهو أظهر الأقوال، ويكون سبحانه قد أقسم بهذه الآية الظاهرة المشاهدة التي نصبها الله سبحانه آية وحفظاً للوحي من استراق الشياطين له على أن ما أتى به رسوله حق وصدق، لا سبيل للشيطان ولا طريق له إليه، بل قد أحرس بالنجم إذا هوى رسداً بين يدي الوحي وحرساً له، وعلى هذا فالارتباط بين المقسم به والمقسم عليه في غاية الظهور، وفي المقسم به دليل على المقسم عليه. وبين المقسم به والمقسم عليه من التناسب ما لا يخفى، فإن النجوم التي ترمى بها الشياطين آيات من آيات الله ﷻ، يحفظ بها دينه ووحيه وآياته المنزلة على رسوله، بها ظهر دينه وشرعه وأسماؤه وصفاته، وجعلت هذه النجوم المشاهدة خدماً وحرساً لهذه النجوم الهاوية»^(٢).

٣- في حين أن الإمام البقاعي زاد على إرادة نجوم السماء وبالذات الشهب لحفظها لنجوم القرآن الكريم النازلة، نجوم الأرض وهو النبات؛ لما فيه من الدلالة على عجيب صنع الله ﷻ. وقد ذكرت كلام البقاعي قبل قليل تحت فقرة (المخالفون).

٤- وما يدل على إرادة أنواع معينة من النجوم أيضاً، ما ورد في هذه السورة نفسها، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ [سورة النجم: ٤٩].

٥- ومن أدلة إرادة عموم النجوم، قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَتْ وَيَالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [سورة النحل: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٧١/٧).

(٢) بدائع التفسير لابن القيم (٤/٢٧٥).

أُنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ ﴿سورة التكويد: ١٢﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ

أَنْتَثَرَتْ ﴿٢﴾ ﴿سورة الانفطار: ١٢﴾. ونحوها.

٦- أما ما عدا ذلك من الأقوال فليس له من الأدلة ما يرجحه ويقويه. والله أعلم بالصواب.



معنى ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴾

٩٠- قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴿٤٦﴾ [سورة النجم: ٤٥-٤٦].

مجمل الأقوال الواردة:

- ١- ((من نطفة إذا تمنى)) أي تصب في الرحم، يقال: منى الرجل وأمْنَى.
- ٢- ((من نطفة إذا تمنى)) أي تقدّر، يقال: منيت الشيء إذا قدرته^(١).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه خلق الزوجين أي النوعين الذكر والأنثى من نطفة، وهي نطفة المنى إذا تمنى؛ أي تصب وتراق في الرحم، على أصح القولين.

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾ ﴿٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ

نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ [سورة الواقعة: ٥٨ - ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِّنْ

مَنَى يُمْنَى ﴾ ﴿٤٦﴾ لسورة القيامة: ٣٧، والعرب تقول: أمنى الرجل ومنى إذا أراق المنى وصبه^(٢).

وقال بعض العلماء: من نطفة إذا تمنى أي تقدّر، بأن يكون الله ﷻ قدر أن ينشأ

^١ (القولان ذكرهما البغوي، مختصر البغوي (٩٠١/٢).

^٢ (انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي ص(١٧٢١). باب الواو والياء، فصل الميم.

منها حمل، من قول العرب، منى الماني إذا قدر^(١) «^(٢)».

الشيخ الشنقيطي يرى أن معنى ((من نطفة إذا تمنى)): أي تصب وتراق في

الرحم.

الموافقون :

ذهب إلى مثل ما ذهب إليه الشنقيطي عدد قليل من المفسرين، منهم :

- ١- الطبري: « وقوله ((من نطفة إذا تمنى)).. يقول تعالى ذكره خلق ذلك من نطفة إذا أمناء الرجل والمرأة^(٣)».
- ٢- الواحدي: « ((إذا تمنى)) أي تصبّ في الرحم^(٤)».
- ٣- النسفي: « ((إذا تمنى)) إذا تدفق في الرحم، يقال منى وأمنى^(٥)».
- ٤- المحلي: « ((إذا تمنى)) يصب في الرحم^(٦)».
- ٥- البقاعي: « ((وأنه خلق الزوجين)) ثم فسرها بقوله « الذكر والأنثى » فإنه لو كان ذلك في غيره لمنع البنات لأنها مكروهة لكل أحد، ثم ذكر ما يظهر ولا بد أنه من صنعة فتسبب أن مادة الاثنين واحدة وهو الماء الذي هو أشد الأشياء امتزاجاً، فقال ((من نطفة)) وصور كونها منها بقوله ((إذا تمنى)) أي تراق وتدفق بالفعل لا قبل ذلك ليتمكن فيه طعن بأنه كان بدوًا أو غيره بل أنتم تعلمون أنه لا يخلق الولد إلا بعد

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٧/٧١١).

(٣) جامع البيان للطبري (٢٧/٤٤).

(٤) الوجيز للواحدى (٢/١٠٤٣).

(٥) مدارك التنزيل للنسفي (٤/١٥١).

(٦) تفسير الجلالين ص (٤٤٦).

الإيماء بالفعل»^(١).

وبنحو هذا قد قال كل من: ابن جزي^(٢)، وابن كثير^(٣)، والقاسمي^(٤)، وسيد قطب^(٥)، وابن عاشور^(٦).

المخالفون:

لم يجزم أحد من المفسرين بترجيح القول الآخر؛ المخالف لما رجحه الشنقيطي، وإنما - غير الموافقين - قد ذكروا القولين كليهما عند بيانهم لمعنى الآية على اعتبار صحة حمل الآية على كلا المعنيين، منهم:

- ١- الماوردي: « ((من نطفة إذا تمنى)) وجهان:
أحدهما: إذا تخلق وتقدر. الثاني: إذا نزلت في الرحم »^(٧).
- ٢- البغوي^(٨).
٣- الزمخشري^(٩).
- ٤- النيسابوري: « ((إذا تمنى)) تُسال وتُصب، أو تخلق وتقدر »^(١٠).

^١ () نظم الدرر للبقاعي (٧٥/١٩).

^٢ () التسهيل لابن جزي (١٤١/٤).

^٣ () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٥٩/٤).

^٤ () محاسن التأويل للقاسمي (٥٥٨٧/١٥).

^٥ () في ظلال القرآن لسيد قطب (٣٤١٧/٦).

^٦ () التحرير والتنوير لابن عاشور (١٤٥/٢٧).

^٧ () النكت والعيون للماوردي (٤٠٥/٥).

^٨ () مختصر البغوي (٩٠١/٢).

^٩ () الكشف للزمخشري (٤١٧/٤).

^{١٠} () إيجاز البيان للنيسابوري (٢١٨/٢).

- ٥- ابن الحوزي^(١).
٧- القرطبي^(٢).
٩- أبو حيان^(٣).
١١- الشوكاني^(٤).
١٣- القنوجي^(٥).
- ٦- الفخر الرازي^(٦).
٨- الخازن^(٧).
١٠- البيضاوي^(٨).
١٢- الألوسي^(٩).

واختصرت في ذكر أقوال المفسرين بعداً عن التكرار، ولأن كلامهم لا يخرج عن أقوال المذكورين.

تعقيب الباحث:

يظهر - والله أعلم - أن الراجح تفسير لفظ ((إذا تمنى)) أي تُصب وتُراق في الرحم، يدل لذلك:

- ١- دلالة آيات أخرى على معنى الصب والإراقة، كقوله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ

^١ (زاد المسير لابن الحوزي (٢٣٩/٧).

^٢ (التفسير الكبير للكبير للفخر الرازي (٢٨١/١٠).

^٣ (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١٨/٠١٧).

^٤ (لباب التأويل للخازن (٢٢٤/٦).

^٥ (البحر المحيط لأبي حيان (٢٥/١٠).

^٦ (أنوار التنزيل للبيضاوي (٢٣٧/٢).

^٧ (فتح القدير للشوكاني (١١٦/٥).

^٨ (روح المعاني للألوسي (٦٨/٢٧).

^٩ (فتح البيان للقنوجي (٢٧٥/١٣).

﴿ ٥٨ ﴾ **ءَأَنْتُمْ خَلَقْتُمْهُ** أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿ ٥٨ ﴾ [سورة الواقعة: ٥٨ -

٥٩]، وقوله تعالى: ﴿ **الْمَرِيكَ نُطْفَةً مِّن مَّيِّ يُمْنِي** ﴾ [سورة القيامة:

١٣٧]، فيحمل اللفظ في محل النزاع على ما حمل ما يشبهه من الآيات، وهذا من باب تفسير القرآن بالقرآن، الذي هو أحسن وأقوى أنواع التفسير^(١).

٢- اتفاق عدد كبير من المفسرين عليه قديماً وحديثاً، وهذا يشبه أن يكون إجماعاً منهم عليه.

٣- كون القول الآخر لم يجزم بترجيحه أحد من المفسرين.

٤- أن القول الآخر وهو أن ((تمنى)) يعني: تقدّر؛ وإن كان صحيحاً من ناحية اللغة إلا أن تفسير ((إذا تمنى)) أي تصب وتراق أولى لما سبق بيانه قريباً من تفسير القرآن بالقرآن.

٥- فائدة جلييلة: اتفاق على ذكرها عدد من المفسرين بعبارات متنوعة:

الفخر الرازي: « وقوله ((من نطفة)) تنبيه على كمال القدرة لأن النطفة جسم متناسب الأجزاء، ويخلق الله تعالى منه أعضاء مختلفة وطباعاً متباينة، وخلق الذكر والأنثى منها أعجب ما يكون، ولهذا لم يقدر أحد أن يدعيه كما لم يقدر أحد على أن يدعي خلق السماوات، ولهذا قال تعالى: ﴿ **وَلَيْن سَأَلْتَهُم مِّن خَلْقِهِمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ** ﴾

[سورة الزخرف: ٨٧]، كما قال ﴿ **وَلَيْن سَأَلْتَهُم مِّن خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**

لَيَقُولَنَّ اللَّهُ ﴾ [سورة الزمر: ٣٨] ^(٢).

الحازن: «... وفي هذا تنبيه على كمال قدرته لأن النطفة شيء واحد خلق الله ﷻ

منها أعضاء مختلفة وطباعاً متباينة، وخلق منها الذكر والأنثى، وهذا من عجيب صنعته

(١) شرح مقلمة التفسير لابن عثيمين ص(١٢٧)، قواعد التفسير لخالل السبب (١/١٠٩).

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي (١٠/٢٨١).

وكمال قدرته، ولهذا لم يؤكد به بأن يقول: وأنه هو خلق؛ لأنه لم يدع أحد إيجاد نفسه ولا خلقها ولا خلق غيره، كما لم يقدر أحد أن يدعي خلق السماوات والأرض»^(١).
البقاعي: «... ولما كان ذكر الإحياء، وكان تصنيف الولد إلى نوعيه ظاهراً في اختصاصه، بل هو في غاية التعذر على من سواه، أعراه عن مثل التأكيد في الذي قبله»^(٢).

الألوسي: «... ولم يذكر الضمير على طرز ما تقدم لأنه لا يتوهم نسبة خلق الزوجين إلى غيره ﷺ»^(٣). والله أعلم بالصواب.



معنى قوله تعالى ﴿عَلَىٰ أَمْرٍ قَدَرٍ﴾

٩١- قوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرُ﴾ ﴿١﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ
السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ
أَمْرٍ قَدَرٍ ﴿١٢﴾ [سورة القمر: ١٠ - ١٢].

مجمَل الأقوال الواردة:

^١ () لباب التأويل للبخاري (٢٢٤/٦).

^٢ () نظم الدرر للبخاري (٧٥/١٩).

^٣ () روح المعاني للألوسي (٦٨/٢٧).

اختلف المفسرون في بيان المراد من قوله تعالى ((على أمر قد

قدر)) على قولين:

- ١- (قُدير) بمعنى قضي عليهم، وقد لهم إن كفروا أن يغرقوا.
- ٢- فالتقى ماء السماء وماء الأرض على مقدار لم يزد أحدهما على الآخر^(١).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن نبيه نوحاً دعاه قائلاً: إن قومه غلبوه سائلاً ربه أن ينتصر له منهم، فأهلكهم بالغرق، لأنه تعالى فتح أبواب السماء بماء منهمر أي متدفق منصبّ بكثرة. وأنه تعالى فَجَّرَ الأرض عيوناً، والتفجير: إخراج الماء منها بكثرة، و (أل) في قوله (التقى الماء) للجنس، ومعناه: التقى ماء السماء وماء الأرض على أمر قد قدر، أي قدره الله ﷻ وقضاه.

وقيل: إن معناه أن الماء النازل من السماء والمتفجر من الأرض جعلهما الله ﷻ بمقدار ليس أحدهما أكثر من الآخر. والأول أظهر^(٢).

فالشيخ الشنقيطي إذا رجح أن معنى ((على أمر قد قدر)) يعني قد قدره الله ﷻ وقضاه، وهو إهلاك المكذبين من قوم نوح - ﷺ - .

الموافقون:

- ١- الطبري: ((فالتقى الماء على أمر قد قدر)) يقول تعالى ذكره فالتقى ماء السماء وماء الأرض على أمر قد قدره الله ﷻ وقضاه^(٣).

(١) القولان ذكرهما الماوردي في النكت والعيون (٤١٢/٥).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٧/٧١٨).

(٣) جامع البيان للطبري (٥٥/٢٧).

- ٢- ابن كثير: « (فالتقى الماء) أي من السماء والأرض ((على أمر قد قدر)) أي أمر مقدر »^(١).
- ٣- المحلي: « ((قد قدر)) قضي به في الأزل وهو هلاكهم غرقاً »^(٢).
- ٤- السعدي: « ((قد قدر)) أي كتبه الله ﷻ في الأزل وقضاه، عقوبة لهؤلاء الظالمين الطاغين »^(٣).
- وبمثل هذا قال أيضاً: الواحدي^(٤)، والنيسابوري^(٥)، وأبوحيان^(٦)،
والتعالبي^(٧)، وسيد قطب^(٨).

المخالفون:

- خلاف ما رجحه الشنقيطي، رجح ابن عاشور حيث قال: « ووصف الأمر بأنه ((قد قدر)) أي أتقن وأحكم بمقدار، يقال: قدره بالتخفيف إذا ضبطه وعينه كما قال تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [سورة القمر: ٤٩] »^(٩).

^١ (تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٢٦٣).

^٢ (تفسير الجلالين ص (٤٤٧).

^٣ (تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٨٢٥).

^٤ (الوجيز للواحدي (٢/١٠٤٧).

^٥ (إيجاز البيان للنيسابوري (٢/٢٢٣).

^٦ (البحر المحيط لأبي حيان (١٠/٣٩).

^٧ (جواهر الحسان للتعاليبي (٤/٢٣٥).

^٨ (في ظلال القرآن لسيد قطب (٦/٣٤٣٠).

^٩ (التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٧/١٨٣).

في حين أن الغالبية العظمى من المفسرين جمعوا القولين عند تفسير الآية،
معتبرين صحة حمل الآية عليهما:

- ١ - الماوردي: « ((فالتقى الماء على أمر قد قدر)) فيه وجهان:
أحدهما: فالتقى ماء السماء وماء الأرض على مقدار لم يزد أحدهما على الآخر.
الثاني: « ((قدر)) بمعنى قضى عليهم، وقدر لهم إذا كفروا أن يغرِقوا »^(١).
- ٢ - البغوي^(٢).
- ٣ - النسفي^(٣).
- ٤ - الزمخشري^(٤).
- ٥ - ابن الجوزي: « ((على أمر قد قدر)) فيه قولان:
أحدهما: كان قَدْرُ ماء السماء كَقَدْرِ ماء الأرض.
الثاني: قد قُدِّرَ في اللوح المحفوظ، يعني: على أمر قد قضى عليهم، وهو الغرق □ »^(٥).
- ٦ - الفخر الرازي^(٦).
- ٧ - القرطبي^(٧).
- ٨ - الخازن^(٨).

^١ () النكت والعيون للماوردي (٤١٢/٥).

^٢ () مختصر البغوي (٩٠٤/٢).

^٣ () مدارك التنزيل للنسفي (١٥٣/٤).

^٤ () الكشاف للزمخشري (٤٢٤/٤).

^٥ () زاد المسير لابن الجوزي (٢٤٥/٧).

^٦ () التفسير الكبير للفخر الرازي (٢٩٦/١٠).

^٧ () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣٢/١٧).

^٨ () لباب التأويل للخازن (٢٢٨/٦).

- ٩- ابن جزي^(١) .
١٠- البيضاوي^(٢) .
١١- الشوكاني^(٣) .
١٢- الألوسي^(٤) .
١٣- القنوجي^(٥) .
١٤- القاسمي^(٦) .
وبنحو عبارة الماوردي وابن الجوزي جاء تفسير البقية ، فلم أذكره اختصاراً.

تعقيب الباحث:

الذي يظهر - والله أعلم - ترجيح ما ذهب إليه الشنقيطي والموافقون ، وذلك

لأمور:

- ١- أن القول الثاني وهو أن المراد بـ ((فالتقى الماء على أمر قد قدر)) أي التقى ماء السماء وماء الأرض على مقدار لم يزد أحدهما على الآخر ، هذا القول ليس منفصلاً عن القول الأول بل إنه يدخل تحته دخولاً كاملاً ، فإذا كان الله ﷻ قد قضى وقدر في الأزل إهلاك المكذبين من قوم نوح - ﷺ - بالغرق ، فإن من تقديره أيضاً كمية الماء النازلة من السماء والمتفجرة من الأرض ، المأمورة بإغراقهم « لتنفيذ هذا الأمر المقدر ، طائعان للأمر ، محققان للقدر »^(٧) .
- ٢- ندره المخالفين المرجحين للقول الثاني المراد به كمية الماء ؛ حيث لم يرجحه سوى ابن عاشور ، في حين أن جمهور المفسرين من السلف والخلف ؛ إمّا رجحوا القول الأول وهو أن المراد بـ ((على أمر قد قدر)) يعني قد قضاه الله ﷻ وقدره في الأزل ، وإما

١ () التسهيل لابن جزي (٤/١٤٦).

٢ () أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/٢٣٨).

٣ () فتح القدير للشوكاني (٥/١٢٢).

٤ () روح المعاني للألوسي (٢٧/٨٢).

٥ () فتح البيان للقنوجي (١٣/٢٩٢).

٦ () محاسن التأويل للقاسمي (١٥/٥٥٩٩).

٧ () في ظلال القرآن لسيد قطب (٦/٣٤٣٠).

ذكروا القولين مجتمعين تحت تفسيرهم للآية على اعتبار صحة حمل الآية عليها.

٣- لقد كان كلام الإمام البقاعي واضحاً في ربط القولين ببعضهما، بترجيح أن كل ما حدث أمر قد قدره الله ﷻ بما في ذلك الكمية فلم يزد قطرة ولم يهلك غير ما أمر بإهلاكه، يقول: « (قد قدر) أي مع كونه مقدوراً عليه في كل وقت بغاية السهولة قد وقع تقديره في الأزل، فلم يستطع أن يزيد على ذلك قطرة فما فوقها ولا أن يهلك غير من أمرنا بإهلاكه »^(١).

٤- فائدة: ذكرها الفخر الرازي « (فالتقى الماء) » وله معنى لطيف، وذلك أنه تعالى لما

قال: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ ﴾ [سورة القمر: ١١] ذكر

الماء وذكر الانهيار وهو النزول بقوة، فلما قال: ﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ﴾

[سورة القمر: ١٢] كان من الحسن البديع أن يقول ما يفيد أن الماء نبع منها بقوة^(٢) فعبر عنه بالتفجير. والله أعلم بالصواب.



^١ () نظم الدرر للبقاعي (١٠٥/١٩).

^٢ () التفسير الكبير للفخر الرازي (٢٩٦/١٠).

الجواب عن سؤال معروف

٩٢- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ [سورة القمر: ٤١ - ٤٢].

مجمل الأقوال الواردة:

- اختلفت أجوبة العلماء عن السؤال المعروف: وهو أن لفظ ((النذر)) جاء بالجمع في حين أن الله تبارك وتعالى أرسل لفرعون نبيين هما موسى وهارون عليهما السلام، وجاءت الأجوبة إجمالاً على النحو الآتي:
- ١- أن المراد بـ ((النذر)) موسى وهارون وغيرهما من الأنبياء^(١)، لأنهما عرضاً عليهم ما أنذر به المرسلون^(٢).
 - ٢- أن المراد بـ ((النذر)) موسى وهارون عليهما السلام، على أن أقل الجمع اثنان^(٣).
 - ٣- أن النذر مصدر بمعنى الإنذار^(٤).
 - ٤- أن النذر هي الآيات التسع^(٥) التي أنذرهم بها موسى - ﷺ -^(٦).

١ () مدارك التنزيل للنسفي (١٥٦/٤).

٢ () الكشف للزمخشري (٤٢٨/٤).

٣ () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤٥/١٧).

٤ () جامع البيان للطبري (٦٣/٢٧).

٥ () قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ...﴾ [سورة الإسراء: ١٠١].

٦ () مختصر البغوي (٩٠٦/٢).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « في هذه الآية سؤال معروف ، وهو أن الله تبارك وتعالى أرسل لفرعون نبيين هما موسى وهارون - عليهما السلام - ، كما قال تعالى : ﴿ فَاتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الشعراء: ١٦] ، وهنا جمع النذر في قوله ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ ﴾

[سورة القمر: ٤١] ، وللعلماء عن هذا أجوبة :

أحدها: أن أقل الجمع اثنان ، كما هو مقرر في أصول مالك بن أنس - رحمه الله - وعقده صاحب مراقبي السعود بقوله :

أقل معنى الجمع في المشتهر الاثنان في رأي الإمام الحمير^(١)

قالوا ومنه قوله تعالى : ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [سورة التحريم: ٤]

ولهما قلبان فقط ، وقوله ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمَّهِ السُّدُسُ ﴾ [سورة النساء:

١١] ، والمراد بالإخوة اثنان فصاعداً كما عليه الصحابة فمن بعدهم خلافاً لابن عباس ،

وقوله : ﴿ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ ﴾ [سورة طه: ١٣٠] وله طرفان فقط .

ومنها : ما ذكره الزمخشري^(٢) وغيره من أن المراد بالنذر موسى وهارون وغيرهما

من الأنبياء عليهم السلام ؛ لأنهما عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون .

ومنها : أن النذر مصدر بمعنى الإنذار .

(١) البيت من منظومة (مراقبي السعود) في أصول الفقه ، لعبدالله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي . انظر : نشر البنود على مراقبي السعود ، وهو شرح له للمنظومة (١/٢٣٤) .

(٢) علماً أن الزمخشري لم يرجح هذا القول الذي حكاه الشنقيطي عنه ، وإنما ذكره وذكر غيره ، فقال - بعد كلامه المذكور - : « أو جمع نذير وهو الإنذار » . الكشاف للزمخشري (٤/٤٢٨) .

قال مقيده^(١) عفا الله عنه وغفر له: التحقيق في الجواب؛ أن من كذب رسول
واحداً فقد كذب جميع المرسلين ومن كذب نذيراً واحداً فقد كذب جميع النذر لأن أصل
دعوة جميع الرسل واحدة، وهي مضمون لا إله إلا الله، كما أوضحه تعالى بقوله: ﴿
وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ
سورة النحل: ٣٦﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي
إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿
وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً
يُعْبَدُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٤٥].

وأوضح تعالى أن من كذب بعضهم فقد كذب جميعهم في قوله تعالى:
﴿وَيَقُولُونَ نُوْمُنُ بِبَعْضِ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ
ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء: ١٥٠ -
١٥١]، وأشار إلى ذلك في قوله ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [سورة
البقرة: ٢٨٥] وقوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَخَنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة
البقرة: ١٣٦]، وقوله تعالى:
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ - وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ
يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ﴾ [سورة النساء: ١٥٢].

(١) الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - .

وقد أوضح تعالى في سورة الشعراء أن تكذيب رسول واحد تكذيب لجميع الرسل، وذلك في قوله ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [سورة الشعراء: ١٠٥] ثم بين أن تكذبيهم للمرسلين إنما وقع بتكذبيهم نوحاً وحده، حيث فرد ذلك بقوله: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [سورة الشعراء: ١٠٦] إلى قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ ﴾ [سورة الشعراء: ١١٧] وقوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [سورة الشعراء: ١٢٣] ثم بين أن ذلك بتكذيب هود وحده، حيث فرد به بقوله ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [سورة الشعراء: ١٢٤]، ونحو ذلك في قوله تعالى في قصة صالح وقومه^(١)، لوط وقومه^(٢)، وشعيب وأصحاب الأيكة^(٣)، كما هو معلوم وهو واضح لا خفاء فيه، ويزيده إيضاحاً قوله ﷺ « إنا معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد »^(٤) يعني أنهم كلهم متفقون في

^١ (الآيات رقم ١٤١ - ١٥٩] من سورة الشعراء.

^٢ (الآيات رقم ١٦٠ - ١٧٥] من سورة الشعراء.

^٣ (الآيات رقم ١٧٦ - ١٩١] من سورة الشعراء.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ﴾

إِذِ أَنْتَبَدْتَ مِنْ أَهْلِهَا ﴿ ﴾، فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني

(٤٧٧/٦). وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى - ﷺ -، صحيح مسلم بشرح

النووي (١١٩/١٥).

الأصول وإن اختلفت شرائعهم في بعض الفروع»^(١).

خلاصة: الشيخ الشنقيطي يرى أن المراد بالنذر في قوله تعالى ((ولقد جاء آل فرعون النذر)) موسى وهارون وجميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام؛ لأن فرعون كذب موسى وهارون عليهما السلام وقد أرسلهما الله ﷻ إليه فكذب وأعرض عن اتباعهما، وتكذبه لهما وردّه لما دعوا إليه يعتبر تكذيباً لجميع رسل الله ﷻ عليهم السلام.

لم يرجح مثل ترجيح الشيخ الشنقيطي أحد، وعليه فلا يوجد هنا موافقون.

المخالفون:

ويمكن تقسيمهم إلى فئتين:

أ- مَنْ حمل اللفظ على قول واحد فقط، ففسروا الآية بترجيح أحد الأقوال الواردة في جمل الأقوال، وهم على أنواع بحسب كل قول:

النوع الأول: الذين رجحوا أن المراد بلفظ ((النذر)) موسى وهارون عليهما السلام على اعتبار أن أقل الجمع اثنان، فمنهم:

- ١- الواحدي^(٢). ٢- القرطبي^(٣). ٣-

المحلي^(٤).

النوع الثاني: الذين رجحوا أن لفظ ((النذر)) مصدر بمعنى الإنذار، منهم:

- ١- الطبري^(٥). ٢- ابن عاشور^(١).

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٧/٧٢٦ - ٧٢٨).

(٢) الوجيز للواحدى (٢/١٠٤٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/١٤٥).

(٤) تفسير الجلالين ص (٤٤٩).

(٥) جامع البيان للطبري (٢٧/٦٣).

النوع الثالث: الذين رجحوا أن المراد هي الآيات التسع التي أنذرهم بها موسى -

التي^(١) - ، فمنهم:

- ١- الفخر الرازي^(٢) .
 ٢- البيضاوي^(٣) .
 ٣- الشوكاني^(٤) .
 ٤- القنوجي^(٥) .

ب- الفئة الثانية؛ الذين فسروا الآية بحمل اللفظ على أكثر من معنى، وهم أيضاً أنواع بحسب الأقوال التي ذكرها:

النوع الأول: من اعتبر لفظ ((النذر)) محتملاً لأن يراد به موسى وهارون وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام، أو يراد به جمع نذير وهو الإنذار، فمنهم:

- ١- النسفي^(٦) .
 ٢- الزمخشري^(٧) .
 ٣- أبوحيان^(٨) .

^١ () التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٧/٢٠٨).

^٢ () التفسير الكبير للفخر الرازي (١٠/٣١٩).

^٣ () أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/٢٣٩).

^٤ () فتح القدير للشوكاني (٥/١٢٧).

^٥ () فتح البيان للقنوجي (١٣/٣٠٤).

^٦ () مدارك التنزيل للنسفي (٤/١٥٦).

^٧ () الكشف للزمخشري (٤/٤٢٨).

^٨ () البحر المحيط لأبي حيان (١٠/٤٧).

٤- البقاعي^(١) .
٥- الألوسي^(٢) .

النوع الثاني: الذين اعتبروا لفظ ((النذر)) يراد به موسى وهارون عليهما السلام على اعتبار أن أقل الجمع اثنان، وفي نفس الوقت قد يراد بالنذر الآيات

التسع التي أيد الله ﷻ بها نبيه موسى - ﷺ - ، فمنهم:

- ١- البغوي^(٣) .
٢- الخازن^(٤) .
٣- ابن كثير^(٥) .
٤- السعدي^(٦) .

النوع الثالث: من حمل لفظ ((النذر)) على أنه مصدر بمعنى الإنذار، أو يراد به الآيات التسع، منهم: ابن الجوزي^(٧) .

النوع الرابع: من حمل لفظ ((النذر)) على أنه يراد به موسى وهارون عليهما السلام، أو جمع نذير بمعنى الإنذار، أو الآيات التسع، منهم: القاسمي^(٨) .

تعقيب الباحث:

الظاهر - والله أعلم - أن الجواب على السؤال المعروف؛ أن يقال بصحة حمل لفظ ((النذر)) على جميع المعاني الواردة عن المفسرين، فإن لكل قول وجهة أن

١ () نظم الدرر للبقاعي (١٩/١٢٨).

٢ () روح المعاني للألوسي (٢٧/٩١).

٣ () مختصر البغوي (٢/٩٠٦).

٤ () لباب التأويل للخازن (٦/٢٣٠).

٥ () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٢٦٩).

٦ () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٨٢٧).

٧ () زاد المسير لابن الجوزي (٧/٢٥٠).

٨ () محاسن التأويل للقاسمي (١٥/٥٦٠٤).

يحمل عليه لفظ ((النذر)) في الآية ، وإليك بيانها :

١- القول بأن المراد بالنذر موسى وهارون وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام ؛ لأنهما عرضا على فرعون مجمل رسالة جميع الأنبياء عليهم السلام وهو الدعوة إلى توحيد الله ﷻ ، هذا القول تؤيده آيات من كتاب الله ﷻ ؛ تبين أن تكذيب رسول واحد = تكذيب جميع المرسلين ، فمنها قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ

﴿ سورة الشعراء : ١٠٥ ﴾ وهم إنما يكذبون نوحاً - ﷻ - ، وقال عن عاد

قوم هود - ﷻ - : ﴿ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿ سورة الشعراء :

١٢٣ ﴾ وهم إنما كذبوا هوداً - ﷻ - . وغيرهم من الأقوام المكذبة لأنبيائها ، قد سبقت الإشارة قريباً تحت ترجيح الشنقيطي إلى عدد من الأقوام .

٢- القول بأن النذر يعني موسى وهارون عليهما السلام على اعتبار أن أقل الجمع اثنان ، فقد وردت آيات ورد فيها لفظ الجمع والمراد اثنان فقط ، كقوله تعالى : ﴿ فَقَدْ صَغَتْ

قُلُوبُهُمَا ﴾ ﴿ سورة التحريم : ٤ ﴾ ولهما قلبان فقط ، وقوله تعالى ﴿ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ

﴿ سورة طه : ١٣٠ ﴾ وله طرفان فقط .

٣- أما أن يكون لفظ ((النذر)) مصدر بمعنى الإنذار ، فمن ما يدل عليه قوله تعالى : ﴿

وَمَا تُعْنِي الْأَيْتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿ سورة يونس : ١٠١ ﴾

فالنذر هنا بمعنى « الإنذارات والعبر »^(١) . وكذلك تكرر في سورة القمر نفسها في عدد

من الآيات لفظ (نذر) وكلها يراد بها الإنذار ، منها قوله تعالى : ﴿ حِكْمَةٌ

(١) مفردات القرآن الكريم لمحمد حسن الحميصي ص(٢٢٠).

بَلِغَةٌ ^طفَمَا تُغْنِ الْأُنذُرُ ﴿٥﴾ [سورة القمر: ٥]، وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ

كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي﴾ [سورة القمر: ١٦، ١٨، ٢١، ٣٠]، وقوله تعالى:

﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي﴾ [سورة القمر: ٣٧، ٣٩].

٤- وأما أن يراد بالنذر الآيات التسع التي أنذرهم بها موسى - عليه السلام - ، فقد جاءت

الإشارة إليها في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾

[سورة الإسراء: ١٠١].

٥- وبعد هذا العرض ، فلا مانع من حمل لفظ ((النذر)) على جميع المعاني الواردة. والله
أعلم بالصواب.



المراد بقوله تعالى ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾

- ٩٣- قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ لسورة الرحمن:
٣- ٤٤.

مجمل الأقوال الواردة:

اختلف في المراد بقوله تعالى ((علمه البيان)) على أقوال:

- ١- الإفصاح عما في الضمير.
- ٢- تعليم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به^(١).
- ٣- ما يقول وما يقال له.
- ٤- النطق^(٢).
- ٥- المنطق والكلام.
- ٦- الخط^(٣).
- ٧- القرآن الكريم^(٤).
- ٨- تعليم الإنسان كل ما به الحاجة إليه من أمر دينه ودنياه^(٥).
- ٩- الحلال والحرام. ١٠- الخير والشر. ١١- الهداية^(٦).

(١) القولان (١، ٢) ذكرهما البغوي، مختصر البغوي (٢/٩٠٨).

(٢) القولان (٣، ٤) ذكرهما ابن الجوزي في زاد المسير (٧/٢٥٤).

(٣) القولان (٥، ٦) ذكرهما الماوردي في النكت والعيون (٥/٤٢٣).

(٤) ذكره الواحدي في الوجيز (٢/١٠٥٢).

(٥) جامع البيان للطبري (٢٧/٦٧).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « وقوله جل وعلا في هذه الآية الكريمة ((علمه البيان)) التحقيق فيه أن المراد بالبيان الإفصاح عما في الضمير. وما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أنه علم الإنسان البيان قد جاء موضحاً في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة النحل: ٤ ، يس: ١٧٧].

وقد امتن الله جل وعلا على الإنسان بأن جعل له آلة البيان التي هي اللسان والشفتان، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا ﴿٩﴾ وَشَفَتَيْنِ ﴿١٠﴾ [سورة البلد: ٨ - ٩] »^(٢).

الموافقون:

- رجح أن المراد بالبيان الإفصاح عما في الضمير؛ عدد من المفسرين، منهم:
- ١- النسفي^(٣).
 - ٢- ابن القيم^(٤).
 - ٣- البيضاوي: « ((خلق الإنسان، علمه البيان)) إيماء بأن خلق البشر وما يميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير عما في الضمير وإفهام الغير لما أدركه لتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع »^(٥).

(١) (الأقوال (٩، ١٠، ١١) ذكرها الماوردي في النكت والعيون (٥/٤٢٣).

(٢) (أضواء البيان للشنقيطي (٤/١٥٧).

(٣) (مدارك التنزيل للنسفي (٤/١٥٧).

(٤) (بدائع التفسير لابن القيم (٤/٣٢٢).

(٥) (أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/٢٤٠).

- ٤- الثعالبي^(١).
 ٥- البقاعي^(٢).
 ٦- الألوسي: «(علمه البيان)) لأن البيان هو الذي به يتمكن عادة من تعلم القرآن وتعليمه، والمراد به المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير»^(٣).
 ٧- القاسمي^(٤).
 ٨- السعدي: «(علمه البيان)) أي التبيين عما في ضميره، وهذا شامل للتعليم المنطقي والتعليم الخطي، فالبيان الذي ميز الله ﷻ به الآدمي على غيره من أجل نعمه، وأكبرها عليه»^(٥).
 ٩- سيد قطب^(٦).
 ١٠- ابن عاشور^(٧).
 وفيمن ذكرت كلامهم إشارة إلى البقية اختصاراً وبعداً عن التكرار.

المخالفون:

وهم أنواع بحسب أقوالهم:

- أ- من رجّح أن البيان يراد به كل ما يحتاج إليه الإنسان مما به الحاجة إليه، فمنهم:
 ١- الطبري: «... والصواب من القول في ذلك أن يقال معنى ذلك أن الله ﷻ علم الإنسان

^١ () جواهر الحسان للثعالبي (٤/٢٤٠).

^٢ () نظم الدرر للبقاعي (١٩/١٤٤).

^٣ () روح المعاني للألوسي (٢٧/٩٩).

^٤ () محاسن التأويل للقاسمي (١٥/٥٦١٢).

^٥ () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (١٢٨).

^٦ () في ظلال القرآن لسيد قطب (٦/٣٤٤٧).

^٧ () التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٧/٢٣٣).

ما به الحاجة إليه من أمر دينه ودنياه من الحلال والحرام والمعاش والمنطق وغير ذلك مما به
الحاجة إليه ؛ لأن الله جل ثناؤه لم يخصص بحبره ذلك أنه علمه من البيان بعضاً دون بعض بل
عمّ فقال ((علمه البيان)) فهو كما عمّ جل ثناؤه^(١).

ب- من رجح أن المراد بالبيان تعليم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به ، منهم :

١- الشوكاني^(٢) .
٢- القنوجي^(٣) .

ج- من رجح أن المراد بالبيان النطق ، ومنهم :

١- ابن جزى^(٤) .
٢- المحلي^(٥) .
٣- ابن كثير^(٦) .

د- من رجح أن البيان يعني القرآن ، منهم :

١- الواحدي^(٧) .
٢- النيسابوري^(٨) .

تعقيب الباحث :

يظهر - والله أعلم - أن الراجح في المراد بـ ((علمه البيان)) هو ما اختاره
الشنقيطي والموافقون ، وذلك لأمرين :

^١ () جامع البيان للطبري (٦٧/٢٧).

^٢ () فتح القدير للشوكاني (١٣١/٥).

^٣ () فتح البيان للقنوجي (٣١٤/١٣).

^٤ () التسهيل لابن جزى (١٥١/٤).

^٥ () تفسير الجلالين ص (٤٤٩).

^٦ () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٧٠/٤).

^٧ () الوجيز للواحدي (١٠٥٢/٢).

^٨ () إيجاز البيان للنيسابوري (٢٢٦/٢).

- ١- أنه هو اختيار الجمهور، كما صرح بذلك أبو حيان^(١)، والثعالبي^(٢).
- ٢- أنه قد دلت آيات أخرى من كتاب الله ﷻ على أن البيان يراد به الإفصاح عما في داخل النفس بوضوح وحجة، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة النحل: ٤، يس: ١٧٧]، وقوله تعالى: ﴿أَوْ مَن يُنَشِّئُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [سورة الزخرف: ١٨].

٣- إن عدداً من الأقوال الواردة في مجمل الأقوال يدخل تماماً تحت القول الأول - وهو اختيار الجمهور وقد رجحه الشنقيطي - وهي الأقوال رقم (٢، ٣، ٤، ٥، ٦) وذلك أن تعليم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به، وأن يفهم الإنسان ما يقوله وما يقال له، وأن يراد بالبيان النطق أو المنطق والكلام، أو يراد بالبيان الخط، كل هذه المعاني داخلة في معنى الإفصاح عما في الضمير، فإن أهل كل لسان يفصحون بلسانهم سواء بالنطق أو بالخط، ومن يتكلم ويفصح عما في نفسه لا بد أن يكون فاهماً لما يقوله وما يقال له، وهكذا نجد ارتباط هذه الأقوال ببعضها، بل ودخولها تحت القول الراجح عند الجمهور؛ وهو أن ((البيان)) يراد به الإفصاح عما في الضمير.

٤- لقد جاء كلام بعض المفسرين في شمول البيان للفهم والنطق والخط، يقول ابن القيم: «((علمه البيان)) والبيان هنا يتناول مراتب ثلاثة كل منها يسمى بياناً: أحدها: البيان الذهني الذي يميز فيه بين المعلومات.

الثاني: البيان اللفظي الذي يعبر به عن تلك المعلومات ويترجم عنها فيه لغيره.
الثالث: البيان الرسمي الخطي الذي يرسم به تلك الألفاظ فيتبين للنظر معانيها كما يتبين للسامع معاني الألفاظ. فهذا بيان للعين، وذاك بيان للسمع، والأول

^١ () البحر المحيط لأبي حيان (١٠/٥٥).

^٢ () جواهر الحسان للثعالبي (٤/٢٤٠).

بيان للقلب. وكثيراً ما يجمع سبحانه بين هذه الثلاثة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ
السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾
[سورة الإسراء: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ
أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة
النحل: ٧٨]، ويذم من عدم الانتفاع بها في اكتساب الهدى والعلم النافع
كقوله تعالى: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمَى﴾ [سورة البقرة: ١٨]، وقوله
تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى
أَبْصَرِهِمْ غِشْوَةً﴾ [سورة البقرة: ١٧] (١).

٥ - وإلحاقاً للنقطة السابقة، يقول البقاعي: «(علمه البيان) وهو القوة الناطقة، وهي الإدراك للأمر الكلية والجزئية والحكم على الحاضر والغائب بقياسه على الحاضر تارة بالتوسم وأخرى بالحساب ومرة بالعيافة والزجر وطوراً بالنظر في الآفاق وغير ذلك من الأمور مع التمييز بين الحسن والقبيح وغير ذلك مما أودعه - ﷺ - له مع تعبيره عما أدركه بما هو غائب في ضميره وإفهامه للغير؛ تارة بالقول وتارة بالفعل نطقاً وكتابة وإشارة وغيرها، فصار بذلك ذا قدرة على الكمال في نفسه والتكميل لغيره، فهذا تعليم البيان الذي مكن من تعليم القرآن» (٢).

٦ - إن الإفصاح عما في الضمير قد يكون ويتحقق بغير النطق كلغة الإشارة، يقول ابن

(١) بدائع التفسير لابن القيم (٤/٣٢٢).

(٢) نظم الدرر للبقاعي (١٩/١٤٤).

عاشور: « وأما البيان بغير النطق من إشارة وإيماء ولمح النظر فهو أيضاً من مميزات الإنسان وإن كان دون بيان النطق »^(١).

٧- من رجح أن ((البيان)) يراد به القرآن الكريم، فقوله مرجوح لأنه يصبح نوعاً من

التكرار في الآيات، فقد قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾﴾

خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [سورة الرحمن: ١ - ٤] فكون

أن يراد بلفظ ((البيان)) القرآن الكريم فهذا تكرار، والأولى أن يحمل لفظ ((البيان)) على أن يراد به الإفصاح عما في الضمير؛ لأنه يفيد معنىً جديداً، وقاعدة: « إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحملة على التأسيس أولى »^(٢)؛ تؤيد ما قلته. والله أعلم بالصواب.



المراد بالنجم في قوله تعالى ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾

٩٤- قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [سورة الرحمن: ٦].

مجملة الأقوال الواردة:

اختلف في المراد بالنجم على قولين:

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٧/٢٣٣).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٢/٤٧٣).

- ١- أن النجم يراد به نجم السماء، وهو موحد والمراد به جميع النجوم.
- ٢- أن النجم النبات الذي قد نجم في الأرض وانبسط فيها، ليس له ساق. والشجر ما كان على ساق^(١).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « اختلف العلماء في المراد بالنجم في هذه الآية، فقال بعض العلماء: النجم هو ما لا ساق له من النبات كالبقول، والشجر هو ما له ساق. وقال بعض أهل العلم: المراد بالنجم نجوم السماء. قال مقيد^(٢) عفا الله عنه وغفر له: الذي يظهر لي صوابه أن المراد بالنجم هو نجوم السماء، والدليل على ذلك أن الله جل وعلا في سورة الحج صرح بسجود نجوم السماء والشجر، ولم يذكر في آية من كتابه سجود ما ليس له ساق من النبات بخصوصه، ونعني بآية الحج قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۗ ﴾ [سورة الحج: ١٨]، فدللت هذه الآية أن الساجد من النجم^(٣) في آية الرحمن هو النجوم السماوية المذكورة مع الشمس والقمر في سورة الحج، وخير ما

^١ (القولان ذكرهما الماوردي في النكت والعيون (٥/٤٢٤).)

^٢ (الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.)

^٣ (قال الشيخ الشنقيطي: « فدللت هذه الآية أن الساجد من الشجر... » ولعل كلمة الشجر هنا سبق قلم، لأن كلامه حول كلمة النجم، ولذلك أثبتتها فاستقامت العبارة.)

يفسر به القرآن القرآن، وعلى هذا الذي اخترناه فالمراد بالنجم النجوم»^(١).

الموافقون:

- رَجَّحَ أن المراد بالنجم في قوله تعالى ((والنجم والشجر يسجدان)) نجوم السماء - مثل الشنقيطي - اثنان من المفسرين، هما:
- ١ - ابن كثير^(٢).
٢ - السعدي^(٣).

المخالفون:

- وهم الذين رجَّحوا أن المراد بالنجم النبات الذي لا ساق له، وهو الذي نجم في الأرض وانبسط فيها، منهم:
- ١ - الطبري^(٤).
٢ - الواحدي^(٥).
٣ - النسفي^(٦).
٤ - الزمخشري^(٧).
٥ - النيسابوري^(٨).
٦ - الفخر الرازي^(٩).
الرازي^(٩).

^١ () أضواء البيان للشنقيطي (٧/٧٣٧).

^٢ () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٢٧٠).

^٣ () تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٨٢٩).

^٤ () جامع البيان للطبري (٢٧/٦٨).

^٥ () الوجيز للواحدي (٢/١٠٥٣).

^٦ () مدارك التنزيل للنسفي (٤/١٥٧).

^٧ () الكشاف للزمخشري (٤/٤٣٣).

^٨ () إيجاز البيان للنيسابوري (٢/٢٢٦).

^٩ () التفسير الكبير للفخر الرازي (١٠/٣٤١).



٧- الخازن^(١). - ٨- أبوحيان^(٢). - ٩-

البيضاوي^(٣).

١٠- المحلي^(٤). - ١١- الألوسي^(٥). - ١٢- القاسمي^(٦).

في حين أن عدداً غير قليل من المفسرين حملوا لفظ النجم على إرادة المعنيين،

معتبرين صحة كل واحد منهما على وجهه، فمنهم:

١- الماوردي^(٧). - ٢- البغوي^(٨). - ٣- ابن الجوزي^(٩).

٤- القرطبي^(١٠). - ٥- ابن جزى^(١١). - ٦- الثعالبي^(١٢).

٧- البقاعي^(١٣). - ٨- الشوكاني^(١). - ٩- القنوجي^(٢).

^١ (لباب التأويل للخازن (٣/٧).

^٢ (البحر المحيط لأبي حيان (٥٦/١٠).

^٣ (أنوار التنزيل للبيضاوي (٢٤٠/٢).

^٤ (تفسير الجلالين ص (٤٥٠).

^٥ (روح المعاني للألوسي (١٠٠/٢٧).

^٦ (محاسن التأويل للقاسمي (٥٦١٣/١٥).

^٧ (النكت والعيون للماوردي (٤٢٤/٥).

^٨ (مختصر البغوي (٩٠٩/٢).

^٩ (زاد المسير لابن الجوزي (٢٥٥/٧).

^{١٠} (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥٤/١٧).

^{١١} (التسهيل لابن جزى (١٥١/٤).

^{١٢} (جواهر الحسان للثعالبي (٢٤٨/٤).

^{١٣} (نظم الدرر للبقاعي (١٤٦/١٩).

١٠- سيد قطب^(٣).

١١- ابن عاشور: علل التعبير بلفظ (النجم) في الآية بقوله: « لصلاحيته لأنه يراد منه

نجوم السماء، وما يسمى نجماً من نبات الأرض » إلى أن قال: « والنجم يطلق

اسم جمع على نجوم السماء؛ قال تعالى: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾

أسورة النجم: [١]، ويطلق مفرداً فيجمع على نجوم؛ قال تعالى: ﴿ وَإِدْبَرَ

النُّجُومِ ﴾ [سورة الطور: ٤٩]... ويطلق النجم على النبات والحشيش الذي لا

سُوق له فهو متصل بالتراب، والشجر: النبات الذي له ساق وارتفاع من وجه الأرض^(٤).

تعقيب الباحث:

كلامي في هذا الموضوع على نقاط:

١- الذين رجحوا أن المراد بالنجم نجوم السماء؛ استدلوا بآية في كتاب الله تعالى وهي

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي

الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ

وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ﴾ [سورة الحج: ١٨]. فذكر في آية سورة الحج النجوم بعد

(١) فتح القدير للشوكاني (١٣١/٥).

(٢) فتح البيان للقنوجي (٣١٥/١٣).

(٣) في ظلال القرآن لسيد قطب (٣٤٤٨/٦).

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣٦/٢٧).

ذكره الشمس والقمر فدل أنها نجوم السماء، ثم ذكر سجود الشجر أيضاً. وعليه فيحمل النجم في قوله تعالى هنا في سورة الرحمن ((والنجم والشجر يسجدان)) على أنه نجوم السماء، وهذا يعتبر من تفسير القرآن بالقرآن، الذي هو أفضل وأقوى أنواع التفسير^(١).

٢- الذين رجحوا أن النجم يراد به ما لا ساق له من النبات، استدلوا بسياق الآيات؛ لأن من معاني النجم في اللغة: «أنه النبات الذي نجم على غير ساق□»^(٢)، فاستدلوا بأن «اقتراحه بالشجر»^(٣) لا بد أن يكون المراد به النبات الذي على غير ساق لأن الشجر هو ما كان على ساق. واستدلوا أيضاً بأنه تعالى «ذكر في الآيات أموراً علوية (الشمس والقمر) وذكر في مقابلها أموراً سفلية (النجم والشجر)»^(٤) فيكون النجم مذكوراً في الأمور السفلية ويراد به النبات الذي على غير ساق.

٣- أقول: يتضح من استعراض أدلة كل قول استناد كل فريق على قاعدة معروفة من قواعد الترجيح، فمن رجح النبات الذي لا ساق له؛ استند على قاعدة دلالة سياق الآيات، وهي قاعدة معتمدة عند المفسرين^(٥). ومن رجح نجوم السماء استند على قاعدة تفسير القرآن بالقرآن الذي هو أحسن طرق التفسير^(٦).

٤- فهنا تنازعت قاعدتان من قواعد الترجيح، وإذا كانت الحالة هذه، «فإن أولى القواعد بالتقديم هي التي ترجح التفسير الأثري، وأعني به تفسير القرآن بالقرآن وتفسيره بالسنة، فهي مقدمة عند التنازع على كل قاعدة ترجح تفسيراً اجتهادياً؛ لأن

(١) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص (١٢٧)، قواعد التفسير لخالد السبت (١٠٩/١).

(٢) القاموس المحيط للفيلسوف أبي حنيفة ص (١٤٩٩)، باب الميم فصل النون.

(٣) روح المعاني للألوسي (١٠٠/٢٧).

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي (٣٤١/١٠) بتصرف.

(٥) قواعد التفسير لخالد السبت (٢٤٩/١).

(٦) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص (١٢٧).

الله تعالى أعلم بما نزل ورسوله ﷺ مكلف بيان ما نزل»^(١)، «□ والتفسير الأثري إذا صح لا يعارض بتفسير الرأي والاجتهاد، وبظواهر الألفاظ لأنه إما أن يكون للرأي مستند من الوحيين أو لا، فإن كان الأول فلا يتعارض وحيان، وإن كان الآخر فلا يعدو أن يكون اجتهاداً مستنداً إلى القرائن والأمارات لا يقوى على معارضة ما كان مستنده القرآن والسنة»^(٢).

٥- وعليه فالذي يظهر - والله أعلم - أن الراجح هو ما ذهب إليه الشنقيطي والموافقون من أن النجم في قوله تعالى: ((والنجم والشجر يسجدان)) يراد به نجوم السماء. والله أعلم بالصواب.



^١ (قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (١/٥٨)).

^٢ (مناهل العرفان للزرقاني (١/٥٣٣) بتصرف).

المراد بالأوليين والآخرين

٩٥ - قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ لسورة

الواقعة: ١٣ - ١٤.

مجمل الأقوال الواردة:

قليل من الآخرين	ثلاثة من الأولين	القول الأول
أن الآخرين هم من أمة محمد ﷺ ^(١) .	أن الأولين من الأمم الماضية من لدن آدم - عليه السلام - إلى نبينا محمد ﷺ	

الآخرين المتأخرون من هذه الأمة ^(٢) .	الأولون هم أول هذه الأمة	القول الثاني
---	--------------------------	--------------

^١ () مختصر البغوي (٩١٦/٢).

^٢ () التسهيل لابن جزي (١٦١/٤).

القول الثالث	أوائل المهاجرين والأنصار	أواخر من جاء من الصحابة ^(١) . الصحابة ^(١) .
القول الرابع	الأولون من أمة كل نبي حيث يكون السابقون كثر في أولها	الآخرون من أمة كل نبي حيث يقل السابقون في آخرها ^(٢) .
القول الخامس	أن المراد بالسابقين: الأنبياء، فإنهم في أول الزمان كثير	وفي آخر الزمان قليل للإلى قبل بعثة نبينا محمد ﷺ فإنه آخر الأنبياء عليهم السلام ^(٣) .

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « اختلف أهل العلم في المراد بهذه الثلاثة من الأولين، وهذا القليل من الآخرين المذكورين هنا، كما اختلفوا في

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٢٧٩/٧).

(٢) التسهيل لابن جزي (١٦١/٤).

(٣) المرجع السابق.

الثلثتين المذكورتين في قوله: ﴿ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ و﴿ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ ﴿٤٠﴾

[سورة الواقعة: ٣٩ - ٤٠]، فقال بعض أهل العلم: كل هؤلاء المذكورين من هذه الأمة، وأن المراد بالأولين منهم الصحابة، وبعض العلماء يذكر معهم القرون المشهود لهم بالخير في قوله ﷺ «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم..»^(١) الحديث، والذين قالوا كلهم من هذه الأمة؛ قالوا: إنما المراد بالقليل، وثلة من الآخرين، هم من بعد ذلك إلى قيام الساعة. وقال بعض العلماء: المراد بالأولين في الموضوعين الأمم الماضية قبل هذه الأمة، والمراد بالآخرين فيهما هو هذه الأمة.

قال مقيدته^(٢) عفا الله عنه وغفر له: ظاهر القرآن في هذا المقام أن الأولين في الموضوعين من الأمم الماضية، والآخرين فيهما من هذه الأمة، وأن قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِّنَ

الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ لسورة الواقعة: ١٣ - ١٤ في السابقين

خاصة، وأن قوله: ﴿ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ و﴿ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ لسورة الواقعة: ٣٩ - ٤٠ في أصحاب اليمين خاصة.

وإنما قلنا إن هذا هو ظاهر القرآن في الأمور الثلاثة التي هي شمول الآيات لجميع الأمم، وكون قليل من الآخرين في خصوص السابقين، وكون ثلة من الآخرين في خصوص أصحاب اليمين؛ لأنه واضح من سياق الآيات.

أما شمول الآيات لجميع الأمم فقد دل عليه أول السورة، لأن قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ ﴿١﴾ لسورة الواقعة: ١ إلى قوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا﴾

(١) أخرجه البخاري في الباب الأول من كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، بلفظ «خير أمي قرني...» ولفظ «خير الناس قرني...» فتح الباري (٣/٧).

(٢) الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - .

﴿سورة الواقعة: ٦﴾ لا شك أنه لا يخص أمة دون أمة، وأن الجميع مستوون في

الأهوال والحساب والجزاء. فدل ذلك على أن قوله: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ ﴿٧﴾

[سورة الواقعة: ٧] عام في جميع أهل المحشر، فظهر أن السابقين وأصحاب اليمين؛ منهم من هو من الأمم السابقة، ومنهم من هو من هذه الأمة. وعلى هذا فظاهر القرآن الكريم أن السابقين من الأمم الماضية أكثر من السابقين من هذه الأمة، وأن أصحاب اليمين من الأمم السابقة ليست أكثر من أصحاب اليمين من هذه الأمة؛ لأنه عبر في السابقين من هذه الأمة

بقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ ﴿١٤﴾ [سورة الواقعة: ١٤]، وعبر عن أصحاب

اليمين من هذه الأمة ﴿وَتَلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ [سورة الواقعة: ٤٠]، ولا غرابة في

هذا؛ لأن الأمم الماضية أمم كثيرة، وفيها أنبياء كثيرة ورسول، فلا مانع من أن يجتمع من سابقها من لدن آدم - ﷺ - إلى محمد ﷺ أكثر من سابقي هذه الأمة وحدها. أما أصحاب اليمين من هذه الأمة فيحتمل أن يكونوا أكثر من أصحاب اليمين من جميع الأمم؛ لأن التلة تتناول العدد الكثير، وقد يكون أحد العديدين الكثيرين أكثر من الآخر، مع أن كلاهما كثير^(١).

خلاصة: الشيخ الشنقيطي يرى أن الأولين يراد بهم من جميع الأمم الماضية من

لدن آدم - ﷺ - إلى محمد ﷺ، وأن الآخرين يراد بهم من أمة محمد ﷺ.

الموافقون:

إلى مثل ما ذهب إليه الشنقيطي ذهب عدد غير قليل من المفسرين، منهم:

١- الطبري: «(ثلة من الأولين، وقليل من الآخرين)) يقول تعالى ذكره جماعة من الأمم الماضية، وقليل من أمة محمد ﷺ وهم الآخرون، وقيل لهم الآخرون لأنهم

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٧/٧٦٩ - ٧٧١).

آخر الأمم»^(١).

- ٢- الواحدي: « (ثلة من الأولين) جماعة من الأمم الماضية، ((وقليل من الآخرين)) من هذه الأمة. يريد من سابقي الأمم وسابقي هذه الأمة»^(٢).
- ٣- البغوي: « (ثلة من الأولين) أي من الأمم الماضية من لدن آدم - ﷺ - إلى زمان نبينا ﷺ. والثلة: الجماعة غير محصورة العدد. ((وقليل من الآخرين)) يعني من هذه الأمة»^(٣).
- ٤- النيسابوري: « (ثلة) جماعة، ((وقليل من الآخرين)) لأن الذي سبقوا إلى الإيمان بالنبي ﷺ قليل من كثير ممن سبق إلى الإيمان بالأنبياء قبله»^(٤).
- ٥- البيضاوي: « (ثلة من الأولين) أي هم كثير من الأولين يعني الأمم السالفة من لدن آدم - ﷺ - إلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، ((وقليل من الآخرين)) يعني أمة محمد عليه الصلاة والسلام»^(٥).
- ٦- المحلي: « (ثلة من الأولين) أي جماعة من الأمم الماضية، ((وقليل من الآخرين)) من أمة محمد ﷺ، وهم السابقون من الأمم الماضية وهذه الأمة»^(٦).
- ٧- الشوكاني: « والمراد بالأولين: هم الأمم السابقة من لدن آدم - ﷺ - إلى نبينا ﷺ، ((وقليل من الآخرين)) أي من هذه الأمة»^(٧).
- ٨- الألوسي: « المعنى جماعة كثيرة من الأولين وهم الناس المتقدمون من لدن آدم إلى

^١ () جامع البيان للطبري (٩٩/٢٧).

^٢ () الوجيز للواحدى (١٠٥٩/٢).

^٣ () مختصر البغوي (٩١٦/٢).

^٤ () إيجاز البيان للنيسابوري (٢٣٦/٢).

^٥ () أنوار التنزيل للبيضاوي (٢٤٣/٢).

^٦ () تفسير الجلالين ص (٤٥٢).

^٧ () فتح القدير للشوكاني (١٤٨/٥).

نبينا عليهما الصلاة والسلام وعلى من بينهما من الأنبياء العظام، ((وقليل من الآخرين)) وهم الناس من لدن نبينا ﷺ إلى قيام الساعة^(١).

٩- القنوجي: « والمراد بالأولين هم الأمم السابقة من لدن آدم - ﷺ - إلى نبينا ﷺ ومن بينهما من الأنبياء العظام، ((وقليل من الآخرين)) أي من هذه الأمة، وسموا قليلاً بالنسبة إلى من كان قبلهم، وهم كثيرون لكثرة الأنبياء فيهم، وكثرة من أجابهم^(٢). »

١٠- ابن عاشور: «... فالسابقون طائفتان: طائفة من الأمم الماضية ومجموع عددها في ماضي القرون كثير، وطائفة قليلة من الأمة الإسلامية^(٣). »

المخالفون:

قلة من المفسرين رجحوا أن الفرقتين من هذه الأمة، أعني الأولين والآخرين،

منهم:

١- ابن جزى: « الثلاثة الجماعة من الناس، فالعنى أن السابقين من الأولين أكثر من السابقين من الآخرين، والأولون هم أول هذه الأمة والآخرون المتأخرون من هذه الأمة^(٤). »

٢- ابن كثير: « القول الراجح هو أن يكون المراد بقوله تعالى ((ثلة من الأولين)) أي من صدر هذه الأمة، ((وقليل من الآخرين)) أي من هذه الأمة^(٥). »

٣- السعدي: « ((ثلة من الأولين)) أي جماعة كثيرون من المتقدمين من هذه الأمة وغيرهم، ((وقليل من الآخرين)) وهذا يدل على فضل صدر هذه الأمة في الجملة

(١) روح المعاني للألوسي (٢٧/١٣٤).

(٢) فتح البيان للقنوجي (١٣/٣٦٠).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٧/٢٩١).

(٤) التسهيل لابن جزى (٤/١٦١).

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٢٨٤).

على متأخريها، لكون المقربين من الأولين أكثر من المتأخرين، والمقربون هم خواص
الخلق»^(١).

تعقيب الباحث:

الذي يظهر - والله أعلم - أن ما رجحه الشنقيطي والموافقون هو الراجح،
من كون الأولين من الأمم الماضية من لدن آدم - ﷺ - إلى نبينا محمد ﷺ، والآخريين
هم من أمة محمد ﷺ، يدل لذلك.

١- سياق الآيات يدل على إرادة هذا المعنى فإن الآيات من أول سورة الواقعة فيها ذكر

أهوال يوم القيامة، يقول تعالى: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۗ لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا

كَاذِبَةٌ ۗ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۗ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۗ وَدُسَّتِ

الْجِبَالُ بَسًا ۗ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ۗ ﴾ [سورة الواقعة: ١ - ٦]

ومعلوم أن أهوال وأحداث يوم القيامة لا يكون فيها فقط أمة محمد ﷺ، إنما جميع
من خلق الله ﷻ من آدم

- ﷻ - إلى قيامة الساعة: « ولا شك أنه لا يخص أمة دون أمة، والجميع
مستوون في الأهوال والحساب والجزاء »^(٢)، « ودلالة سياق الآيات ولحاقها من
المرجحات القوية بين الأقوال لدى المفسرين »^(٣).

٢- كثرة القائلين به من أئمة التفسير قديماً وحديثاً أشبه أن يكون إجماعاً منهم عليه، و«

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(٨٣٣).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٧/٧٧٠).

(٣) قواعد التفسير لخالد السبت (١/٢٤٩).

إجماع جمهور المفسرين على قول يرجحه على غيره^(١)، وقد قال الفخر الرازي عن القول الراجح المذكور إنه هو « المشهور »^(٢).

- ٣- قلة القائلين بالقول رقم (٢) يعني أن يراد بالأولين أول هذه الأمة، وبالآخرين المتأخرين من هذه الأمة؛ تضعفه، مع عدم وضوح دليلهم في ترجيحه.
- ٤- ولم يجزم أحد من المفسرين بترجيح بقية الأقوال رقم (٣، ٤، ٥)، فلا تعتبر.
- ٥- فالراجح إذاً: أن السابقين جماعة كثيرة من مجموع الأمم الماضية من لدن آدم - ﷺ - إلى نبينا محمد ﷺ، وجماعة قليلة من أمة محمد ﷺ. اللهم اجعلنا منهم بكرمك وفضلك يا أرحم الراحمين.



^١ () قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٢٨٨/١).

^٢ () التفسير الكبير للفخر الرازي (٣٩٢/١٠).

معنى عُرْبًا

- ٩٦- قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ۝٢٥ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۝٢٦ عُرْبًا ۝٢٧ أَتْرَابًا ۝٢٨ ﴾ [سورة الواقعة: ٣٥ - ٣٨].

مجمل الأقوال الواردة:

اختلف في تحديد معنى (عُرْبًا) على أقوال:

- ١- المتحبيات إلى أزواجهن.
- ٢- الحسنة التبعيل.
- ٣- الحسنة الكلام.
- ٤- العاشقة لزوجها؛ لأن عشقها له يزيده ميلاً إليها وشغفاً بها^(١).
- ٥- العروب: الغنجة^(٢)، بلغة أهل المدينة. الشكلة^(٣)، بلغة أهل مكة^(٤).
- ٦- أنهن المتحبيات من الضرائر ليقفن على طاعته ويتساعدن على مشايعته^(٥).

(١) (الأقوال رقم (١، ٢، ٣، ٤) ذكرها الماوردي في النكت والعيون (٥/٤٥٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢٨٥/٧).

(٢) (الغنجة: الشُّكْلُ، قاله في القاموس المحيط ص(٢٥٦)، وانظر: الحاشية التالية.

(٣) (الشكلة: قال في القاموس المحيط: الشُّكْلُ: بالكسر والفتح: غنج المرأة ودُّلْها وغزلها، فهي شِكْلَةٌ. القاموس المحيط للفيروز آبادي ص(١٣١٨) باب اللام، فصل الشين. ونقل ابن عاشور في التحرير والتنوير (٢٧/٣٠١) عن نبيه بن الحجاج قوله:

تلك عريسي غضبي تريد زبالي

أبين أردت أم لدلال

(٤) (النكت والعيون للماوردي (٥/٤٥٥)، بدائع التفسير لابن القيم (٤/٣٥٥).

(٥) (ذكره الماوردي في النكت والعيون (٥/٤٥٦).

٧- أو أن معنى عُرْبًا: أي كلامهن عربي^(١).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « وقوله ((عرباً)) جمع عرب، وهي المتحبة إلى زوجها الحسنة التبعل، وهذا هو قول الجمهور. وهو الصواب إن شاء الله.

ومنه قول لبيد^(٢):

ريا الروادف يعشى دونها البصر

وفي الخباء عرب غير فاحشة

«^(٣).

الموافقون:

إلى مثل ما ذهب إليه الشنقيطي قد ذهب كثير من المفسرين، منهم:

- ١- الطبري: « وقوله ((عرباً)) يقول تعالى ذكره فجعلناهن أبكاراً غنجات متحبات إلى أزواجهن بحسن التبعل، وهي جمع واحد من عرب^(٤) ».
- ٢- الواحدي: « ((عرباً)) متحبات إلى الأزواج، عواشق لهم^(٥) ».
- ٣- النسفي: « ((عرباً)) جمع عرب: وهي المتحبة إلى زوجها الحسنة التبعل^(١) ».

^١ (حكاية السيوطي في الدر المنثور (١٥٩/٦)، من رواية ابن أبي حاتم.

^٢ (البيت في شرح ديوان لبيد، للدكتور إحسن عباس ص(٦١)، ولكنه قال (الحدوج) بدل (الخباء).
ولبيد هو ابن ربيعة بن مالك العامري، من أضخم الجاهليين شعراً وأكثرهم فحولة، أدرك الإسلام وحسن إسلامه. شرح ديوان لبيد ص(١٧، ٤٠٣).

^٣ (أضواء البيان للشنقيطي (٧٧٥/٧).

^٤ (جامع البيان للطبري (١٠٧/٢٧).

^٥ (الوجيز للواحدي (١٠٦١/٢).

- ٤- الزمخشري: « ((عرباً)) : جمع عرب وهي المتحبة إلى زوجها الحسنة التبعل »^(٢).
- ٥- النيسابوري: « ((عرباً)) العرب: الحسنة التبعل، الفطنة بمراد الزوج كفطنة العرب □ »^(٣).
- ٦- البيضاوي: « ((عرباً)) متحبات إلى أزواجهن، جمع عرب »^(٤).
- ٧- المحلي: « ((عرباً)) بضم الراء وسكونها جمع عرب وهي المتحبة إلى زوجها عشقاً له »^(٥).
- ٨- البقاعي: « ((أبكاراً)) أي بكاراً دائمة لأنه لا تغيير في الجنة ولا نقص. ولما كان مما جرت به العادة أن البكر تنضر من الزوج لما يلحقها من الوجد بإزالة البكار، دل على أنه لا نكد هناك أصلاً بوجع ولا غيره بقوله ((عرباً)) جمع عرب، وهي الغنجة المتحبة إلى زوجها »^(٦).
- ٩- الألوسي: « ((عرباً)) متحبات إلى أزواجهن، جمع عرب كصبور وصبر، روي هذا عن جماعة من السلف، وفسرها جماعة أخرى بغنجات، ولا يخفى أن الغنج أطف أسباب التحبب »^(٧).
- ١٠- السعدي: « ((عرباً))... والعروب: هي المرأة المتحبة إلى بعلمها بحسن لفظها، وحسن هيئتها ودلالها وجمالها ومحبتها، فهي التي إن تكلمت سبّت العقول، ووَدّ السامع أن كلامها لا ينقضي، خصوصاً عند غنائهن بتلك الأصوات الرخيمة

^١ () مدارك التنزيل للسفي (٤/١٦٤).

^٢ () الكشاف للزمخشري (٤/٤٥١).

^٣ () إيجاز البيان للنيسابوري (٢/٢٣٨).

^٤ () أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/٢٤٤).

^٥ () تفسير الجلالين ص (٤٥٢).

^٦ () نظم الدرر للبقاعي (١٩/٢١٠).

^٧ () روح المعاني للألوسي (٢٧/١٤٢).

والنغمات المطربة، إن نظر إلى أدبها وسمتها ودلها ملأت قلب بعلمها فرحاً وسروراً، وإن برزت من محل إلى آخر، امتلاً ذلك الموضع منها ريحاً طيباً ونوراً، ويدخل في ذلك الغنجة عند الجماع»^(١).

١١- سيد قطب: «(فجعلناهن أباكراً)) لم يمسن ((عرباً))... متحبيبات إلى أزواجهن»^(٢).

١٢- ابن عاشور: «العروب: المرأة المتحبة إلى الرجل، أو التي لها كيفية المتحبة وإن لم تقصد التحبب، بأن تكثر الضحك بمرأى الرجل أو المزاح أو اللهو أو الخضوع في القول أو اللثغ في الكلام بدون علة أو التغزل في الرجل والمساهلة في مجالسته والتدلل وإظهار معاكسة أميال الرجل لعباً لا جدّاً. وإنما فسروها بالمتحبة لأنهم لما رأوا هاته الأعمال تجلب محبة الرجل للمرأة؛ ظنوا أن المرأة تفعلها لاكتساب محبة الرجل. ولذلك فسر بعضهم: العروب بأنها المعتلمة، وإنما تلك حالة من أحوال بعض العروب»^(٣).

ولا يوجد مخالفون في هذا الموضع.

ولكن الذين لم يرجحوا قولاً محدداً، واكتفوا بسرد الأقوال كلها أو بعضها عند بيانهم لمعنى الآية، يمكن اعتبارهم تحت هذا التصنيف، وسأذكرهم وأشير إلى أقوالهم بالإحالة إلى مجمل الأقوال، اختصاراً وبعداً عن التكرار والإملاط.

١- الماوردي^(٤): ذكر الأقوال رقم (١+٢+٣+٤+٥+٦+٧).

(١) تيسير الكرم الرحمن للسعدي ص(٨٣٤).

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب (٦/٣٤٦٤).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٧/٣٠١).

(٤) النكت والعيون للماوردي (٥/٤٥٥).

- ٢- البغوي^(١): ذكر الأقوال رقم (٤+٣).
- ٣- ابن الجوزي^(٢): ذكر الأقوال رقم (٥+٤+٣+٢+١).
- ٤- القرطبي^(٣): ذكر الأقوال رقم (٥+٤+٣+٢+١).
- ٥- الخازن^(٤): ذكر الأقوال رقم (٣+١).
- ٦- ابن جزي^(٥): ذكر الأقوال رقم (٤+٣+١).
- ٧- أبوحيان^(٦): ذكر الأقوال رقم (٤+٣+١).
- ٨- ابن كثير^(٧): ذكر الأقوال رقم (٧+٥+٤+٣+٢+١).
- ٩- الثعالبي^(٨): ذكر الأقوال رقم (٥+٤+٣+١).
- ١٠- الشوكاني^(٩): ذكر الأقوال رقم (٤+٣+١).
- ١١- القنوجي^(١٠): ذكر الأقوال رقم (٤+٣+٢+١).

تعقيب الباحث:

^١ () مختصر البغوي (٩١٨/٢).

^٢ () زاد المسير لابن الجوزي (٢٨٥/٧).

^٣ () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١١/١٧).

^٤ () لباب التأويل للخازن (١٦/٧).

^٥ () التسهيل لابن جزي (١٦٣/٤).

^٦ () البحر المحيط لأبي حيان (٨٢/١٠).

^٧ () تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٩١/٤).

^٨ () جواهر الحسان للثعالبي (٢٥٣/٤).

^٩ () فتح القدير للشوكاني (١٥٢/٥).

^{١٠} () فتح البيان للقنوجي (٣٦٩/١٣).

الظاهر - والله أعلم- أن الراجح هو ما ذهب إليه الشنقيطي والموافقون من أن لفظة ((عرباً)) يراد بها جمع عروب؛ وهي المتحبة إلى زوجها بحسن التبعل، بما يشملها حسن التبعل من حسن في الأقوال والأفعال، يدل لذلك:

- ١- كون هذا هو اختيار الجمهور، صرح بذلك الألويسي بقوله عنه إنه « هو الذي عليه الأكثر»^(١)، والشنقيطي قال: « هذا هو قول الجمهور»^(٢).
- ٢- دلالة اللغة العربية عليه، فإن ((عُرباً)) جمع عَرُوب « واشتقاقه من أعرب إذا بين، فالعروب تبين محبتها لزوجها بشكّل وغنج وحسن كلام»^(٣).
- ٣- الذين لم يرجحوا ما رجحه الشنقيطي واكتفوا بسرد الأقوال كلها أو بعضها عند تفسيرهم للآية، يلاحظ أنهم جميعاً متفقون على ذكر الأقوال (١، ٢، ٣، ٤) من مجمل الأقوال، وهي:

١- المتحبات إلى أزواجهن.

٢- الحسنة التبعل.

٣- الحسنة الكلام.

٤- العاشقة لزوجها.

وكما هو واضح أنه لا تنافر بين الأقوال المذكورة بل كلها تؤدي معنى واحداً، فإن المرأة العروب: هي المتحبة إلى زوجها؛ بحسن التبعل (عمل)، وحسن الكلام (قول)، وعشقها لزوجها (محبة قلبية)، فإذا اجتمعت هذه الصفات في امرأة فهي عروب، وهي صفة نساء أهل الجنة. جعلنا الله **رَبِّكَ** وإياكم وجميع المسلمين من أهل الجنة.

وإليك كلام بعض المفسرين مما يوضح هذا الترابط الشديد بين الأقوال، يقول الماوردي - بعد ذكر أن من معاني العروب: العاشقة لزوجها- « لأن عشقها له يزيده ميلاً إليها وشغفاً بها

(١) روح المعاني للألويسي (١٤٢/٢٧).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٧٧٥/٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١١/١٧).



«^(١)، ويقول النيسابوري: «العروب: الحسنة التبعل، الفطنة بمراد الزوج كفطنة العرب»^(٢)،
فكونها تفتن لمراد زوجها يعني أنها تحسن تصرفاتها وأقوالها ومشاعرها معه. ويقول الألويسي: «
ولا يخفى أن الغنج ألطف أسباب التحبب»^(٣).

ويقول السعدي: «ويدخل في ذلك الغنجة عند الجماع»^(٤). ويقول ابن
عاشور: «وإنما فسروها بالمتحبة لأنهم لما رأوا هاته الأعمال تجلب محبة الرجل للمرأة ظنوا
أن المرأة تفعلها لاكتساب محبة الرجل»^(٥). والله أعلم بالصواب.



من هم (المقوين)؟

٩٧- قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَذْشَاتُمْ شَجَرَتَهَا
أَمْ نَحْنُ الْمُنشُؤُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَامْتِنَاعًا لِلْمُقْوِينَ

﴿سورة الواقعة: ٧١ - ٧٣﴾

مجمل الأقوال الواردة:

أُخْتِيفَ في المراد بلفظ ((المقوين)) في الآية على أقوال:

(١) النكت والعيون للماوردي (٤٥٥/٥).

(٢) إيجاز البيان للنيسابوري (٢٣٨/٢).

(٣) روح المعاني للألويسي (١٤٢/٢٧).

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٨٣٤).

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠١/٢٧).

- ١- أن (المقوين): المسافرون.
- ٢- أو المقوين: الجائعون.
- ٣- الفقراء والمساكين.
- ٤- المستمتعون^(١).
- ٥- أن لفظ المقوي من الأضداد، فيطلق على الغني والفقير^(٢).
- ٦- أو أن لفظ المقوي يعني: أوقده وقواه وزاده^(٣).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « وقوله تعالى ((ومتاعاً للمقوين)) أي منفعة للنازلين بالقواء من الأرض وهو الخلاء والفلاة التي ليس بها أحد، وهم المسافرون؛ لأنهم ينتفعون بالنار ارتفاعاً عظيماً في الاستدفاء بها والاستضاءة وإصلاح الزاد.

وقد تقرر في الأصول أن من موانع اعتبار مفهوم المخالفة كون اللفظ وارداً للامتنان. وبه تعلم أنه لا يعتبر مفهوماً للمقوين؛ لأنه جيء به للامتنان أي وهي متاع أيضاً لغير المقوين من الحاضرين بالعمران، وكل شيء خلا من الناس يقال له أقوى؛ فالرجل إذا كان في الخلاء يقال له أقوى، والدار إذا خلت من أهلها قيل لها أقوى. ومنه قول نابغة ذبيان:

(١) الأقوال (١، ٢، ٣، ٤) ذكرها الماوردي في النكت والعيون (٤٦١/٥).

(٢) مختصر البغوي (٩٢٠/٢) حكاه عن قطرب.

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي (٤٢٣/١٠).

يا دارمية بالعلياء فالسند
أقوت وطال عليها سالف الأبد^(١)
وقول عنتره:

حبيبت من طلل تقدم عهده
أقوى وأقفر بعد أم الهيثم^(٢)

وقيل: للمقوين؛ أي للجائعين، وقيل غير ذلك، والذي عليه الجمهور هو ما
ذكرنا^(٣).

الشيخ الشنقيطي رجّح أن المراد بالمقوين: المسافرون.

الموافقون:

رجّح مثل ترجيح الشنقيطي؛ وأن لفظ ((المقوين)) يراد به المسافرون، عدد غير

قليل من المفسرين، منهم:

- | | | |
|-------------------------------|------------------------------|--------------------------------|
| ١ - الطبري ^(٤) . | ٢ - الواحدي ^(٥) . | ٣ - ابن القيم ^(٦) . |
| ٤ - أبو حيان ^(٧) . | ٥ - المحلي ^(٨) . | ٦ - |

(١) البيت هو مطلع معلقة النابغة الذبياني، وهو زياد بن معاوية بن ذبيان الغطفاني، من شعراء الجاهلية المشهورون، مات سنة (٦٠٤هـ) قبل مبعث النبي ﷺ. انظر: المعلقات العشر ص (٢٦٣).

(٢) البيت في معلقة عنتره بن شداد العبسي، من فحول شعراء الجاهلية وفرسانهم، عربي الأب حبشي الأم. انظر: شرح المعلقات السبع ص (١٠٨).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٧/٧٩٦).

(٤) جامع البيان للطبري (٢٧/١١٦).

(٥) الوجيز للواحدي (٢/١٠٦٣).

(٦) بدائع التفسير لابن القيم (٤/٣٥٦).

(٧) البحر المحيط لأبي حيان (١٠/٩٠).

(٨) تفسير الجلالين ٢ (٤٥٤).

- الثعالبي^(١).
 ٧- القنوجي^(٢).
 ٨- سيد قطب^(٣).

المخالفون:

المخالفون في هذا الموضوع على فئات:

أ- الفئة الأولى: من حمل لفظ ((المقوين)) على معنى واحد من المعاني المذكورة في مجمل الأقوال، منهم:

- ١- الفخر الرازي: «... والمقوي: هو الذي أوقده فقواه وزاده»^(٤).
 ٢- البقاعي: «((للمقوين)) أي الجياح الذين أقوت بطونهم - أي خلت - من الفقر»^(٥).

ب- الفئة الثانية: من حمل لفظ ((المقوين)) على معنيين من المعاني المذكورة في مجمل الأقوال على اعتبار احتمال أي من القولين أو كلاهما معاً للآية، وهذه الفئة على نوعين حسب الأقوال التي اختاروها:

- النوع الأول: الذين حملوا لفظ ((المقوين)) على أنه يراد به المسافرون أو الجائعون - وهذان هما القولان (٢+١) من مجمل الأقوال - ومن قال بهذا:
 ١- النسفي^(٦).
 ٢- الزمخشري^(١).
 ٣- ابن جزري^(٢).

(١) جواهر الحسان للثعالبي (٢٥٦/٤).

(٢) فتح البيان للقنوجي (٣٨٠/١٣).

(٣) في ظلال القرآن لسيد قطب (٣٤٧٠/٦).

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي (٤٢٣/١٠).

(٥) نظم الدرر للبقاعي (٢٣٠/١٩).

(٦) مدارك التنزيل للنسفي (١٦٦/٤).

٤- البيضاوي^(٣).

٥- ابن عاشور^(٤).

النوع الثاني: الذين حملوا لفظ ((المقوين)) على أنه يراد به المسافرون أو المستمعون المتفعون بالنار عموماً من مسافرين وحاضرين - وهذان هما القولان (٤+١) من مجمل الأقوال - وممن قال بهذا.

١- النيسابوري^(٥).
٢- السعدي^(٦).

ج- الفئة الثالثة: من حمل لفظ (المقوين) على ثلاثة من المعاني المذكورة في مجمل الأقوال، وهي الأقوال (٥+٤+١)، فيراد بالمقوين: المسافرين أو المستمعين المتفعين بها عموماً فيشمل المسافر والحاضر، أو أن لفظ (المقوي) من الأضداد فيقال للفقير مقوٍ لخلوه من المال، ويقال للغني مقوٍ لقدرته على ما يريد، واختار هذه المعاني وذكرها عند تفسيره للآية: الخازن^(٧).

د- الفئة الرابعة: من ذكر أربعة أقوال تحت تفسيره للآية، وهؤلاء نوعان حسب ما اختاروه من أقوال:

النوع الأول: من رجح الأقوال رقم (٤+٣+٢+١) وهي: (المسافرون،

(١) الكشف للزمخشري (٤/٤٥٦).

(٢) التسهيل لابن جزي (٤/١٦٧).

(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/٢٤٥).

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٧/٣٢٧).

(٥) إيجاز البيان للنيسابوري (٢/٢٤٠).

(٦) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٨٣٦).

(٧) لباب التأويل للخازن (٧/٢٠).

والجائعون، والفقراء، والمساكين، والمستمتعون عموماً، وقال بهذا: ابن الجوزي^(١).
 النوع الثاني: من رجح الأقوال رقم (١+٢+٤+٥) وهي: (المسافرون،
 والجائعون، والمستمتعون المنتفعون بها عموماً)، أو أن لفظ (المقوي) يعتبر من الأضداد
 فيطلق على الغني والفقير، ومن ذكر هذا:
 ١- البغوي^(٢). ٢- القرطبي^(٣). ٣- الألويسي^(٤).

تعقيب الباحث:

الذي يظهر - والله أعلم - صحة حمل لفظ ((المقوين)) على جميع المعاني
 الواردة عن المفسرين، وذلك لأمر:
 ١- أن من فسر ((المقوين)) بالمسافرين جعل اشتقاق اللفظ من: « الأرض القواء، يعني
 الخلاء والفلاة التي ليس فيها أحد »^(٥)، والمسافر في أثناء سفره يقطع أراضٍ وفيافٍ
 تكون خالية من البشر غالباً؛ وهي الأرض القواء، فصح أن يقال عن المسافرين
 (مقوين).
 ٢- من فسّر ((المقوين)) بأنهم الجائعين، أو الفقراء والمساكين، جعل اشتقاق اللفظ من
 قوله: « أقوى منذ كذا وكذا أي ما أكلت شيئاً »^(٦). فصح إطلاق ((المقوين)) على
 الجائعين عموماً أو الفقراء والمساكين خصوصاً لخلو بطونهم من الطعام.
 ٣- من حمل لفظ ((المقوين)) على أنه يراد به المستمتع بالمتفيعين بالنار عموماً؛ فإن مؤيدهم

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٢٩١/٧).

(٢) مختصر البغوي (٩٢٠/٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢٢/١٧).

(٤) روح المعاني للألويسي (١٥٠/٢٧).

(٥) أضواء البيان للشنقيطي (٧٩٦/٧).

(٦) مختصر البغوي (٩٢٠/٢).

في ذلك « ما تقرر في الأصول أن من موانع اعتبار مفهوم المخالفة كون اللفظ وارداً للامتنان^(١). وعليه لا يعتبر مفهوماً للمقوين؛ لأنه جيء به للامتنان، أي وهي متاع أيضاً لغير المقوين من الحاضرين بالعمران^(٢). وإنما خص المسافرين بالذكر لأن « أهل البوادي والأسفار منفعتهم بها أكثر من منفعة المقيم وذلك أنهم يوقدون لها ليلاً لتهرب منهم السباع، ويهتدي بها الضال، وغير ذلك من المنافع^(٣) ».

٤- ومن حمل لفظ ((المقوين)) على صحة إطلاقه على الغني والفقير، فإنهم اعتبروه من الأضداد « يقال للفقير مقوٍ لخلوه من المال، ويقال للغني مقوٍ لقوته على ما يريد، يقال: أقوى الرجل إذا قويت دوابه وكثر ماله، وصار إلى حال القوة، والمعنى أن فيها متاعاً للأغنياء والفقراء جميعاً لا غنى لأحد عنها^(٤) ».

٥- وعموماً فقد صرحوا بأن « الآية تصلح للجميع؛ لأن النار يحتاج إليها المسافر والمقيم، والغني والفقير^(٥) ».

٦- فائدتان:

أ- يقول الفخر الرازي: « قدم - ﷺ - كونها تذكرة على كونها متاعاً ليعلم أن الفائدة الأخروية أتم وبالذكر أهم^(٦) ».

ب- يقول ابن القيم: « وخص المقوين بالذكر وإن كانت منفعتها عامة للمسافرين والمقيمين تبييناً لعباده - والله أعلم براده من كلامه - على أنهم كلهم مسافرون وأنهم في هذه الدار على جناح سفر ليسوا هم مقيمين ولا مستوطنين وأنهم عابروا

(١) انظر: مذكرة أصول الفقه للشنقيطي ص(٢٤١).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٧٩٦/٧).

(٣) مختصر البغوي (٢/٩٢٠).

(٤) المرجع السابق.

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/٢٢٢) حكاه عن المهدي.

(٦) التفسير الكبير للفخر الرازي (١٠/٤٢٣).

سبيل وأبناء سفر»^(١). والله أعلم بالصواب.



(١) بدائع التفسير لابن القيم (٤/٣٥٦).

المراد بالتربص

٩٨- قوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ
أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ
وَوَغَرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [سورة الحديد: ١٤].

مجملة الأقوال الواردة:

- ١- أن المراد بالتربص: الانتظار، يعني تربص المنافقين بالنبي ﷺ الموت، وبالمؤمنين الدوائر^(١).
- ٢- أو يكون المراد بالتربص: تأخير التوبة، والمعنى: تربصتم أي أخرتم التوبة من وقت إلى وقت حتى متم^(٢).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « وقوله ((وتربصتم))
التربص: الانتظار، والأظهر أن المراد به هنا تربص المنافقين بالمؤمنين الدوائر، أي انتظارهم
بهم نوابغ الدهر أن تهلكهم، كقوله تعالى في منافقي الأعراب المذكورين في قوله: ﴿
وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ﴾ [سورة التوبة: ١٠١]،
﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٤٧/١٧)، أضواء البيان للشنقيطي (٨٠٩/٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٠٩/٤)، جواهر الحسان للثعالبي (٢٦٥/٤).

عَلَيْهِمْ دَايِرَةُ السَّوْءِ ﴿١﴾ [سورة التوبة: ١٩٨] ﴿١﴾.

الموافقون :

إن المراد بالتريص هنا: هو تريص المنافقين بالنبي ﷺ والمؤمنين معه الدوائر، يعني ينتظر المنافقون أن يموت النبي ﷺ، وتنزل بالمؤمنين نوائب الدهر من المصائب الفردية والجماعية ونحوها؛ هذا ما رجحه الشيخ الشنقيطي، ومثله قد رجحه عدد من المفسرين من السلف والخلف، منهم:

١- الواحدي: « (وتريصتم) بمحمد - ﷺ - الموت »^(٢).
 ٢- ٣- ٤- ٥- ٦- النسفي^(٣)، الزمخشري^(٤)، البيضاوي^(٥)، المحلي^(٦)، والألوسي^(٧): « (وتريصتم) بالمؤمنين الدوائر ».

٧- النيسابوري: « (وتريصتم) قلتم: ﴿ نَتَرِيصُ بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ ﴾ [سورة الطور: ١٣٠] »^(٨).

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٨٠٩/٧).

(٢) الوجيز للواحدى (١٠٦٨/٢).

(٣) مدارك التنزيل للنسفي (١٧٠/٤).

(٤) الكشاف للزمخشري (٤٦٣/٤).

(٥) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢٤٨/٢).

(٦) تفسير الجلالين ص (٤٥٧).

(٧) روح المعاني للأوسى (١٧٧/٢٧).

(٨) إيجاز البيان للنيسابوري (٢٤٥/٢).

- ٨ - ٩ - الشوكاني^(١)، القنوجي^(٢): « بمحمد ﷺ وبمن معه من المؤمنين حوادث الدهر.
وقيل: تربصتم بالتوبة. والأول أولى ».
- ١٠ - ابن عاشور: « والتربص: انتظار شيء، ويتعدى فعله إلى المفعول بنفسه ويتعلق به
ما زاد على المفعول بالباء، وحذف هنا مفعوله ومتعلقه ليشمل عدة الأمور التي
ينتظرها المنافقون في شأن المؤمنين وهي كثيرة مرجعها إلى أذى المسلمين والإضرار بهم
فيتربصون هزيمة المسلمين في الغزوات ونحوها من الأحداث »^(٣).

المخالفون:

- رجح القول الآخر وهو أن المراد بالتربص تأخير التوبة؛ فلة من المفسرين، منهم:
- ١ - الطبري: « وقوله ((وتربصتم)) يقول وتلبستم بالإيمان ودافعتم بالإقرار بالله
ورسوله □ »^(٤).
- ٢ - سيد قطب: « ((ولكنكم فتنتم أنفسكم))... فرصتموها عن الهدى، ((وتربصتم))...
فلم تعزموا ولم تختاروا الخير الحاسمة »^(٥).

في حين أن عدداً كبيراً من المفسرين فسروا التربص هنا بذكر القولين معاً، منهم:

- ١ - الماوردي: « (وتربصتم) فيه تأويلان:
أحدهما: بالحق وأهله. والثاني: وتربصتم بالتوبة »^(٦).

(١) فتح القدير للشوكاني (١٦٨/٥).

(٢) فتح البيان للقنوجي (٤٠٩/١٣).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٨٦/٢٧).

(٤) جامع البيان للطبري (١٣٠/٢٧).

(٥) في ظلال القرآن لسيد قطب (٣٤٨٦/٦).

(٦) النكت والعيون للماوردي (٤٧٦/٥).

- ٢- ابن الجوزي: « (وتربصتم) » فيه قولان:
 أحدهما: تربصتم بالتوبة. والثاني: تربصتم بمحمد ﷺ الموت، وقتلتم يوشك أن يموت
 فنستريح^(١).
 ٣- القرطبي: « (وتربصتم) » بالنبي ﷺ الموت، وبالمؤمنين الدوائر، وقيل: « (تربصتم) بالتوبة »^(٢).
 ٤- ابن جزى: « (وتربصتم) أي أبطأتم بإيمانكم. وقيل: تربصتم الدوائر بالنبي ﷺ
 وبالمسلمين »^(٣).
 ٥- البقاعي: « (وتربصتم) » أي كلفتم أنفسكم أن أخرجتموها عن الفطرة الأولى
 فأمهلتهم وانتظرتهم لتروا الأمر عياناً أو لم تفعلوا كما فعلنا من الإيمان بالغيب وترك
 التجربة ونسبة ما يحصل لنا مما فيه فتنة إلى أنفسنا بتقصيرنا، وكنا كلما حصل لنا ما
 يزلزل نقول: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ولا يزيدنا ذلك إلا إيماناً
 وتسليماً، وانتظرتهم أيضاً الدوائر بأهل الإيمان لتظهروا النفاق »^(٤).
 وبنحو عبارات من ذكرت جاء كلام كل من: البغوي^(٥)، والفخر الرازي^(٦)،
 الرازي^(٦)، والحازن^(٧)، وأبي حيان^(٨)، وابن كثير^(٩)، والثعالبي^(١).

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٣٠٤/٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٤٧/١٧).

(٣) التسهيل لابن جزى (١٧٧/٤).

(٤) نظم الدرر للبقاعي (٢٧٦/١٩).

(٥) مختصر البغوي (٩٢٥/٢).

(٦) التفسير الكبير للفخر الرازي (٤٥٩/١٠).

(٧) لباب التأويل للحازن (٢٩/٧).

(٨) البحر المحيط لأبي حيان (١٠٧/١٠).

(٩) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٠٩/٤).

تعقيب الباحث:

يظهر - والله أعلم - أن الراجح هو ما ذهب إليه الشنقيطي والموافقون، من أن التربص يراد به تربص المنافقين بالنبي ﷺ والمؤمنين معه الدوائر، فيتربصون بالنبي ﷺ أن يأتيه الموت فيستريحوا، ويطربصون بالمؤمنين أن تنزل عليهم المصائب ونوائب الدهر، يدل لذلك أمور:

١- أن تفسير القرآن بالقرآن هو أحسن وأفضل أنواع التفسير^(١)، والقول المذكور قد دلت عليه آيات من كتاب الله ﷻ، كقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ﴾ [سورة التوبة: ٩٨]، وقوله تعالى: ﴿ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾ [سورة الطور: ١٣٠].

٢- أن هذا التفسير هو المناسب لسياق الآية، فإن قوله تعالى ((وارتبتم)) يراد به « شككنم في توحيد الله ﷻ وفي نبوة محمد ﷺ »^(٢)، ومحییء لفظ ((ارتبتم)) بعد لفظ ((تربصتم)) يناسبه أن يكون معنى التربص هو تربصهم الدوائر بالنبي ﷺ والمؤمنين، فإن شكهم في أمر الدين والنبوة هو الذي يدفعهم إلى هذا التربص، فيظنوا أنه إن مات النبي ﷺ أو انهزم المسلمون؛ فيستريحوا ويبقوا على كفرهم ولا يدخلوا في الإسلام ولا يريدونه. ودلالة السياق على المعنى الراجح قاعدة متبعة عند المفسرين^(٣).

٣- وأخيراً كثرة القائلين به يشبه أن يكون إجماعاً منهم على صحته ورجحانه.

(١) جواهر الحسان للثعالبي (٢٦٥/٣).

(٢) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(١٢٧).

(٣) جامع البيان للطبري (١٣٠/٢٧).

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (١٢٥/١).

والله أعلم بالصواب.



المراد بأمر الله ﷻ

٩٩- قوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ
أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ
وَوَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [سورة الحديد: ١٤].

مجمل الأقوال الواردة:

- ١- أن المراد بأمر الله ﷻ: الموت.
- ٢- أو يكون المراد: إلقاءهم في النار.
- ٣- أو أن يكون المراد بأمر الله ﷻ: نصرة نبيه ﷺ^(١).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « وقوله ((حتى جاء أمر
الله)) الأظهر أنه الموت ؛ لأنه ينقطع به العمل »^(٢).

الموافقون:

عدد كبير من المفسرين ذهبوا إلى مثل ما ذهب إليه الشنقيطي ، ورجحوا أن المراد
بأمر الله ﷻ في هذه الآية: هو الموت ، منهم :

- ١- الطبري^(٣).
- ٢- الواحدي^(١).
- ٣- البغوي^(٢).

(١) الأقوال الثلاثة مجتمعة ذكرها القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٧/٢٤٧).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٧/٨١٠).

(٣) جامع البيان للطبري (٢٧/١٣٠).

- ٤- النسفي^(٣) . ٥- الزمخشري^(٤) . ٦- الفخر الرازي^(٥) .
 ٧- أبوحيان^(٦) . ٨- ابن كثير^(٧) . ٩- البيضاوي^(٨) .
 ١٠- المحلي^(٩) . ١١- البقاعي^(١٠) . ١٢- الألويسي^(١١) .
 ١٣- السعدي^(١٢) . ١٤- ابن عاشور^(١٣) .

ولم يرجح في هذا الموضوع أحدٌ قولاً آخر.

ولكن بعض المفسرين ذكروا تحت تفسيرهم للآية القولان الأول والثاني

(١) الوجيز للواحدى (١٠٦٨/٢).

(٢) مختصر البغوي (٩٢٥/٢).

(٣) مدارك التنزيل للنسفي (١٧٠/٤).

(٤) الكشاف للزمخشري (٤٦٣/٤).

(٥) التفسير الكبير للفخر الرازي (٤٥٩/١٠).

(٦) البحر المحيط لأبي حيان (١٠٧/١٠).

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٠٩/٤).

(٨) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢٤٨/٢).

(٩) تفسير الجلالين ص (٤٥٧).

(١٠) نظم الدرر للبقاعي (٢٧٧/١٩).

(١١) روح المعاني للألويسي (١٧٨/٢٧).

(١٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٨٤٠).

(١٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٨٧/٢٧).



«الموت أو إلقاء المنافقين في النار» معتبرين القولين معاً معنىً للآية، منهم:

١- الماوردي^(١). ٢- ابن الجوزي^(٢). ٣- الخازن^(٣).

وبعض آخر ذكروا القولين الأول والثالث «الموت، أو نصرة النبي ﷺ» على

اعتبار صلاحية القولين معنىً للآية، منهم:

١- ابن جزى^(٤). ٢- الثعالبي^(٥).

وبعض أخير ذكروا الأقوال الثلاثة كلها «الموت، أو إلقاء المنافقين في النار، أو

نصرة النبي ﷺ» على أنها محتملة للآية، منهم:

١- القرطبي^(٦). ٢- الشوكاني^(٧). ٣- القنوجي^(٨).

تعقيب الباحث:

يظهر - والله أعلم - أن الراجح هو ما رجحه الشنقيطي والموافقون، وأن

المراد بأمر الله ﷻ في الآية: الموت، يدل لذلك:

١- أن هذا القول هو ما رجحه جمهور من المفسرين على مر العصور؛ من ابن جرير

(١) النكت والعيون للماوردي (٤٧٦/٥).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٣٠٤/٧).

(٣) لباب التأويل للخازن (٢٩/٧).

(٤) التسهيل لابن جزى (١٧٨/٤).

(٥) جواهر الحسان للثعالبي (٢٦٥/٤).

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٤٧/١٧).

(٧) فتح القدير للشوكاني (١٦٨/٥).

(٨) فتح البيان للقنوجي (٤١٠/١٣).

الطبري في أواخر القرن الثالث الهجري إلى الشنقيطي وابن عاشور في أواخر القرن الرابع عشر الهجري.

٢- أن هذا المعنى هو المناسب لسياق الآية، فإن الغاية التي تقف عندها - إجبارياً - أمانى الإنسان وآماله عموماً هو الموت، يقول تعالى: ﴿وَعَرَّتْكُمْ أَلْمَانِي حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [سورة الحديد: ١٤].

٣- حتى الذين لم يرجحوا ما رجحه الشنقيطي، واكتفوا بسرد الأقوال كلها أو بعضها، اتفقوا جميعاً على أن أبرز المعاني لقوله ((أمر الله)) هو الموت. فيتضح من هذا أن أظهر المعاني وأول ما يتبادر إلى الذهن عند بيان المراد بأمر الله ﷻ أن يفسر بأنه الموت. والله أعلم بالصواب.



مَنْ الْمَقْصُودُ؟ مُؤْمِنِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوْ مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ

١٠٠- قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ
يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الحديد: ٢٨].

مجمل الأقوال الواردة:

اختلف في الخطاب المذكور في قوله تعالى ((يا أيها الذين آمنوا...)) في آية سورة
الحديد هذه على قولين:

- ١- أن الخطاب يراد به عموم المؤمنين من هذه الأمة، أمة محمد ﷺ.
- ٢- أن الخطاب يراد به أهل الكتاب من اليهود والنصارى^(١).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : «التحقيق أن هذه الآية
الكريمة من سورة الحديد في المؤمنين من هذه الأمة، وأن سياقها واضح في ذلك، وأن من
زعم من أهل العلم أنها في أهل الكتاب فقد غلط، وأن ما وعد الله ﷻ به المؤمنين من هذه
الأمة أعظم مما وعد به مؤمني أهل الكتاب وإتيانهم أجرهم مرتين؛ كما قال تعالى فيهم:
﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ ءُؤْمِنُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ
عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ءَ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ

(١) القولان ذكرهما ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٤/٣١٧).

﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ...﴾ [سورة القصص: ٥٢ - ٥٤]، وكون ما

وعد به المؤمنين من هذه الأمة أعظم؛ أن إتياء أهل الكتاب أجرهم مرتين أعطى المؤمنين من هذه الأمة مثله كما بينه بقوله: ((يؤتكم كفلين من رحمته)) وزادهم بقوله ((ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم))^(١).

الشيخ الشنقيطي رجح أن المراد: المؤمنين من هذه الأمة، أمة محمد ﷺ.

الموافقون:

مثل ترجيح الشنقيطي؛ رجح أن الخطاب موجّه إلى مؤمني هذه الأمة، عدد

قليل من المفسرين، منهم:

١- أبو حيان: «(يا أيها الذين آمنوا) الظاهر أنه نداء لمن آمن من أمة محمد ﷺ، فمعنى آمنوا: دوموا واثبتوا»^(٢).

٢- الألوسي^(٣).
٣- السعدي^(٤).
٤- سيد قطب^(٥).

وكلام الألوسي والسعدي وسيد قطب يشبه كلام أبي حيان.

المخالفون:

(١) أضواء البيان للشنقيطي (١٦٦/٧).

(٢) البحر المحيط لأبي حيان (١١٦/١٠).

(٣) روح المعاني للألوسي (١٩٣/٢٧).

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٨٤٣).

(٥) في ظلال القرآن لسيد قطب (٣٤٩٦/٦).

الذين رجحوا أن الخطاب يراد به أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، فهم عدد

كبير من المفسرين ، منهم :

- ١- الطبري: « (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم)» يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله من أهل الكتابين التوراة والإنجيل ؛ خافوا الله تعالى بأداء طاعته واجتناب معاصيه ، وآمنوا برسوله محمد ﷺ «^(١) .
- ٢- الماوردي^(٢) .
- ٣- البغوي^(٣) .
- ٤- النسفي^(٤) .
- ٥- النيسابوري^(٥) .
- ٦- ابن الجوزي^(٦) .
- ٧- الفخر الرازي^(٧) .
- ٨- القرطبي^(٨) .
- ٩- الحازن^(٩) .
- ١٠- ابن جزى^(١٠) .

(١) جامع البيان للطبري (١٤٠/٢٧).

(٢) النكت والعيون للماوردي (٤٨٥/٥).

(٣) مختصر البغوي (٩٢٨/٢).

(٤) مدارك التنزيل للنسفي (١٧٤/٤).

(٥) إيجاز البيان للنيسابوري (٢٤٦/٢).

(٦) زاد المسير لابن الجوزي (٣١٢/٧).

(٧) التفسير الكبير للفخر الرازي (٤٧٥/١٠).

(٨) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٦٦/١٧).

(٩) لباب التأويل للحازن (٣٤/٧).

(١٠) التسهيل لابن جزى (١٨٣/٤).

١١ - البيضاوي^(١). ١٢ - المحلي^(٢). ١٣ - البقاعي^(٣).
والذين لم أذكر كلامهم فإنه لا يخرج في مجمله عما قاله الطبري.

تعقيب الباحث:

يظهر - والله أعلم - أن الراجح كون الخطاب في هذه الآية يراد به من آمن بالنبى ﷺ من مؤمني أهل الكتاب ودخل في الإسلام مصداقاً بالنبى محمد ﷺ وبما جاء به من القرآن الكريم، يظهر هذا واضحاً من سياق الآيات، فإن « إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعد أولى به من الخروج عنه »^(٤)، واستناداً إلى هذه القاعدة الترجيحية؛ يترجح ما ذهب إليه الإمام الطبري ومن معه: من كون الخطاب يراد به من آمن بالنبى ﷺ من أهل الكتاب.

أيضاً ما ورد في سورة القصص؛ وهو قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٢﴾ أَوْلِيَاكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ... ﴿٥٤﴾ [سورة القصص: ٥٢ - ٥٤] يؤيد إرادة هذا المعنى في سورة الحديد

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢٥٠/٢).

(٢) تفسير الجلالين ص (٤٥٩).

(٣) نظم الدرر للبقاعي (٣٢٤/١٩).

(٤) قواعد التفسير لخالل السبت (٢٤٩/١).

هنا، وهذا من « تفسير القرآن بالقرآن، أحسن أنواع التفسير »^(١).

كذلك دلالة الحديث الصحيح؛ عن النبي ﷺ قال: « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي فأمن به واتبعه وصدقته فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله تعالى وحق سيده فله أجران، ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاها ثم أدبها فأحسن أدبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران »^(٢)، وصحة الحديث « مرجحة لما يؤيده من معنى الآية »^(٣).

ومما يرجح هذا القول أيضاً كونه اختيار عامة المفسرين، يقول ابن الجوزي: « عامة المفسرين على أن هذا الخطاب لليهود والنصارى »^(٤). والله أعلم بالصواب.



(١) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص (١٢٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب فضل من أسلم من أهل الكتابين، فتح الباري (١٤٥/٦)، ومسلم في كتاب الإيمان،

باب وجوب الإيمان برسالة النبي محمد ﷺ، صحيح مسلم بشرح النووي (١٨٦/٢).

وانظر: جامع البيان (٦٠/٨) كتاب العتق.

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٠٦/١).

(٤) زاد المسير لابن الجوزي (٣١٢/٧).

المراد بقوله تعالى ﴿ فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

١٠١- قوله تعالى: ﴿ آخِذُوا بِأَيْمَانِهِمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [سورة المجادلة: ١٦].

مجمّل الأقوال الواردة:

- اختلف في المراد بقوله تعالى - عن المنافقين - ((فصدوا عن سبيل الله)) على أقوال:
- ١- أن المعنى: صدّوا الناس عن دين الإسلام.
 - ٢- أن المعنى: صدّوا المؤمنين عن جهادهم بالقتل وأخذ ما لهم^(١).
 - وهذان المعنيان (٢+١) مبنيان على أن (صدوا) هي المتعدية.
 - ٣- أو يكون المعنى: صدوا أنفسهم عن سبيل الله تَجَلَّى، بمعنى: أعرضوا عن دين الإسلام^(٢).

ترجيح الشنقيطي:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن المنافقين اتخذوا أيمانهم جنة، والأيمان جمع يمين؛ وهي الحلف، والجنة هي الترس الذي يتقي به المقاتل وقع السلاح، والمعنى أنهم جعلوا الأيمان الكاذبة، وهي حلفهم للمسلمين أنهم معهم وأنهم مخلصون في باطن الأمر، ترساً لهم يتقون به الشر الذي ينزل بهم لو صرحوا بكفرهم.

وقوله تعالى: ((فصدوا عن سبيل الله)) الظاهر أنه من صد المتعدية، وأن المفعول محذوف أي فصدوا غيرهم ممن أطاعهم؛ لأن صدودهم في أنفسهم دل عليه قوله

(١) القولان (٢+١) ذكرهما ابن الجوزي في زاد المسير (٣٢٧/٧).

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (١٣٠/١٠).

((اتخذوا أيمانهم جنة))، والحمل على التأسيس أولى من الحمل على التأكيد.

وهذان الأمران اللذان تضمنتها هذه الآية الكريمة؛ وهما كون المنافقين يخلفون الأيمان الكاذبة لتكون لهم جنة، وأنهم يصدون غيرهم عن سبيل الله ﷻ؛ جاءا موضحين في آيات أخر من كتاب الله تعالى. أما أيمانهم الكاذبة فقد بينها الله جل وعلا في آيات كثيرة، كقوله تعالى في هذه السورة ﴿وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة المجادلة: ١٤]، وقوله تعالى ﴿تَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [سورة التوبة: ٦٢]، وقوله تعالى: ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِيُتْرَضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [سورة التوبة: ٩٥]، وقوله تعالى: ﴿وَسَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا خُرْجًا مَعَكُمْ يَهُلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [سورة التوبة: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة المنافقون: ٢٢].

وأما صدهم من أطاعهم عن سبيل الله فقد بينه الله ﷻ في آيات من كتابه كقوله تعالى ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْوِفِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [سورة الأحزاب: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ [سورة آل عمران: ١٥٦]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ

قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ﴿ [سورة آل عمران: ١٦٨]،

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ ﴾ [سورة النساء: ١٧٢] ^(١).

الشيخ الشنقيطي يرى أن المراد بقوله تعالى ((فصدوا عن سبيل الله)): صدوا غيرهم عن دين الإسلام، على أن (صدّ) متعدية.

الموافقون:

رجح أن معنى ((فصدوا عن سبيل الله)) أي أن المنافقين يصدون الناس عن طاعة الله ﷻ والإيمان به، بتشيطهم عن الدخول في الإسلام؛ عدد غير قليل من المفسرين، وهو المعنى الذي ذهب إليه الشنقيطي، منهم:

- | | | |
|------------------------------|------------------------------|----------------------------------|
| ١- النسفي ^(٢) . | ٢- الزمخشري ^(٣) . | ٣- الفخر الرازي ^(٤) . |
| ٤- ابن كثير ^(٥) . | ٥- البيضاوي ^(٦) . | ٦- البقاعي ^(٧) . |
| ٧- الألوسي ^(٨) . | ٨- السعدي ^(٩) . | |

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٨٢١/٧).

(٢) مدارك التنزيل للنسفي (١٧٨/٤).

(٣) الكشاف للزمخشري (٤٨٣/٤).

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي (٤٩٧/١٠).

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٢٨/٤).

(٦) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢٥٣/٢).

(٧) نظم الدرر للبقاعي (٣٨٨/١٩).

(٨) روح المعاني للألوسي (٣٣/٢٨).

(٩) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (٨٤٧).

المخالفون :

قليل من المفسرين رجحوا أن المراد بقوله تعالى ((فصدوا عن سبيل الله)) أي صدوا المؤمنين عن جهادهم بالقتل وأخذ أموالهم، وذلك لأنهم كفرة؛ وحكم الله ﷻ وسبيله في أهل الكفر به من أهل الكتاب القتل أو أخذ الجزية، وفي عبدة الأوثان القتل، فمن هؤلاء المفسرين:

- ١ - الطبري^(١).
- ٢ - البغوي^(٢).
- ٣ - ابن جزري^(٣).
- ٤ - المحلي^(٤).

تعقيب الباحث :

الظاهر - والله أعلم - أن معنى ((فصدوا عن سبيل الله)) أي صدوا غيرهم من الناس عن سبيل الله ﷻ والإيمان به، وذلك بتشبيطهم عن الدخول في دين الإسلام الصحيح؛ يدل لذلك:

- ١ - أن صدودهم بأنفسهم عن الإسلام الصحيح قد دل عليه قوله تعالى ((اتخذوا أيمانهم جنة)) فكونهم يخلفون بأنهم مسلمون ليوهموا الناس أنهم مسلمين وهم يعلمون في قرارة أنفسهم أنهم ليسوا مسلمين الإسلام الصحيح، وحمل ((فصدوا عن سبيل الله)) على صدودهم وإعراضهم بأنفسهم يكون تكراراً في الآية، وأما حمله على صددهم لغيرهم من الناس يفيد معنى جديداً. « وإذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد

(١) جامع البيان للطبري (١٧/٢٨).

(٢) مختصر البغوي (٩٣٢/٢).

(٣) التسهيل لابن جزري (١٩٣/٤).

(٤) تفسير الجلالين ص (٤٦١).

٢- فحمله على التأسيس أولى^(١) هذه قاعدة يرجح بها المفسرون بين الأقوال. إلحاقاً للنقطة السابقة؛ وبناء على نفس القاعدة الترجيحية « الحمل على التأسيس أولى » يترجح القول بأن ((صدوا عن سبيل الله)) يراد به صدّهم غيرهم عن الدخول في الإسلام، على أن يراد به صدّهم المؤمنين عن جهادهم بالقتل وأخذ أموالهم؛ لأن هذا المعنى الأخير قد أفاده قوله تعالى ((جُنَّة))، فإن « أصل الجنة ما يستتر به ويتقى به المحذور^(٢) كالترس، ثم استعمل هنا استعارة لأنهم كانوا يظهرون الإسلام لتعصم دماؤهم وأموالهم^(٣) ». فلفظ ((جُنَّة)) أفاد صدّهم المؤمنين عن قتالهم وأخذ أموالهم، ولفظ ((فصدوا عن سبيل الله)) أفاد صدّهم غيرهم عن الدخول في الإسلام؛ وهذا المعنى هو الأولى. والله أعلم بالصواب.



الخاتمة

بعد هذه الجولة الممتعة مع ترجيحات الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله- في تفسيره « أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن » أخلص إلى عدد من النتائج، أهمها:

- ١- غزارة علم الشيخ الشنقيطي - رحمه الله- وتضلعه بكثير من العلوم كاللغة العربية والفقه والأصول والبلاغة وغيرها.
- ٢- إتقانه لأفضل وأقوى وأحسن أنواع التفسير، تفسير القرآن بالقرآن، وهو المقصد الأساسي من تأليف كتابه أضواء البيان.
- ٣- براعته في استخدام ألفاظ الترجيح، فيستخدم عند كل ترجيح اللفظ المناسب الذي يعطي ترجيحه قوته ومكانته المناسبة.
- ٤- استناد ترجيحاته على القواعد المعتمدة المقررة لدى علماء التفسير، والتي يقررها هو أيضاً، إلا ما ندر.
- ٥- درجات التفسير بالمأثور حاضرة في عمل الشيخ الشنقيطي - رحمه الله- في تفسيره أضواء البيان، فما لم تفسر الآية بآيات أخرى، وصح حديث في بيان أحد الأقوال الواردة، فهو مرجح عنده على غيره.. ثم بعده ما فسره الصحابة وأجمعوا عليه... وهكذا.
- ٦- تحريه للصواب المؤيد بالدليل، وعدم تعصبه لمذهب أو شخص معين.
- ٧- ما أجمع عليه جمهور أئمة التفسير من السلف مرجح عنده على ما شذ عنهم.
- ٨- إن النظر في أقوال العلماء، ودراستها، ومقارنتها، بالنظر في أدلة كل قول ومدى قوته ورجحانه على غيره؛ هذا النوع من الدراسة ينمي في الطالب ملكة مناقشة الآراء المختلفة وسبر أغوارها والحكم عليها.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتقدم إلى الله ﷻ بالحمد والثناء على ما منَّ به عليّ من إتمام كتابة هذا البحث، فله ﷻ وحده الفضل والمنة، وأسأله ﷻ أن يغفر لي ما فيه من خطأ وزلل، وأن يتقبل مني، ويجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم.

وأختم بقول الشاعر:

كتبت وقد أيقنت لا شك أنني

وأيقنت أن الله سائلها غداً

وقول الشاعر:

ستفنى يدي يوماً ويبقى كتابيا

فيا ليت شعري ما يكون جوابيا

يا ناظر الخط فاستغفر لمن

كتبا

فقد كفتك يده النسخ والتعبا^٥

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم،
ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، واعرنا إنك أنت العفو الكريم الرحيم، وآخر
دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابه
أجمعين.

(١) استمدت الأبيات المذكورة من كتاب: بلاد شقيق، المنارة والرباط، للخليل النحوي، ص(٢٣٦)، ولم يحدد قائلها

قائلها الأبيات.

الفهرس

١- فهرس الآيات القرآنية (مواضع الترجيح)

٢- فهرس الآيات القرآنية (الواردة في الرسالة عموماً)

٣- فهرس الأحاديث

٤- فهرس الأشعار

٥- فهرس الأعلام

٦- فهرس المصادر والمراجع

٧- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات (مواضع الترجيح)

الصفحة	رقمها	الآية
سورة النور		
١٣٧	٣	﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا

الصفحة	رقمها	الآية
		يَنْكِحَهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ^٤ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٦﴾
١٥٥	٨	﴿ وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ ^٥ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ﴿٢٧﴾
١٥٩	٢٢	﴿ وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ^٦ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿٢٨﴾
١٦٦	٢٥	﴿ يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ﴾
١٧٢	27	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٢٩﴾
١٨٤	٣١	﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
١٩٧	٣٣	﴿ وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
٢٠٢	٣٧	﴿ تَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾
٢١٢	٣٨	﴿ لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ ﴾
٢١٩	٤١	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَتْفَتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾
٢٣٤ ، ٢٢٥	٦٣	﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ۗ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۗ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
سورة الفرقان		
٢٤٢	٣	﴿ وَأَخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءِالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوَةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾
٢٥٧	٨	﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾ ﴾
٢٥٧، ٢٥٠	٩	﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ ﴾
٢٦٢	١٢	﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾
٢٦٩	١٣	﴿ وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ ﴾
٢٧٦	١٥	﴿ قُلْ أَذَلِكِ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخَالِدِ الَّتِي وُعِدَ

الصفحة	رقمها	الآية
		الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَاصِرًا ﴿٥٠﴾
٢٨٣	١٦	﴿ هُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ﴿١٦﴾ ﴾
٢٩٠	١٧	﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ۖ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾
٣١٤	٢٢	﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾
٣٢٦، ٣٢٠	٢٧ - ٢٩	﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَتَوَلَّىٰ لِيَتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَنَا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ﴿٢٩﴾ ﴾
٣٣٢	٣٨	﴿ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ ﴾
٣٣٨	٥٠	﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَلَّىٰ أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا ۗ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
		﴿كُفُورًا﴾
٣٤٤	٥٥	﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾
٣٥٣	٦٥	﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾
٣٥٩	٦٧	﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾
٣٦٧	٧٣	﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَحْجُرُوا عَلَيْهَا صُمًْا وَعُمِيَانًا﴾
٣٧٧	٧٧	﴿قُلْ مَا يَعْجَبُوكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾
سورة الشعراء		
٣٨٣	١٩	﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾
٣٩٠	٢٠	﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٣٩٨	٢١	﴿ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾
٤٠٢	٢٠٠ - ٢٠١	﴿ كَذَلِكَ سَلَكَنَا فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ ﴾
٤٠٨	٢١٧ - ٢١٩	﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرِنُكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾
سورة النمل		
٤١٥	٦٦	﴿ بَلِ آدَارُكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا ۚ بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾
٤٢٣	٨٥	﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾
سورة العنكبوت		
٤٢٨	٣٨	﴿ وَعَادَا وَتَمُودَا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْأَلِهِمْ ۚ وَرَبِّكَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ۚ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
سورة السجدة		
٤٣٤	٢٨ - ٢٩	﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾
سورة الأحزاب		
٤٤٣	٣٣	﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾
٤٥٥	٣٧	﴿ وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾
٤٦٥	٧٢	﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ تَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾
سورة سبأ		
٤٧٢	٢٧	﴿ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٤٨٠	٥٢	﴿ وَقَالُوا ءَأَمَّنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ ﴾
سورة فاطر		
٤٨٧	١٠	﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾
سورة يس		
٤٩٢	٦	﴿ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ ءَابَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ ﴾
٥٠٠	٩ - ٨	﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُكْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾
٥١٥	١٢	﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾
سورة الصافات		
٥٢٠	٥ - ١	﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
		فَالْتَلَيْتَ ذِكْرًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٢١﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿٢٢﴾ ﴿
٥٣٠	٢٢ - ٢٣	﴿ أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٤﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْحَنِيمِ ﴿٢٥﴾ ﴿
سورة ص		
٥٣٩	٢	﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢٦﴾ ﴿
٥٤٧	٣	﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَاِلٰهَاتِ حِينِ مَنَاصٍ ﴿٢٧﴾ ﴿
سورة الزمر		
٥٥٣	١٠	﴿ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ﴿٢٨﴾ ﴿
٥٦٠	١٨	﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴿٢٩﴾ ﴿
٥٨٠	٦٩	﴿ وَجَاءَءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴿

الصفحة	رقمها	الآية
سورة غافر		
٥٩٠	١١	﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴾
٥٩٨	٢٨	﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾
سورة فصلت		
٦٠٦	٨	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾
٦١٥	٤٨	﴿ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنَّوْا مَا هُم مِّنْ حَيْصٍ ﴾
سورة الشورى		
٦٢٠	١١	﴿ فَاطِرُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوَاجًا وَمِنَ الْاَنْعٰمِ اَزْوَاجًا يَذُرُّوْكُمْ فِيْهِ ﴾
٦٢٧	١٧	﴿ اَللّٰهُ الَّذِىۤ اَنْزَلَ الْكِتٰبَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾
سورة الزخرف		

الصفحة	رقمها	الآية
٦٣٩	١٥	﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴾
٦٥١	٣٢ - ٣١	﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيَّتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهْمَ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾
٦٥٦	٣٢	﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا ﴾
٦٦٣	٥٨ - ٥٧	﴿ * وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمَ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾
٦٦٨	٧٠	﴿ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ مُخْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾
سورة الجاثية		
٦٧٤	٨ - ٦	﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيَلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ

الصفحة	رقمها	الآية
		يَسْمَعَهَا فَبَشِّرُهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٨﴾
سورة الاحقاف		
٦٧٩	٩	﴿ وَمَا أَدْرَى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾
٦٩٠	١٨-١٧	﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوْلِدَيْهِ أَفِ لَكُمْ مَا أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَفِغِيَانِ اللَّهَ وَيَلُكَّ ءَامِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾
٧٠١	٢٠	﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدَهَبَتُمْ طَيْبَتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾
٧١٢	٣١	﴿ يَنْقَوْمَتَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٧٢٠	٣٥	﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا وَأَلْوَأَ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾
سورة محمد		
٧٣٢	١	﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴾ ﴿ ١ ﴾
٧٣٩	٤	﴿ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَخْتَمْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الرِّبَاطَ فَإِمَّا مَثًّا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الرِّبَاطَ أَوْ رَازَهَا ﴾
٧٤٨	٣٥	﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَبْرِكَنَّ أَعْمَالُكُمْ ﴾ ﴿ ٣٥ ﴾
سورة الفتح		
٧٥٤	١	﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ ﴿ ١ ﴾
٧٦٤	٦-٥	﴿ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۗ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ ﴿ ٦ ﴾ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ

الصفحة	رقمها	الآية
		وَالْمُنْفِقَتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَةِ الظَّالِمِينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءَ عَلَيْهِمْ ذَائِرَةُ السَّوْءِ ﴿
٧٦٩	١٤	﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَنُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿
سورة ق		
٧٨٣	١٤	﴿ كُلُّ كَذْبٍ الرُّسُلِ حَقٌّ وَعَيْدٌ ﴿
٧٨٣	٢٩-٢٨	﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ﴿
٧٩٣	٣٠	﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿
سورة الذاريات		
٨٠٠	٦ - ١	﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا ﴿ فَالْحَمَلَاتِ وَقَرَأَ ﴿ فَالْجَارِيَاتِ ﴿

الصفحة	رقمها	الآية
		يُسْرًا ﴿٦٠﴾ فَالْمُقَسَّمَتِ أَمْرًا ﴿٦١﴾ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٍ ﴿٦٢﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْ قَعُ ﴿٦٣﴾
٨١٧	٥٦	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾
سورة الطور		
٨٣٤ ، ٨٣٠	٨ - ١	﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْ قَعُ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾﴾
٨٤٢	٤٧	﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَئِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾
سورة النجم		
٨٤٨	٤ - ١	﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾
٨٥٩	٤٦ - ٤٥	﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا

الصفحة	رقمها	الآية
		تُمتى ﴿١٥﴾
سورة القمر		
٨٦٦	١٠ - ١٢	﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ﴿١٥﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّهِيبٍ ﴿١٦﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدِيرٍ ﴿١٧﴾ ﴾
٨٧٢	٤١ - ٤٢	﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿١٨﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَآخَذْنَا مِنْهُمُ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٍ ﴿١٩﴾ ﴾
سورة الرحمن		
٨٨١	٣ - ٤	﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٢٠﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٢١﴾ ﴾
٨٨٩	٦	﴿ وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ ﴿٢٢﴾ ﴾
سورة الواقعة		
٨٩٦	١٣ - ١٤	﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٢٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾
٩٠٥	٣٥ - ٣٨	﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ﴿٢٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٢٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٢٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ ﴾
٩١٣	٧١ - ٧٣	﴿ أفرءَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٢٩﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ

الصفحة	رقمها	الآية
		شَجَرْتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِقُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذِكْرَةً وَمَتَعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾
سورة الحديد		
٩٢٧، ٩٢١	١٤	﴿يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾﴾
٩٣٢	٢٨	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِر لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾
سورة المجادلة		
٩٣٨	١٦	﴿اتَّخِذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهِمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾﴾

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	الآية
--------	-------	-------

الصفحة	رقمها	الآية
سورة الفاتحة		
٣٩١	٧	﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ﴿١﴾
سورة البقرة		
٨٨٧ ، ٥٠٢	٧	﴿ حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ﴿٧﴾
٢٣٧	١٠	﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠﴾ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ ﴿١٠﴾
٨٨٧	١٨	﴿ صُمُّ بُكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿١٨﴾
٥٩٢ ، ٥٩١ ، ٥٩٥ ، ٥٩٣	٢٨	﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَانًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿٢٨﴾
٦٧٣	٣٥	﴿ وَقُلْنَا يَتَّخِذُمْ أَسْكَنَ أَنْتَ وَرَوْحَكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٣٥﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٣٤٥	٩٨	﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ ﴿٩٨﴾
٨٧٤	١٣٦	﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿١٣٦﴾
٢٢٧ ، ٢٢٦	١٠٤	﴿ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا وَاسْمِعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿١٠٤﴾
٥٨٣ ، ٥٨١ ٥٨٨	١٤٣	﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهِآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ ۗ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿١٤٣﴾
٣٥٤	١٦٢	﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ

الصفحة	رقمها	الآية
		يُنظَرُونَ ﴿١٧٦﴾
٥٧٧	١٧١	﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾
٥٣٤	١٧٨	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ۗ ط الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۗ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾
٨١٨	١٩١	﴿ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَفِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّن حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ ۗ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۗ ط فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ ﴾
٧٤٤ ، ٢٣٦	١٩٣	﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۗ ط فَإِن أَنهَؤُا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾
٥١	١٩٦	﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۗ فَإِن أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ

الصفحة	رقمها	الآية
		<p>أَهْدِي^ط وَلَا تَخْلُقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَهْدَىٰ حِمْلَهُ^ع فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِمْ أَذًىٰ مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أُمِنْتُمْ^ع فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ أَهْدَىٰ^ع فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ^ط تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ^ط ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ^ع وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١١﴾</p>
٢٨٥	٢٠١	<p>﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٠١﴾ ﴾</p>
٥٤٢ ، ٥٤٠	٢٠٦	<p>﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ^ع فَحَسْبُهُ^ع جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١١٠﴾ ﴾</p>
١٤٩ ، ١٣٨	٢٢١	<p>﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُوْمِنَ^ع وَلَا مَؤْمِنَةٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ^ط وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُوْمِنُوا^ع وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ^ط أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ^ط وَيُبَيِّنُ</p>

الصفحة	رقمها	الآية
		﴿آيَاتِهِم لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣١﴾﴾
١٥٩	٢٢٦	﴿لِلَّذِينَ يُؤُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرْبُصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ط فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾
٦٣٨ ، ١٤٨	٢٣٠	﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ط فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ط وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾
٥٣٧	٢٣٤	﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ط فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ط وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾
١٥٠	٢٣٥	﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ط عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذَكَّرُوهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا ط وَلَا تَعْزَمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ط

الصفحة	رقمها	الآية
		وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٣٦٦﴾
٥٦٣	٢٣٧	﴿ وَإِنْ طَلَقْتُمْوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الزَّيْحَاحِ ۗ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ۗ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٦٧﴾
٢١٣	٢٤٥	﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۗ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٦٨﴾
٦١٦	٢٤٩	﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهْرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۗ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا أَلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۗ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ

الصفحة	رقمها	الآية
		<p>مُلْتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦١١﴾</p>
٣٨٢	٢٥٩	<p>﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنِي يُحْيِي ۚ هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۗ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ ۗ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۗ قَالَ بَلْ لَبِثْتُمْ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۗ وَأَنْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۗ وَانظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۗ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦١٢﴾</p>
٢١٣ ، ٢١٢	٢٦١	<p>﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُتْبِتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦١٣﴾</p>
٦١٠ ، ٦٠٨	٢٦٤	<p>﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ</p>

الصفحة	رقمها	الآية
		فَأَصَابَهُ وَاِبِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٧١﴾
٥٦٣	٢٧١	﴿إِنْ تَبُدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧٦﴾﴾
٤٦	٢٧٦	﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٨١﴾﴾
١٦٦	٢٨١	﴿ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨٢﴾﴾
٣٩٥، ٣٩٠	٢٨٢	﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴿٢٨٥﴾﴾
٨٧٤	٢٨٥	﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴿٢٩٠﴾ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٩٥﴾﴾

الصفحة	رقمها	الآية
سورة آل عمران		
٤٧١	٣٣	﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾
٥٤	٥٤	﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥٤﴾﴾
٦١٣	٥٧	﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾
٣٥٤	٨٨	﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾﴾
٤	١٠٢	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾
١٦٠	١١٨	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِّنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۗ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٩٣٩	١٥٦	﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ ۝
٥٨٢	١٦٤	﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ۝
٩٤٠	١٦٨	﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ۝
٦٦٦ ، ٦١٤	١٨٥	﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۝
٢٨٥ - ٢٨٣	١٩٤	﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿١٩٤﴾ ۝

الصفحة	رقمها	الآية
<i>سورة النساء</i>		
٦٢١ ، ٤	١	<p>﴿ يَتَّيِبُهَا لِلنَّاسِ أَنْ يَقُولُوا رَبُّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾</p>
١٧٥ ، ١٧٤ ، ١٨٠	٦	<p>﴿ وَابْتَلُوا الَّذِينَ اتَّبَعْتُمْ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا ۗ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۗ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ ﴾</p>
٦٣٧	١٠	<p>﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الَّذِينَ اتَّبَعْتُمْ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾</p>
٦٧٣	١١	<p>﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ ۗ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ</p>

الصفحة	رقمها	الآية
		<p>وَاحِدَةً فَلَهَا النَّيِّفُ وَلَا بَوَيْهَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّمَّهَا أَلْسُدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَوَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَوَلَدٌ وَوَرِثَةٌ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ أَلْتُلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ أَلْسُدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۖ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ ۗ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾</p>
٤٣٥	١٨	<p>﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾</p>
٥٣٧	٢٠	<p>﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتَبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بِهَتِّنَا وَإِنَّمَا مِيبِنَا ﴿٢٠﴾</p>
١٥٠	٢٢	<p>﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾</p>

الصفحة	رقمها	الآية
١٥٦	٢٥	﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّهُنَّ أَتَيْنَ بِفَنَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۗ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ ۗ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٥﴾ ۝
١٦٧ ، ٢١٢ ، ٢١٣	٤٠	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۗ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ۝
٥٨٢	٤١	﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ۝
٦٠٥	٤٢	﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ۝
٧٩٢	٤٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ

الصفحة	رقمها	الآية
		﴿يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿١٤﴾﴾
٣٥٤	٥٦	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَلَّمَآ نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَانَتُهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥﴾﴾
٧٠٢، ١١١	٥٩	﴿يَتَّيِبُهُمُ اللَّهُ وَأَمِّنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿١٦﴾﴾
٣٣٠	60	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٧﴾﴾
٣٤٥	٧٢	﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿١٨﴾﴾
١٠٥، ٥٥٤	٩٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمْ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ

الصفحة	رقمها	الآية
٥٥٧		كُنتُمْ طُ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا ط فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ط وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٧٧﴾
٧٤٩	١٠٤	﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ط إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ ط وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ط وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾
٧٩٢	١١٦	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ط وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾
٤٧٣	١١٧	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ط وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٧﴾ ﴾
٣٣٠	١٢٠	﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ط وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾
٤٨٨	١٣٩	﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ط أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾
٥٧٢	١٤٠	﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ

الصفحة	رقمها	الآية
		يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ تَخُوضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ ۗ إِنَّكُمْ إِذَا مِثَلْتُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿٥٦٣﴾
٥٦٣	١٤٨	﴿ لَا تُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿٥٦٤﴾ ﴾
٥٦٣	١٤٩	﴿ إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ خَفَوْهُ أَوْ تَعَفَّوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿٥٦٥﴾ ﴾
٨٧٤	١٥٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿٥٦٦﴾ ﴾
٨٧٤	١٥١	﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٦٧﴾ ﴾
٨٧٤	١٥٢	﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا

الصفحة	رقمها	الآية
		<p>الْكَفَرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنِ قُلُوبُهُمْ^ط وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا^ط سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ^ط تُخْرِفُونَ الْكَلِمَةَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ^ط يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تَأْتَوْهُ فَاحْذَرُوا^ط وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا^ع أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ^ع هُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ^ط وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١١﴾</p>
٥٦٤	٤٥	<p>﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ^ع وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١٢﴾</p>
٥٧٧	٨٣	<p>﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنْ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ^ط يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا</p>

الصفحة	رقمها	الآية
		﴿ فَكُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ﴿٤٧﴾
٥٧٤	٩٢	﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴾ ﴿٤٨﴾
٣٨٢	٩٥	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ بِحِكْمٍ بِهِ ذَوَا عَدَلٍ مِنْكُمْ هَدِيًّا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكُ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ۗ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۗ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾ ﴿٤٩﴾
٥١	٩٦	﴿ أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتْنَعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۗ وَحُرْمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ ﴿٥٠﴾
٥٨٢ ، ٥٤	١٠٩	﴿ * يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ۗ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا بِئِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ ﴿٥١﴾
٢٩٧ ، ٢٩٥	١١٦	﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ

الصفحة	رقمها	الآية
		<p>أَتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ^ط قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ^ع إِنْ كُنْتُ قَلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ^ع تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ^ع إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿٣١﴾</p>
سورة الأنعام		
٢٣٧	٢٣	<p>﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ ﴿٣٢﴾</p>
٦١٦	٣٠	<p>﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقُفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ^ع قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ ^ع قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ^ع قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٣﴾</p>
٥١٦، ٩٣	٣٨	<p>﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ^ع مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ^ع ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ ﴿٣٤﴾</p>
٧٩٣، ٩٤	٤٧	<p>﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ</p>

الصفحة	رقمها	الآية
		يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧٧﴾
٦٨٥ ، ٦٨١	٥٠	﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن آتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾
٥٧٢	٦٨	﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۗ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾
٨١٨	٨٩	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۗ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هُنَّ لِآيَاتِنَا فَكَّرًا وَقَدِّدًا فَرَقَدْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾
٣١٦	٩٣	﴿ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۗ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ

الصفحة	رقمها	الآية
		عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٧﴾
٦٨٧	١٢٤	﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿٣٨﴾
٥٠٢	١٢٥	﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾
٧١٨	١٣٠	﴿ يَمَعَشِرَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ أَلْمِيَاءُ تَكْمُ زُجُلٌ مِنْكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٤٠﴾
٧١٨	١٣٢	﴿ وَالْكَذِبُ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٦٤٠ ، ٦٤١	١٣٦	﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا ^ط فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ ^٤ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾
٤٧	١٤٥	﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ ^د إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ^ع فَمَنْ آضَطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾
٢١٣ ، ٢١٢	١٦٠	﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا ^ط وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾
سورة الأعراف		
٥٤٨	٤	﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾
٥٤٨	٥	﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا

الصفحة	رقمها	الآية
		ظالمين ﴿٥﴾
٥٨٢	٦	﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ ﴾
٧٨٣، ٧٩٠، ٧٩٩	١٨	﴿ قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾
٣٣٠	٢٢	﴿ فَذَلَّلْنَاهَا بِغُرُورٍ ۖ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰهُمَا وَطَفِقَا مَخْصِفًا عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ۗ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾
١٠٩، ١٨٦، ٧٩٩	٣١	﴿ * يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾
١٠٩، ١٨٧، ٧١٠، ٧٠٤	٣٢	﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۗ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٧١٣	٣٨	﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرُنَهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَفَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾
٤٨٥	٥٣	﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۗ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ ذُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۗ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾
٥٤	٥٤	﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾
٨٠١، ٨١٤	٥٧	﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٨١٥		حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾
٤٣٥	٨٩	﴿ قَدْ أَفْرَيْنَا عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا إِنَّ عِدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهَ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَىٰ اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا أَفَتَحْبَبِنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾
٥٦٥ ، ٥٦٢ ٥٨٦	١٤٥	﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا خُدُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾
٤٩٤	١٥٨	﴿ قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي - وَيُمِيتُ ۖ فَخَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٥٧٣	١٨٥	﴿ أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۗ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٨٥﴾
٥٠٢	١٨٦	﴿ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ۗ وَيَذُرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ﴿١٨٦﴾
٦٨٥ ، ٦٨١	١٨٨	﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سَتَكُنَّزْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٨٨﴾
٤٧١	١٨٩	﴿ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلًا خَفِيًّا فَامْرَأَتْ بِهِ ۗ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ ﴿١٨٩﴾
٤٧١	١٩٠	﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ۗ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿١٩٠﴾
٢٤٧	١٩١	﴿ أَيَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ ﴿١٩١﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٢٤٧	١٩٢	﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ هُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾
٢٤٨	١٩٣	﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ آهْدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَلِمْتُونَ ﴾
٢٤٨	١٩٤	﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾
٢٤٨	١٩٥	﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْتَطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ ﴾
٢٤٧	١٩٧	﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾
٥٣٧	٢٠٢	﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَىٰ ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ ﴾
٥٧٧	٢٠٤	﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
سورة الأنفال		
٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٥٧٧	٢	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾
٧٤٦	١٢	﴿ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾
٤٣٥	١٩	﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ۖ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾
٥٧٧	٢٢	﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾
٥٧٧	٢٣	﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٢٢٩	٢٤	﴿ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۗ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ۗ وَأَنَّهُ رَإِيَهُ يُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾
٧٣٨	٣٠	﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۗ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾
٢٣٦	٣٩	﴿ وَقَتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا كُلُّهُمْ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾
سورة التوبة		
٧٦٢	١٣	﴿ أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أُولَئِكَ مَرَّةً كَرِهَ اللَّهُ لَفْتَنِهُمْ ۗ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾
٧٥٣، ٧٤٩	١٤	﴿ قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَتُخْزِيهِمْ وَيُنصِرْكُمْ ۗ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٨٤٢		عَلَيْهِمْ وَيَنْشَفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿٤١﴾
٩٣٩	٤٢	﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ ﴿٤٢﴾
٩٣٩	٦٢	﴿ تَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٦٢﴾
٣٥٤	٦٨	﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ لَئِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ مُقِيمٌ ﴾ ﴿٦٨﴾
٩٣٩	٩٥	﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَا وَنَهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ﴿٩٥﴾
٧٧٣ ، ٧٨١ ،	٩٨	﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمْ الْوَاقِعَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٩٨﴾
٩٢٢ ، ٩٢٦		

الصفحة	رقمها	الآية
٧٧٣ ، ٧٨١ ، ٨١٨	٩٩	﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُفِيقُ قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَاتِ الرَّسُولِ ۗ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ هُمْ سَيَدْخِلُهَا اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
٩٢١	١٠١	﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ ۗ وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۗ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۗ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾
٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧١	١٢٤	﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هِنْدِمَةً إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾
٢٣٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧١	١٢٥	﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَا تَوَّأَوْهُمْ كَافِرُونَ ﴾
٥٨٢	١٢٨	﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
سورة يونس		
٢٥٦	٢	﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكٰفِرُونَ إِنَّ هٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾
٢٤	٥	﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾
٢١٣	٢٦	﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۗ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۗ هُمْ فِيهَا خٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾
٢٩٧ ، ٢٩١	٢٨	﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ ۗ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۗ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾
٢٩٧ ، ٢٩١	٢٩	﴿ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ۗ إِنَّ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾

الصفحة	رقمها	الآية
١٦٧	٤٤	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ﴿٤٤﴾
٥٨٢	٤٧	﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ ط فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ﴿٤٧﴾
٥	٥٧	﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٥٧﴾
٤٨٨	٦٥	﴿ وَلَا تَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿٦٥﴾
٥٤٨ ، ٤٣٦ ، ٥٥٢	٩٠	﴿ * وَجَوَازِنَا بِنِيِّ إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعُهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿٩٠﴾
٤٣٦ ، ٥٥٢	٩١	﴿ ءَأَلْسَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ﴿٩١﴾
٤٠٣	٩٦	﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٩٦﴾
٤٠٣	٩٧	﴿ وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ ﴿٩٧﴾

الصفحة	رقمها	الآية
		﴿
٥٧٣	١٠١	﴿ قُلِ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾
سورة هود		
٨٢٠ ، ٣٧٨ ٨٢٨	٧	﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾
٧٠٩ ، ٧٠٣	١٥	﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفٍ نُوْفٍ إِلَيْهِمْ أَعْمَلْتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾
٧٠٩ ، ٧٠٣	١٦	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَدِّلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾
٥٠٢ ، ٢٥٨	٢٠	﴿ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٦٨٥	٣١	﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ ۗ إِنَّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٣١﴾
٤٤٥	٧٣	﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ ﴿٧٣﴾
٦٠٩ ، ٦٠٧ ٦١٣	١٠٨	﴿ * وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۗ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ ﴾ ﴿١٠٨﴾
٧٨٣ ، ٧١٣ ٧٩٠ ، ٧٨٥ ٧٩٦ ، ٧٩٤ ٧٩٩	١١٩	﴿ إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ ۗ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿١١٩﴾
سورة يوسف		

الصفحة	رقمها	الآية
٣٩٢	٩٥	﴿ قَالُوا تَأْتِيهِمْ لَيْلٌ مِّنَ اللَّيْلِ لَيْسَ بِرِيحٍ مُّبِينَةٍ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
سورة الرعد		
٨١٤ ، ٨٠١	١٢	﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾
٨١٩	١٥	﴿ وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَّلُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾
٢٤٧	١٦	﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْرُ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٥٣٤ ، ٥٣٧ ، ٦٧٢	٢٣	﴿ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ^ط وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾
٤٧٣	٢٣	﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ^ط وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبًا سَمُوهُمْ ^ع أَمْ تَتَّبِعُونَهُدًى بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظَهَرُ مِنْ الْقَوْلِ ^ط بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ ^ط وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ^ط وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾
سورة إبراهيم		
٣٣٣	٩	﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُودَ ^ط وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ^ط لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ^ع جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَقْوَاهُمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ ^ط وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾
٧٣٨	١٨	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ^ط أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَلَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي

الصفحة	رقمها	الآية
		يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٠﴾
٤٣٢ ، ٣٣٠	٢٢	﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾
٢٧٤ ، ٢٧٠	٤٩	﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾
سورة الحجر		
٥	٩	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾
سورة النحل		
٨٨٥ ، ٨٨٢	٤	﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا هُوَ حَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾
١٨٧	٨	﴿ وَالْحَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا

الصفحة	رقمها	الآية
		﴿تَعْلَمُونَ﴾
٨٥٨	١٦	﴿وَعَلَّمْتَ ^ط وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾
٣١٥	٢٨	﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ^ط فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾
٨٧٤	٣٦	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رُسُلًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ^ط فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ^ط فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾
٥	٤٤	﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ^ط وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾
٨٨٧	٧٨	﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ^ط لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
٥٨٢ ، ٥٤	٨٩	﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ ^ط

الصفحة	رقمها	الآية
		<p>وَجَعَلْنَا بِلِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَتُولَاءِ ۖ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يَتَّبِعُنَا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً ۖ وَنُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ</p> <p>﴿٤٨﴾</p>
٦١٣، ٦٠٧	٩٦	<p>﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ ۗ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنْ نَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾</p> <p>﴿٤٩﴾</p>
٣٥٧	٩٧	<p>﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾</p> <p>﴿٥٠﴾</p>
١٠٤، ١٩٨، ٢٠١	١٠٦	<p>﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾</p> <p>﴿٥١﴾</p>
٥٠٢	١٠٨	<p>﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَتِهِمْ وَأَبْصَرَهُمْ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾</p> <p>﴿٥٢﴾</p>
٥٦٢	١٢٦	<p>﴿ وَإِن عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۗ وَلَٰئِن</p>

الصفحة	رقمها	الآية
		صَبْرٌ لَهُمْ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٦﴾
سورة الإسراء		
	١	﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾
٥٤	٧	﴿ إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أُولَٰئِكَ لِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾ ﴿٧﴾
٦٢ ، ٥٤ ، ٥٣	٩	﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾
٨٤١ ، ٥١٦	١٣	﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴾ ﴿١٣﴾
٥١٦	١٤	﴿ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ ﴿١٤﴾
٥٥	١٥	﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ ﴿١٥﴾

الصفحة	رقمها	الآية
١١٢، ٧٠٣، ٧٠٩	١٨	﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴾ ﴿١٨﴾
٦٣٧	٢٣	﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسِنًا ۖ إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَهَرَّهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ ﴿٢٣﴾
٣٦٠	٢٦	﴿ وَءَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا ﴾ ﴿٢٦﴾
٣٦٠، ٣٦١، ٥٠٧، ٥٠٦	٢٩	﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾ ﴿٢٩﴾
٥٧٣، ٨٨٦	٣٦	﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ ۖ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ ﴿٣٦﴾
٣٣٠	٥٣	﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ ﴿٥٣﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٣٥٠	٨٨	﴿ قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾
٥١٢، ٣٥٤	٩٧	﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًَّا وَيُكَمِّمَا وَصَمًّا ۖ مَاؤُنْهُمُ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾
٨٨٠	١٠١	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ فَسَقَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾
٥٧٧	١٠٧	﴿ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ ﴾
سورة الكهف		
٦٠٩	٣	﴿ مَكِّيِّنَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ ﴾
١٠٩، ١٨٧	٧	﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ

الصفحة	رقمها	الآية
٣٧٨ ، ١٩٤ ٨٢٨ ، ٨٢٠		﴿ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾
٥٥	٢٦	﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾
٧٦٢	٢٩	﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ۗ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۗ وَإِنْ يَسْتَعِثُّوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۗ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾
٨٠١	٤٥	﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾
١٩٤ ، ١٨٧	٤٦	﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾
٤٢١ ، ٤١٧	٤٨	﴿ وَعَرِّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًا لَقَدْ جَعَلْنَاكُمْ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾
٥١٦ ، ١٦٩	٤٩	﴿ وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
		وَيَقُولُونَ يَنْوَلَّتْنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿١٦٦﴾
٦١٦	٥٣	﴿ وَرَأَى الْمَجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عِنهَا مَصْرَفًا ﴿١٦٧﴾ ﴾
٥٠٢، ٧٤	٥٧	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿١٦٨﴾ ﴾
٥٥	٦٥	﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا ﴿١٦٩﴾ ﴾
٥٠٢، ٢٥٨	١٠١	﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنِ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٧٠﴾ ﴾
٧١٥، ٧٧	107	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧١﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٧٧	١٠٨	﴿ خَلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ ﴿٥٨﴾
سورة مريم		
٤١٦ ، ٤٢١ ، ٦١٦	٣٨	﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتُنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿٥٩﴾
٥٧٧ ، ٣٧٣	٥٨	﴿ أَوْلَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءآيَاتُ الرَّحْمٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًا ﴾ ﴿٦٠﴾
٥٥	٧٨	﴿ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْدًا ﴾ ﴿٦١﴾
٤٨٨	٨١	﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴾ ﴿٦٢﴾
٤٨٨	٨٢	﴿ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ ﴿٦٣﴾
٧٨	٩٦	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدًّا ﴾ ﴿٦٤﴾
سورة طه		
٤٥٢ ، ١٧٤	١٠	﴿ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي

الصفحة	رقمها	الآية
		﴿أَتَيْكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ ﴿٤٦﴾
٣٩١	٥٢	﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ ﴿٤٧﴾
٥٣١	٥٣	﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ ﴿٤٨﴾
١٨٧	٥٩	﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ تُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ ﴿٤٩﴾
١٩٤ ، ١٨٧	٨٧	﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ ﴿٥٠﴾
٧٢٦	١١٥	﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسَىٰ وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ ﴿٥١﴾
٤٦٣	١٢١	﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ هُمَا سَوْءَ تُوهُمَا وَطَفِقَا مَخَصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرْقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ ﴿٥٢﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٥١٢	١٢٥	﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴾
٨٨٠ ، ٨٧٣	١٣٠	﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾
٥٣١	١٣١	﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِمْ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْسِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقْنَا رَيْكَ خَيْرًا وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾
سورة الانبياء		
٢٥٦	٥	﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَعْتُ أَحْلَمَ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِنَايَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ ﴿٥﴾ ﴾
٥٤٨	١١	﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ ﴾
٥٤٨	١٢	﴿ فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ ﴾
٥٤٨	١٣	﴿ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾
٥٤٨	١٤	﴿ قَالُوا يَا بَوِئَلْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٥٤٨	١٥	﴿ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ ﴾
٨٧٤	٢٥	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾
٣٨٢	٣٠	﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۗ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾
٢٣٦	٣٥	﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۗ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾
١٦٧	٤٧	﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾
٤٦٣	٨٧	﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذُهِبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٦٤	٩٨	﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾
٦٥٥ ، ٦٥٢	١٠٧	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾
سورة الحج		
٨٩٠ ، ٩٠ ٨٩٣	١٨	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ۗ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۝ ﴿١٨﴾ ﴾
٥١	٢٧	﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾
٥١ ، ٤٦	٢٨	﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْبَابِيسَ الْفَقِيرِ ﴿٢٨﴾ ﴾
٥٠	٢٩	﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ

الصفحة	رقمها	الآية
		﴿الْعَتِيقُ﴾
٧٤٧	٤٠	﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ هَدَمْتَ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾
٢١١	٤٦	﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾
٣٥٧	٥٥	﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ﴾
٨١٥ ، ٨٠٢	٦٥	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾
٢٤٨	٧٣	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ

الصفحة	رقمها	الآية
		الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۗ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٧﴾
٥٦٢	٧٧	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾
سورة المؤمنون		
٥٧٢	٣ - ٢ - ١	﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَادِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾
٣٥٧	٤	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾﴾
١٢٧	١٨	﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِ بِمِيقَاتِهِمْ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾﴾
٥٧٣ ، ٥٦١	٦٨	﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ ءَابَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾
سورة النور		
١٥٦ ، ١٤٨	٢	﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۗ

الصفحة	رقمها	الآية
١٥٨		وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَلَيَشْهَدَنَّ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾
٦٣٨	4	﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ نَمْلِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۗ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾
٦٣٨	٥	﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾
٥٨٨	٢٤	﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾
٩٤	٢٥	﴿ يَوْمَ يُؤْمَدُ يَوْمَهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ﴾
١٨٠ ، ١٧٤	٢٨	﴿ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ ۗ ﴾
١٩٠	٣٠	﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۗ ذَلِكَ أَرَىٰ هُمْ إِنْ اللَّهُ حَسِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
١٠٩، ١٣٤، ١٨٧، ١٩٠	٣١	<p>﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْتَبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾</p>
١٠٤	٣٣	<p>﴿ وَلَيْسَتَعَفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۗ وَءَاتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ ۗ وَلَا تَكْرَهُوا فَيْتِنَاكُمْ عَلَىٰ الْبَغَاءِ</p>

الصفحة	رقمها	الآية
		<p>إِنَّ أَرْدَنَ نَحْنُ لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾</p>
٨٧	37	<p>﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾</p>
٦١٣	٣٨	<p>﴿ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾</p>
٧٣٨	٣٩	<p>﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّالِمَانُ مَاءً حَاقًا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾</p>
٣٥٧ ، ١١٣ ٥٢٢	٤١	<p>﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَتٍ كُلُّ قَدِّعِلِمٍ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾</p>
١٧٦	٥٨	<p>﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِذِنَكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ﴿٥٨﴾</p>

الصفحة	رقمها	الآية
٥٧٤	٦٣	﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾
سورة الفرقان		
٢٥١، ٨٦ ٢٦٠، ٢٥٤	4	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ۚ ﴾
٢٥٤، ٢٥١ ٢٦٠	٥	﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۚ آكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ﴾
٢٦٠، ٢٥٤	٦	﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرِّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾ ﴾
٢٦٠، ٢٥٤	٧	﴿ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكْوَنُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٧﴾ ﴾
٢٥١، ٨٦	٨	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ

الصفحة	رقمها	الآية
٢٥٤ ، ٢٦٠ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧		<p>قَوْمٌ ءَاخِرُونَ ۖ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤١﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اٰكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۗ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٤٤﴾ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٥﴾</p>
٨٥ ، ٢٦٠	٩	<p>﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَل فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ ﴾</p>
٢٧٦ ، ٢٧٧	١٠	<p>﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا ﴿١٠﴾ ﴾</p>
٢٧٧ ، ٢٨٢	11	<p>﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ ﴾</p>
٢٧٧ ، ٢٨٢	١٢	<p>﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾</p>

الصفحة	رقمها	الآية
		﴿
٢٧٧ ، ١٢٩ ، ٢٨٢	١٣	﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ ﴾
٢٨٢ ، ٢٧٧	١٤	﴿ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَاَدْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾
٢٨٢	١٥	﴿ قُلْ أَدْرَاكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ؕ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَاصِبًا ﴿١٥﴾ ﴾
١٩٧	١٧	﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾
٢٩٧	١٨	﴿ قَالُوا سُبْحٰنَكَ مَا كَانَ يُكْبٰغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلٰكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ ﴾
٧٣٢ ، ٩٥ ، ٧٣٨ ، ٧٣٣	٢٣	﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٥٧٤	٣٠	﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ ﴿٣٠﴾
٣٣٩ ، ٩٢	٤٨	﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ ﴿٤٨﴾
٩١	٥٠	﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَلَّى أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ ﴿٥٠﴾
٥٧٢	٧٢	﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ ﴿٧٢﴾
٥٧٧	٧٣	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَحْزَنُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ ﴿٧٣﴾
سورة الشعراء		
٨٧٣	١٦	﴿ فَأَتَيْنَا فِرْعَوْنَ فَقُولًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٦﴾
٩١	٢٠	﴿ قَالَ فَعَلَيْهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ ﴿٢٠﴾
٧١٣	٩٥ - 94	﴿ فَكُفِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوِنَ ﴿٩٥﴾ وَجُنُودَ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ ﴿٩٤﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٨٧٧ ، ٨٧٥ ،	١٠٥ -	﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾
٨٧٩	١٠٦	
٨٧٥	١١٧	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ ﴾
٤٣٨	١١٨	﴿ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَجِنِّي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾
٨٧٥ ، ٨٧٩	١٢٣ -	﴿ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾
٨٧٩ ، ٨٧٥	١٢٤	
٥٣٧	١٦٥ -	﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذُرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾
٥٣٧	١٦٦	
٨٧٥	١٤١١٥٩	﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٢﴾ ﴾
٨٧٥	١٦٠ -	﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٦١﴾ ﴾
٨٧٥	١٧٥	
٨٧٥	١٧٦ -	﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٧﴾ ﴾
٨٧٥	١٩١	

الصفحة	رقمها	الآية
٤٠ ، ٤٠٢	- ١٩٢ ٢٠١	﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُؤَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ ﴾
١٠٧	- ٢١٧ - ٢١٨ ٢١٩	﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرِنُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾
سورة النمل		
٤٥٢	٧	﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِيهِ إِنِّي آنستُ نَارًا سَاءَتِ كُفْرُ مِنهَا خَبْرًا أَوْ آتِيكُمْ بِشَهَابٍ مِّن سَّمَاءٍ قَبَسَ لَكُم مِّن نَّارِهَا لَتَصْطَلُبُونَ ﴿٧﴾ ﴾
٥٥	٨٠	﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكَلِمَاتِ وَلَا تَسْمَعُ الصَّوْتِ الَّذِي إِذَا وَلُوا مَدِيرِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾
٨٩	٨٥	﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
سورة القصص		
٦٠١	٢٠	﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾
١٧٤ ، ١٨٠ ، ٤٥٢	٢٩	﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾
٤٩٤ ، ٤٩٣	٤٦	﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِنْ رَّحِمَةً مِّنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَّذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾
٥٧٣	51	﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾
٩٣٦ ، ٩٣٣	٥٢	﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾
٩٣٦ ، ٩٣٣	٥٣	﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَأَمَّا بِنَا بِهِ ءِإِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٩٣٦ ، ٩٣٣	٥٤	﴿ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾
١٨٧ ، ١٠٩ ١٩٤	٦٠	﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتُهَا ﴾
١٩٤ ، ١٨٧	٧٩	﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ط قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾
٦٥٥ ، ٦٥١	٨٦	﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَرْجُونَ أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ط فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾
سورة العنكبوت		
٥	١٨	﴿ وَإِنْ تَكْذَبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ط وَمَا عَلَى الرُّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾
٢٩١	٢٥	﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ط ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَأَتُكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٨٥	٣٨	﴿ وَعَادَا وَثمودَا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّن مَّسْكِنِهِمْ ^ط وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾
٥٥٧ ، ١٠٥	٥٦	﴿ يَنْعِبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّيَّ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾
سورة الروم		
٧٩١	٦	﴿ وَعَدَّ اللَّهُ لَا تُخْفِ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾
٤٢٩ ، ٨٥	٧	﴿ يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾
٢٣	١٠	﴿ ثُمَّ كَانَ عِقَابَ الَّذِينَ اسْتَفْهَمُوا السُّوْأَىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِعَايِنَتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾
٨٢١	٤٤	﴿ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ^ط وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾
٧٤٩ ، ٢٨٤	٤٧	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ^ط وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا

الصفحة	رقمها	الآية
		فَصِرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾
سورة لقمان		
٣٦٨	٧	﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَوَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾
سورة السجدة		
٤٩٤ ، ٤٩٣	٣	﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ﴾
٣٩٢	١٠	﴿ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٠﴾ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾
٤٢١ ، ٤١٧ ، ٤٨٥ ، ٤٨٢ ٦١٦	12	﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾
٤٢٤ ، ٨٩ ، ٤٨٥ ٤٢٧ ، ٦٩٧ ، ٦٩١	١٣	﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَٰكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٧٨٣، ٧١٣، ٧٩٠، ٧٨٥، ٧٩٦، ٧٩٤ ٧٩٩		
٣٧٤	١٥	﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حُزُوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾
٨٤٢	٢١	﴿ وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾
٤٣٨	٢٥	﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُم يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾
٨٦	28	﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْفَتْحِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾
٨٦	٢٩	﴿ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾
سورة الأحزاب		
٧٢٩، ٧٢١	٧	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ

الصفحة	رقمها	الآية
		﴿ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ ﴿٧﴾
٢٠٩، ٢٠٣	١٠	﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴾ ﴿١٠﴾
٩٣٩	18	﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْرُوفِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلْ أَلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿١٨﴾
٢٠٩، ٢٠٣	١٩	﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ ؕ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ ﴿١٩﴾
٤٤٤	٢٨	﴿ يَتَأَيُّمُ النَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكِ إِنْ كُنْتِ تَرْضَيْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ ۚ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ ﴿٢٨﴾
٤٤٤	٣٣	﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ۗ

الصفحة	رقمها	الآية
		وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿١١٠﴾
٤٤٤	٣٤	﴿وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ ﴿١١١﴾
٤٥٩ ، ٤٥٦	٣٧	﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَخَشِيَ النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَمَا قُضِيَ زَيْدٌ مِثْلَهَا وَطَرَا زَوْجُهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ ﴿١١٢﴾
٦٨٠	٤٧	﴿وَدَيَّرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ ﴿١١٣﴾
١٥٠	٤٩	﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿١١٤﴾
١٧٤ ، ١٣٤	٥٣	﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ

الصفحة	رقمها	الآية
		<p>لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبْظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسِينِينَ لِحَدِيثٍ إِنْ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحِيءُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحِيءُ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُنَّ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنْ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٢٠﴾</p>
٦٧٣	٥٩	<p>﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلًا لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَسِينَ ذَلِكُمْ آدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَنُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢١﴾﴾</p>
٢١٠	٦٦	<p>﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٢٢﴾﴾</p>
٤	٧٠	<p>﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٢٣﴾﴾</p>
٤	٧١	<p>﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٢٤﴾﴾</p>

الصفحة	رقمها	الآية
٤٦٧ ، ٤٧٠	٧٣	﴿ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ﴿٧٣﴾
سورة سبأ		
٤٧٩	٢٢	﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْ ثِقَالِ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾
٤٧٩	٢٤	﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾
٤٣٧ ، ٤٣٥ ، ٤٣٨	٢٦	﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿٢٦﴾
٨٦	٢٧	﴿ قُلِ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿٢٧﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٢٩٧ ، ٢٩٥	٤٠	﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْتُولَاءِ إِنِّي أَكْرَمُ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾
٤٩٣	٤٤	﴿ وَمَا آتَيْنَهُمْ مِّنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾ ﴾
٤٨٥	٥٢	﴿ وَقَالُوا ءَا مَنَّا بِهِءُ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُسُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ ﴾
سورة فاطر		
٧٣٨ ، ٤٩٠	١٠	﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۖ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۗ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ ﴿١٠﴾ ﴾
٤٧١ ، ٤٦٧	١١	﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۗ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٣٤٦	١٥	﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾
٣٥٤	٣٦	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴾
سورة يس		
٨٣٨ ، ٨٣٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٠	١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥	﴿ يَسْ ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝ ﴾
٥٠١ ، ٩٢ ، ٥١٠ ، ٥٠٤ ، ٧٩٤ ، ٧٩٠	٧	﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ ﴾
٥٠٦	٨	﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴾
٥٠٧	٩	﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٥١٠ ، ٥٠٤	١٠	﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾
٢٩٧	٦٥	﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٩٣	١٢	﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ ۗ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾
٥٣٦ ، ٥٣١	٣٦	﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾
٥٢٤	٤٩	﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾
٥٢٤	٥٠	﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾
٥٢٤	٥١	﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴿٥١﴾

الصفحة	رقمها	الآية
		يَنْسِلُونَ ﴿٦٩﴾
٦٦٩	٥٥	﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾
٥٣٧ ، ٥٣٤	٥٦	﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾
٦٦٩		
٢٩٧	٦٥	﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾
٣٤٥	٧٤	﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُم يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾
٣٤٥	٧٥	﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾
٨٨٥ ، ٨٨٢	٧٧	﴿ أَوْلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ ﴾
١٢٤	٨٢	﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾
سورة الصافات		
١١٧	١ - ٢ - ٣	﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴿٥﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
		﴿وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾
١٨٧، ١٠٩، ١٩٤	٦	﴿إِنَّا زَيْنَا أَسْمَاءَ الدُّنْيَا بَزِيَّةَ الْكَوَاكِبِ﴾
٢٥٦	٣٦	﴿وَيَقُولُونَ أَيُّنَا لَتَارِكُوا ءِ الْهَيْتَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾
٦٦٩	٤٨	﴿وَعِنْدَهُمْ قُنُصِرَاتُ الْطَّرْفِ عَيْنٌ﴾
٤٩٩، ٢٧٧	٧٠ - ٦٠	﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَمَلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَلِكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلَعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَلَيْسَ لَا كِلُونٍ مِمَّنَا فَمَا لِنُونَ مِمَّنَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْنَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَاءَهُمْ صَّالِينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَى ءَأْثَرِهِمْ يُرْعَوْنَ ﴿٧٠﴾﴾
٧٢٣، ٣٥٧	١٠٧ - ٩٩	﴿وَقَالَ لِنِي ذَاهِبْ إِلَى نَفِّ سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٧﴾ فَبَشَّرْتَهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ

الصفحة	رقمها	الآية
		<p>قَالَ يَبْنَئِي لِيَ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْنُحُكَ فَأَنْظِرْ مَاذَا تَرَى^ع قَالَ يَتَابَتِ أَفْعَلٌ مَا تُؤْمَرُ^ط سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُمُ لِلْجِبِينِ ﴿١٧٢﴾ وَتَدَيَّنُهُ أَنْ يُتَالَفَهُمْ ﴿١٧٣﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٧٤﴾ إِنْ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٧٥﴾ وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٦﴾ ﴾</p>
٥٢٣ ، ٥٢٤	١٦٥ - ١٦٦	<p>﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴿</p>
٧٥٣ ، ٧٤٩	١٧٣	<p>﴿ وَإِن جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾</p>
٤٨٨	١٨٠	<p>﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾</p>
سورة ص		
٩٧	٣	<p>﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِمَّن قَرَّبْنَا شِدَادًا وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ ﴾</p>
٢٥٦	٤	<p>﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ^ط وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٤﴾ ﴾</p>
٧٩٠ ، ٧٨٤	١٤	<p>﴿ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ ﴿١٤﴾ ﴾</p>

الصفحة	رقمها	الآية
٥٥ ، ١٧	٢٩	﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ ﴾
٢٧٤ ، ٢٧١	٣٨	﴿ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾
٦٦٩	٥٢	﴿ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الطَّرْفِ أْتْرَابٍ ﴿٥٢﴾ ﴾
٦١٣ ، ٦٠٧	٥٤	﴿ إِنَّ هَذَا لَرْزُقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾
٧٩٠ ، ٧٨٣ ، ٧٩٩ ، ٧٩٤	٨٥ - ٨٤	﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾
سورة الزمر		
٥٧٥	١	﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾
٥٧٥	٢	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ ﴾
٥٧٥	٣	﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٦١٣ ، ١٠٥	١٠	﴿ قُلْ يٰعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّٰدِقُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾
٥٧٥	١٧	﴿ وَالَّذِينَ آجْتَنَبُوا الطُّغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبَشْرَىٰ ۗ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ﴾
٤٢٧	١٩	﴿ أَفَمَن حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأنت تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ ﴾
٥٧٥	٢٢	﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۗ فَوَيْلٌ لِّلْفٰسِقِينَ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۗ أُولٰٓئِكَ فِي ضَلٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾
٥٧٥ ، ٥٦٧ ٣٦٨ ، ٥٧٩	٢٣	﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۗ ذٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَمَن يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾
٥٧٥	٣٣	﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۗ أُولٰٓئِكَ هُمُ

الصفحة	رقمها	الآية
		﴿الْمُتَّقُونَ﴾ (١٧)
٨٦٤	٣٨	﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ ۗ اللَّهُ قُلٌّ أَفَرَءَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضَرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ رَّحْمَتِهِ ۗ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (١٨)
٥٧٦	٥٣	﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَّحْمَةِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۗ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١٩)
٥٧٦	٥٤	﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (٢٠)
٥٧٦	٥٥	﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٢١)
٥٢٤	٦٨	﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ۗ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ

الصفحة	رقمها	الآية
		﴿ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾
٨٧	٦٩	﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾
٤٢٧	٧١	﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۗ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتِيحتَ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ۗ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾
سورة غافر		
٢٨٥ ، ٢٨٣ ، ٥٣٤ ، ٢٨٦ ، ٦٧٢ ، ٥٣٧	٨	﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۗ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ ﴾
٤٨٥	١١	﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِدُؤْبَانَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٢٠٨	١٨	﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ ۚ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ ﴿١٨﴾
٦٠٤	٢٥	﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾ ﴾
١٠٨	٢٨	﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ۚ اتَّقَتُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ۚ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۗ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾
٦٠٤ ، ٦٠٠	٢٩	﴿ يَنْقَوْمَ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾
٦٠٤	٣٠	﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَنْقَوْمٍ لِي ۚ أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٦٠٤	٣٠	﴿ مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴾ ﴿٣٠﴾
٦١٣	٤٠	﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أُتِيَ ۖ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ۖ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ﴿٤٠﴾
٧٥٣، ٧٤٩	٥١	﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ ﴿٥١﴾
٥٠٣، ٩٢	٧٢ - ٧١	﴿ إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧٢﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧١﴾ ﴾
٤٣٥، ٩٧ ٥٤٨	٨٤	﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾ ﴿٨٤﴾
٤٣٥، ٩٧ ٥٤٨	٨٥	﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۗ سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۗ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿٨٥﴾

الصفحة	رقمها	الآية
سورة فصلت		
٩٦	٨	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾
٣٤٥	19	﴿ وَيَوْمَ يُخْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾
٢٩٧	٢١	﴿ وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾
٢٧٨	٤٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءَايَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا ؕ أَمَّن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؕ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ؕ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾
٦١٩	٤٧	﴿ * إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ؕ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ؕ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ إِيَّانَ شُرَكَآئِي قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَيْءٍ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
سورة الشورى		
٥٥	١٠	﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾
٧٢٩ ، ٧٢١	١٣	﴿ * شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِمْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾
٦٣٥	١٧	﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾
٧٠٩ ، ٧٠٣	٢٠	﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ۗ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾
٨١٥ ، ٨٠٢	٣٢	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ﴾
٥٦٣	٤٠	﴿ وَجَزَأُوا سَيْعَةً سَيِّئَةً مِمَّا هُمْ عَلَىٰ عَفَا وَأَصْلَحٍ فَأَجْرُهُ عَلَىٰ

الصفحة	رقمها	الآية
		﴿ اللَّهُ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾
٥٦٣	٤١	﴿ وَلَمَنْ آتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾
٥٦٣	٤٣	﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾
سورة الزخرف		
٨٣٥ ، ٨٣٨ ، ٨٥٠ ، ٨٥٦	١ - ٢ - ٣ - ٤	﴿ حَمَّ ۖ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۖ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۖ وَإِنَّهُ فِي أُمْرِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۖ ﴾
٦٣٥	١٧	﴿ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۖ ﴾
٥٣٦ ، ٥٣١	١٢	﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَكَ وَاللَّاتِعِبِ مَا تَرَكِبُونَ ۖ ﴾
١٠٦ ، ٦٤١ ، ٦٤٢	١٥	﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ۚ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ۖ ﴾
١٠٦ ، ٦٤١	١٦	﴿ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ ۖ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٦٤٢		
١٠٦ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٥	١٧	﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾
٦٤٢ ، ٨٨٦ ، ١٠٦	١٨	﴿ أَوْ مَنْ يُنشِئُوا فِي الْحَلِيِّهِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾
١٠٧	٢٨	﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾
٦٥٤	٣٠	﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾
٦٥٤	٣١	﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَيَّ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾
٢٧٠ ، ٥٣٨	٣٨	﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ ﴾
٥٣٨	٣٩	﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾
٨٧٤	٤٥	﴿ وَسَعَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ

الصفحة	رقمها	الآية
		﴿الرَّحْمَنُ ۙ إِلَهٌ يُعْبَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾
١١٦	٥٨ - ٥٧	﴿ * وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ۙ آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۗ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾
٥٥	٦١	﴿وَإِنَّهُ لَعَلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ ۗ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾
٦٧٢ ، ٦٧٠	٦٩	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِبَايِعْتِنَا ۖ وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾
٦٧١ ، ٨٩	٧٠	﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾
٦٧١	٧١	﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۗ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۗ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾﴾
٣٥٤	٧٥	﴿لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾
٥١٦	٨٠	﴿أَمْ تَحْسَبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۗ بَلَىٰ ۚ وَرُسُلْنَا لَسَيِّئِهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾
٨٦٤ ، ٨١٩	٨٧	﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِهِمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۗ فَأَنىٰ يُؤْفَكُونَ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
		﴿ ٤٧ ﴾
سورة الدخان		
٨٣٨ ، ٨٣٥	٢ - ١	﴿ حَمِّمٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُمِينِ ۝ ﴾
١٢٤ ، ٦٥١ ، ٦٥٥	٦ - ٥ - ٤	﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ ﴾
١٢٤	٨	﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي - وَيُمِيتُ ۗ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ۝ ﴾
٦٦٩	٥٤	﴿ كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ۝ ﴾
سورة الجاثية		
٣٦٩	٩ - ٨ - ٧	﴿ وَيَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تَتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۗ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا هُرُوءًا أُولْتَمِيكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ ﴾
٢٧	١٠	﴿ مِّنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ ۗ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا

الصفحة	رقمها	الآية
		﴿ مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ۗ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾
٨١٦، ٨٠٢	١٢	﴿ * اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ ۗ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾
٥٠٢	٢٣	﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾
٥١٦	٢٩	﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ۗ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾
٦١٦	٣٢	﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ ۗ إِنَّ نَظْنَئِنَّا إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّبِعِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾
سورة الأحقاف		
٢٩٧، ٢٩١	٥	﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۗ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غٰفِلُونَ ﴿٦﴾ ﴾
٢٩٧، ٢٩١	٦	﴿ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً ۗ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ

الصفحة	رقمها	الآية
		﴿ كَافِرِينَ ٦ ﴾
٦٨٧	١٣	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿١٣﴾
٧٠٦	١٨	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْغَنِّ وَالْإِنْسِ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾ ﴿١٨﴾
٧١٨، ٧٠٦	١٩	﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ عَمَلًا ۗ وَلِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ﴿١٩﴾
٧٣٨، ٧٠٦، ١١١	٢٠	﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدَهَبْتُمْ طَيْبَتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ ﴿٢٠﴾
٩٩	٣٥	﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ هُمْ كَأَنْتُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ ۗ بَلَّغٌ فَبَلِّغْ فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾

الصفحة	رقمها	الآية
سورة محمد		
	١	﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴾
٣٥٨	٢	﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾
٣٥٨	٣	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴾
١١٤	٤	﴿ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَخْنَثْتُمْهُمْ فَشُدُّوا الرِّبَاطَ فَإِمَّا مَثًا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَنَصَرَّ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْتُلُوا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلَهُمْ ﴾
٥٤ ، ٥٣	٢٤	﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الرِّقَابِ أَمْرٌ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
		﴿
سورة الفتح		
101	١	﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ ﴾
٦٨٣ ، ٦٨٠	٢	﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُنِمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَهَدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ ﴾
١٠٠ ، ٧٦٤	٤	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ۗ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَظِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾
١٠٠	٥	﴿ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۗ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ ﴾
١٠٠	٦	﴿ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ ۚ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوْءِ ۗ عَلَيْهِمْ دَآبِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَعَظِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۗ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٣٠٨	١٢	﴿ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنًّا سَوِيًّا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ ﴾
سورة الحجرات		
٢٢٦، ٥٥ ٢٢٧	2	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾
٢٢٧، ٢٢٦	٣	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾
٢٢٧، ٢٢٦	٤	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾
٢٢٧، ٢٢٦	٥	﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ؕ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾
١٢٨	١١	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ

الصفحة	رقمها	الآية
		<p>يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّنْ نِّسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَابِ ۗ بئسَ الآسَمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٤﴾</p>
٨١٨	١٤	<p>﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾</p>
٧٧٨	١٥	<p>﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾</p>
٦١٤	١٧	<p>﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ ۗ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾</p>

الصفحة	رقمها	الآية
سورة ق		
٧٩١	١٤	﴿ وَأَصْحَابُ الْآيِكَةِ وَقَوْمُ تُبُعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدٌ ﴾
٥١٦	١٨	﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾
٢٠٩ ، ٩٤	٣٠ - ٢٠	﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢١﴾
٥١١ ، ٣٣١		وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٍ ﴿٢٢﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلُّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٣﴾ مَنَّاعٍ لِّلْخَبْرِ مُعْتَدٍ مِّرْيَبٍ ﴿٢٤﴾ الَّذِي
٥٨٨ ، ٥١٢		جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ
٧٩٠ ، ٦١٦		﴿٢٥﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَعَيْتُهُ وَلَئِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٦﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَىٰ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ
٧٨٤ ، ٧٩٨		بِالْوَعِيدِ ﴿٢٧﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٨﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّرْزِلٍ ﴿٢٩﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٢١٣	٣٥	﴿ هُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾
سورة الذاريات		
٢٣٦	١٣	﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾
٧٧٠	٣٦ - ٣٥	﴿ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسَابِقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾
٣٧٩ ، ٣٨٢ ، ٧١٨	٥٦	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾
سورة الطور		
٦٦٩	٢٠	﴿ مُتَكِبِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾
٦١٤	٢٧	﴿ فَمَرْءٌ آتَى اللَّهَ عَلَيَّاتٍ وَّوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾
٢٥٦ ، ٩٢٦	٣٠ - ٢٩	﴿ فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ ﴾
٨٩٣	٤٩	﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحَهُ وَإِذْ بَرَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
سورة النجم		
٨٩٢	١	﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ ﴾
٦٤١	٢٢ - ٢١	﴿ أَلَمْ تَكُنْ مِنَ الْآتِنِ ﴿٢١﴾ تَلِكْ إِذَا قَسَمْتُ لِي وَرَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾
٦١٦	٢٨	﴿ وَمَا هُمْ بِمِنَ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ ﴾
٦١٤ ، ١٦٦	٤١	﴿ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾
٨٥٨ ، ٨٥٢	٤٩	﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾
سورة القمر		
٨٨٠	٥	﴿ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النَّذْرُ ﴿٥﴾ ﴾
٨٧	١٠	﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرَ ﴿١٠﴾ ﴾
٨٧١ ، ٨٧	١١	﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَرٍ ﴿١١﴾ ﴾
٨٧١ ، ٨٧	١٢	﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ ﴾
٨٨٠	١٦	﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٦﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٨٨٠	١٨	﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنُذْرِي ﴿١٨﴾ ﴾
٨٨٠	٢١	﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنُذْرِي ﴿٢١﴾ ﴾
٨٨٠	٣٠	﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٠﴾ ﴾
٦٠٤	٣٤	﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ لُوَّطًا نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ ﴾
٨٨٠	٣٧	﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٧﴾ ﴾
٨٨٠	٣٩	﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٩﴾ ﴾
٨٧٣	٤١	﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ ﴾
٨٦٨	٤٩	﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾
سورة الرحمن		
٨٨٨	١ - ٢	﴿ الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾
	٣ - ٤	﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾
٩٠	6	﴿ وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ ﴾
٦٣١ ، ٦٢٨	٧	﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٦٣٥		
٦٣٥ ٦٣١ ، ٦٢٨	٨	﴿ أَلَا تَطْعَمُونَ فِي الْمِيزَانِ ﴾
٦٣٥ ٦٣١ ، ٦٢٨	٩	﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾
٥٢٥	٣٣	﴿ يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُدُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُدُوا لَا تَنْفُدُونَ إِلَّا بِإِذْنِ رَبِّكُمْ ﴾
٧١٣ ، ٧١٤	٤٦ - ٤٧	﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ فِيهَا نَضَاءٌ ۖ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانَ ﴾
٧١٧	٥٦	﴿ فِيهَا قَصْرَاتُ الْأَطْرَفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾
٦٦٩	٧١ - ٧٢	﴿ فِيهَا خَيْرٌ حِسَانٌ ۖ فِيهَا نَضَاءٌ ۖ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانَ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْحِيَامِ ﴾
٧١٧	٧٤	﴿ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
سورة الواقعة		
٥٣٣ ، ٥٣٦	١ - ٢	﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ حَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَدُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ ﴾
٨٩٨ ، ٩٠٣	٣ - ٤	
	٥ - ٦ - ٧	
٨٩٨ ، ٨٩٩	١٣ - ١٤	﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾
٦٦٩	٢٢ - ٢٣	﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُوبِ الْأَمْكُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾
١٠٢ ، ٨٩٧		﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنْشَاءً ﴿٣٥﴾ جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾
٨٩٨ ، ٨٩٩	٣٥ - ٤٠	
٨٥٩ ، ٨٦٣	٥٨ - ٥٩	﴿ أَفْرَاءَ يَتِمُّ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾
٨٤٩ ، ٨٥٠		﴿ * فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمْسُهُرُ إِلَّا الْمَطْهُرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾
٨٥٦	٧٥ - ٨٠	

الصفحة	رقمها	الآية
سورة الحديد		
٩٣٠	١٤	﴿ يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ ۗ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾ ﴾
٦٣١ ، ٦٢٨ ، ٦٣٥ ، ٦٣٤	٢٥	﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۗ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۗ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾
سورة المجادلة		
٩٣٩	١٤	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾
٣٥٨ ، ١١٥	١٦	﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
سورة الممتحنة		
١٤٩ ، ١٣٨	١٠	<p>﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مِهْجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ ۗ إِنَّهُنَّ عَلِمْتُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَ هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنفَقُوا ۗ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ۗ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسْءَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْءَلُوا مَا أَنفَقُوا ۗ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ سَخِّمُوا بِهِنَّ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾</p>
سورة الصف		
٥٢٢	٤	<p>﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ مُّجِنِّينَ مَرْصُوصِينَ ﴿٤﴾</p>
٢٣٧	٥	<p>﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُورِمِ لِمَ تَقُولُونَ وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ۗ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾</p>

الصفحة	رقمها	الآية
سورة الجمعة		
١٣٤	٩	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾
سورة المنافقون		
٩٣٩	٢	﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ﴾
٥٤٨ ، ٥٤٠ ، ٥٤٦ ، ٥٤١	٨	﴿ يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾
سورة الطلاق		
٧٠٤ ، ٦٣٧	2	﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٧٠٤	٣	﴿ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۗ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾
سورة التحريم		
٨٧٣ ، ٣٥٠ ٨٧٩	٤	﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۗ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْريلُ وَصَلِحِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾
١٢٦	٦	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾
سورة الملك		
٨٢٠ ، ٣٧٨ ٨٢٨	٢	﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٢﴾ ﴾
٢٦٣	٨ - ٧	﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۗ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُنَا أَلَمْ

الصفحة	رقمها	الآية
		يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾
٤٢٩ ، ٨٥	١٠	﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٩﴾
٣٨٢	١٤	﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٣﴾
٥٢٥ ، ٥٢٢	١٩	﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى الْطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ وَيَقْبِضْنَ ۗ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٨﴾
١٢٧	٣٠	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٢٩﴾
سورة القلم		
٧٣٠ ، ٧٢٦	٤٨	﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْأُخْتِ إِذْ نَادَى ﴿٤٧﴾ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾
سورة الحاقة		
٨١٥ ، ٨٠٢	١١	﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١٠﴾
٦١٦	19	﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ مَآءٌ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ ﴿١٩﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٦١٦	٢٠	﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِيَّةٍ ﴿٢٠﴾ ﴾
٢٥٦	٤٢ - ٤١	﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾
سورة المعارج		
٦٧٣	٣٠ - ٢٩	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾
١٣٠	٤٤	﴿ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذَّلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾
سورة الجن		
٢٣٦	١٦	﴿ وَالْوِاسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾
٢٣٦	١٧	﴿ لَنَفْتِنَهُمْ ﴿١٧﴾ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّيَ سَلْكُهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ ﴾
٢٣٩٣، ٥١٦٦	٢٨	﴿ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
سورة القيامة		
٨٦٣ ، ٨٥٩	٣٧	﴿الْمَلِكُ نُطْفَةٌ مِنْ مَنَى يَمْنَى﴾ ﴿٧﴾
سورة المرسلات		
٥٢١	٦ - ٥	﴿فَالْمَلْفِيتِ ذِكْرًا﴾ ﴿٥﴾ عَذْرًا أَوْ تَنْذِرًا﴾ ﴿٦﴾
سورة النبا		
٣٥٤	٣٠	﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ ﴿٣٠﴾
سورة النازعات		
٨٠٢ ، ١٢٦	٥	﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ ﴿٥﴾
٨١٦		
سورة عبس		
١٢٨	٢ - ١	﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ ﴿٢﴾
	- ١٣	﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ﴾ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾
٨٣٩	- ١٤	﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ ﴿١٤﴾
	١٦ - ١٥	

الصفحة	رقمها	الآية
سورة التكويد		
٨٥٨	٢	﴿ وَإِذَا النُّجُومُ آنَكَدَرَتْ ﴿٢﴾ ﴾
٥٣٦	٧	﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِجَتْ ﴿٧﴾ ﴾
٨٤١	١٠	﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ ﴾
سورة الانفطار		
٨٥٨	٢	﴿ وَإِذَا الْكُوكَبُ أَنْعَثَتْ ﴿٢﴾ ﴾
سورة المطففين		
٢٣٧	١٤	﴿ كَلَّا بَلْ زَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾
سورة الانشقاق		
٦٠٧	٢٥	﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾ ﴾
سورة البروج		
٢٣٦	١٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمُ وَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
سورة الطارق		
٥٦٢	١٤ - ١٣	﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِأَهْزَلٍ ﴿١٤﴾ ﴾
٧٣٨	- ١٥ - ١٧ - ١٦	﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهْلٍ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ زُؤِيدًا ﴿١٧﴾ ﴾
سورة الأعلى		
٦٣٦	- ٢ - ١ ٤ - ٣	﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ ﴾
سورة البلد		
٨٨٢	٩ - ٨	﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ ﴾
سورة الليل		
١٣٠	- ١٧ - ١٨ - ١٩ ٢١ - ٢٠	﴿ وَسَيَجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢١﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
سورة الضحى		
١٣٠	٥ - ٤ - ٣	﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ ﴾
٣٩١	٧	﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ ﴾
سورة التين		
٨٣٠	٢ - ١	﴿ وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ ﴾
٦٠٧	٦	﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾
سورة العلق		
٤٦٩	٦	﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ﴿٦﴾ ﴾
سورة القدر		
١٢٦ ، ١٢٣	٤	﴿ تَنزِيلُ الْمَلَكِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ ﴾
سورة الزلزلة		
٥٨٨	٤	﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
سورة العاديات		
٤٦٩	٦	﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ ﴾
سورة الهمة		
١٢٨	٩ - ٨	﴿ إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَلٍ مُّمدَّدة ﴿٩﴾ ﴾
الكافرون		
٨١٩	٣ - ٢ - ١	﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا لَكُمُ الْكُفْرُ وَهُوَ كَثِيرٌ ﴿١﴾ لَّا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ ﴾
سورة النصر		
٧٥٥	١	﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ ﴾
سورة الفلق		
١٣٢	٤	﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ ﴾

فهرس الأحاديث

الصفحة	طرف الحديث
٣٦٦	« إذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن يرى أثره عليه »
٤٥٠	« أذكركم الله في أهل بيتي »

الصفحة	طرف الحديث
٢٣٦	« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولون لا إله إلا الله »
٤٥٩	« أمسك عليك زوجك واتق الله »
٤٥٤	« إن إبراهيم حرم مكة وإني أحرم ما بين لابتيها »
١١٢ ، ٧٠٣	« إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطي بها في الدنيا ويمجزي بها في الآخرة ، وأما الكافر فيقطع بحسناته ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزي بها »
٧٩٤ ، ٧٩٧	« إن جهنم لا تزال تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط »
٨٧٥	« إنا معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد »
٦٧٩	« إنما هو شيء رأيت في منامي ، وما ﴿ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ ^ج
٧٦٣	« إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله »
٧٧٨	« الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً »
٤٤٩	« الصلاة يا أهل البيت الصلاة... »
٤٣٣	« اللهم علمه الكتاب »
٤٣٣	« اللهم فقهه في الدين »
١٩٥	« المرأة المحرمة تنهى عن الانتقاب والقفازين »

الصفحة	طرف الحديث
٩٣٦	« ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله تعالى وحق سيده فله أجران، ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاها ثم أدبها فأحسن أدبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران »
٨٩٧	« خير القرون قرني ثم الذين يلونهم... »
٢٠١ ، ١٩٩	« رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليها »
١٥١	« ... فلا تنكحها »
٧٧١	« قال نعم فإنه يبعث يوم القيامة أمة وحدة »
١٤٨	« ... لا ، حتى تدوق عسيلته ويدوق عسيلتك »
٣٦٦	« ما على أحدكم لو اتخذ ثوبين ثوباً لمهنته وثوباً لجمعته وعيده »
٤٤٩	« هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً »
٦٨٨	« وما بدريك أن الله أكرمه »
٧٦٣	« ومن جاءنا منهم سيجعل الله فرجاً ومخرجاً »
٦٧٧	« ويل واد في جهنم ، يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره »

فهرس الأشعار (حسب القافية)

الصفحة	الأبيات الشعرية
٧٩	نُعي الهدى فملا القلوب سوادً وتفتّرت لمصاها الأكياد

الصفحة	الآبيات الشعرية
	<p>ألم يعذب كل قلب في الورى وأسى مرارة كثره تزداد كيف البنا والنفس يملوها الأسى ومن الأسى ملا الجفون سهاؤ خطب يجل عن البكاء وفجيمة همت رواسي الأرض أو لتكأؤ كل الورى في ماتم لما نعى الناعي الأمين نواطق وجمأؤ إلى أن قال:</p> <p>يارب من أكرمه ووهبه للخلق أنت أخذت وهو رشأؤ عبد قضى فيك الحياة وكان من من زاده التقوى ونعم الزأؤ أغر المقام وعل من درجاته ياذا الوداد ينله منك وداد وإسب لنا رفقاً بنا خلفاً له فالخلق محتاج وأنت جواؤ</p>
٧٩١	<p>وإني وإن أوعده أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدتي</p>
٩١٤	<p>يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد</p>
٣٥	<p>وما شجاني أنها يوم ودعت تولت وماء العين في الجفن حائر فلما أحات من بعيد بنظرة إلي التفتان أسلمته المهاجر</p>
١١٤	<p>وأعددت للحرب أوزارها رما حا طولاً وخيلاً ذكوراً</p>

الصفحة	الآيات الشعرية
٣٠٩	يا رسول المليك إن لساني رائق ما فتقت إذ أنا بور
٩٠٦	وفي الخباء عروب غير فاحشة ريا الروادف يعشى دونها البصر
٥٤٠	كأن لم يكونوا حمى يحنشى إذا الناس إذا ذاك من عز بز
٦٠٨	فضل الجياد على الخيل البطاء فلا يعطي بذلك ممنوناً ولا نزقا
٧٧١	وأسلمت وجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صخراً ثقلاً دحاها فلما استوت شدها جميعاً وأرسي عليها الجبالا وأسلمت وجهي لمن أسلمت له المزن تحمل عذباً زلالا إذا هي سبقت إلى بلدة أطاعت فصبت عليها سحالا وأسلمت وجهي لمن أسلمت له الريح تصرف حالاً فحالا
٦٤٢	زوجتها من بنات الأوس مجزة للعوسج اللدن في أبياتها زجل
١٨٧	ياخذن زيتهن أحسن ما ترى وإذا عطلن فهن خير عواطل
٩١٤	حييت من طلل تقادم عهده أقوى وأقفر بعد أم البشم
٧٨	موت الإمام الخير من جاكاني رزه ألمّ بأمة العدناني يا للمصيبة للبرية إنها فقدت عظيم مناهل العرفان شيخا أضاء من العقيدة تيراً أساء فوق دعائم البرهان

الصفحة	الآبيات الشعرية
	<p>أعشى سناه كل جهم ملحد نبد الكتاب لنتلق اليونان ما إن رأيت ولا سمعت بمثله حاوٍ لكل تراجم الفرقان أو ما حضرت هُنيئةً لدروسه وسمعت هذا العالم الرئاني إلى أن قال:</p> <p>يارب برد قبره متفضلاً وامتن عليه بنعمة الرضوان</p>
٦٤٢	<p>إن أجزاء حرة يوماً فلا عجب قد تجزئ الحرة المذكر أحياناً</p>
٧٩	<p>أتاني من الأنبياء ما سدَّ مسمعي فكادت لها روجي بين جنونها وما كنت أدري ليتني عن حفرة عشية سواها حصاها وطبها فأجعل مثوى اللحد أشرف ريوه لثلا تهيل الذارياتُ غصونها من الشيخ إن فاضت على الخد دمعتي أكفكفها صبراً ويأبي هتونها ومن ذا الذي يستطيع إخفاء حزنه وقد أغرقت سفح الخدود عيونها يعزوني إذ حلُّ في الأرض ثاوياً بأن الرسول البرُّ فعلا دفينها مصاب جليل والقلوب رقيقة على إخوة في الله ما عيبٌ لينها إلى أن قال</p> <p>ترقيته من حجِّ مكة سالماً فشحت به معلاتها وحجونها</p>
٣٠٩	<p>فلا تكفروا ما قد صنعنا إليكم وكافوا به فالكفر بور لصانمه</p>

الصفحة	الآبيات الشعرية
٤٥	سميته بمخالص الجمعان في ذكر أنساب بني عدنان
٤٥	الحمد لله الذي قد ندبا لأن نميز البيع عن لبس الريا ومن المؤلفين كتبا تطرد أطواد الجهالة هيا تكشف عن عين الفواد الحجبا إذا حجاب دون علم ضربا
٢٧	وضد فقر كإلى وكسحاب النفع والمطرب أيضاً ككتاب وكتفى إقامة وكهنها جمع لغتيه لما به الغنى
٤٦	تركة الميت بعد الخامس من خمسة محصورة عن سادس وحصرها في الخمسة استقراء وانبذ لخصر العقل بالعراء أولها الحقوق بالأعيان تعلقت كالرهن أو كالجاني وكزكاة التمرو والحبوب إن مات بعد زمن الوجوب
٤٧	حمداً لمن أظهر للمقول حقائق المنقول والمعقول وكشف الرب عن الأدمان بواضح الدليل والرهان وفتح الأبواب للأبواب حتى استبان ما وراء البباب
٨٧٣	أقل معنى الجمع في المشتهر الا ثنان في رأي الإمام الحمير
٧٧٢	ونحو لا شربت أو إن شربا واتفقوا إن مصدر قد جلبا

رقم الصفحة	الاسم
١٤١	أبوحيان، محمد بن يوسف بن علي الأندلسي
٢٥	الأزرق، أبويعقوب، يوسف بن عمرو بن يسار
٧٤١	الأعشى، ميمون بن قيس بن جندل
٣٩٥	الألوسي، محمود بن عبدالله الحسيني
٦٨٨	أم العلاء بنت الحارث بن ثابت
٧٥	الأنصاري، حماد بن محمد
٧٦	ابن باز، عبدالعزيز بن عبدالله
١٥٧	أبوالبركات، النسفي، عبدالله بن أحمد بن محمود
١٥٦	البلغوي، أبو محمد، الحسين بن مسعود
٢٠٦	البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر
١٤٣	البيضاوي، ناصر الدين عبدالله بن عمر
١٧٦	ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام
٥٠٦	الثعالبي، أبوزيد، عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف
١٤٠	ابن جزى، محمد بن أحمد
١٣٩	الخصاص، أبوبكر أحمد بن علي
١٧٠	أبو جعفر، النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل
٥٨٤	الجمال، سليمان بن عمر العجيلي
١٤٢	ابن الجوزي أبوالفرج، عبدالرحمن بن علي بن محمد
٤٩٦	أبوالحسن، الماوردي، علي بن محمد بن حبيب

رقم الصفحة	الاسم
٤٥٨	الحكيم الترمذي، أبو عبدالله، محمد بن علي بن الحسين
٣٨	ابن حنبل، أحمد بن محمد
١٦٣	الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم
٣٦	ابن زاحم، عبدالله بن عبدالوهاب
٢٨٧	الزجاج، أبو إسحاق بن السري بن سهل
٣١٩	الزركشي، أبو عبدالله، محمد بن بهادر
١٦٣	الزنجشيري، جار الله محمود بن عمر بن محمد
٤٥٧	الزهري، محمد بن مسلم بن شهاب
٦٠٨	زهير بن أبي سلمى المزني
٧٠	أبوزيد، بكر بن عبدالله
٣٥٦	ابن زيد، عبدالرحمن بن زيد بن اسلم
٤٥٠	زيد بن أرقم بن زيد الخزرجي
٧٧١	زيد بن عمرو بن نفيل العدوي
٣٦	السديري، تركي بن أحمد
٣٦	السديري، خالد بن أحمد
١٤٥	السعدي، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله
٦٩	آل سعود، عبدالله بن عبدالرحمن الفيصل
٣٩	آل سعود، عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل
١٤٤	أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى
٣٢٢	السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبدالجبار

رقم الصفحة	الاسم
٢٢٢	السمين الحلبي ، شهاب الدين أحمد بن يوسف
١٤٦	سيد قطب
٦٠	السيوطي ، أبو الفضل ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر
٦٨	الشنقيطي ، عبدالله بن الشيخ محمد الأمين
٣٢٩	الشهاب ، أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي
١٤٤	الشوكاني ، محمد بن علي
٤٠	آل الشيخ ، محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف
٣٧	آل صالح ، عبدالعزيز بن صالح بن ناصر
٢٢٧	الضحاك بن مزاحم الهاللي
١٣٨	الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير
٢٠٧	طنطاوي بن جوهرى المصرى
١٤٧	ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد
٧٩١	عامر بن الطفيل
٦٩١	عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق
٤٣	عبدالرزاق بن عفيفي بن عطية
٧٠٠	عبدالله بن أبي بكر الصديق
٣٠٩	عبدالله بن الزبيري بن قيس
٢٢٢	العبري ، أبو البقاء ، عبدالله بن الحسين
٣٥٦	أبو عبيدة ، معمر بن المثني
٦٨٨	عثمان بن مظعون بن حبيب

رقم الصفحة	الاسم
١٤٧	ابن العربي ، أبوبكر محمد بن عبدالله الأندلسي
٤٤٨	عطاء بن أبي رباح
٢٨	عطية محمد سالم
١٤٠	ابن عطية ، أبومحمد ، عبدالحق بن غالب
١٤٢	عكرمة ، مولى ابن عباس
٤٥٧	علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
١٥٠	عمرو بن شعيب بن محمد بن عبدالله
٩١٤	عنتر بن شداد العبسي
١٦٨	الفخر الرازي ، محمد بن عمر بن الحسين
٢٥٩	الفراء ، أبوزكريا ، يحيى بن زياد
٤٥٧	أبو الفضل ، القشيري ، بكر بن محمد بن العلاء
٢٠٦	القاسمي ، جمال الدين بن محمد سعيد
١٧٧	ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم الدينوري
١٦٤	القرطبي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر
٢١٦	القنوجي ، محمد صديق خان بن حسن بن علي
١٤٧	ابن القيم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب
١٤١	كثير ابن ، أبوالفداء ، إسماعيل بن عمر
٩٠٦	ليبد بن ربيعة بن مالك العامري
١٧٩	مالك بن أنس المدني ، أبو عبدالله
٤٨	المجنوب ، محمد

رقم الصفحة	الاسم
١٦٩	المحلي ، جلال الدين محمد بن أحمد
١٥١	مرثد بن أبي مرثد الغنوي
٦٩٧	مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية
١٦٠	مسطح بن أثاثة بن عباد
٤٥٧	مقاتل بن سليمان بن كثير الخراساني
٢٥	أبوموسى ، قالوان ، عيسى بن مينا
٩١٤	النابغة الذبياني ، زياد بن معاوية بن ذبيان
٦٦	الناجي ، محمد الخضر
٢٤	نافع المدني ، أبو عبد الرحمن
٢٥	أبونشيط ، محمد بن هارون الروزي
٥٤٣	نظام الدين النيسابوري الحسن بن محمد بن الحسين
١٦١	النيسابوري ، محمد بن أبي الحسن
٢٠٥	الواحدي ، أبو الحسن ، علي بن أحمد بن محمد
٢٤	ورش ، أبوسعيد ، عثمان بن سعيد

فهرس المصادر والمراجع

إتحاف النبلاء بسير العلماء، إعداد: راشد بن عثمان بن أحمد الزهراني، الطبعة

الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، دار الصمعي للنشر والتوزيع - الرياض.

إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، أحمد بن محمد الدمياطي الشافعي
الشهير بالبناء، رواه وصححه وعلق عليه: علي محمد الضباع، مكتبة ومطبعة
المشهد الحسيني - القاهرة.

الإتقان في علوم القرآن، الإمام جلال الدين السيوطي، علق عليه: محمد شريف
سكر، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، دار إحياء العلوم - بيروت، مكتبة
المعارف - الرياض.

أحكام الأطعمة في الشريعة الإسلامية، دراسة مقارنة، د. عبدالله بن محمد بن أحمد
الطريقي، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث
العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، برقم ٥/١٣٢٣
وتاريخ ٢٧/١٠/١٤٠٢هـ.

أحكام القرآن، أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، ضبط نصه وخرّج آياته
عبدالسلام محمد علي شاهين، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، دار الكتب
العلمية - بيروت.

أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي، تحقيق: علي محمد

البحاوي، الناشر: دار المعرفة - بيروت.

آداب البحث والمناظرة، الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي، دار ابن تيمية
للطباعة والنشر.

إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، الشيخ: أبي السعود محمد بن العماد
الحنفي، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، ١٩٨٢م - ١٤٠٢هـ، دار الفكر -
لبنان، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض.

أسباب النزول، الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري بذيل مختصر
تفسير الطبري المطبوع بهامش القرآن الكريم - الطبعة الثانية، ١٤١١هـ -
١٩٩١م، دار الفجر الإسلامي - دمشق.

الإسلام دين كامل، العلامة الشيخ: محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق وتعليق: حسين
بن إبراهيم زهران، الناشر: دار طيبة.

الأسماء والصفات نقلاً وعقلاً، العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق:
شريف بن محمد فؤاد هزاع، الناشر: مكتبة التوعية الإسلامية - الجيزة، الطبعة
الأولى لهم ١٤٠٨هـ.



الإشارات الجلية في القراءات السبع من طريق الشاطبية، د. محمد سالم محيسن،

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، مؤسسة شباب الجامعة - الإسكندرية.

أشراط الساعة، يوسف بن عبدالله الوابل، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م،

دار ابن الجوزي، الدمام.

أصول مذهب الإمام أحمد، دراسة أصولية مقارنة، د. عبدالله بن عبدالمحسن

التركي، الطبعة الرابعة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، مؤسسة الرسالة - بيروت.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، العلامة الشيخ: محمد الأمين بن محمد المختار

الجكني الشنقيطي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، وهي مصورة عن طبعة

مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر، سنة ١٣٩٦هـ.

أطلس العالم، محمد سيد نصر - نقولا زيادة - مصطفى الحاج إبراهيم - داود

صليبا - شفيق جحا - أنور الرفاعي، الناشر: مكتبة لبنان - ساحة رياض

الصلح - بيروت.

الأعلام (قاموس تراجم)، خير الدين الزركلي، الطبعة الرابعة، كانون الثاني (يناير)

١٩٧٩م، دار العلم للملايين - بيروت.

إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية)،
 رتبه وضبطه: محمد عبدالسلام إبراهيم، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م،
 دار الكتب العلمية - بيروت.

أعلام من أرض النبوة، أنس يعقوب كتيبى، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
 الإقليد للأسماء والصفات والاجتهاد والتقليد، العلامة الشيخ: محمد الأمين
 الشنقيطي، تحقيق: شريف بن محمد فؤاد بن هزاع، الناشر: مكتبة ابن تيمية -
 القاهرة.

إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، أبوالبقاء
 عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري، تصحيح وتحقيق: إبراهيم عطوة عوض،
 الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي
 وأولاده بمصر.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل، القاضي ناصر الدين أبوسعيد عبدالله بن عمر بن محمد
 الشيرازي اليبضاوي، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م، شركة مكتبة ومطبعة
 مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

إيجاز البيان عن معاني القرآن، محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري، دراسة
وتحقيق: د. علي بن سليمان العبيد، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، مكتبة
التوبة - الرياض.

البحر المحيط في أصول الفقه، الإمام بدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله الشافعي
الزركشي، قام بتحريه: الشيخ عبدالقادر عبدالله العاني، وراجعته: د. عمر
سليمان الأشقر، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، وزارة الأوقاف والشئون
الإسلامية بالكويت.

البحر المحيط في التفسير، الإمام محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي
الغرناطي، اعتنى به: الشيخ عرفات العشا حسونة، مراجعة: صدقي محمد
جميل، المكتبة التجارية - مصطفى أحمد الباز - مكة المكرمة.

بحوث في أصول التفسير ومناهجه، د. فهد بن عبدالرحمن الرومي، الطبعة الثالثة
١٤١٦هـ، مكتبة التوبة - الرياض.

بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، جمعه ووثق نصوصه وخرّج
أحاديثه: يسيري السيد محمد، الطبعة الأولى، ربيع الثاني ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م،

دار ابن الجوزي - الدمام.

البرهان في علوم القرآن، الإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م، دار المعرفة - بيروت.

بلاد شقيط المنارة والرباط، الخليل النحوي، من مطبوعات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٨٧م.

البيان لمواضع الآيات المفسرة في أضواء البيان، أبو أسامة حسن بن علي العواجي، دار الإيمان - الإسكندرية.

التاج والإكليل لمختصر خليل، لأبي عبدالله محمد بن يوسف العبدري الشهير بالموثق، مطبوع بهامش مواهب الجليل لشرح مختصر خليل لأبي عبدالله الطرابلسي المعروف بالخطاب، ملتزم الطبع والنشر: مكتبة النجاح - طرابلس - ليبيا.

التحرير والتنوير، سماحة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور.

ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان جمعها وصنّفها: عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ، دار الهجرة -

الرياض.

تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول، خالد بن عبدالرحمن العك، الطبعة
الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، دار المعرفة - بيروت.

التسهيل لعلوم التنزيل، الإمام الحافظ أبو القاسم محمد بن أحمد نب جزي الكلبي
الغرناطي، تحقيق: محمد عبدالمنعم اليونسي؛ إبراهيم عطوة عوض، دار الكتب
الحديثة.

تفسير الجلالين بهامش القرآن الكريم، الإمام جلال الدين محمد بن أحمد المحلى،
والإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، يطلب من: مكتبة
الرياض الحديثة - الرياض.

تفسير الجلالين من سورة غافر إلى سورة الناس، علق عليه وصوّبه: فضيلة الشيخ
عبدالرزاق عفيفي، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، مطبعة المدني -
المؤسسة السعودية بمصر - القاهرة.

تفسير القرآن العظيم، الإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي
الدمشقي، طبعة عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، دار المعرفة - بيروت.

تفسير القرآن، الإمام أبوالمظفر السمعاني منصور بن محمد بن عبدالجبار التميمي

المروزي الشافعي السلفي، تحقيق: أبوتيمم ياسر بن إبراهيم؛ أبوإللال غنيم بن

عباس بن غنيم، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، دار الوطن - الرياض.

تفسير القرآن، سلطان العلماء عزالدين عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي الدمشقي

الشافعي، قدم له وحققه وعلق عليه: الدكتور عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله الوهبي،

الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، الناشر هو المحقق نفسه، الأحساء.

التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي، طبعة جديدة مصححة وملونة، إعداد: مكتب

تحقيق دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، دار إحياء

التراث العربي - بيروت - لبنان.

تفسير المراغي، فضيلة الأستاذ: أحمد مصطفى المراغي، أستاذ الشريعة الإسلامية

واللغة العربية بكلية دار العلوم سابقاً، الطبعة الرابعة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م،

مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

تقريب التهذيب، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، حققه وعلق عليه:

أبوالأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، النشرة الأولى ١٤١٦هـ، دار

العاصمة، الرياض.

التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، الإمام: جمال الدين أبي محمد عبدالرحيم
بن الحسن الاسنوي، تحقيق: الدكتور: محمد حسن هيتو، الطبعة الثالثة،
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، مؤسسة الرسالة - بيروت.

تهذيب التهذيب، الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار
الكتاب الإسلامي، القاهرة، مكتبة آل ياسر - الجيزة.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، العلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر
السعدي، قدم له: فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العقيل، فضيلة الشيخ
محمد الصالح العثيمين، تحقيق: عبدالرحمن بن معلّ اللويح، طبعة جديدة محققة
عن نسخ خطية مع زيادات تطبع لأول مرة، توزيع: وزارة الشؤون الإسلامية
والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى،
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة - بيروت.

جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد: ابن
الأثير الجزري، حققه: عبدالقادر الأرنؤوط، سنة الطبع ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م،

الناشر: مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق:

محمود محمد شاكر، توزيع: دار التربية والتراث - مكة المكرمة.

جامع البيان في تفسير القرآن، الإمام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت الأمة على تقدمه

في التفسير أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، الطبعة الثالثة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، دار

المعرفة - بيروت.

الجامع لأحكام القرآن، الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار

إحياء التراث العربي - بيروت.

جمهرة أنساب العرب، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، تحقيق:

عبد السلام محمد هارون، طبعة عام ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م، دار المعارف بمصر.

جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، عبدالعزيز بن صالح

الطويان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، مكتبة العبيكان - الرياض.

جواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي)، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف

الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

الجواهر في تفسير القرآن الكريم، المشتمل على عجائب وبدائع المكوّنات وغرائب

الآيات الباهرات، الشيخ: طنطاوي جوهرى، الطبعة الثانية، ١٣٥٠هـ - رقم ١٧١،

مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

حاشية الشهاب، المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي،

أحمد بن محمد الخفاجي، دار صادر - بيروت.

حز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع، (متن الشاطبية)، القاسم بن فيرة بن

خلف بن أحمد الشاطبي الرعيني الأندلسي، ضبطه وصححه وراجعته: محمد تميم

الزعبى، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩، دار المطبوعات الحديثة - المدينة

المنورة - جدة.

حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، الحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق:

محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، دار إحياء الكتب

العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.

حق التلاوة، حسنى شيخ عثمان، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ، دار العدوي - مكتبة

المنار - الأردن.

حلية طالب العلم، د. بكر بن عبدالله أبو زيد، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، دار
الراية - الرياض.

خالص الجمال تهذيب مناسك الحج والعمرة من أضواء البيان، للإمام محمد الأمين
بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، هذبه ورتبه وعلق عليه: سعود بن إبراهيم بن
محمد الشريم، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ - دار الوطن - الرياض.

دائرة معارف الشباب، د. فاطمة محبوب، الناشر: دار النهضة العربية.

الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمن الحلبى، تحقيق: د.
أحمد محمد الخراط، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، دار القلم - دمشق.

الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، حققه:

محمد سيد جاد الحق، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م، الناشر: دار الكتب
الحديثة ١٤ شارع الجمهورية بعبدين.

الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الإمام: جلال الدين السيوطي، دار المعرفة للطباعة
والنشر - بيروت.

دفع إيهام الإضطراب عن آيات الكتاب العلامة الشيخ: محمد الأمين الشنقيطي،

مطبوع في الجزء العاشر من أضواء البيان.

دليل الجامعات العربية، الأمانة العامة لاتحاد الجامعات العربية، الجهاز المركزي
للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية، ١٩٧٦م.

دليل المعهد العالي للقضاء الصادر عام ١٣٩٩/٩٨هـ، طبع بمطابع الجامعة.

دليل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الصادر عام ١٤١٥هـ، أشرف على
طباعته ونشره إدارة الثقافة والنشر بالجامعة.

ديوان عامر بن الطفيل، طبعة عام ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م، دار صادر - دار بيروت.
رائد الطلاب، جبران مسعود، الطبعة الرابعة، شباط (فبراير) ١٩٧٩م، دار العلم
للملايين.

رابطة العالم الإسلامي عشرون عاماً على طريق الدعوة والجهاد، كتاب تعريفى
أعدته الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، وطبع بدار
عكاظ للطباعة والنشر - جدة.

رحلة الحج إلى بين الله الحرام، الشيخ العلامة: محمد الأمين الجكني الشنقيطي،
الطبعة الأولى عام ١٤٠٣هـ، دار الشروق - جدة.

الرحيق المختوم، بحث في السيرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، تأليف

الشيخ: صفى الرحمن المباركفوري، طبعة منقحة مع إضافات جديدة، الطبعة

الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، دار الكتاب والسنة - باكستان.

روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن، محمد علي الصابوني، الطبعة الثانية،

١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، مكتبة الغزالي - دمشق.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلامة أبي الفضل شهاب

الدين السيد محمد الألوسي البغدادي، بدون تاريخ ورقم الطبعة، دار الفكر.

روضة الناظر وجنة المناظر، الإمام موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي،

بدون رقم الطبعة ولا تاريخ، دار المطبوعات العربية - بيروت.

زاد المسير في علم التفسير، الإمام أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن

محمد الجوزي القرشي البغدادي، حققه: د. محمد بن عبدالرحمن عبدالله، خرّج

أحاديثه: السعيد بن سيوني زغلول، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، دار الفكر

- بيروت.

الزهد، الإمام أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، دراسة وتحقيق: محمد

السعيد بسيوني زغلول، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، دار الكتاب
العربي - بيروت.

السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق: د. شوقي ضيف، الطبعة الثانية، دار
المعارف - القاهرة.

سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، وهو شرح منظومة حرز الأمانى ووجه
التهانى، علي بن عثمان بن محمد القاصح البغدادي، راجعه فضيلة الشيخ: علي
محمد الضباع، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق:
د. بشار عواد معروف، ود. محيي هلال السرحان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ -
١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة - بيروت.

سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، أشرف على
تحقيق الكتاب: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م،
مؤسسة الرسالة - بيروت.

شرح الكوكب المنير، العلامة محمد بن أحمد بن عبدالعزيز الفتوحى المعروف بابن

النجار (ت ٩٧٢) تحقيق: الدكتور محمد الزحيلي، والدكتور: نزيه حماد،
١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، دار الفكر بدمشق، من منشورات جامعة الملك عبدالعزيز.

شرح المعلقات السبع، أبو عبدالله الحسين الزوزني، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩م، مكتبة
المعارف - بيروت.

شرح ديوان الأعشى، تحقيق: كامل سليمان، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني
- بيروت.

شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، قدم له وعلق على حواشيه: سيف الدين
الكاتب، وأحمد عصام الكاتب، ١٩٨٦م، دار مكتبة الحياة - بيروت.

شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، حققه وقدم له: الدكتور إحسان عبدالقدوس،
١٩٦٢م، سلسلة التراث العربي تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء - الكويت.

شرح شعلة على الشاطبية المسمى (كنز المعاني شرح حرز الأمانى)، أبو عبدالله محمد
بن أحمد بن الحسين الموصلى، الطبعة الأولى، طبع على نفقة الاتحاد العام لجماعة
القراء.

شرح مختصر الروضة، تأليف: نجم الدين أبي الربيع سليمان بن عبدالقوي بن سعيد

- الطوفي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ -
١٩٩٨م، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد -
المملكة العربية السعودية.

شرح مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية فضيلة الشيخ: محمد بن صالح
العثيمين، إعداد وتقديم: أ.د. عبدالله بن محمد بن أحمد الطيار، الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، دار الوطن - الرياض.

شعراء النصرانية قبل الإسلام، جمعه ونسقه: يونس شيخو، الطبعة الثالثة،
١٩٦٧م، دار المشرق - بيروت.

الشيخ عبدالله بن زاحم (١٣٠٠هـ - ١٣٧٤هـ) وجهوده في عهد الملك عبدالعزيز،
المؤلف: عبدالرحمن بن عبدالله بن عبد الوهاب بن زاحم، الطبعة الأولى،
١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية ومكبتها.

صفوة البيان لمعاني القرآن، الشيخ: حسين محمد مخلوف - مفتي الديار المصرية
وعضو جماعة كبار العلماء، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، وزارة

الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت.

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي،

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.

طبقات المفسرين، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي (ت: ٩٤٥)، تحقيق:

علي محمد عمر، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، مكتبة وهبة - ١٤ شارع

الجمهورية بعابدين.

عقود الجمان في المعاني والبيان، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي،

الطبعة الثانية، ١٤٧٤هـ - ١٩٥٥م، مطبعة البابي الحلبي - بمصر.

عقود الجمان من أضواء البيان، الجزء الأول، إعداد وتجميع: عبدالله بن محمد بابا الشقيطي،

الطبعة الأولى، عام ١٤١٣هـ، الناشر: دارروضة الصغير - الرياض.

علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح آل بسام، الطبعة

الثانية، ١٤١٩هـ، دار العاصمة - الرياض.

علماء نجد خلال ستة قرون، الشيخ: عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح البسام،

الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.



علماء ومفكرون عرفتهم، محمد المجذوب، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م،
عالم المعرفة - جدة.

علماءونا، إعداد فهد البدراني وفهد البراك، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - توزيع
مؤسسة الجريسي.

غاية النهاية في طبقات القراء، الإمام شمس الدين أبوالخير محمد بن محمد بن محمد
بن الجزري، عني بنشره: ج. برجستراسر، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م،
دار الكتب العلمية.

غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي
النيسابوري، تحقيق ومراجعة: إبراهيم عطوة عوض، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ -
١٩٦٩م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

غيث النفع في القراءات السبع، علي النوري الصفاقسي، (مطبوع بهامش سراج
القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهى) ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، دار الفكر للطباعة
والنشر والتوزيع.

فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن

عبدالرزاق الدويش، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤١١هـ.

فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تصحيح وتحقيق بإشراف الشيخ: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

فتح البيان في مقاصد القرآن، العلامة أبي الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري، عني بطبعه وقدم له وراجعته خادم العلم: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، طبع على نفقة: إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر، عام ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، المكتبة العصرية - بيروت - لبنان.

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، حققه وخرج أحاديثه: الدكتور عبدالرحمن عميرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، دار الوفاء - المنصور، دار الأندلس الخضراء -

الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، سليمان بن عمر العجيلي

الشافعي الشهير بالجمل، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، الناشر:

دار المنار للنشر والتوزيع بالقاهرة.

الفوائد، الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تقديم وتحقيق

وتعليق: محمد عثمان الخشت، بدون رقم الطبعة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، دار

الكتاب العربي - بيروت.

في الدراسات القرآنية واللغوية - الإمالة في القراءات واللهجات العربية، د.

عبدالفتاح إسماعيل شلبي، الطبعة الثالث، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار الشروق

- جدة.

في ظلال القرآن، سيد قطب، الطبعة الشرعية السابعة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، دار

الشروق - بيروت - القاهرة.

في علوم القراءات، د. السيد رزق الطويل، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، المكتبة

الفيصلية - مكة المكرمة.

القاموس المحيط، العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، الطبعة

الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، مؤسسة الرسالة - بيروت.

القراءات العشر المتواترة - من طريقي الشاطبية والدرة، إشراف: محمد كريم

راجح، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، مكتبة دار المهاجر للنشر والتوزيع.

قراءات القراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين، المقرئ: أحمد بن أبي عمر المعروف

بالأندرايبي، تحقيق: د. أحمد نصيف الجنابي، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م،

مؤسسة الرسالة - بيروت.

قصص الأنبياء، الإمام أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق د. عبدالحكي الفرماوي،

الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م - دار الطباعة والنشر الإسلامية - القاهرة.

قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين بن علي بن حسين الحربي، الطبعة الأولى،

١٤١٧هـ، الناشر: دار القاسم - الرياض.

قواعد التفسير، خالد بن عثمان السبت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، دار ابن عفان،

الجيزة - جمهورية مصر العربية.

القول السديد في كشف حقيقة التقليد، العلامة الشيخ: محمد الأمين الشنقيطي،

الناشر: مقتدي حسن أزهرى - إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والإفتاء

بالجامعة السلفية - الهند، ذو القعدة ١٤٠٣هـ أغسطس ١٩٨٣م.

القول المفيد على كتاب التوحيد، شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين، الطبعة

الرابعة، ١٤٢١هـ، دار ابن الجوزي - الدمام.

كتاب الأنساب، الحافظ أبوسعدي الكريم بن محمد بن منصور الخراساني، قدم

لها: محمد أحمد حلاق، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، دار إحياء التراث

العربي.

الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، صدر بمناسبة الاحتفال بمرور

مائة عام على تأسيس المملكة، رئيس لجنة إعداد الكتاب: أ.د. أحمد بن عطية

الغامدي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. طبع بمطابع مؤسسة المدينة

للصحافة والطباعة والنشر (دار العلم) - المملكة العربية السعودية - جدة.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم

جارالله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، رتبته وضبطه وصححه: محمد

عبد السلام شاهين، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية -

بيروت.

لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي
المعروف بالخازن، الناشر: دار الفكر - بيروت.

لباب النقول في أسباب النزول، الإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر
السيوطي، بذييل كلمات القرآن للشيخ حسنين محمد مخلوف، المطبوع بهامش
القرآن الكريم، توزيع مكتبات عبدالمجيد مرزا.

لسان العرب، للعلامة: ابن منظور، طبعة جديدة مصححة وملونة أعتى بتصحيحه أمين
محمد عبدالوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م،
دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي - بيروت.

لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤)، شرح
وتعليق وتحقيق الدكتور: عبدالحميد السيد طلب، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م،
مطبوعات جامعة الكويت.

المثل العليا في الإسلام، فضيلة العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، من مطبوعات
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن محمد بن

قاسم، وابنه: محمد، طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز،
بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة، تحت إشراف وزارة
الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، عام
١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

محاسن الإسلام والرد على أباطيل خصومه، العلامة الشيخ: محمد الأمين
الشنقيطي، تحقيق وتعليق: ساعد عمر غازي، المكتبة القيمة - مصر والسودان.
محاسن التأويل، علامة الشام محمد جمال الدين القاسمي، وقف على طبعه
وتصحيحه، ورقمه وخرّج آياته وأحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبدالباقي،
بدون تاريخ ورقم الطبعة، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.
المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي،
تحقيق: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري؛ السيد عبدالعال السيد إبراهيم، طبع على
نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر، الطبعة الأولى،
ربيع ثاني ١٤٠٦هـ - ديسمبر ١٩٨٥م، الدوحة.

المحصل في علم أصول الفقه، فخر الدين محمد بن عمر الحسين الرازي، دراسة وتحقيق:

الدكتور طه جابر فياض العلواني، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، لجنة

البحوث والتأليف والترجمة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، الطبعة الأولى، ١٩٦٧م، دار

الكتاب العربي - بيروت.

مختصر التفتازاني على تلخيص المفتاح للقزويني في علم المعاني والبيان والبديع،

الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ، مطبعة محمد علي صبيح - بمصر.

مختصر الشيخ خليل بن إسحاق في الفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس

الأصبحي، طبع بحروسة باريز بمطبعة الدولة الجمهورية سنة ١٣١٨هـ الموافقة لسنة

١٩٠٠م من التاريخ المسيحي.

مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، الطبعة السابعة،

١٤٠٢هـ - ١٩٨١م، دار القرآن الكريم - بيروت.

مختصر تفسير البغوي، الإمام محي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي

الشافعي، اختصار وتعليق: الدكتور عبدالله بن أحمد الزيد، الطبعة الأولى،

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي

بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء

يأشرف الناشر، الطبعة الأولى، دار الكتاب العلمية - بيروت.

مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي،

مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده - ميدان الأزهر - القاهرة.

مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة والموقع التاريخي الرائد، د. محمد العيد

الخطراوي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٠م، مكتبة دار التراث - المدينة

المنورة.

مذكرة أصول الفقه، العلامة الشيخ: محمد الأمين الشنقيطي، المكتبة السلفية -

باب الرحمة - المدينة المنورة.

مذكرة علوم القرآن ١٠٥ ق، أعدها الأستاذ: صالح السعود المحاضر بقسم

الدراسات القرآنية بكلية المعلمين بمحائل.

مرويات الإمام أحمد بن حنبل في التفسير، جمع وتخرىج: أحمد أحمد البزرة -

محمد بن رزق الطوهوني - حكمت بشير ياسين، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ -

١٩٩٤م، مكتبة المؤيد المملكة العربية السعودية.

مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، الحافظ أبي حاتم محمد بن حيان البستي، حققه: مرزوق علي إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.

المصالح المرسله، العلامة الشيخ: محمد الأمين الشنقيطي، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عام ١٤١٠هـ.

المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، إعداد جماعة من العلماء بإشراف الشيخ: صفي الرحمن المباركفوري، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض.

مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ بزینب بنت جحش - دراسة تحليلية، د. زاهر بن عواض الألمي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، مطابع الفرزدق التجارية - الرياض.

معارج الصعود إلى تفسير سورة هود، الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، كتبه عن فضيله المؤلف تلميذه: عبدالله بن أحمد قادري، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ -

١٩٨٨م، دار المجتمع للنشر والتوزيع - جدة.

معاني القرآن الكريم، الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق
الشيخ محمد علي الصابوني، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، من مطبوعات
جامعة أم القرى.

معاني القرآن وإعرابه، للزجاج؛ أبي إسحاق إبراهيم بن السري، شرح وتحقيق: د.
عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، عالم الكتب -
بيروت.

معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، الطبعة الثانية ١٩٨٠م، عالم الكتب
- بيروت.

معجم البلدان، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، طبعة جديدة مصححة
ومنقحة، قد لها: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ -
١٩٩٧م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

معجم البلدان، الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي
البغدادي، تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ -

١٩٩٠م، دار الكتب العلمية - بيروت.

معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، ودار إحياء التراث العربي - بيروت.

معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف إيان سركيس، مطبعة سركيس بمصر، ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م.

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بمحاشية المصحف الشريف، وضعه: محمد فؤاد عبدالباقي، الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، دار المعرفة - بيروت، ودار الفكر.

معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط: عبدالسلام محمد هارون، دار الكتب العلمية - إيران.

معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، الإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف / شعيب الأرنؤوط / صالح مهدي عباس، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، مؤسسة الرسالة - بيروت.

المعلقات العشر، شرح ودراسة وتحليل: الدكتور مفيد قميحة، الطبعة الأولى،
١٩٩١م، دار الفكر اللبناني.

المُنغني، لموفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلي، تحقيق:
الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، والدكتور عبدالفتاح محمد الحلو، الطبعة
الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان -
القاهر.

من أعلام الحركة الإسلامية، المستشار: عبدالله العقيل، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، دار
التوزيع والنشر الإسلامية.

من مشاهير الجزيرة العربية من عام ٧٠٠هـ إلى عام ١٤١٧هـ، عبدالكريم بن حمد
بن إبراهيم الحقييل، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

مناسك الحج والعمرة من أضواء البيان، العلامة الشيخ: محمد الأمين الشنقيطي،
جمع وترتيب: عبدالله بن محمد بابا الشنقيطي، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ -

١٩٩٣م، دار السلام - القاهرة، دار روضة الصغير - الرياض.

مناهل العرفان في علوم القرآن، الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب

العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه.

منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، محمد محي الدين عبدالحميد، الطبعة الرابعة

عشرة، جمادى الأولى ١٣٨٤هـ - أكتوبر ١٩٦٤م، الناشر: المكتبة التجارية

الكبرى بمصر.

منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، العلامة الشيخ: محمد الأمين الشنقيطي،

مطبوع في الجزء العاشر من أضواء البيان.

منهج التشريع الإسلامي وحكمته، العلامة الشيخ: محمد الأمين الشنقيطي، ضمن

سلسلة محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنور، منشورات المكتبة العلمية،

لصاحبها: محمد ثنكاني - المدينة المنورة.

مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، أبي عبدالله محمد بن محمد بن عبدالرحمن

الطرابلسي المغربي المعروف بالخطاب، ملتزم الطبع والنشر: مكتبة النجاح -

طرابلس - تركيا.

الموسوعة العربية العالمية، الناشر: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع -

الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف: محمد شفيق غربال، الطبعة الأولى، ١٩٦٥م، دار
القلم ومؤسسة فرانكين للطباعة والنشر.

موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، إعداد مجموعة من
المختصين بإشراف: الشيخ صالح بن عبدالله بن حميد وعبدالرحمن بن محمد بن
ملّوح، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، دار الوسيطة - جدة.

زهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء، محمد حسن عقيل موسى، الطبعة الأولى،
١٤١١هـ - ١٩٩١م، دار الأندلس للنشر والتوزيع - جدة.

نشر البنود على مراقبي السعود، تأليف: عبدالله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي،
بدون رقم الطبعة وتاريخ النشر، النشر بتعاون مشترك بين حكومة الإمارات
العربية المتحدة، وحكومة المملكة المغربية.

النشر في القراءات العشر، الحافظ محمد بن محمد بن محمد بن الجزري، أشرف على
تصحيحه: علي محمد الضباع، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الإمام برهان الدين أبوالحسن إبراهيم بن عمر
البقاعي، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، بمطبعة مجلس دائرة المعارف

العثمانية - مجيد رآباد - الدكن - الهند.

النكت والعيون تفسير الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، راجعه وعلّق عليه: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، دار الكتب العلمية - بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.

الواني في شرح الشاطبية في القراءات السبع، عبدالفتاح عبدالغني القاضي، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م، مكتبة الدار - المدينة المنورة.

الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي - أستاذ عصره في علم التفسير - تحقيق: صفوت عدنان داوودي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت.

الوسيط في تراجم أدياء شنقيط، أحمد بن الأمين الشنقيطي، الطبعة الثالثة، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م، الناشر: مكتبة الخانجي - مصر، ومكتبة الوحدة العربية بالدار البيضاء.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي

دراسة ترجيحات الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه
الله - في تفسيره أضواء البيان



بكر بن خلكان، حققه الدكتور: إحسان عباس، طبعة عام ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م،

دار صادر - بيروت.

القسم الأول

ترجمة عن حياة الشيخ الشنقيطي، ودراسة حول الترجيحات

الفصل الأول: ترجمة عن حياة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ٢٠

- المبحث الأول: نسبه وولادته ونشأته
- المبحث الثاني: طلبه للعلم
- المبحث الثالث: أعماله قبل قدومه إلى المملكة العربية السعودية
- المبحث الرابع: رحلة الحج إلى بيت الله الحرام
- المبحث الخامس: جهوده بعد استقراره في المملكة العربية السعودية
- المبحث السادس: مؤلفاته
- المبحث السابع: عقيدته وأخلاقه
- المبحث الثامن: تلاميذه وثناء العلماء عليه
- المبحث التاسع: وفاته

الفصل الثاني: معنى الترجيح ومنهج الشيخ الشنقيطي فيه، وفيه مباحث

المبحث الأول: معنى الترجيح عند المفسرين ١٢

- المبحث الثاني: الفرق بين مصطلحات ووجوه الترجيح

الموضوع

رقم الصفحة

المبحث الثالث: مصطلحات الترجيح عند الشنقيطي، وفيه مطالب:

٨٤

المطلب الأول: لفظ (أظهر)، وجاء على سبع صور:

الصورة الأولى: (الأظهر أن المعنى...).

الصورة الثانية: (الأظهر عندي...).

الصورة الثالثة: (الأظهر هو ما ذكرنا...).

الصورة الرابعة: (أظهر أقوال أهل العلم عندي... أن المعنى...).

الصورة الخامسة: (أظهرها الأقوال...).

الصورة السادسة: (أظهرها عندي...).

الصورة السابعة: (الأول أظهر...).

المطلب الثاني: لفظ (الظاهر).

المطلب الثالث: لفظ (يظهر).

المطلب الرابع: لفظ (التحقيق)، وجاء على ثلاث صور:

الصورة الأولى: بعد أن يذكر الراجح عنده يقول (وهو

التحقيق إن شاء الله) ٩١

الصورة الثانية: بعد الآية يذكر الراجح عنده مبتدئاً

بـ (التحقيق أن..).

الصورة الثالثة: أن يذكر الراجح، وبعده يذكر المرجوح

ويقول عنه (إنه خلاف التحقيق

الموضوع

رقم الصفحة

- :المطلب الخامس: لفظ (أصح)، وجاء على أربع صور:
- الصورة الأولى: (الأصح أن...)
- الصورة الثانية: (أصح القولين...)
- الصورة الثالثة: (الأول أصح...)
- الصورة الرابعة: (الأخير هو الأصح...)
- :المطلب السادس: لفظ (الصواب)
- :المطلب السابع: أن ينسب ما رجحه إلى (الجمهور)
- :المطلب الثامن: أن يقول عن القول الراجح عنده إنه هو (الأليق بالمقام).
- :المطلب التاسع: أن يقول عن القول الراجح عنده إنه هو (أبلغ).
- :المطلب العاشر: أن يصف ترجيحه بأنه (أشهر الأقوال).
- :المطلب الحادي عشر: أن يصف ترجيحه بأنه (أظهر الأقوال وأصحها)
- :المطلب الثاني عشر: أن يبدأ كلامه في ترجيحه بقوله (التحقيق
الذي عليه الجمهور).
- :المطلب الثالث عشر: أن يقول عن ترجيحه بأنه (هو قول الجمهور،
وهو الصواب إن شاء الله)
- :المبحث الرابع: وجوه الترجيح عند الشنقيطي، وفيه مطالب
- :المطلب الأول: الاستدلال بآيات أخرى من القرآن الكريم
- :المطلب الثاني: دلالات سياق الآيات

الموضوع

رقم الصفحة

- المطلب الثالث: الاستدلال بقرينة في الآية
- المطلب الرابع: الترجيح بما يدل عليه ظاهر لفظ الآية
- المطلب الخامس: الترجيح بالمعنى الغالب استعماله في القرآن الكريم
- المطلب السادس: الاستدلال بصحة الحديث على المعنى الراجح
- المطلب السابع: الحمل على التأسيس أولى من الحمل على التأكيد
- المطلب الثامن: الاستدلال بما هو معروف في لغة العرب
- المطلب التاسع: الاستدلال بالبناء اللغوي
- المطلب العاشر: توحيد مرجع الضمائر
- المطلب الحادي عشر: إجماع الجمهور على معنى الآية

الفصل الثالث: دراسة موازنة بين ترجيحات الشيخ عطية سالم - رحمه الله -

في تنمة أضواء البيان، ومنهج الشيخ الشنقيطي - رحمه الله -

في ترجيحاته، وفيه مباحث: ١١٨

- مدخل:
- المبحث الأول: المصطلحات التي استخدمها في الترجيح
- المبحث الثاني: الوجوه التي اتبعتها في الترجيح
- المبحث الثالث: نماذج من إحالات الشيخ عطية إلى كلام الشيخ الشنقيطي
- المبحث الرابع: ترابط الآيات والسور
- المبحث الخامس: استدراكات الشيخ عطية على شيوخه الشنقيطي
- المبحث السادس: وفاء الشيخ عطية بوعود شيوخه الشنقيطي

الموضوع

رقم الصفحة

القسم الثاني

دراسة ترجيحات الشيخ الشنقيطي في تفسيره من أول سورة النور إلى آخر
سورة المجادلة

- معنى النكاح
- المراد العذاب
- معنى ((ولا يأتل))
- معنى ((دينهم))
- معنى الاستثناس
- الزينة الظاهرة
- لمن تكون المغفرة
- تقلب القلوب والأبصار
- المراد بالزيادة في قوله تعالى ((ويزيدهم من فضله))
- مرجع الضمير المقدر في الفعل (علم) في قوله تعالى ((قد علم صلاته))
- معنى قوله تعالى ((دعاء الرسول))
- المراد بالفتنة في قوله تعالى ((أن تصيبهم فتنة))
- معنى قوله تعالى ((لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً))
- معنى قوله تعال ((ضربوا لك الأمثال))
- معنى قوله تعالى ((فلا يستطيعون سيلاً))
- معنى قوله تعالى ((سمعوا لهاغيظاً))
- معنى ((مقرنين))

الموضوع

رقم الصفحة

- مرجع الإشارة في قوله تعالى ((قل أذلك خيراً أم جنة الخلد)).
- المراد بالوعد المستول
- المراد بالمعبودين من دون الله.
- معنى ((نسوا)).
- المراد بالذكر في قوله تعالى ((حتى نسوا الذكر)).
- معنى ((بوراً)).
- من القائل (حجراً محجوراً).
- المراد بالذكر في قوله تعالى ((لقد أضلني عن الذكر)).
- من القائل (وكان الشيطان للإنسان خذولاً)
- متى كانت القرون الكثيرة
- مرجع الضمير في قوله ((صرفناه)) والمعنى المترتب عليه
- معنى ((وكان الكافر على ربه ظهيراً)).
- معنى الغرام.
- الإسراف والإقتار
- معنى ((لم يخروا عليها صماً وعمياناً)).
- معنى قوله تعالى ((لولا دعاؤكم)).
- المراد بالكفر.
- المراد بقوله ((من الضالين))
- معنى ((فوهب لي ربي حكماً))
- مرجع الضمير في قوله تعالى ((سلكناه))

الموضوع

رقم الصفحة



- معنى قوله تعالى ((وتقلبك في الساجدين))
- معنى قوله تعالى ((بل اذكرك علمهم في الآخرة))
- ما هو القول الواقع على المكذبين؟
- معنى قوله تعالى ((وكانوا مستبصرين))
- المراد بيوم الفتح .
- أهل البيت .
- ما الذي أخفي .
- المراد بالإنسان في قوله تعالى : ((وحملها الإنسان))
- المراد بقوله ((أروني)) .
- المراد بقوله تعالى ((وأنى لهم التناوش))
- معنى قوله تعالى ((فلله العزة جميعاً)) .
- هل أنذر آباؤهم؟
- المراد بقوله تعالى ((إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً)) .
- المراد بقوله تعالى ((وكل شيء أحصيناه في إمام مبين)) .
- المراد بالصافات والزاجرات والتاليات .
- المراد بالأزواج في قوله تعالى ((احشروا الذين ظلموا وأزواجهم)) .
- المراد بالعزة في قوله تعالى ((بل الذين كفروا في عزة)) .
- نوع النداء في قوله تعالى ((فنادوا...)) .
- معنى قوله تعالى ((وأرض الله واسعة))
- القول المتبع .

الموضوع

رقم الصفحة

..... المراد بالشهداء

- معنى الإماتتين والإحياءتين
- ممن الرجل؟
- معنى قوله تعالى ((غير ممنون)).
- المراد بالظن
- مرجع الضمير المتصل في قوله ((فيه))
- المراد بالميزان
- الجزء
- المراد بالرحمة
- معنى (سُخْرِيًّا)
- مرجع الضمير المنفصل (هو)
- المراد بالأزواج في قوله تعالى ((ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم)).
- معنى كلمة (ويل)
- المراد بقوله (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم)
- المراد بـ ((الذي))
- من الذي أذهب طبيباته
- هل يدخل الجنة الجنة؟
- من هم أولوا العزم من الرسل؟
- معنى (أضل أعمالهم)
- المراد بوضع الحرب أوزارها
- الموضوع
- رقم الصفحة
- معنى قوله تعالى ((وأنتم الأعلون))
- المراد بالفتح



- كيف يدخل المؤمنون والمؤمنات الجنة
- المراد بالإيمان المنفي عن الأعراب
- ما هو القول الذي لا يبدل
- المراد بالاستفهام في قوله ((هل من مزيد))
- المراد بالذاريات والحاملات والجاريات والمقسمات
- معنى قوله تعالى ((إلا ليعبدون))
- ما هو الطور؟
- ما هو الكتاب المسطور؟
- معنى قوله تعالى ((عذاباً دون ذلك))
- المراد بالنجم في قوله تعالى ((والنجم إذا هوى))
- معنى ((من نطفة إذا تمنى))
- معنى قوله تعالى ((على أمر قد قدر))
- الجواب عن سؤال معروف
- المراد بقوله تعالى ((علمه البيان))
- المراد بالنجم في قوله تعالى ((والنجم والشجر يسجدان))
- المراد بالأولين والآخرين
- معنى عُرْباً
- من هم (المقوين)

الموضوع

رقم الصفحة

- المراد بالتريص
- المراد بأمر الله ﷻ
- من المقصود؟ مؤمني هذه الأمة أو مؤمني أهل الكتاب

المراد بقوله تعالى ((فصدوا عن سبيل الله))

الغائمة .

الفهارس:

- ١- فهرس الآيات القرآنية (مواضع الترجيح)
- ٢- فهرس الآيات القرآنية الواردة في الرسالة عموماً
- ٣- فهرس الأحاديث النبوية
- ٤- فهرس الأشعار .
- ٥- فهرس الأعلام (مواقع الترجمة فقط)
- ٦- فهرس المصادر والمراجع .
- ٧- فهرس الموضوعات .